

قصة العهد القديم

للنشء



كنيسة الشهيد العظيم مارجرس
سبورتنج - الإسكندرية

كنيسة الشهيد العظيم مارجرس

سيورتنج - الإسكندرية

قصة العهد القديم

للنشء





قداسة البابا المعظم الأبا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

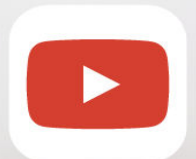
خاص بعرضنا نور الكتاب

موقع نور الكتاب يقدم شرحاً ونظرة عامة عن العهد القديم، وتفصيلاً لعقيدة الثالوث القدوس، وشرحاً كاملاً لطبيعة المسيح، واستعراضاً للبدع التي واجهت الكنيسة، مع إجابات على أسئلة حول الإيمان المسيحي.

اضغط على الرابط لزيارة موقعنا عبر الإنترنت:

<https://nour-el-ketab.netlify.app/>

للتواصل معنا على الرقم التالي: 01273997711



أسعد دقائق في حياتك!

الكتاب المقدس هو قصة حُبٍّ، فإنَّ الله يريد أن يتكلَّم معك ويسمع صوتك. يكشف لك عن حُبِّه، لكي ما تعرفه فتُحِبُّه، وتعيش سعيدًا به. الله ينتظرك، ويُعدُّ لك مكانًا فوق كل تفكيرٍ بشريٍّ. والسماويون أنفسهم إذ يرون ما يُعدّه الله لك، يشناقون أن يروك لتعيش معهم في سعادة دائمة.

نُقدِّم لك في هذا الكتاب صورة مُفرحة عن قصص وردت في الكتاب المقدس لكي ترى كيف يُحبُّك الله، ويشتاق إليك، ويعمل لحسابك، فتشتهي أن تراه وتحيا به ومعه كل يوم.

عندما انشغلت بكتابة هذه القصص، أحسست أنها من أسعد لحظات حياتي. أرجو ألا تحرم نفسك من قراءتها، تتبعها بصلاة قصيرة، فتفرح معي. إنها مجموعة رائعة من القصص المشوقة من الكتاب المقدس، تُعدُّ القلب لكي يلتصق بالسيّد المسيح، الذي يشتاق إليه كل مَنْ كان مُخلصًا في حياته ويُريد التمتع بحضن الآب بنعمة روحه القدوس.

ماذا تعرف عن كتابك المقدس؟

في جنَّة عدن كان أبوانا الأولان يتحدثان مع الله مُباشرة. كم كانت سعادتهما عندما كانا يسمعان صوته في الجنَّة (تكوين ٣ : ٨). أمَّا بعد السقوط في الخطيَّة، فاخْتبأ آدم وحواء من وجهه في وسط شجر الجنَّة، وكانا خائفين. تحدَّث الله معهما ووعدهما أنه سيأتي من نسل المرأة مَنْ يسحق رأس الحية، أي يأتي السيّد المسيح ويسحق بالصليب الشيطان الذي أغواهما على العصيان.

وهب الله أبناءهما أن يدركوا بالطبيعة في أعماقهم ما هو حق وما هو باطل، لكنهم كثيرًا ما كانوا يُفسدون هذا الصوت الداخلي، وينكرون حتى وجود

خالقهم. لذلك صار الله يعمل في بعض الناس المُخلصين، ليكتبوا لنا بوحى روحه
القدوس في أسفار العهد القديم عن محبة الله، وخطته لخلصنا، وما يُعدّه لنا في
السماء حين نحيا معه وسط السمائيين.

العهد القديم والعهد الجديد

يضمّ الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد كُتُبًا أو أسفارًا سجّلها أناس بروح الله في حوالي ١٥٠٠ سنة، منذ حوالي سنة ١٤٥٠ ق.م إلى ٩٥ م. يبدو الكتاب المقدّس كأنه موسوعة تضم وصايا وتاريخ معاملات الله مع الإنسان، وشعرًا وحكمةً وأمثالاً ورسائل ونبوءات. إلّا أنه في انسجام يكشف لنا عن خطة الله من نحو الإنسان من قبل أن يخلقه حتى إلى ما بعد أن نلتقي معه على السحاب، وندخل إلى المجد في سعادة لا يُعبّر عنها.

ينقسم هذا الكتاب إلى قسمين رئيسيين هما:

١. العهد القديم وغايته أن يُعدّ كل الأمم لقبول كلمة الله حين يصير إنسانًا ليحمل عنا عارنا بالصليب، ويهبنا برّه، ويجعلنا خليفة جديدة يسكن فينا رُوحه القدوس، فنستعدّ لنعيش في السماء.
٢. العهد الجديد وغايته أن يُعلن أن ما تنبأ عنه العهد القديم قد تحقّق، فقد جاء كلمة الله، المُخلّص يسوع المسيح، وأعلن محبّته عمليًا على الصليب، ووهبنا رُوحه القدوس، ووعدنا بمجيئه الثاني على السحاب ليحملنا إلى المجد الأبدي.

قصة الحب الإلهي والخلاص

يُمكننا أن نسرِد قصة العهد القديم، قصة حُبِّ الله ورعايته لنا في العهد القديم في الفترات الزمنية التالية:

- الفترة ١ . الخالق ومحبوبه الإنسان [آدم].
- الفترة ٢ . تجديد العالم وعناد الإنسان [نوح - برج بابل].
- الفترة ٣ . الإعداد لقيام شعب الله [إبراهيم - أبناء يعقوب].
- الفترة ٤ . قيام شعب خاص بالله [الخروج].
- الفترة ٥ . أرض تفيض لبناً وعسلاً [يشوع - القضاة].
- الفترة ٦ . مملكة واحدة [صموئيل - سليمان].
- الفترة ٧ . انقسام ودمار [يربعام - السبي البابلي].
- الفترة ٨ . عودة وترقُب لمجيء المسيا [عزرا - المكابيون].

الفترة الأولى

الخالق ومحبوه الإنسان

يكشف لنا الكتاب المقدس عن قصة الخليقة بأسلوب بسيط، بعيداً عن الأساطير القديمة. لم يخلق الله العالم لإبراز قوته وحكمته، ولا حاجته إلى من يُسبَّحُه ويشكُرُه. إنما أراد أن يخلق الإنسان ليحمل صورته، ويسلك على مثاله، ويتمتع بنعمة الوجود معه. له نفسٌ تُشبه الملائكة، وله جسد من تراب الأرض، وهبه عقلاً وحكمة وإرادة حرة. كل جنين أو رضيع فريد في عيني الله، له رسالة خاصة، يُحبّه الله بكونه أثنى ما في العالم! يُريده سيِّداً حُرّاً، لا عبداً هزياً بلا سلطان!

خلَقَ الله العالم كقصرٍ ملوكيٍّ يعيش فيه الإنسان كملكٍ أو ملكةٍ، في صُحبة الله، يتحدّث معه، ويحمله في حضنه إن أراد الإنسان! خلَّقه ليعيش خالداً لا يقترب الموت حتى من جسده، إن التصق بأبيه السماوي المُحب.

١- العالم الجميل!

(تكوين ١)

مُنذُ زمنٍ بعيدٍ كان الناس يتطلّعون إلى الشمس والقمر والنجوم والطبيعة الجميلة، مُتسائلين: "مَنْ صَنَعَ هذه الكواكب؟ مَنْ نَظَّمَهَا هكذا في السماء؟ مَنْ خَلَقَ الإنسان؟ مَنْ الذي صَنَعَ عالمنا الجميل هذا؟".

خَلَقَ اللهُ طغَمات من السمايين، يعيشون في السماء في سعادة عجيبة، لا يحتاجون إلى طعامٍ ولا إلى شرابٍ أو إلى نومٍ. يقفون أمام الله ويسبّحونه ويزدادون بالأكثر شوقهم إليه، يودّون أن يخدموه وهو ليس في حاجة إلى مَنْ يخدمه. فكّر أحدهم أن يحتلّ عرش الله ولا يخضع له، فسقط هو وفرقته من الملائكة من النور الإلهي، وصاروا قوَّات ظُلْمة شريرة، تجد لذتها في العُنف والقسوة والشرّ.

أمّا عن الإنسان فلم يكن له وجود، غير أن الله أراد أن يخلقه ككائنٍ له رُوحٌ تُشبه الملائكة وله جسدٌ ماديٌّ، ويكون محبوبه وصديقه. تخبرنا القصة الأولى التي ورَدَت في الكتاب المقدّس عن الله الذي يُحبّك ويُحبّتي، خَلَقَ العالم وكل ما فيه من أجلنا. إنها أشبه بأنشودة رائعة في شكل قصة بسيطة، واقعية وسهلة الفهم.

الله هو صاحب السُلطان اللانهائي، كُلِّي الحُبِّ والصلاح. قرّر أن يُقدِّم للغير شركة في حياته وسعادته، يُقدِّمها لك ولي. كُنّا في فكره، فأراد أن يخلق هذا العالم الجميل لأجلنا.

كانت الأرض خاوية وبلا جمال؛ وكانت مُظلمة جدًّا جدًّا، لا يمكن للإنسان أن يعيش فيها، ولم تكن هناك نباتات ولا أسماك ولا طيور ولا حيوانات. وكان روح الله يرفّ على وجه المياه. قال الله: "سأصنع عالمًا جميلًا!".

قال الله: "ليكن نور". فأشرق نورٌ فجأة. كم كانت مسرّة الله بالنور، لأن بدونه لم يكن مُمكنًا للإنسان أن يرى ما يُعدّه الله له. وفصل الله النور عن

الظلمة. ودعا الله النور نهاراً، والظلمة ليلاً. رأى الله النور فقال: "إنه حسن". هذا هو اليوم الأول.

كانت المياه في كل موضع، لهذا فصل الله السماء أو الجلد عن الأرض، مقررًا أن يحفظ المياه التي فوق لتكون سحابًا، والمياه التي في المحيط أسفل. بدت السماء بلونها الأزرق مع السحب البيضاء بديعة للغاية، هذا هو اليوم الثاني.

وفي اليوم الثالث حرك الله المياه إلى مواضع عميقة على الأرض، فبرزت اليابسة من وسط المياه التي اجتمعت معًا كمحيطات وظهرت الجبال والتلال، وإذا أشرق النور على المياه صار المنظر بديعًا. صارت الأمواج على الشواطئ بلون أبيض جميل، تتحرك متتابعة ودون توقف. وفي مواضع أخرى كانت الأمواج ترتطم بالصخور بقوة. وقال الله: لتنبت الأرض عُشبًا وأشجارًا مثمرة. الآن لدينا البحر والأرض؛ وقد أحب الله هذا العالم الجديد. قال الله: "إنه حسن".

يعرف الله أن النباتات تحتاج إلى ضوءٍ ودفءٍ! وكان يعلم أنه سيخلق بعض حيوانات تستيقظ ليلاً، وتحتاج إلى ضوءٍ أيضًا، ولكن ليس بمثل قوة الشمس ودفئها. ففي اليوم الرابع خلق الله الشمس لتسطع في وقت النهار، والقمر والنجوم تتلألأ في الليل؛ حتى يمكن أيضًا للإنسان والحيوانات والطيور أن يتمتعوا بنور الشمس نهارًا وحرارتها، ويبتهج الإنسان في الليل بالقمر والنجوم وينام فرحًا!

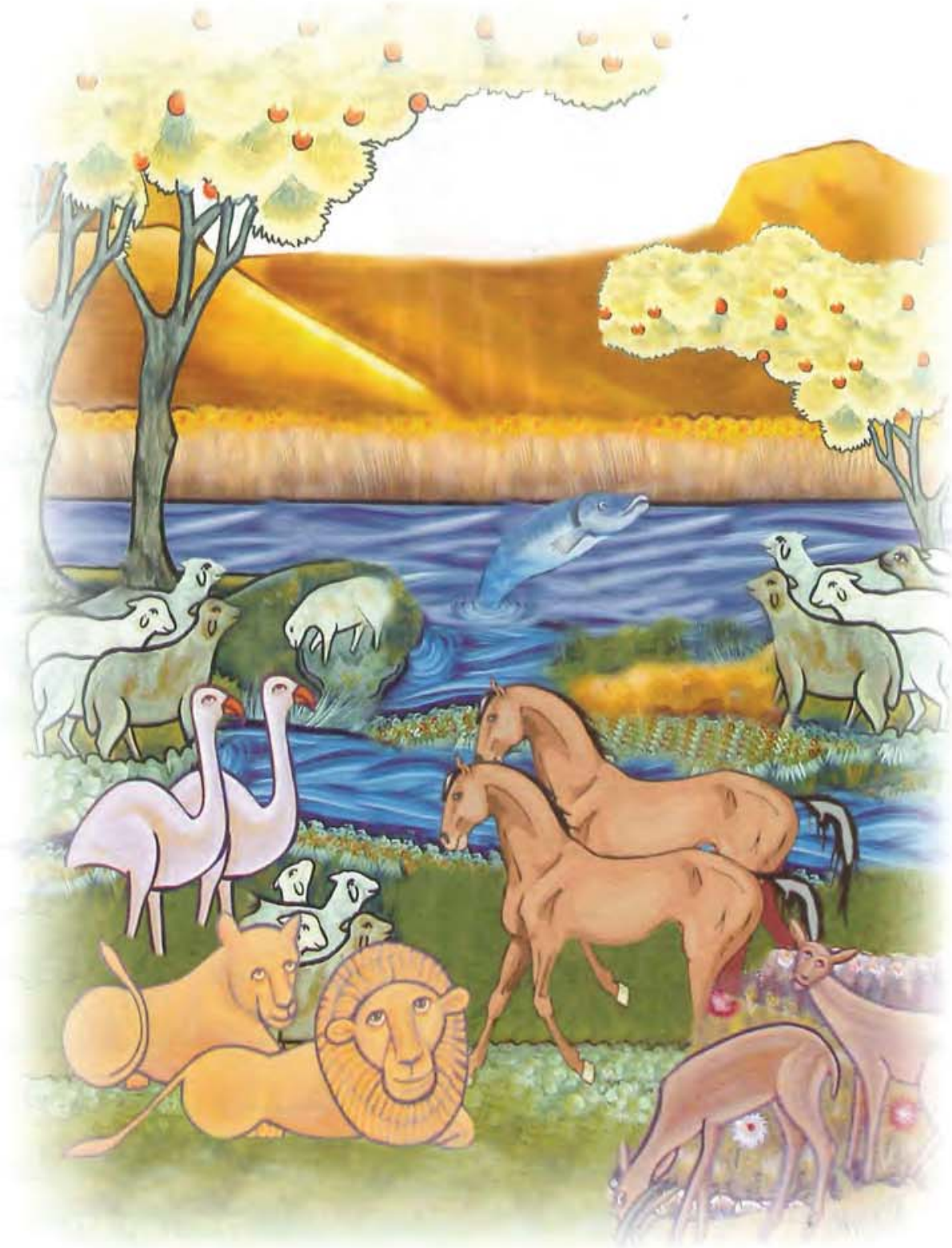
صارت الأرض مُمهَّدة للزرع. فجعل الله العشب ينمو على وجه الأرض، وقد أنتجت الأرض خضروات ونباتات تُعطي بذارًا كأنواعها. ظهرت الأشجار بأزهارها البنفسجية والحمراء والصفراء والبيضاء. نظر الله إلى الأرض الخضراء المزدهرة المزينة بالنباتات والزهور من كل شكل وبكل لون، وأحب صنعة يديه. قال الله: "إنها ستأتي قريبًا بأثمار شهية للأكل. فرح الله بهذا كله، أنه حسن!".

وفي اليوم الخامس رأى الله أمواج البحر تتناثر على شكل قطرات كثيرة على الرمال، كما شاهد الشمس تسطع على وجه المياه، وقد امتلأ الجو برائحة النباتات والأزهار. قال الله: "إنه حسنٌ! إنها أماكن جميلة تصلح للحياة. فسأخلق حيتاناً ضخمة وأسماكاً صغيرة جداً وكل الكائنات التي تعيش في البحار لتستمتع بالماء. وأخلق أيضاً طيوراً ذات أجنحة ناعمة لتطير في الهواء". تمكنت هذه المخلوقات أن تعيش وتجد كل احتياجاتها.

في اليوم السادس خلق الله الحيوانات. خلق كائنات صغيرة كالنملة، وأيضاً بعض الحيوانات الضخمة كالفيل والديناصور. خلق الله بعض الحيوانات تجري وأخرى تقفز؛ بعضها تمشي، وأخرى تزحف. خلق حيوانات ذات فراء ناعم، وحيوانات لها صدفة صلبة. أوجد حيوانات بأشكال مختلفة وأحجام متنوعة. للقرود أذيال قوية تساعد على التسلق، وللبومة عينان واسعتان تساعدان على الرؤية في الظلام. كل الحيوانات سواء في البحر أو الجو أو على الأرض لا ينقصها شيء. تطلع الله حوله إلى كل ما خلقه وسرَّ به، وقال: "الآن صار العالم مهياً ليعيش فيه الإنسان. إنه يستطيع أن يعيش في هذا العالم الجميل، يعمل فيه، ويستمتع به، ويرعاه. إذن نقيمه هنا". خلقه على صورته ومثاله، ليكون سيِّداً صاحب سلطان على كل الخليقة التي صنعها الله، لا يحتاج إلى شيء. قال الله: "إنه حسنٌ جداً".

خلق الله الإنسان من تراب الأرض، ونفخ فيه نسمة حياة، فصار عظيماً للغاية، ودعاه "آدم". وأوجد الله حواء من ضلع آدم مُعينةً له نظيره، مساويةً له في الكرامة والعظمة. أحبَّ آدم وحواء الله خالقهما، وكانا يشكرانه بلا انقطاع على ما وهبهما من عطايا، وعلى ظهور صوته لهما. لم يكن ينقصهما شيء. كان آدم وحواء عُريانيين، لكنهما لم يخجلا، لأن جسمهما هو عطية جميلة وصالحة وظاهرة. وكانت كل الحيوانات سعيدة تلتف حولهما، والطيور تُغني لهما.

وفي اليوم السابع استراح الله إذ رأى الإنسان سعيدًا وقدس هذا اليوم،
وكانه يوم لقاء الله مع الإنسان السعيد، حيث يفرح الله به.



٢- ملك في جنة عدن

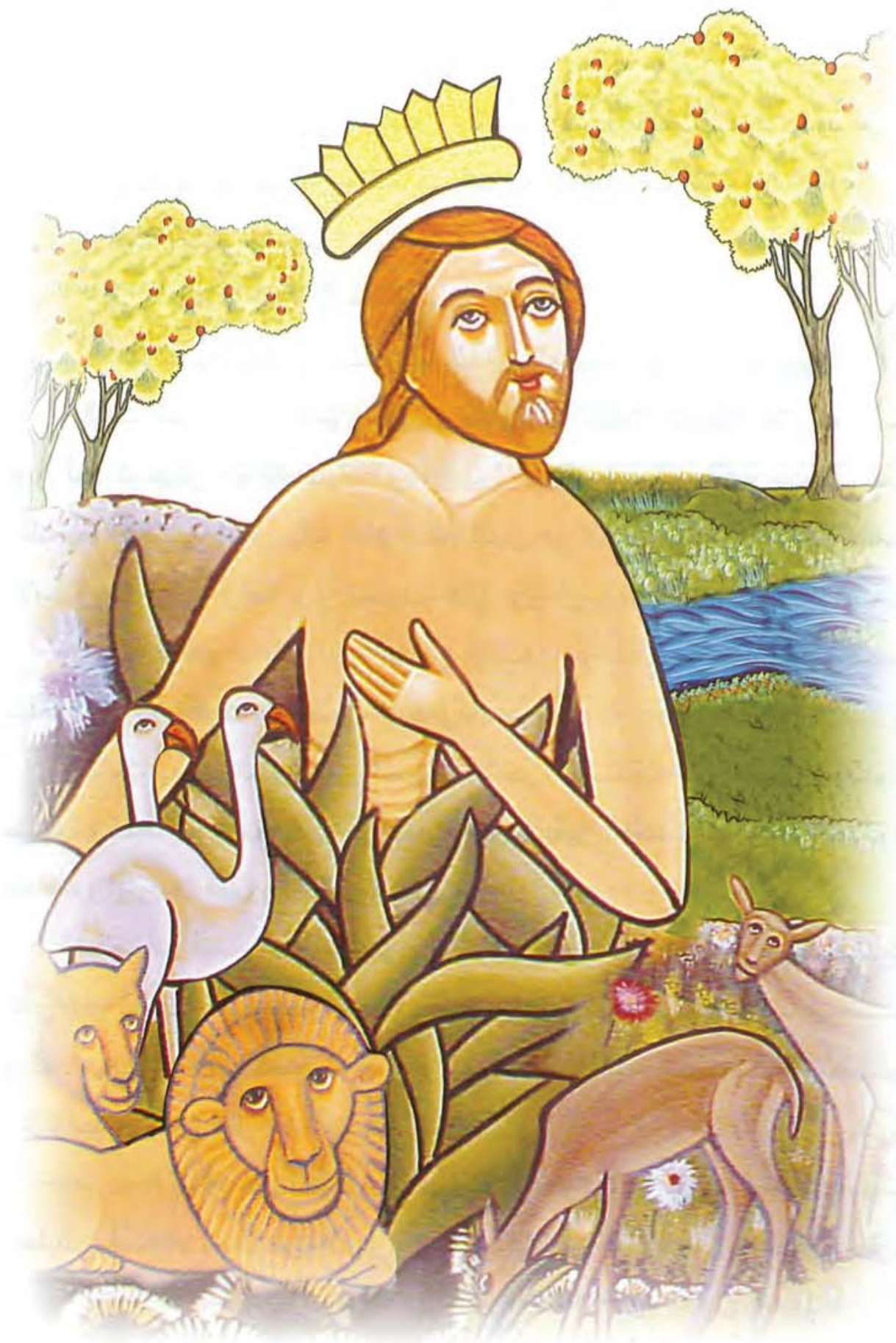
(تكوين ٢)

غرس الرب الإله جنةً في عدن شرقاً، في منطقة العراق. ضمت الجنة أشجاراً شهية للنظر وجيدة للأكل، وعلى حدودها يجري نهر مأوه يكفي لزراعة عدن كلها. ويتفرع من هذا النهر أربعة أنهار. وكان في وسطها شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشر.

كان آدم يعمل في الجنة وهو سعيد جداً، وجد متعة في رعاية الجنة! كان أشبه بملاك لا يشعر بتعب ولا ملل. كان كعصفور يطير؛ لا يعرف الغضب ولا الكراهية ولا حُب الكرامة. لا يعرف الهموم، ولا يضطرب من أجل الغد. كل ما يشغله هو صداقة الله له.

لم يحرمه الله من شيء، وبحبه أعطى آدم وصية سهلة، حتى يفرح بطاعته لله كعلامة على الصداقة معه، إذ يُقابل حُب الله له بالطاعة. لقد طلب منه ألا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر التي في وسط الجنة، وقد أحاطها الله بأنواع كثيرة من الأشجار حتى لا يشعر آدم بالحرمان.

تطلع آدم حوله، فرأى مخلوقات كثيرة جميلة ومتنوعة. رأى حوله مخلوقات تمشي على أربعة أرجل، ولها أصوات عجيبة، لكنها لا تتكلم. بعضها ضخم جداً وقوي، لكنها تخضع له، وتشتاق أن تخدمه. وبعضها صغير للغاية حتى بالكاد يمكنه أن يراها. كما شاهد مخلوقات تطير حوله في الجو، لا يمكنه هو أن يفعل ذلك، إذ لم تكن لديه طائرة أو مركبة فضاء. وكل ما كان يطير حوله يهبه متعة وفرحاً. نظر إلى المياه، فرأى كائنات تسبح في وسط المياه وتنزل إلى الأعماق، فكان يتأمل فيها وهو على الشاطئ، ولم تكن لديه غواصة لينزل بها إلى أعماق المياه.



كان الله يلتقي بآدم الذي يجري إليه، ويتحدّث معه ويشكره.

- أهذا هو عملك يا إلهي؟

- هذا هو عملي، الذي صنعتُه لأجلك يا آدم. لقد قدّمتُ لك كل الحيوانات والطيور وكل ما هو حولك وتركت لك الحرّية لتعطيها أسماءها.

- أهكذا تحبّني يا إلهي؟

- إني أحبّك يا آدم وأكرمك أمام كل الأرض!

- أشكرك وأسبّحك وأمجدك أيّها الخالق العجيب! إني أحبّك يا ربي!

التفت الحيوانات والطيور حول آدم، وكأنها جاءت تُحيّيه. ربّت آدم على فرو أحد الوحوش القويّة البنية، ذي الأسنان القويّة والمخالب الكبيرة، وقال له: "أنت أيّها الوحش القوي ملك الحيوانات، لتعش في الغابة، سأناديك أسدًا". هزّ الأسد رأسه فرحًا، وأخذ يزار بصوت عالٍ دون أن يرتعب آدم.

رأى آدم حيوانًا يقفز بين أغصان الأشجار، وكأنه يُحيّيه بطريقته الخاصة، دعاه قردًا. قفز القرد على ظهر الأسد وأخذ يلعب.

جاءت بعض الطيور من أغصان الشجر، واستقرت على ظهر حيوان ضخم، وكانت تُغرّد معًا كأنها فرقة من الموسيقيين. دعا آدم هذا الحيوان ديناصورًا، ودعا الطيور: بلابل وكناريا.

أطلق آدم أسماء متنوّعة على كل أنواع الحيوانات، فأعطى اسمًا لكلب الذي كان يُداعب آدم ويلحس قدميه ويديّه، وأعطى اسمًا للحصان الذي صار يركبه ويجري به في الجنّة شرقًا وغربًا، وهكذا بقيّة الحيوانات والطيور والزواحف، وكان آخر الأسماء هو الحيّة.

مرّت الأيام، وكان قلب آدم مملوءً حبًّا وشكرًا، وهو يقول: "يا سيّدي، لقد أعطيتني أصدقاء ومعاونين كثيرين، ماذا أردّ لك من أجل أعمال محبّتك؟".

٣- أسعد زوجين في العالم!

(تكوين ٢)

إذ كان الله يتمشى في الجنة حيث كان كل شيء بفيض ووفرة، رأى الحيوانات والطيور أزواجًا أزواجًا، أما آدم فينقصه شيء. قال الله: "ليس جيدًا أن يكون الرجل وحده، فأصنع له معينًا نظيره". يُمكننا أن نتصور أن الحوار التالي دار بين الله و آدم:

- ما رأيك في هذه الحيوانات والطيور والأسماك؟

- إنها رائعة! أشكرك يا إلهي. إني أحبها، إنها أصدقائي.

- لكنها لا تتحدث معك يا آدم. ولا تأكل معك. إني أخلق لك رفيقة تكون

مُعينة لك، تكون لبقة ومُتفهمّة ومُحبّة، تتحدث معك وتسدك وأنت تسندها.

طلب الله من آدم أن ينام، وإذ استيقظ وجد بجواره امرأة خلقها من جنبه،

لتكون قريبة جدًا من قلبه. لم يخلقها من رأسه حتى لا تسيطر عليه، ولا من

رجليه حتى لا يتسلط عليها.

فرح آدم جدًا بهذه المرأة، وقال: "إنها من عظمي ومن لحمي!".

مدّ يده ليمسك بيدها، وصارا يتمشيان معًا في الجنة. وكان يروي لها

خبراته المُفرحة مع الله، كيف يلتقي معه كل يوم ليتحدثا معًا.

صار يُحدثها عن معاملات الحيوانات والطيور معه، وكيف أعطى لكل

منها اسمًا، كما حدّثها أيضًا عن وصيّة الله بخصوص شجرة معرفة الخير والشرّ

التي في وسط الجنة، وأنه لا يقترب إلى هناك حتى لا يشغل ذهنه بالأمر.

عاشا معًا بروح المرح، يقطفان الثمار ويأكلان، يسبحان في النهر،

ويستظلان معًا في النهار تحت الأشجار، وكانا عُريانيين دون أن يخجلا.

كانا يعملان معًا بروح التفاهم، يكتشفان كل يوم أشياء جديدة.

كان الله يظهر لهما ويتحدث معهما، وهما يُحدثانه عما فعلاه طول النهار
بكونه صديقهما الحميم.

بارك الله آدم وحواء وأراهما كل ما صنع لأجلهما ليستمتعا به.

قال آدم وحواء لله:

"نشكرك. فإن هذه الأرض مكان جميل. وكل ما خلقته بديع ونافع وصالح.

لقد أعددت لنا قصرًا مُتَّسَعًا.

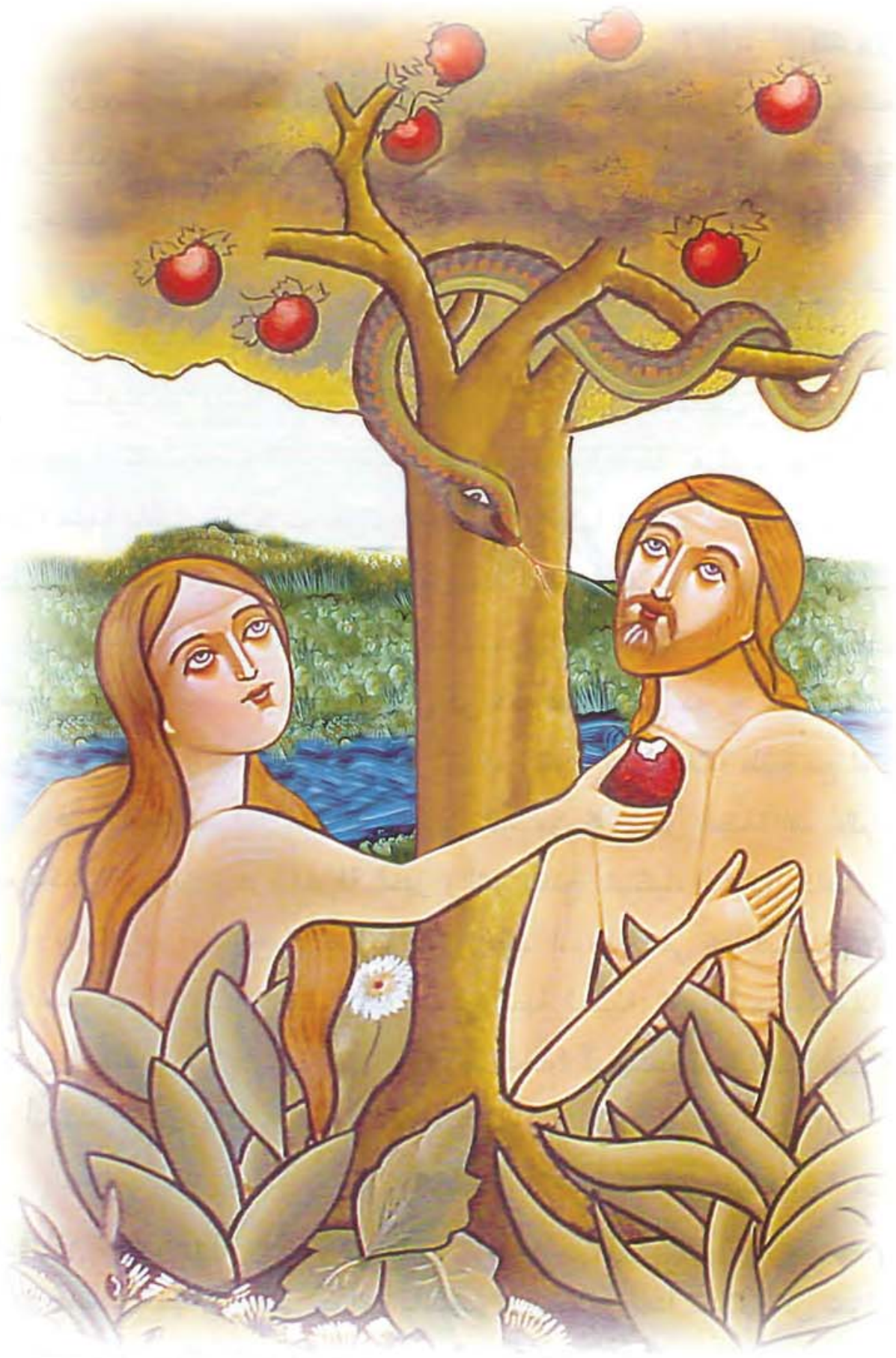
حقًا. إنك تحبنا يا الله، ونحن أيضًا نحبك. نعبُدك، ونُسَبِّحُك ونشكرك".

تهلّل السمائيون بآدم وحواء، فقد عرفوا لماذا خلق الله هذا العالم الجميل.

رأوا في آدم وحواء ملكًا وملكةً على صورة الله ومثاله. كل الخليقة في فرحٍ

عظيمٍ وسعادةٍ بالعظيمين آدم وحواء، ما عدا إبليس وملائكته فقد حسدوهما على

ما نالا من كرامة وسعادة.



٤- همسات الحيّة

(تكوين ٣)

أوصى الله آدم وحواء ألا يأكلا من شجرة معرفة الخير والشر لئلا يتنجسا بخبرة المؤدّي للموت، لكي يتمتعا بالحب المُشترَك معه. فإن أطاعا خالقهما يُعلنا عن حبهما له فينالوا مجداً أعظم.

حسدَ إبليس آدم وحواء، فاستخدم الحيّة لتُغري حواء، وتجعلها تشكّ في محبة الله وتعصاه هي ورجلها.

صنعتُ حواء سلّة لتضع فيها الفاكهة التي كانت تلتقطها من الأشجار. وفي ذات يوم إذ كانت تجمع الثمار وصلت إلى منتصف الحديقة. هناك شاهدت شجرة كبيرة مليئة بالثمار، فتذكرت حواء ما قاله الله لرجلها آدم، إذ أعطاه حُرّيّة الأكل من كل الأشجار، ونصحه بعدم الأكل من هذه الشجرة لئلا يموت.

وقفتُ حواء أمام الشجرة، وقد التفتُ حولها الحيوانات تداعبها، وكانت الطيور تهيم في الجو تُغرّد، وكان الكل في شبه حفلٍ يوميٍّ مُفرِح. كان الكل فرحاً ما عدا الحيّة، فقد ملأها الحزن، لأن آدم وحواء على علاقة طيّبة مع الله.

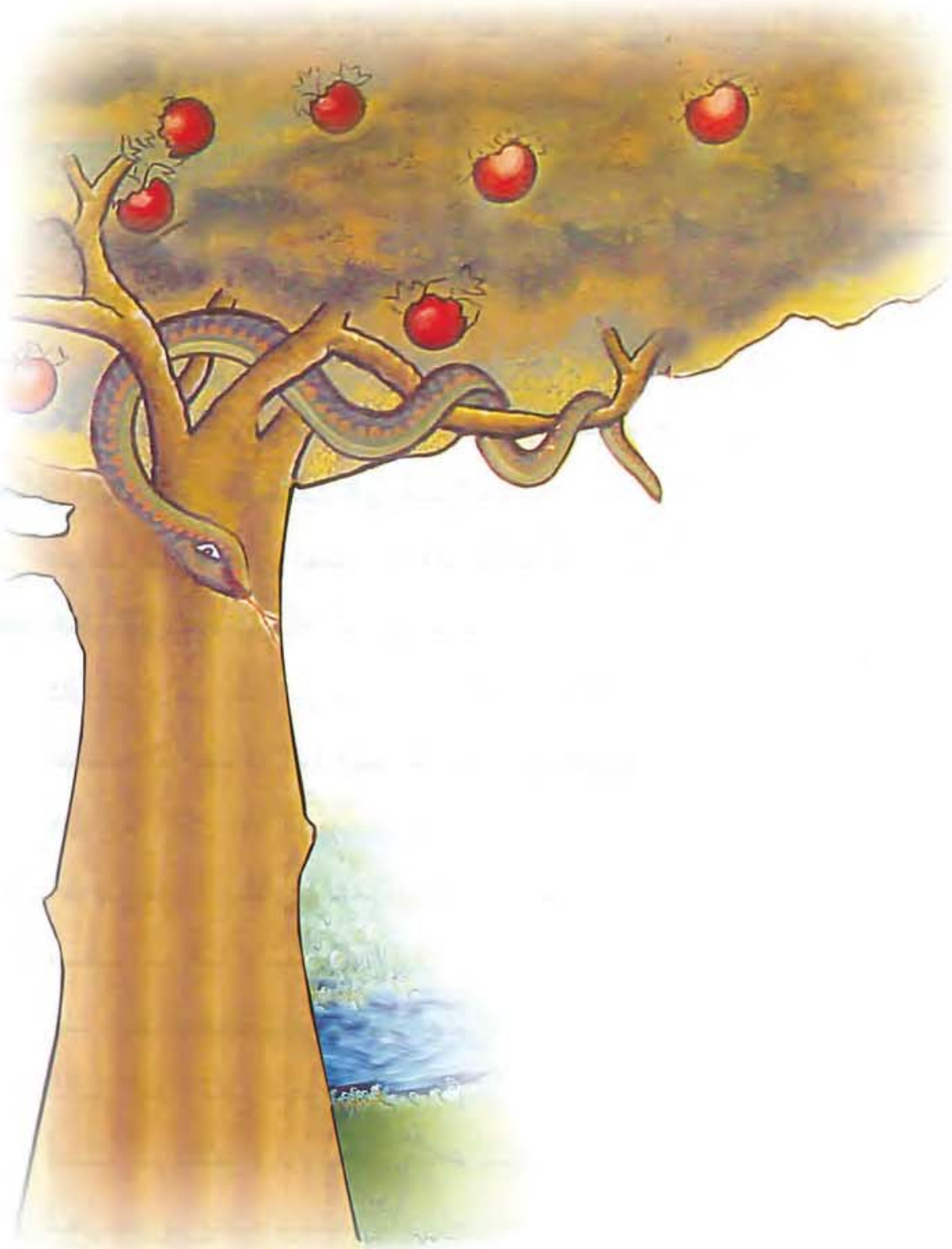
قالت الحيّة لحواء: "أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة؟ الله عالم أنه يوم تأكلان من ثمر شجرة معرفة الخير والشرّ تفتّح أعينكما، وتكونان كالله".

لم تكن حواء تسمع إلاّ صوت الله ورجلها آدم، لكن في هذا اليوم ولأول مرة تسمع كلمات مفهومة تصدر عن فحيح الحية الخبيثة: "حواء! حواء! لماذا لا تدوقين من ثمار هذه الشجرة التي في وسط الجنة؟ ألم يسمح لكما الله أن تأكلا من أيّة ثمار تريدونها؟! هل منعكما الله من أكل ثمار أيّة شجرة في الجنة؟!".

أجابت حواء: "يُمكننا أن نأكل من الثمار أو النباتات التي نريدها، ما عدا ثمرة هذه الشجرة، وإلاّ هلكنا".

همستِ الحيّة في أذني حواء: "يا للغباوة! أتصدّقين هذا الكلام؟! لن تموتي! فإن أكلتِ منها تملأكِ المعرفة، وتصيري حكيمة كالله، وتميّزي بين الخير والشرّ،

وتصيري مثل الله، لهذا أمرَ ألا تلمسا الثمرة ولا تأكلا منها! جرّبي بنفسك،
فستَزين أن ما أقوله هو حق!".



تحركت حواء نحو الشجرة وهي تُصارع بين وصية الله ومشورة الحيّة، وفي هدوء نظرت إلى الشجرة، فوجدت ثمارها شهية للنظر ومُبهِجة للعيون! رفعت حواء يدها في تردّد حتى أمسكت بفرع من فروعها. بدأت تسأل نفسها: "لماذا يحرمننا الله من هذه الثمرة الجميلة المنظر؟! هل يُسرّ الله بحرماننا؟! وما هو الضرر الذي يُصيب الحيّة من حرماننا من الأكل؟!". دخل روح الشكّ من جهة الله في فكرها، يصحبه تصديق مشورة الحيّة. مدت حواء يدها لتقطف ثمرة واحدة، وهي تقول: "لأجرب ثمرة واحدة!" وإذ قضمتها قالت: "يا لها من ثمرة شهية!" وكانت الحيّة تراقبها لتري ماذا يحدث.

استغيب آدم زوجته، فصار يبحث عنها حتى وجدها نصف مُختبئة وراء أغصان الأشجار. سألها آدم: "أين أنتِ؟". أجابت حواء وهي تُغطّي خوفها بابتسامة عريضة: "إنني أجمع الثمار كما اتفقنا. أنظر إلى هذه الثمرة، كم هي لذيذة. إنها لا تشبعك، لكنها تملأك معرفة!". قال آدم: "هل هذه من ثمر شجرة معرفة الخير والشر؟". أجابت: "لا تضطرب! فإنها أذّ ثمرة في الجنة؟". قال آدم: "لكن الله أمرنا ألا نأكل منها، وإلا مُتتا!". اقتربت من آدم لتقول له: "ألا تُصدّق عينيك. لقد أكلت منها، ولم أمّت!". صمت آدم قليلاً، ليسمعها تقول: "أنظر، فإنني حيّة، وصارت لي معرفة. تذوقها أنت أيضاً، فنصير نحن الاثنان كالله عارفين الخير والشر!". كانت الحيّة تتابع الحوار بين الزوجين في ابتسامة خبيثة. أمسك آدم بالثمرة من يد زوجته واشترك معها في أكلها. شعر هو وزوجته بإحساس لم يختبراه من قبل، وهو شعور بالخوف الشديد مُمتزج بالخزي والعار، كما أدركا أنهما عُريانان.

قال آدم: إننا عُريانان. لقد أعطى الله الحيوانات فراءً وجلدًا لتدفنتها،
ووهبَ الطيور ريشًا، أمّا نحن فلم يُعطينا شيئًا من هذا!".

جرى الاثنان ليختبئا وراء شجرة تين، وصارا يقطفان منها بعض الأوراق
العريضة، ويخيطانها معًا على شكل ثياب.
ماذا يحدث لزهرة جميلة ترفض أن ترتوي من الماء أو تحرم نفسها من
ضوء الشمس؟ إنها تذبل بعد ساعات قليلة!

هذا ما حدث لآدم وحواء، عندما حرما نفسيهما من الله بالعصيان.
خسرا صداقته وشعرا بالحرمان من الحياة والسعادة، وصارا فقيرين مع
كل ما يملكانه: الجنة كلها!

تسلل الخوف والكرهية والحسد إلى قلوبهما، وعرفا الشر لأول مرة!
في الغروب، قال آدم لحواء: "أنصتي، إني أسمع صوتًا! إنه صوت الرب
يتمشى في الجنة!".

لأول مرة يختفي الاثنان من وجه الله، إذ فقدوا صداقته لهما بمخالفتها وصيته.
نادى الله: "آدم، أين أنت؟ ولماذا أنت خائف؟".
خرج آدم وحواء من مخبأهما، وفي خجل شديد قال آدم: "سمعتُ صوتك
في الجنة فخشيتُ، لأنني عُريانٌ فاخبتُ".

قال له الله: "من أعلمك أنك عُريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك
ألا تأكل منها؟".

أجاب آدم: "المرأة التي جعلتها معي أعطتني من الشجرة فأكلت".
سأل الله حواء: "ما هذا الذي فعلتِ؟".
أجابت حواء: "الحيّة أغرتني فأكلت".

نظر الرب إلى الحيّة وقال: "لأنك فعلتِ هذا ملعونة أنتِ من جميع البهائم.
على بطنكِ ترحفين في التراب طول أيام حياتك. وأجعل عداوة بينك وبين المرأة،
وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك، وأنتِ تسحقين عقبه".

زحفت الحية مُتسلِّلة بعيدًا وقد غطى التراب جلدها؛ فابتسمت حواء سعيدة،
لأن الله عاقب الحية.

التفت الرب إلى حواء، وقال: "لقد أخطأتِ وعصيتِ وصيَّتي، وأصغيتِ
إلى كذب الحية. لذلك فمن الآن تعرفين الألم عندما تلدين".

والتفت أيضًا إلى آدم، وقال له: "لقد أفسدت كل ما دبَّرتَه لك، لأنك لم
تصغِ لوصيَّتي، لهذا يلزمك أن تخرج من الجنة، وتعمل بتعبٍ، وتأكل بعرق
وجهك. لن تكون الحياة بعد سهلة. إنها مملوءة آلامًا. إنك تخرج وهناك تموت،
لأنك من ترابٍ وإلى ترابٍ تعود. تعال الآن لأصنع لك ولزوجتك ملابس من
الجلد، فلا تبقيان عُريانين".

تسلَّل آدم وحواء من الجنة عقابًا لهما، وحزنَ الله إذ رأى آدم وحواء في
مذَلَّةٍ، وقد تغيَّرت حياتهما تمامًا. لقد عرِفَ أن نسلهما سيواجه حياة مُرَّة.

لقد حلَّ الفساد بنفسيهما، فأراد الله أن يكشفه بالتأديب، حتى يشتاقا إلى
إصلاح نفسيهما وجسديهما.

تطلَّع آدم وحواء وراءهما فرأيا ملاكًا عظيمًا يقف عند باب الجنة يحمل
سيفًا من نارٍ فحزنا جدًّا. لكن الله لم يُفقدِهما الرجاء، إذ بقي يحبهما جدًّا. لقد
وعدهما بمنْ يسحق رأس الحية، أي الشيطان.

طُرِدَ آدم وحواء من الجنة، وصارا يترقبان متى يأتي ذاك الذي وعدهما به
الله، أنه من نسل المرأة، يتجسّد كلمة الله مولودًا من عذراء، أي من نسل المرأة
فقط. فهو الإله القادر أن يُحطِّم إبليس ويردِّهما مع أبنائهما لا إلى جنة عدن بل
إلى الفردوس. هذا هو الوعد الإلهي بالمُخلَّص ابن الله الوحيد، تناقلته الأجيال.

لقد أرسل الأب رجاله وأنبياءه يشهدون عن مجيء المُخلَّص، حتى جاء
بالحقِّ ربنا يسوع المسيح، وردَّ لنا كرامتنا، ووهبنا الخلاص، قائلًا: "هكذا أحبَّ
الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له
الحياة الأبدية".

٥- قايين وهاويل

(تكوين ٤)

طُرِدَ آدَمُ وحواء من الجنة، ولم يعودا يشعران بالسعادة ولا بالسلام، فيبدو كل ما حولهما كأنه ضدّهما. مع كل صباح تبدأ حياتهما بالقلق والألم والخوف ممّا قد يحلّ بهما. صاروا يتعبان من العمل. فقدوا الشعور بوجود الله معهما، وارتبك ذهنهما، كما ضعفت إرادتهما. صارت لهما أحاسيس غريبة لم يعرفاها من قبل: يُعانيان من الآلام والأمراض ويخشيان الموت، كما بدأ يتسلّل الغضب تارة، والكبرياء تارة أخرى، والأنانية إلى حياتهما. لكن كلّما تذكّرا وعد الله لهما يشعران أنه أبوهما السماوي الذي وعدهما بالنصرة على الشيطان والخطية، بمجيء المخلص ربنا يسوع المسيح.

كم كان فرح حواء عندما وكدت أول ابن لهما، دعتّه "قايين"، قائلة: "اقتنيت رجلاً من عند الرب". تكرر هذا الحدث السعيد إذ وكدت ابناً آخر دعتّه هاويل، فصار لهما ابنان وبنات.

كان قايين مزارعاً، يهيئ التربة ويزرع المحصولات، ليجد هو وعائلته طعاماً يقتاتون به، وكان لا يحب الله ولا أخاه. أمّا هاويل فكان راعياً، يهتم برعاية الغنم على التلال في النهار، ليرُدّها في المساء إلى حظيرتها. وإذا ما وجد حملاً صغيراً جدّاً يحمله على ذراعيه حتى يقوى على المشي.

ذات يوم جاء قايين ببعض المحاصيل التي زرعاها وقدمها لله؛ وجاء أيضاً هاويل بأبكار غنمه وسمانها. فقبل الله ذبائح هاويل بسرور، لأنه قدّمها بكل قلبه المتّسع حبّاً؛ ولم يقبل الله تقدمة قايين، لأنه قدّمها متغصّباً. فإن الله يقبل عطايانا، إن كان قلبنا مملوءاً حبّاً.

إذ كان قلب قايين شريراً اغتاض، لأن الله فضّل عنه هابيل، وسار برأس مُنكّسة ووجه ساقط. حسد قايين أخاه، وتمرد على الله.

رأى الله قايين أنه غير سعيد، ففي حُبّ ولطفٍ، سأله: "لماذا اغتظت؟ ولماذا سقط وجهك عندما عرفت أن تقدّمك لم تسرني؟ إن لم تحسن التصرف، فالخطية جالسة عند الباب، تشتاق إليك؛ لكن يليق بك أن تسود عليها، وأن تُسيطر على غضبك".

فتح الله باب الرجاء أمام قايين لكي يترك الشرّ الذي في قلبه، ويُسيطر على مشاعره، مُمارساً التوبة. لكن قايين لم يسمع تحذير الله له.

لم يُحبّ الله هابيل وحده، وإنما كان يُحب قايين أيضاً. لهذا حذره؛ لكن قايين لم يُصغ لمشورة الله، ولم يُجب بكلمة. إنّما سار وراء أحاسيس قلبه الشرير. تحوّلت أفكار قايين الشريرة إلى عمل. تظاهر بالصدّاقة مع أخيه، ودعاه ليذهب معه إلى الحقل. وهناك افتعل مشكلة معه، فصارا يتحاوران. ازداد قايين غضباً، وأخيراً قتل أخاه.

ملك الشرّ على الإنسان، بدأ أولاً بعصيان آدم وحواء في الجنّة، ونما في قلب قايين وفكره حتى بلغ إلى قتل أخيه. دخل العُنف وسفك الدماء إلى أول أسرة نشأت في هذا العالم. هكذا تسلّت الخطيّة إلينا، لكن يبقى الله يرعانا ويطلب أن يُخلّصنا! إنه يحبنا!

مالت الحياة البشريّة إلى الشرّ: عصيان وتمرد على الله، وعُنف ضدّ الإخوة. لهذا قدّم لنا السيّد المسيح وصيّة: محبة الله ومحبة القريب بكونهما يحويان تكميل الناموس (متى ٢٢: ٣٧-٣٩).

جاء السيّد المسيح بنفسه إلى العالم ليعلن حُبّ الله لنا عملياً. صلّب باسماً يديّه، لكي يحتضن كلّ إنسان، ولكي نبسط أيدينا نحن لكل أحدٍ ونحب الجميع.



إذ قتلَ قايين أخاه هابيل أعطى ظهره له، وأراد أن يهرب. لماذا؟ لم يكن يوجد رجال شرطة يقبضون عليه، ولا قضاة يحكمون عليه، ولا يوجد سجن يُحبس فيه، لكن الخطيئة تُمرّر النفس. لم يحتمل أن يرى أخاه القتل. لقد ارتعد وخاف، وأراد الهروب. أدرك أن ما صنعه شرّ، وعمل مُخجل، حتى ولو لم يوجد مَنْ يُعاقبه عليه.

فجأة سمع قايين صوت الله، كما سبق وسمع أبوه آدم ذات الصوت. لكن جاء الحديث في هذه المرة يسأله: "أين هابيل أخوك؟".

ارتعب قايين، وعوض الاعتراف بخطيئته، حاول إخفاء شرّه بالقول: "لا أعلم أين هو؛ أحارسُ أنا لأخي؟".

قال له الله: "قايين، صوت دم أخيك صارخ إليّ من الأرض. الآن ملعونة الأرض التي فتحت فاهها لتقبل دم أخيك من يدك. فإنها لا تعود تُعطيكَ ثمرها؛ وتكون أنت هاربًا وتائها في الأرض".

٦- قايين في رُعبٍ

(تكوين ٤)

ارتعب قايين ليس لأنه قتل أخاه، وإنما لأنه شعر بأن الغضب قد حلَّ عليه. لم يُقدِّم توبة في رجاء، وإنما سقط في اليأس.

صرخ قايين إلى الله في رعدة: "كيف يُمكنني أن أعيش هاربًا وتائهاً في الأرض بعيدًا عنك؟ وبعيدًا عن أرضي؟ عقوبتي أعظم من أن أحتملها. اليوم أنت طردتني من الأرض، وجعلتني أختفي من وجهك. فأكون هاربًا في الأرض، وكل مَنْ يجدني يقتلني".

إذ اعترف قايين بخطئه أكد له الله أنه سيُعاقب من يؤذيه بشِدَّة. ووضع لقايين علامة لكي يطمئن، وهي أن مَنْ يقتله يُجازيه الله سبعة أضعاف.

عجيبٌ هو الله في عدله كما في رحمته. فقد عاقب قايين لقتله هابيل البريء، والآن حتى بعد أن سقط قايين أظهر له الرَّحمة.

تحرك قايين نحو شرق عدن، إلى أرض نود. هناك تزوج وصار له ابن، دعاه حنوك. تعب قايين جدًّا حتى بنى مدينة دعاها على اسم ابنه لكي لا يعيش أولاده تائهين مثله.

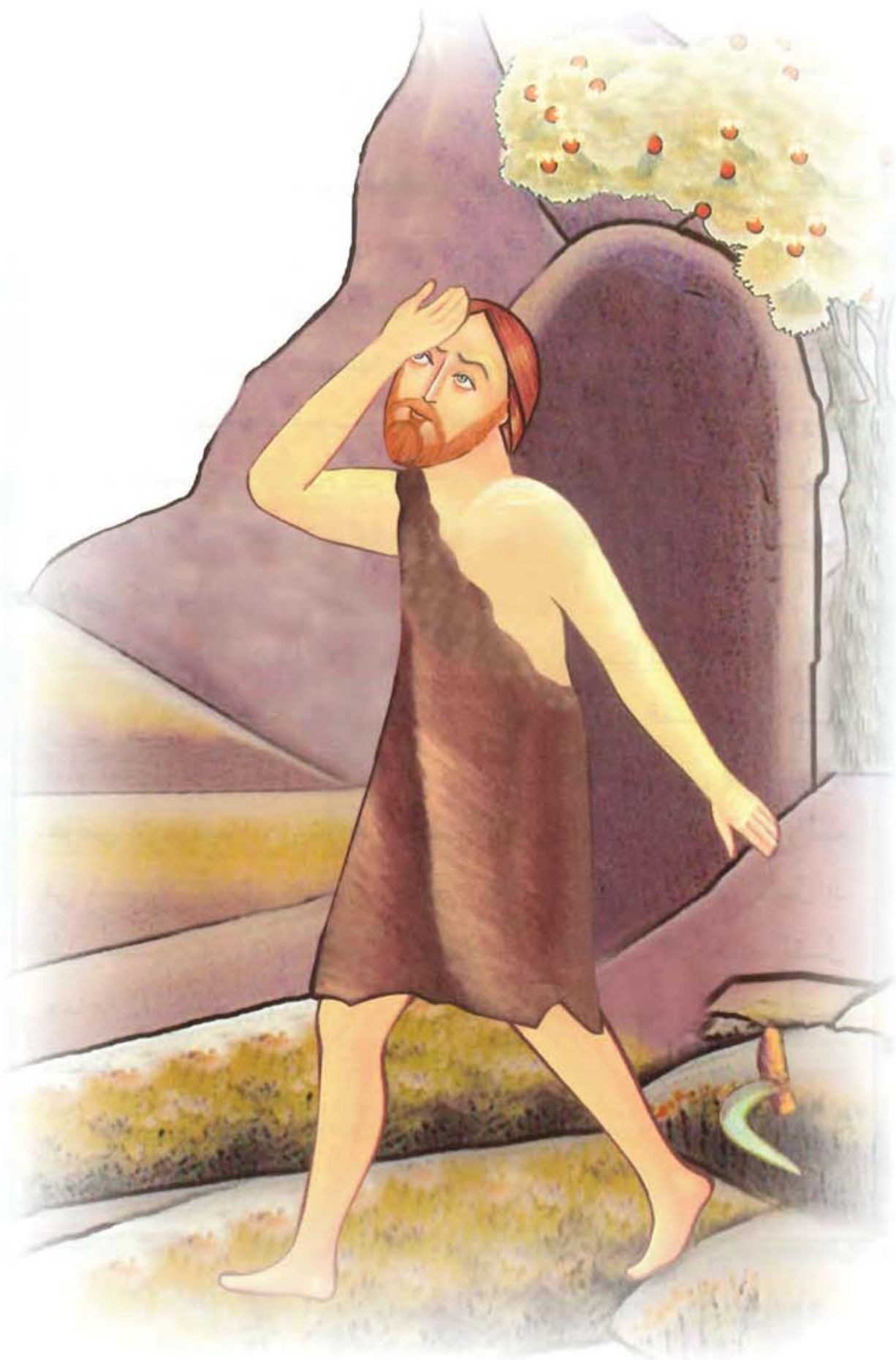
صار قايين رئيسًا لشعبٍ جديد، ولم يرجع أحد من نسله إلى أرض أبيه. لقد تزايد نسله جدًّا، ودُعوا القايينيين، وسلكوا بعيدًا عن الله. من بين نسله: حنوك وعيراد ومحويائيل ومتوشائيل ولامك.

فاق لامك الكلَّ في شره. كان مُقاومًا لله، فكان يقول إنه في غير حاجة لمعونته.

قيل إن لامك شاخ جدًّا وصار ضعيف البصر، وإذا كان حفيده يقوده كان مُحبًّا للصيد أشار له حفيده عن صيد فضرب بالسهم، فإذا به يقتل جدّه قايين عن غير قصد. صرخ الحفيد مُعلنًا قتل قايين، فضرب لامك الفتى فقتله. لذلك قال: "قتلت رجلاً (قايين) لجرحي، وفتى لشدخي".

عمل نسل قايين كل ما في وسعهم للتمتع بحياة سعيدة مُريحة، فبنوا مُدناً،
واخترعوا مهارات، لكن غناهم لم يُسعدهم، لأنهم اعتزلوا الحياة مع الله.
لم يُسرَّ الله بحياتهم، ولم يجد من بينهم شخصاً واحداً يَأْتَمَنُه على الوعد
بمجيء المُخَلَّص والتمتع بالبركات الإلهية. لهذا أعطى الله حواء ابناً آخر يُعزِّيها،
دَعَتَه شِيثاً، قائلة: "لأن الله قد وَضَعَ لي نسلًا عِوضًا عن هابيل". فإن كلمة "شيث"
معناها "عوض" أو "مُعِين".

لقد جعل شيث حواء سعيدة لأنه احتل مركز هابيل، الابن الذي فقدته.
ومنح الله شِيثاً بركته، واختاره لكي يُقدِّم للعالم الإيمان بالله والرجاء في المُخَلَّص.
جاء من نسل شيث الآباء العظماء الذين نسمع عنهم في الكتاب المُقدَّس:
نوح وإبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى. خلال هؤلاء العظماء قاد الله
شعبه عبر الأجيال ليتهيأوا لمجيء المُخَلَّص ربنا يسوع. وبهذا كان الله يعمل
لأجل خلاص البشرية من الخطيئة، وتمتعهم بمجده الذي يعدّه للبشر.



الفترة الثانية

تجديد العالم وعناد الإنسان

إذ دبّ الفساد في الأرض بسبب شرّ الإنسان، غسلها الله بالطوفان، وخلص نوحًا وبنيه وزوجاتهم. قدّم نوح ذبائح شكر لله الذي أنقذه هو وعائلته من الموت. اشتّم الله هذه الذبائح رائحة سرور، ووعد نوح وعائلته أنه لن يسمح بطوفان آخر يبيد كل البشرية، وجعل قوس قزح بألوانه الجميلة علامة العهد، لذلك يظهر قوس قزح حول العرش الإلهي كما جاء في سفر الرؤيا.

أعطى الله الإنسان فرصة جديدة ليكون مُخلصًا له.

بدأ الشرّ من جديد، فعندما سكر نوح وتعرّى، فضحه ابنه حام أمام أخويه. تزايد الشرّ في نسلهم، وإذ تذكروا ما حدث في أيام نوح، عوّض أن يرجعوا عن شرّهم، ويلتصقوا بالرب، قرّروا بناء بُرج رأسه في السماء، حتى إن حدث طوفان يهربون منه. أوقفهم الله عن العمل إذ بلبل ألسنتهم، فلم يفهم الواحد الآخر. صاروا جماعات مختلفة، لكل جماعة لغة مختلفة. وبهذا اتّسعت رُقعة المنطقة السكنية، وظهرت أمم متباينة.

انتهى الأمر بأن تشتتوا وتركوا آثارًا تدل على عنادهم للرب

وغبائهم.

٧- بارّ ينقله الرب من الأرض

(تكوين ٥)

عَبَرَتْ سِنُوات وسِنُوات وتزايد نسل آدم كما تزايد شرّهم جدًّا. وسط هذا الشرِّ وَجَدَ قَلِيلُونَ يحبون الله. كان من بينهم إنسان تقي جدًّا يُحِبُّ الله ويكره الشرِّ، يُسَمَّى أَخنوخ. إذ رأى الله مرارة نفسه من الشر نقله الرب من الأرض، وكان عمره ٣٦٥ سنة، وكان يُعْتَبَرُ صغير السنّ جدًّا بالنسبة لعصره.



٨- فُلك نوح

(تكوين ٦)

نسي البشر محبة الله خالقهم ورعايته ووعوده الصادقة، وانتشر الشرّ جدًّا مع استخدام العنف، فحزّن الله أنه خلق الإنسان. في وسط البشريّة كلها وُجدَ إنسان واحد كان صالحًا يُدعى نوحًا، هذا أحبّ الله ووثق في مواعيده، وصنع ما هو صالح.

أراد الله أن يغسل الأرض كلها بطوفان عظيم، ويُقيم عالمًا جديدًا من نسل نوح. فيكون الطوفان درسًا عمليًا عن المعمودية حيث نتمتع بالبنوة لله خلال الصليب، ونتحرّر من عبودية إبليس.

تحدّث الله مع نوح كما مع صديقٍ له، إذ لا يُخفي الله خطّته عن أحبائه.

قال لنوح:

"انظر يا نوح، لقد امتلأت الأرض عنفًا وفسادًا.

كنت أودّ أن يكون الإنسان سفيرًا لي على الأرض، قديسًا كما أنا قدوس.

أشتاق أن يحمل صورتي، ويكون على مثالي. لكنه أساء استخدام الحرّية

التي وهبته إيّاها، واستغلّ عطايي في الشرّ، وقاوم عملي، ورفض حبّي، ولم

يسمع لوصاياي، ولم يُذعن لتحذيراتي.

نهاية كل جسد (إنسان) في ذهني، لأن الأرض امتلأت بالعنف. هأنذا أهلك

كلّ البشريّة، وكلّ خليفة حيّة أوجدتها لأجل الإنسان.

سأغطيّ العالم بطوفان عظيم، وأغسله كما بمياه.

أمّا أنت وعائلتك فسأخلصكم وأعطيكم وعدًا، وأقيم معكم عهدًا. إن أردتم

الحياة، اصنعوا لكم فلكًا حسب المواصفات التي أقدمها لكم. يكون الفلك سفينة

عظيمة تُصنع من خشب جُفر، وتطليه بالقار ليمنع تسرّب الماء إليه، وتصنع فيه

نافذة وبابًا في جانبه. تدخل الفلك أنت وزوجتك وأولادك الثلاثة ونسأؤهم. وتأخذ

معك اثنين من كل خليفة حيّة: ذكراً وأنثى، من الطيور والحيوانات والزواحف،
لكن من الحيوانات والطيور التي يُقدّم منها ذبائح لله سبعة أزواج والأخرى
زوجين. وتأخذ معك طعاماً من كل نوع تقفّات به أنت والخلائق التي معك".



أَسْرَعَ نوح وصنع له فُلُكًا حسب أمر الرب. كان كل المارِّين به يحسبونَه
غيبًا. فكان يسمع بأذنيه كلمات السُّخرية، ويشاهد نظرات عجيبة نحوه. كان
يُحدِّث كل مَنْ يلتقي به عن التوبة، فكانت كلماته بالنسبة لهم غباوة وجهالة!
كانوا يقولون: "ماذا جرى لنوح؟ أَلَعَلَّ انشغاله بالله أفقده وعيه؟! هل يصنع
إنسان فُلُكًا على أرضٍ يابسة؟! هل ستتحوَّل الأرض إلى نهرٍ أو بحرٍ أو محيطٍ؟!
أما يعرف قيمة أمواله، فيشتري بها خشبًا وأدوات لا نفع لها?!".
فجأة شاهد الناس منظرًا غريبًا، فقد بدأ نوح وعائلته يُدخلون الطيور
والحيوانات والدواب مع طعام كثير إلى الفُلُك. وكانوا يضحكون على تصرفاتهم
ويقولون: "تُرى ما ذنب هذه الحيوانات والطيور والدواب ليسجنوها معهم?!
أَلَعَلَّهم يقيمون حديقة حيوانات مُغلقة يعيشون في داخلها?! إنه ليس من بحرٍ أو
محيطٍ كي يتحرك فيه الفُلُك".

٩- في رعاية الله داخل الفلك

(تكوين ٧)

صار روح الله يرفّ عليهم كأنه يُعيد الخلق من جديد أو يُجدِّدها. وصار في الجوِّ صمت رهيب إذ لم يحدث شيءٌ لمدة سبعة أيام. جذب هذا المنظر الكثيرين، وعودوا الرجوع إلى الله، ازدادوا سُخرية بنوح وعائلته المحبوسين في الفلك بلا عملٍ.

كان نوح يُصارع بين فرحه الشديد بطاعته لله، وحُزنه على عدم إيمان الناس، وترقبه هلاكهم الحتمي. لقد أغلق الرب بنفسه الباب على نوح ليطمئن على سلامته هو ومن معه.

صار الكلّ يتطلعون إلى باب الفلك وهو يُغلق، وهم يضحكون ويسخرون، قائلين: "وماذا بعد غلق الباب؟".

فجأة امتلأت السماء بالسحب الكثيفة جدًّا، وصار ظلامٌ دامس، وكأن الليل قد حلّ، وبدأ المطر بعنفٍ شديدٍ، كما فاضت ينابيع الأرض بالمياه، وطففت مياه البحار والمحيطات على اليابسة.

تعالت الصرخات المرّة، وحاول البعض الصعود إلى أسطح المنازل أو الجري نحو الجبال ليتسلقوها. ارتفعت المياه حتى غطت التلال، واستمرّ الطوفان حتى غطى الجبال الشامخة. هلكَ الناس مع الحيوانات والطيور والدواب والمزروعات، ولم ينجُ إلا الفلك ومن فيه.

لم يتوقّف الطوفان لمدة أربعين يومًا وأربعين ليلة. وعندما توقّف الفيضان بدأت المياه تتسحب تدريجيًّا، وظهرت الأرض كأنها قد اغتسلت تمامًا.

أخيرًا أرسل الله ريحًا هبّت على الأرض، فتوقّف المطر، وبعد مئة وخمسين يومًا استقرّ الفلك على قمة جبال أراط بأرمينيا. فتح نوح طاقة الفلك وأرسل غرابًا فكان يتردّد عليه.

انتظر نوح أربعين يوماً ثم أرسل غُراباً، خرج ولم يعد. بعد سبعة أيام أرسل حمامة من طاقة الفُلك، وإذ لم تجد موضعاً تستقرّ فيه رجعت إليه. مدّ نوح يده وأدخلها عنده.

بعد سبعة أيام أرسلها مرّة أخرى، فقضت يوماً في وسط الجو النقي تطير بين الأشجار، وفي المساء عادت تحمل في منقارها ورقة زيتون خضراء، فأدرك أن المياه قلت عن الأرض. كانت الحمامة تشير للروح القدس الذي يدخل إلى قلب المؤمن أثناء عماده ليُقدّم له السلام السماوي.

تحول الفُلك إلى احتفالٍ عظيمٍ كأنه عيد، فسينطلقون إلى عالمٍ جديدٍ. بعد سبعة أيام أرسلها نوح للمرّة الثالثة، فلم ترجع إليه، فأدرك أنه يستطيع أن يخرج هو وعائلته وما لديه في الفُلك إلى العالم الجديد. كشف نوح الغطاء ولم يخرج إلا بعد أمر الله له.



١٠- عهد مع نوح

(تكوين ٨)

خرج الكل مُتَهَلِّلاً، يرى العالم وكأنه قد اغتسل؛ وصار أجمل ممّا كان عليه. وكان أول ما صنعه نوح أنه بنى مذبحاً للرب، وقَدَّمَ ذبائح شكر ومُحْرَقَات لله.

من أجل نقاوة قلب نوح وطاعته وشكره لله، أعطى الله وعدًا لكل البشريّة، قائلاً: "لا أعود ألعن الأرض، ولا أميت كلّ حيّ، ما دامت الأرض قائمة. سيكون على الأرض نهارٌ وليلٌ، صيفٌ وشتاءٌ، وزرعٌ وحصادٌ!".

بارك الله نوحاً، وأعطاه سلطاناً على كل خليفة الأرض، وأقام معه ومع نسله ميثاقاً أو عهداً ألاّ يحدث طوفان فيه ينقرض كل البشر وتخرّب الأرض كلها. علامة ذلك أنه يرسل قوس قزح بألوان طيفه الجميلة، يظهر في السماء ليُذَكِّرنا بميثاقه الإلهي ووعده لنا جميعاً.

الكنيسة هي الفلك، فيه ندخل كما دخل نوح وعائلته. ونغتسل بالمعمودية، حيث نُدْفن مع المسيح ونقوم.

سيحملنا الرب إلى عالم جديد، هو السماء بكل مجدها، حيث نرى الله وعرشه وكل السمائيين. هناك نشكر الله ونُسَبِّح اسمه القُدوس، ونحيا معه إلى الأبد.



١١ - عالم جديد

(تكوين ٩ - ١٠)

بعد الطوفان إذ كانت الأرض مملوءة خصوبة، بارك الرب في رعاية الغنم والزراعة.

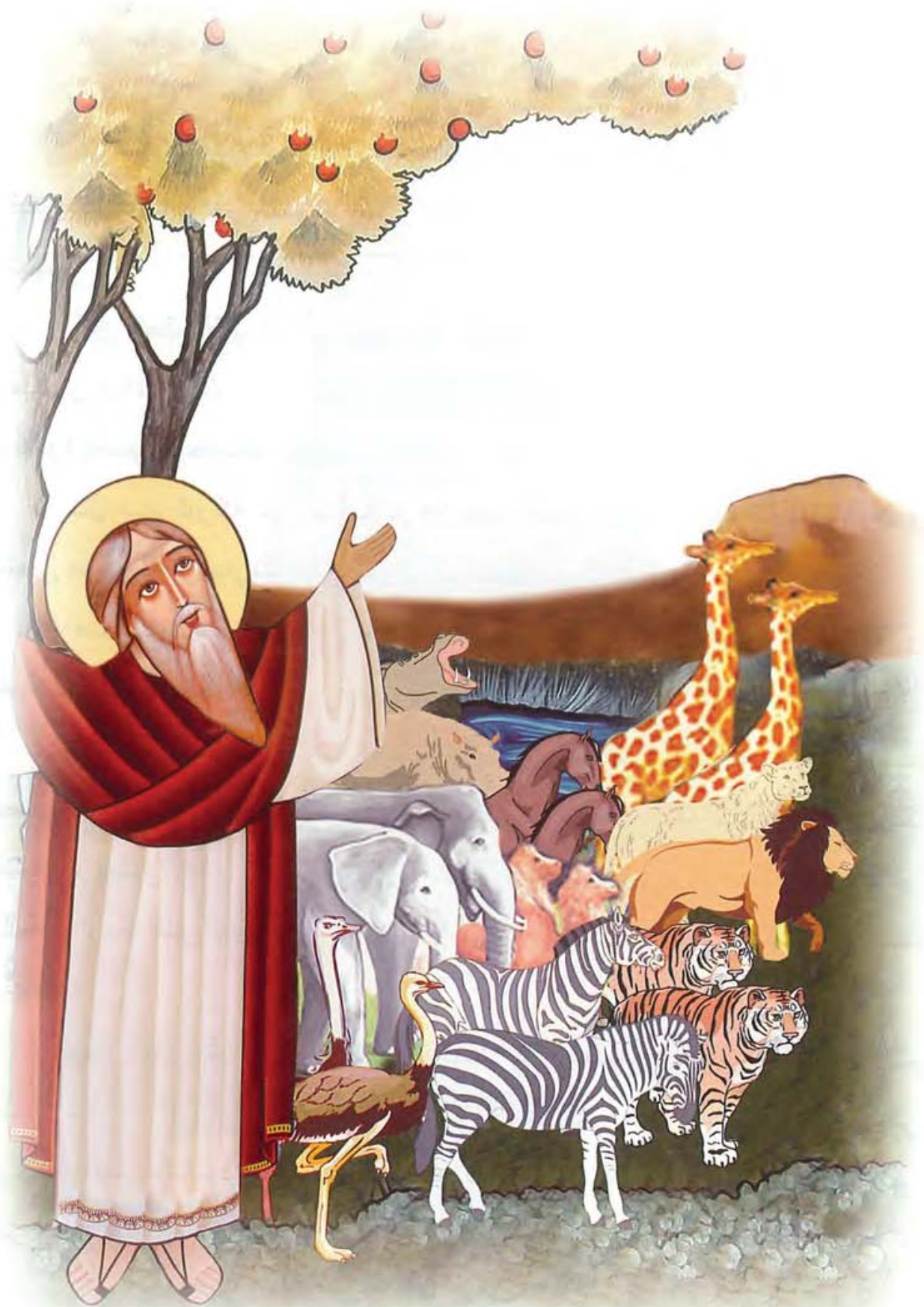
دُهِش نوح إذ وجد كروم العنب مملوءة بالعناقيد، وكان العنب بحجم ضخّم مملوء من عُصارة العنب. جمع نوح من العنب الجيّد، وقام بعصره وتخميره، ولم يُدرك أن الخمر كان قويًّا للغاية، لهذا إذ شرب منه سكر وفقد وعيه، ودخل الخيمة ونام عُريًّا.

فوجئ ابنه حام بالمنظر، وعوّض أن يُغطّي والده ويستتره، أخبر أخويه سامًا ويافثًا، فأخذا ثوبًا ووضعاه على أكتافهم، وسارا بظهريهما حتى لا ينظرا والدهما عُريًّا وغطّياه. باركهما نوح بينما غضب من حام، وعوّض نواله البركة، نال اللعنة لأنه لم يستتر أباه.

أنجب الثلاثة الكثير من الأبناء والبنات وتزايد أحفادهم، فصاروا جماعات ضخمة تفرقت مجموعات في أماكن مُتّسعة للغاية، وبدأت تظهر الأمم من نسل سام وحام ويافث.

للأسف عوّض أن يحتفظ الأحفاد بإيمان نوح، انحرفت الأمم إلى العبادة

الوثنيّة.



١٢- شعبٌ غبيّ وناطحةٌ سحبٌ سخيقةٌ

(تكوين ١١)

إن سافرنا الآن إلى الهند أو الصين أو اليابان لا يُمكننا أن نفهم ما يتكلم به الناس هناك، ولا هم يفهموننا، لذا وجب علينا أن نتعلم لغتهم إن أردنا الحديث معهم.

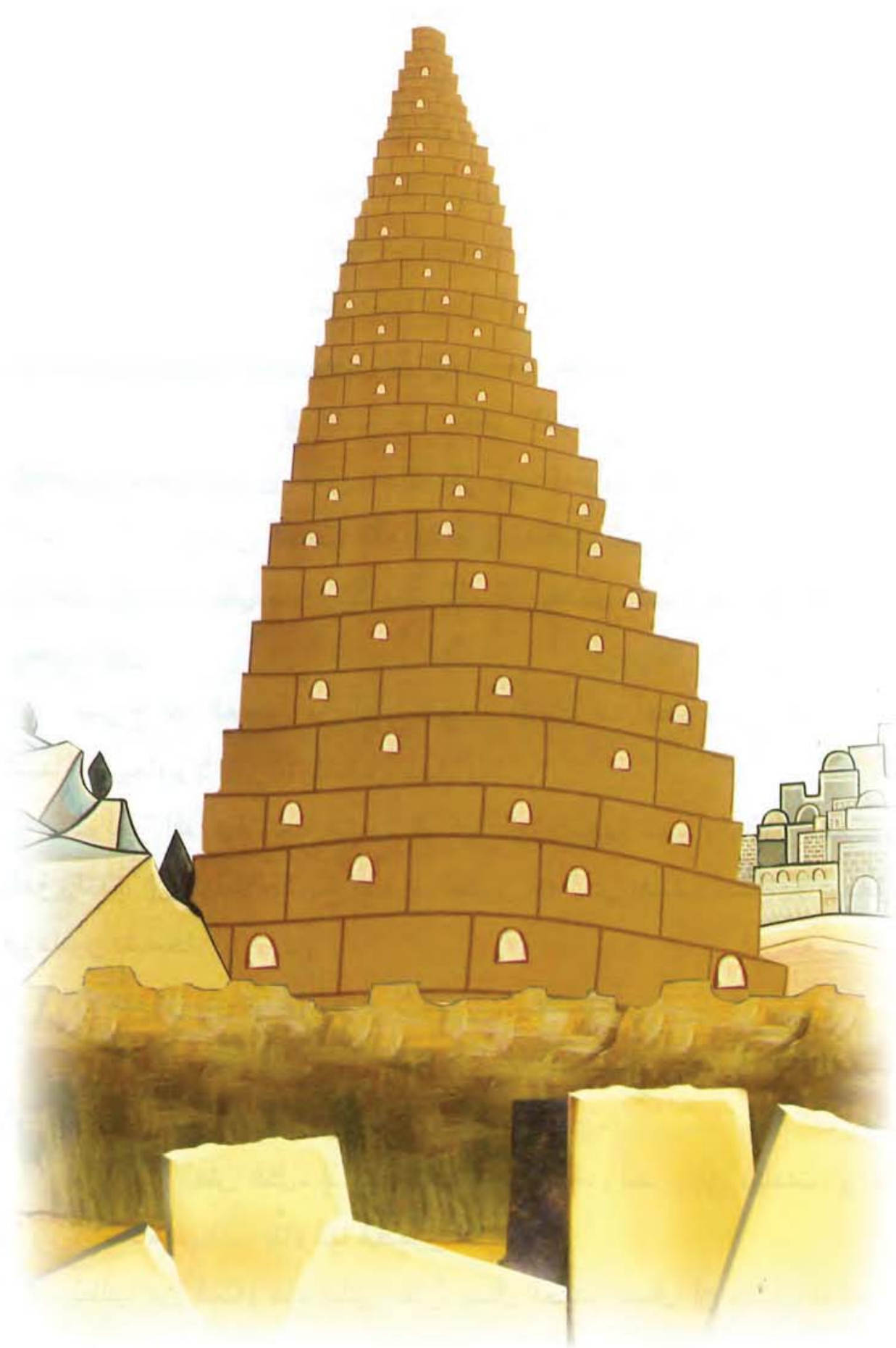
كان العالم لا يزال في بدايته، إذ كان الذين من نسل نوح وحدهم هم الذين يعيشون فيه، يتحدثون معاً بلغةٍ واحدةٍ. وكانوا يجولون في مساحةٍ مُتسعةٍ جداً، وكانوا ينصبون خيامهم عليها.

نال سام البركة من فم أبيه نوح، حيث قال: "مباركٌ الربُّ إلهُ سام"، والذي صلّى من أجله أن يعرف على الدوام الله الحقيقي ويتعبّد له.

هاجر أبناؤه نحو الشرق حيث اكتشفوا وادياً في أرض شنعار، فاستقروا هناك. وللأسف انحرفوا عن عبادة الله.

اجتمعوا يوماً ما لمناقشة موضوع استقرارهم. قال كل واحدٍ للآخر: هلمّ نصنع لبناً (طوباً) ونحرقه ونستخدمه مع الحجارة لبناء مدينة لنا، فنقيم لأنفسنا اسماً. لم يطلبوا الله ولا سألوه العون. بالفعل صنعوا لبناً وحرّقوه بالنار، ثم جاءوا بالحُمُر لربط اللبّن معاً، وبإزادة قويّة وعزيمة راسخة بنوا مدينةً مُتسعةً جداً وعظيمةً.

جمع الملك نمرود الشعب، وقال لهم: "إنكم عظماء وقادرون، فقد أقمتم مدينةً عظيمةً، لكن يوجد أمر آخر هام للغاية نحن في حاجة إليه. يلزمنا أن نبني بُرجاً عظيماً عاليًا جداً يصل إلى السماء. فإن أرسل الله علينا طوفاناً نهرب إلى البرج، فلا يقوى الله علينا!".



استصوب الكل فكرته، ووضع الملك قائمة بالاحتياجات اللازمة لبناء ناطحة السحاب، وخصّص عشر رجال من جيشه كقادة لإتمام هذا العمل الجبار. كما اختار أيضاً أناساً حاذقين في كل أنواع العمل، وكلفهم بالأعمال الفنية ووضع خطة حتى يساهم الكل في العمل.

اختار البعض الموقع المناسب، وقام آخرون بعمل التصميمات الهندسية، وراجع البعض هذه التصميمات مرّة ومرات. وانشغلت النساء بجمع التبن ليُخلط مع الطين، ثم يُصبّ كلبن يُحرق بالنار، فيصير طوباً أحمر. وأُستُخدمت الثيران في سحب الأخشاب ومواد البناء. حملَ بعض الفتيان والرجال الطمي على أكتافهم، وانشغل آخرون بالمزروعات لكي يجد العاملون طعاماً يقتاتون به. حتى الأطفال كانوا يجمعون الحطب الذي يشعلون به النار لشيء اللبّن. واهتمت الفتيات بالأطفال الصغار حتى تتفرّغ الأمهات للعمل، وبعضهن كُن يرعين الماشية ويحلبن اللبّن.

صرخ أحد العاملين من أعلى المبنى، قائلاً: "إننا أعظم من الله! سنبلغ السماء سريعاً، ولا يقدر طوفانه أن يلحق بنا!".

لم يُسرّ الله بغباوة هذا الشعب المتكبر، فقال: "إنهم شعبٌ واحدٌ، ويتكلمون بلغةٍ واحدةٍ. إن بنوا بُرجاً يبلغ السماء، يظنون أنه لن يقف أمامهم عائق، فيزدادون تشامخاً.

يلزمهم أن يدركوا أن البُرج لا يقدر أن يخفيهم عني. إنني أنزع عنهم القدرة على التكلّم بلُغةٍ واحدةٍ. أبلبل لسانهم، فلا يفهم الواحد حديث الآخر، ويعجزون عن تكلمة بناء البُرج".

ذات يوم دُهِش الكل، إذ صارت بلبلة للألسنة. واحد ينطق بكلمات، وآخر لا يُدرك معناها. يطلب بناءً لبناً فيقدّمون له حمرة.

يُطلب من النساء ماءً فيأتين بقشّ. يسأل أحدهم العمال أن يصعدوا، فإذا بهم ينزلون.

صار الكل في حيرة، وحدث ارتباك أدى إلى غضبٍ وثورةٍ، فألقى الواحد
ثم الثاني أدوات العمل، وتوقف العمل تماماً.

ترك الله كل عائلة لها لغتها حتى لا تتفرق الأسرة الواحدة، إنما تفرقت
الأسر عن بعضها ليقيموا مدناً جديدة وتتسع البقعة التي يعيشون فيها.
كانت البلبله لخيرهم، إذ لم يتمموا الشر الذي في فكرهم، وتقوم عدة أمم
مختلفة، لكل أمة لغتها.

تحول الشعب إلى جماعات مختلفة متفرقة، كل جماعة تتكلم بلغة معينة
تعيش معاً.

انطلقت الجماعات شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وتركزت ناطحة السحاب
التي لم تكتمل تنهار تدريجياً بعوامل الزمن.
دُعي الموضع "بابل"، لأنه هناك بلبل الله الألسنة، ونشأت اللغات، وصار
نسل نوح متفرقاً في الأرض.

الفترة الثالثة

إعداد لقيام شعب له

لم يرجع أبناء سام إلى الله ليحفظوا العهد الذي أقامه مع أبيهم باسمهم جميعاً، بل رفضوه وعبدوا الأوثان والمخلوقات عوضاً عنه. وسط هذه الأمم والقبائل وُجِدَ إنسانٌ يؤمن به ويشتهي أن يحفظ العهد القديم الذي أقامه الله مع نوح. اختاره الله له ليقيم من نسله شعباً له، ومن هذا الشعب يتجسد كلمة الله ليفتح على الصليب يديه، ويحتضن من يؤمن به من كل العالم، ويُقيم كنيسة مقدّسة تنهياً للتمتع بحضن الله وتحيا به ومعه في السماء. هذا الإنسان هو إبراهيم الذي جاء من نسله إسحق فيعقوب فالاثنا عشر ابناً، ليقيم منهم الله اثني عشر سبطاً. اختار الله أبرام (إبراهيم) حوالي سنة ١٨٥٠ ق.م، ليكون بركة للأمم، وأباً للمؤمنين بمجيء رب المجد يسوع متجسداً من القديسة مريم ابنة إبراهيم. طلبَ الله من إبراهيم أن يخرج حتى من بيت أبيه، لا يعزله عن الناس، وإنما ليعزله عن الأصنام التي يتعبّد لها أقرباؤه. ولكي يقوم من نسله في كل جيلٍ من يُحطّم الأوثان، ويُعدّ القلوب لمجيء مُخلص العالم.

١٣- ساراي زوجة أبرام

(تكوين ١١)

في بلدة أور الكلدانيين (حاليًا بدولة العراق)، مدينة تجارية عظيمة وغنية، لها شهرتها، تزوج أبرام من أخته ساراي التي من والده تارح وليست من أمه. وكان يُسمح للأخ والأخت أن يتزوجا، حين كانت الأرض لا تزال شبه فارغة، ما داما من الدتئين مختلفتين.

استولى ملك غريب على المدينة، وأصدر قانوناً أن تُعبد الشمس لا القمر. تضايق والدهما تارح من قرار الملك، إذ اعتاد أن يصعد إلى هيكل للإله القمر، ليُقدّم ذبائح وتقدّمات. اجتمع تارح بأهل أسرته، واقترح عليهم أن يرحلوا إلى حاران التي تبعد حوالي ٦٠٠ ميلاً شمال بلدهم.

كانت ساراي سعيدة جداً مع زوجها أبرام. تحدّث معها في الخيمة: "ما رأيك يا سارة في الأمر الذي أصدره الملك؟".

أجابت: "إنني غير مُستريحة".

قال أبرام: "هل يمكن لملك أن يُغيّر الآلهة؟ يوقف العبادة للقمر، ويبدأ بعبادة الشمس؟ من أين جاء القمر؟ ومن الذي خلق الشمس؟".
سألته: "وما هو الحل؟".

أجابها: "أن نعبد الله خالق الشمس والقمر وكل الكواكب".

هكذا سادت ظلمة العبادة الوثنيّة في العالم كله، لكن وُجد إنسان واحد ومعه زوجته يعيشان بتقوى في بلدة أور الكلدانيين. أدرك هذا الرّجل - أبرام - أن الله يخلق كل إنسان فريداً له رسالة خاصة، يستطيع بنعمة الله أن يُتمّمها، حتى وإن كان كل البشر قد فضلوا الظلمة عن النور، والشرّ عن الخير. الله من جانبه يريد أن يعمل بأي إنسان يثق أن له رسالة في ذهن الله.

لذلك يوجد في كل جيل أناس الله حتى وإن كانوا أطفالاً صغاراً.

كان أبرام يُحبّ الله جدًّا ويتَّقِيه، ويُحبّ الناس ويشتاق أن يخدمهم. كان سخياً في العطاء، يستضيف كل يوم الغرباء. وكانت ساراي تُصرّ أن تخدمهم بنفسها، ولا تدع الجوّاري والغلمان يخدمونهم.

انطلقا مع والدهما ولوط ابن أخي أبرام. وقد وضعوا أمتعتهم على الدواب، ومعهم قطعان كثيرة من الغنم والماعز. كانوا يسرون ببطءٍ شديدٍ. ساروا حوالي شهر حتى بلغوا حاران. وفي حاران مات والدهما، وكان عمره مائتين وخمس سنين.



١٤- خروج أبرام من أرضه

(تكوين ١٢)

في حاران سَمِعَ أبرام صوتاً، ليس من إله القمر الذي كان يعبده والده تارح، ولا من إله الشمس، بل من خالق الشمس والقمر.

سمعه يقول له: "اترك أرضك وشعبك وبيت أبيك، واذهب إلى الأرض التي أريك إياها". كم كانت مسرّة أبرام، وهو يُطيع دعوة الله، وخرج دون أن يسأل إلى أين يذهب.

هذه الدعوة الإلهية موجّهة إلى كل إنسان لكي ينطلق قلبه لا من مكان مُعين أو عشيرة أو بيت ما، وإنما ينطلق خارج محبة العالم وهو بعد أمين في عمله ومسئوليّاته ومُحبّاً للناس، لكي يلتقي بالربّ السماوي ويعيش معه في أحضانه.

لم يكن خروج أبرام سهلاً، إذ يعيش في مدينة كبيرة، عُرِفَتْ بغناها وتقدّمها وثقافتها بجانب ارتباطه بعائلته، خاصة وأن الدعوة جاءت في سن ليس بصغير، إذ خرج من حاران في سن ٧٥ عاماً، أي في وقت يحتاج فيه إلى استقرار. هذا ولم يكن له ولد يرثه أو يهتم به في شيخوخته.

نحن نعلم أن الإنسان يميل إلى التحرك بمرونة في سن صغير، لكنه كلّما كبر يصعب تحركه خاصة إن كان التحرك يعني تغييراً شاملاً لمنهج حياته وطريقة سلوكه... ومع هذا فأبرام في مرونة الطفولة، تحرك في طاعة الله.

ترك إبراهيم أرضه ومعه أسرته وابن أخيه لوط.

سُرّ الله بإيمان أبرام وطاعته.

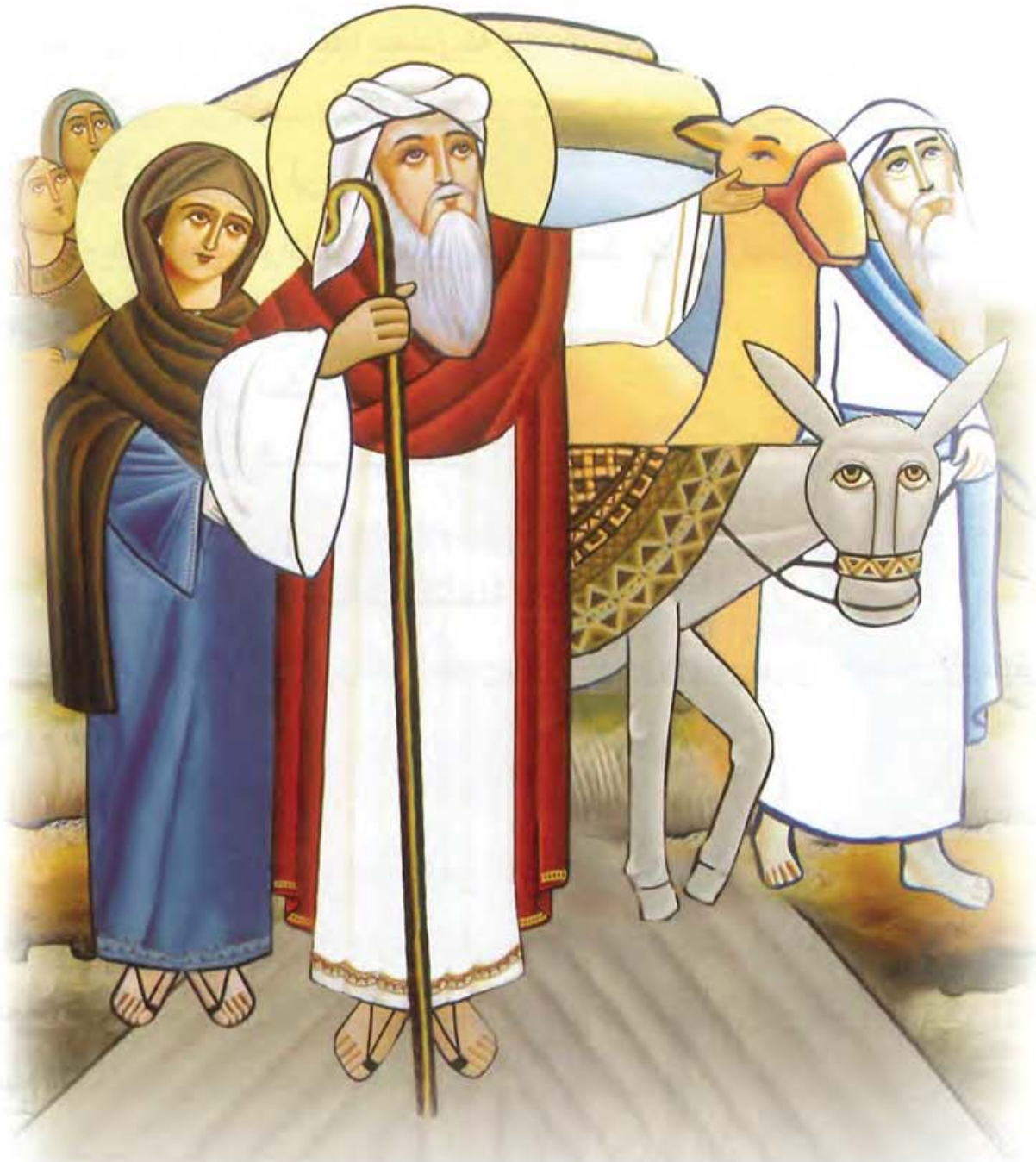
رحلوا على التلال وعبروا الأنهار وعسكروا بجوار شجرة (بلوط) عظيمة

في مورة بشكيم.

بنى أبرام مذبحاً للرب، وقدم ذبيحة شكر لله. ظهر الله لأبرام مرة أخرى،

ودخل معه في عهد، ووعد أن يُعطي نسله الأرض التي تدوسها قدماه.

انتقل أبرام إلى بيت إيل، ونصب الخيام، وبنى مذبحاً للرب.



١٥- أبرام في أرض مصر

(تكوين ١٢ - ١٣)

ارتحل أبرام ومعه ابن أخيه لوط نحو الجنوب بغنمهما ورجالهما، لكن حدث جفاف، وانقطع المطر لعدة شهور، فصارت مجاعة شديدة. تحدّث أبرام مع زوجته كعادته، إذ كان مُحِبًّا للمشاركة بين الزوجين:

- تُرى أين نذهب يا ساراي، وقد كادت القطعان تموت جوعًا وعطشًا؟

- كيفما ترى يا أبرام.

- كل البلاد حولنا في جفافٍ شديدٍ وقحطٍ، ما عدا مصر التي تعتمد على

نهر النيل.

- لنذهب إلى مصر.

- إني أخشى الذهاب إلى مصر.

- لماذا؟ - بسببكِ.

- كيف؟ أنت تعلم طاعتي الكاملة لك!

- أنت جميلة جدًا. يراك المصريون، ويخبرون فرعون، فيقتلني ويستبقيك

له زوجة!

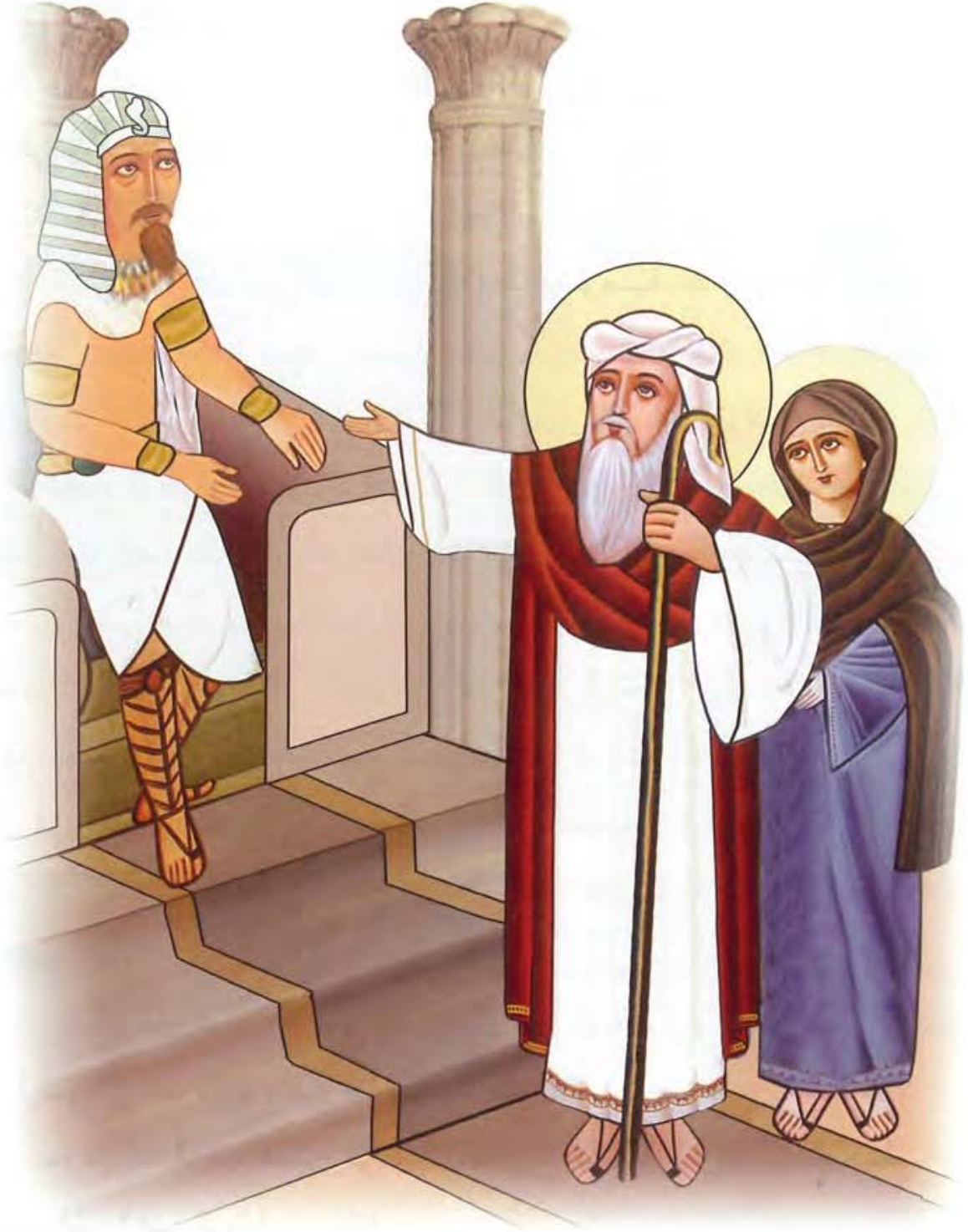
- وما هو الحل؟

- قلّي إنكِ أختي، وأنتِ بالحق أختي من والدي.

استصوبت مشورته، ورحلا إلى مصر. هناك طلب أبرام من الرؤساء العاملين عند فرعون أن يشتري طعامًا. ذهب الرؤساء إلى فرعون ليُصرِّح لهم ببيع الطعام لأبرام، وأخبروه عنه.

طلب فرعون مقابلته، وإذ رأى ساراي أحبَّها، فقدم لأبرام عبيدًا وغنمًا وهدايا بسخاءٍ شديدٍ، إذ حسبهُ أخاها، فاغتني أبرام جدًا جدًا. طلب منها أن تعيش في جناح النساء مع بقية زوجاته في قصره الملكي. فقد كان من عادة الملوك أن يكون لهم زوجات كثيرات.

أما ساراي فكانت ترفع قلبها إلى الله وتُصَلِّي. وثقت وأيقنت أن يده القويّة لا بد أن تتدخل. إنها زوجة أبرام، ولن تقبل غيره! وكان لزوجها ذات الإيمان. مَرَضَ فرعون وكل مَنْ في بيته، وإذ عرف فرعون أنها زوجة أبرام أطلقهما، وطلب منهما أن يرحلا ومعهما كل ما قدّمه لهما من غني. رجع أبرام إلى المكان الذي كانت خيمته فيه في البداية بين بيت إيل وعاي.



١٦- خصام بين الرعاة

(تكوين ١٣)

في بيت إيل إذ كان أبرام غنيًا جدًا جدًا، وأيضًا ابن أخيه لوط، صار نزاع بين رعاة أبرام ورعاة لوط بسبب أملاكهما الكثيرة من غنمٍ وبقرٍ وخيامٍ، فلم تحتلها الأرض أن يسكنا معًا.

وإذ كان أبرام مُحبًا للسلام قال للوط: "لا تكن مُخاصمةً بيني وبينك، وبين رُعاتي ورُعاتك، لأننا نحن أخوان. أليست كلُّ الأرض أمامك؟! اعتزل عني، إن ذهبت شمالاً فأنا يميناً، وإن يميناً فأنا شمالاً".

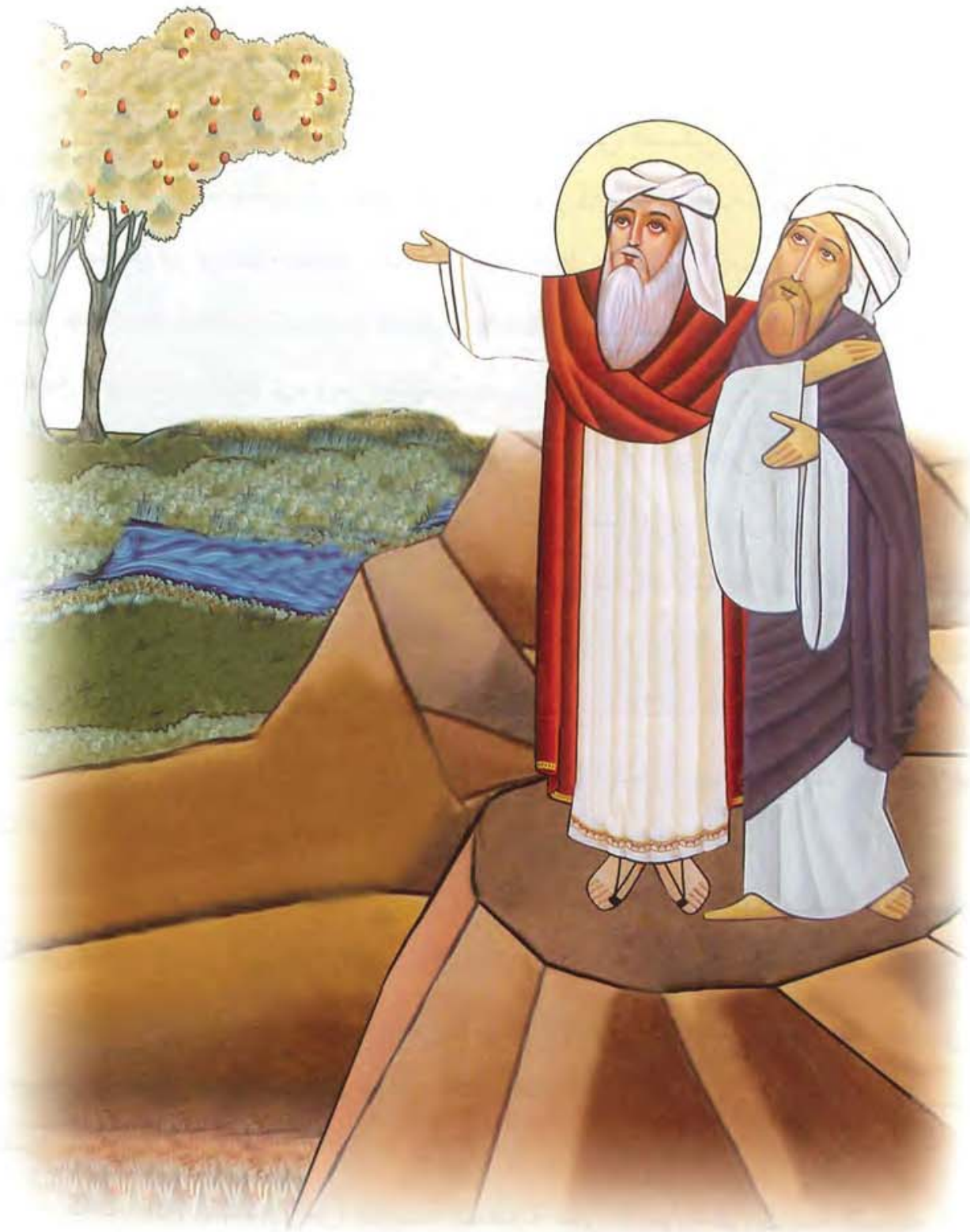
كان أبرام غنيًا بمواشيه وكان قلبه مُحبًا لوصية الله وملكوته السماوي، أمّا لوط فكان مُهتمًا بالغنم والبقر والخيام بقلب لا يُبالي بالملكوت السماوي. لذلك ترك أبرام وهو الأكبر للأصغر حقّ التقسيم والاختيار في نفس الوقت بفرح ورضا. اختار لوط أرض سدوم وعمورة، في وادي الأردن الجميل حيث الخُصرة، إذ ظنَّ أنها تُشبه جنّة الله. لكن كان سكان سدوم أشرارًا يكرهون الله.

إن كان لوط بنظرته المادية انجذبت عيناه إلى الأرض المُخصِبة التي حسبها كجنّة الرب كأرض مصر، فباعتراله أبرام تمتع أبرام بمواعيد الله الفائقة: "ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً... قم امش في الأرض طولها وعرضها، لأنني لك أعطيتها".

إذ نال أبرام وعدًا بميراث الأرض لنسله الذي لا يُعدّ... مع أنه لم يكن بعد قد أنجب ابنًا.

بإيمان قبل المواعيد دون نقاش، بل نقل خيامه "وأتى وأقام عند بلوطات ممرا التي في حبرون، وبنى هناك مذبحًا للرب".

بارك الله أبرام، فعاش في سلامٍ محبوبًا من الأمم والقبائل المُحيطة به وأيضًا التي ذهب إليها في رحلته.



١٧- كاهن فريد ملكي صادق وأبرام

(تكوين ١٤)

حدث أن هجم بعض الغزاة من الشرق على المُدن في منطقة سدوم وعمورة، فنهبوا وأسروا الكثير من شعبها، وكان من بينهم لوط. سمع أبرام عما حدث، فلم يُلقِ باللوم على لوط، لأنه يجني ثمرة طمعه. إنما جمع غلمانه الثلاث مئة والثمانية عشرة، وأخبرهم بما حدث، وتحرك في محبةٍ لإنقاذ كل الأسرى، ومن بينهم لوط.

بمساندة الله وشجاعته استطاع أن يقتحم الغزاة الذين هربوا من أمام وجهه. استقبله الملوك الذين نهبت مُدنهم وأسِر شعبهم، وكرّموه، وأرادوا أن يُقدّموا له جزءًا من الخيرات التي ردها لهم من الغزاة. أمّا هو فرفض تمامًا، لأنه شعر أن النُصرة هي من عند الرب، وأن محبته لإنقاذ المظلومين لا ينال عنها أجرًا. إنما تركهم يعطون غلمانه ما يريدون.

ظهر ملك ساليم (دُعيت أورشليم فيما بعد) ليُقدّم ذبيحة شكر لله العلي، وهو كاهن الله. وبسرعة بنى مذبحًا في الوادي بالقرب من أورشليم.

انحنى أبرام وكل غلمانه في وسط الصحراء حول المذبح، بينما وقف هذا الكاهن ليُقدّم تقدمة عجيبة، وهي كأس خمر وخبز.

بارك هذا الكاهن الذي يُدعى ملكي صادق أبرام، وقدم الأخير له العشور. ولم نعد نسمع عن هذا الكاهن الوحيد الذي قدم خمرًا وخبزًا للرب في العهد القديم.

كانت هذه التقدمة رمزًا للذبيحة الحقيقية غير الدموية في كنيسة المسيح في كل العالم ولن تتوقف، وهي جسد الرب ودمه.



أعلن الله لداود سرّ ما حدث، فقال عن السيّد المسيح: "أقسم الرب ولن يندم، أنت هو الكاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق". بروح النبوة، رأى المرثّل السيّد المسيح رئيس الكهنة السماوي.

في إيجاز نورد مقارنة بين السيّد المسيح وملكى صادق كما وردت في الرسالة إلى العبرانيين:

أ. من جهة الاسم "ملكى صادق" يعني "ملك البرّ" (رو ٣: ٢٤).

ب. من جهة العمل "ملك ساليم" أي ملك السلام (يو ١٦: ٣٢).

ج. كان ملكاً وكاهناً في نفس الوقت، الأمر الذي لن يتحقّق عند اليهود، إذ كان الملوك من سبط يهوذا والكهنة من سبط لاوي، أمّا في المسيح يسوع فتحقّق العمّالان معاً.

د. تقدمة ملكى صادق فريدة في نوعها، تشير إلى ذبيحة السيّد المسيح.

هـ. بالنسبة لملكى صادق، لم نعرف شيئاً عن أبيه وأمه ولا بداية ملكه أو نهايته، وفي هذا إشارة إلى السيّد المسيح الذي بلا أب جسدي وبلا أم من جهة اللاهوت، بلا بداية أيام، أبدي.

و. جاء السيّد المسيح كاهناً على رتبة ملكى صادق، وكان الكهنوت اللاوي

قد انتهى ليقوم كهنوت جديد.

ز. إن كان أبرام قد قدّم بنفسه العشور لملكى صادق الذي هو رمز السيّد

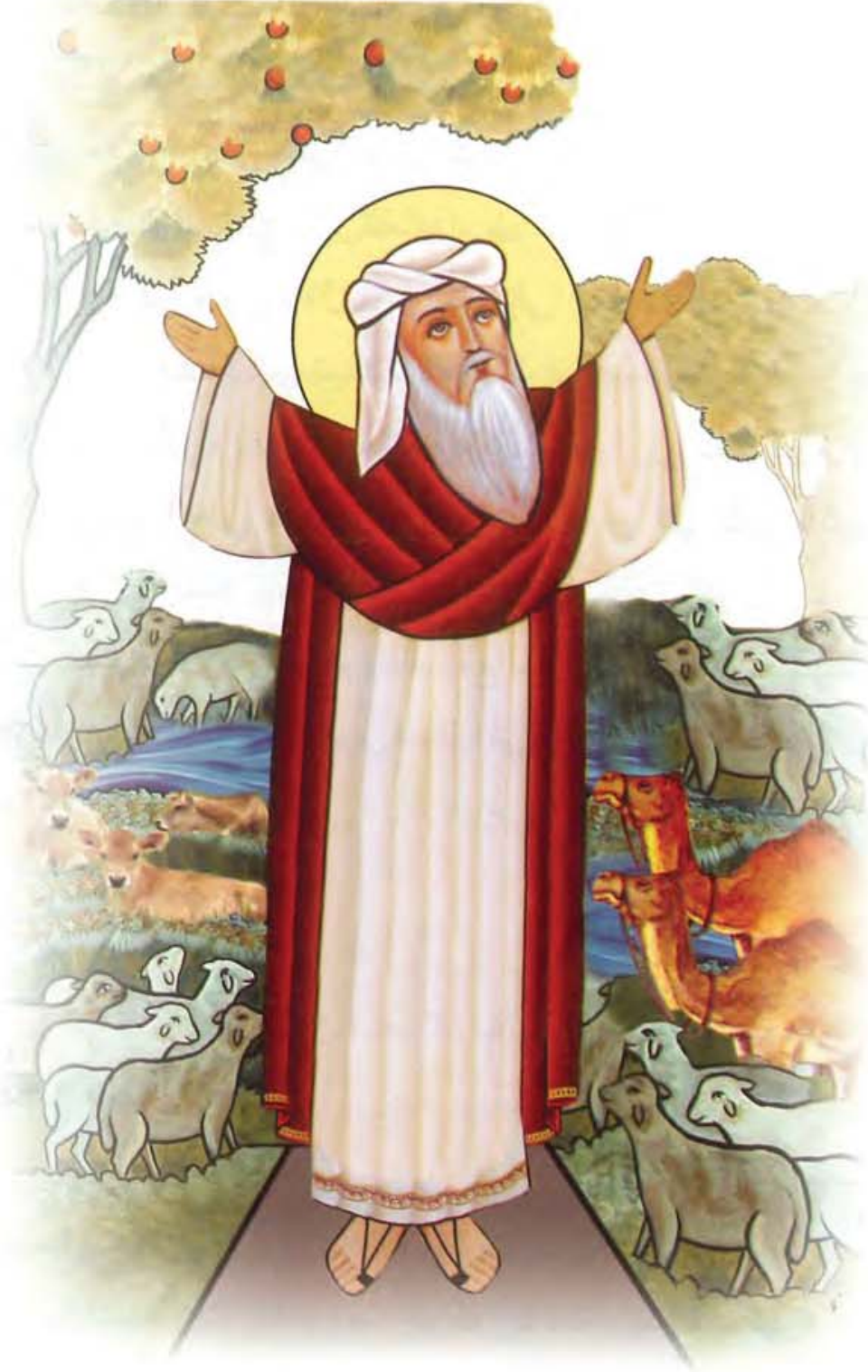
المسيح، أي أن ملكى صادق أعظم من أبرام واليهود يعتزّون بأنهم أبناء إبراهيم (أبرام)، فكم بالأكثر كان يجب أن يخضعوا ويؤمنوا بالمرموز إليه (السيّد

المسيح)، ما دام أبوهم خضع للرمز.

١٨- تجديد الوعد الإلهي

(تكوين ١٥)

خرج أبرام من المعركة غالبًا، ولم نسمع عنه أنه كان خائفًا، ومع ذلك أكد له الربّ في رؤيا، قائلاً: لا تخف يا أبرام، أنا ترسّ لك، أجرك كثيرٌ جدًّا".



اقترب الله منه فزاد أبرام اقتراباً إليه، إذ تقدّم إليه يتحدث لا في شكليات أو رسميَّات، وإنّما في جرأة ودالّة، يقول له: "أيّها السيّد الرب ماذا تعطيني وأنا ماضٍ عقيماً، ومالك بيتي أليعازر الدمشقي؟".

لم يطلب منه صراحةً ابناً لينزع العار عنه، ويتمتّع بالميراث، لكنه في دالة يسأله مُعانباً ما نفع العطايا الكثيرة لإنسانٍ عقيمٍ يرثه آخر؟ على أي الأحوال، مُعاملات الله مع أبرام أعطته الدالّة ليتحدّث معه بصراحةٍ بقلبٍ مفتوحٍ، حتى دُعي "خليل الله".

كانت إجابة الرب له: "لا يرتك هذا، بل الذي يخرج من أحشائك هو يرتك"، ثم أخرجته إلى خارج وقال له: "انظر إلى السماء وعدّ النجوم إن استطعت أن تعدّها، وقال له: هكذا يكون نسلك". فأمن بالربّ فحسب له برّاً. كشف الرب لأبرام علامة الخلاص لكل الأمم. وفي ذلك اليوم قطع معه ميثاقاً، قائلاً: "لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفُرات".

عبّرت السنوات، وكان أبرام يطلب مع ساراي من الله أن يهبهما طفلاً، مع أن الله وعده أن يهبه نسلًا مثل نجوم السماء في العدد ورمل البحر.

١٩- مع هاجر جارية ساراي

(تكوين ١٦)

شعرت ساراي أن السنين تجري، وقد تقدّمت في السنّ، ولم تُتجب. وإذ كانت تتحاور مع رَجُلها في وعد الله له، قالت لأبرام: "قطّعا سيُحقّق الله وعده لنا، لكنني أرى استحالة أن أنجب وأنت رجل شيخ، والرب أمسكني عن الولادة. لن يوجد طريق آخر لتحقيق الوعد الإلهي سوى أن تقبل جاريّتي الشابة المصريّة هاجر زوجةً إلى حين، والطفل الذي تتجبه يُحسب ابناً لك ولي".

سمِعَ أبرام لصوتها، وبالفعل صارت هاجر حاملاً. للأسف صارت جاريّتها تسخر بها، وشعرت ساراي أنها صغرت جدّاً في عينيها.

ألقت ساراي باللوم على أبرام الذي بدوره أسلم هاجر بين يديها، فأدلتها حتى هربت.

وجدها ملاك الرب على عين الماء في بريّة فاران، على العين التي في طريق "شور" أي "سور"، وهو طريق قوافل في البريّة. لعلّها كانت متّجهة إلى مصر موطنها الأصلي.

قال لها ملاك الرب: "ارجعي إلى مولاتك، واخضعي تحت يديها".

كما قال لها: "تكثرًا أكثر نسلِك فلا يُعدُّ من الكثرة".

وقال لها أيضاً: "ها أنتِ حُبلى، فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل، لأن

الرب قد سمِعَ لمذلتك".

لم يكن ممكناً لهاجر أن ترجع إلى ساراي وأبرام، وتتجب ابناً ما لم تلتق بملاك الرب عند عين ماء في طريق شور، فإن كان ملاك الرب يشير إلى السيّد المسيح، فقد نزل إلينا في بريّتنا القاحلة لكي يلتقي بنا عند مياه

المعمودية (عين ماء)، ويكون لنا سورًا "شور" فيردنا من الاتجاه نحو مصر،
أي من محبة العالم إلى كنعان السماوية.
لنطرد عنا هاجر إلى حين، أي كل فكرٍ غريبٍ ونذله، حتى يتأدب، فيرجع
فكرنا نقيًا خاضعًا للحياة الإيمانية التقوية.
وَأَدَّتْ هاجر ابناها ودعته "إسماعيل" كقول ملاك الرب، ويعني "الله سَمِعَ"،
ودعاه أبرام بذات الاسم، إذ حسب أن الله سَمِعَ له، وأعطاه ابنًا يرثه. إذ لم يكن
يظن أن سارة تلد له ابنًا.
كان أبرام ابن ٨٦ سنة حين وُلِدَتْ هاجر إسماعيل، وكان ابن مائة سنة
حين وُلِدَ إِسْحَقُ، وكان إسماعيل يكبر إسحق بحوالي ١٤ عامًا.



٢٠- عهد جديد مع الله والختان

(تكوين ١٧)

بعد مرور حوالي ١٣ سنة من ميلاد إسماعيل، ظهر الرب لأبرام، وكان ابن تسع وتسعين سنة، وأكد له ذات الوعد: "هوذا عهدي معك، وتكون أباً لجمهورٍ من الأمم. وأثرك كثيراً جداً، وأجعلك أمماً".

ثم قال له إنه لا يعود يُدعى اسمك "أبرام" بل "إبراهيم"، وتعني "أباً لكثيرين"، ولا تُدعى امرأتك ساراي بل "سارة".

قصة الله مع الإنسان هي قصة عهود مُستمرة ومُتجددة، خلالها يُعلن الله حُبّه للإنسان، ويتوق أن يُقابل الإنسان هذا الحُبّ بالحُبّ.

قال له الرب أيضاً: "هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم، وبين نسلك من بعدك: يُختن منكم كل ذكر، فتُختنون في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم، ابن ثمانية أيام يُختن منكم كل ذكر في أجيالكم ... فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً. وأمّا الذكر الأغلف الذي لا يُختن في لحم غرلته، فنقطع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهدي".

جاء تغيير اسمي أبرام وساراي مع الختان كعلامة للتجديد الشامل.

ليتنا نحن الذين قبلنا الختان الروحي بالروح القدس في مياه المعمودية، نجاهد أن نبقى مختونين في كل أعضائنا وحياتنا الداخلية، حتى ننعّم بالوعد الإلهي، ونكون في عهدٍ أبديٍّ مع الله.

لأول مرة يُعلن الله صراحةً أن الوارث لإبراهيم يكون من سارة زوجته، إذ يقول: "وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابناً. أباركها فتكون أمماً، وملوك شعوبٍ منها يكونون".

لقد ظن إبراهيم أن الوعد يتحقق بابن هاجر. لكن الرب بارك ابن هاجر، وأكد أن الوعد لإسحق من سارة.



لم يحتفل إبراهيم هذا الوعد، فسقط إبراهيم على وجهه وضحك، وقال في قلبه: "هل يولد لابن مئة سنة؟ وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة؟!". ضحكه لا يعني عدم إيمانه، وإنما يعلن عن شدة دهشته لعمل الله معه، الذي يُقيم نسلاً لشيخ بلغ المائة من عمره، وزوجته العاقر ابنة تسعين سنة. أمّا علامة إيمانه فهو سقوطه على وجهه ليُقدّم الشكر.

كان إبراهيم وسارة يحسبان هذا الوعد كنزاً عظيماً. أدركا بأن الله يعطيها نسلاً، منه يخرج ذاك الذي يُبارك كل أمم العالم، أي السيّد المسيح الذي من نسل داود، من سبط يهوذا، حفيد إبراهيم وسارة.

٢١- تحقيق الوعد الإلهي

(تكوين ١٨ - ١٩)

بعد سنوات طويلة، كان إبراهيم جالسًا كعادته في وقت الظهيرة في باب الخيمة عند شجرة ضخمة عند بلوطات مَمْرًا، ينتظر لعله يجد غريبًا يستضيفه، ويأكل معه، كما اعتاد كل يوم.

عَبَّرَ به ثلاثة رجال، ولم يكن يعرف أنهم: الرب ومعه ملاكان. سَجَدَ لهم إلى الأرض واستضافهم، وجاء إلى سارة مُسرِعًا، يطلب منها أن تعدَّ لهم طعامًا. فكانت تعمل بكل جدِّ وبفرح شديد.

دار الحوار التالي الذي سمعته سارة وهي داخل الخيمة:

- أين سارة امرأتك؟

- ها هي في الخيمة.

- إني أرجع إليك بعد عام، ويكون لسارة زوجتك ابن.

إذ سَمِعَت ذلك سارة ضحكت لأنهما شيخان، وتحسب نفسها قد فنيت.

قال الرب: "لماذا ضَحِكْتُ سارة؟ هل يستحيل على الرب شيء؟".

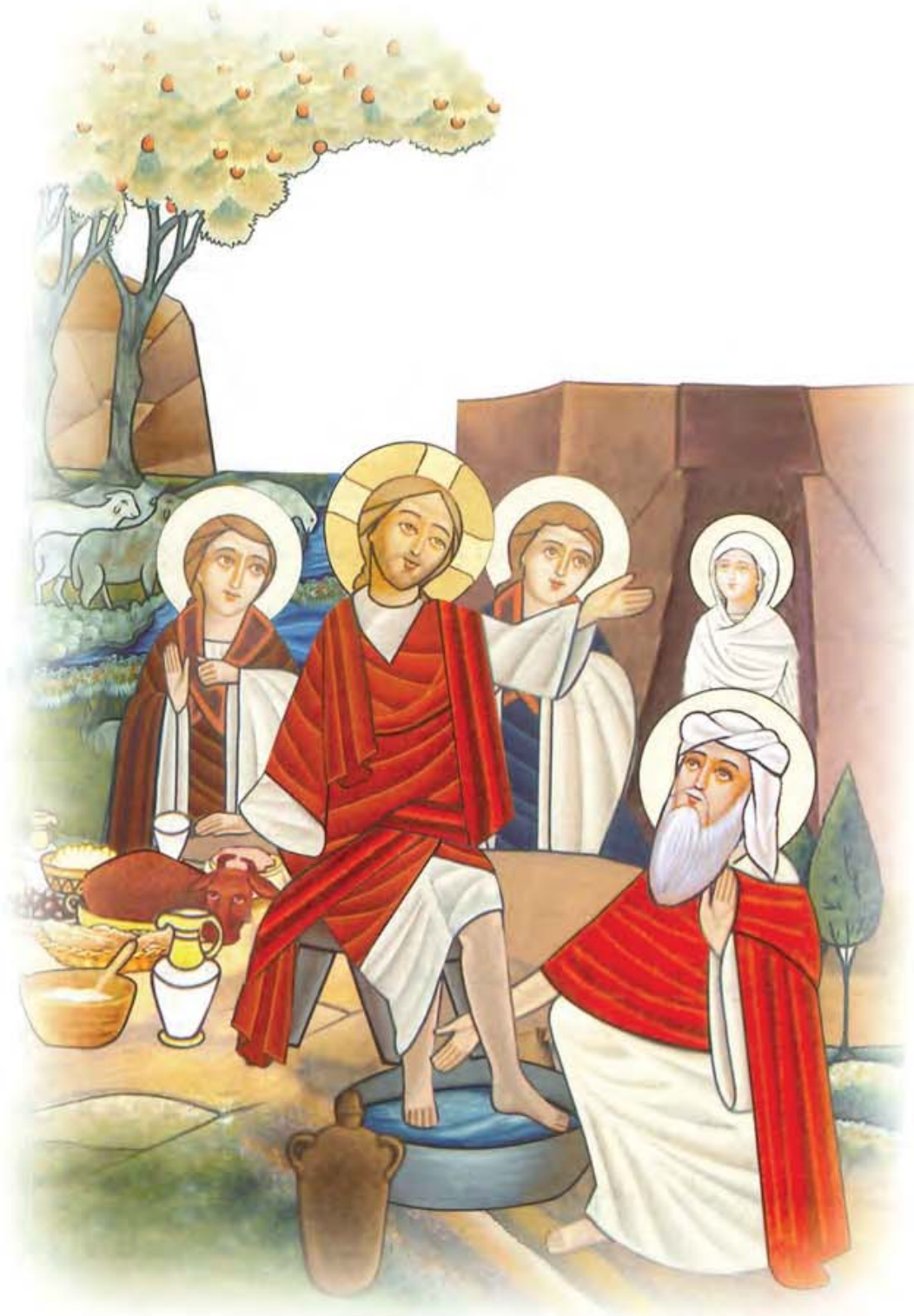
خافت سارة، فأنكرت قائلة: "لم أضحك".

أجاب: "لا، بل ضحكت".

إذ قابل إبراهيم حُبَّ الله بالحُبِّ، تحدَّثَ الله معه كصديقٍ، إذ يقول: "هل أخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله، وإبراهيم يكون أُمَّة كبيرة وقويّة، ويتبارك به جميع أمم الأرض؟!".

أعلن الرب آثام سدوم وعمورة لإبراهيم، قائلاً: "إن صُراخ سدوم وعمورة قد كثر، وخطيئتهم قد عظمت جدًّا، أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صُراخها الآتي إليّ، وإلا فأعلم".

بعد هذا الحديث انصرف الملاكان إلى سدوم وعمورة، وبقي إبراهيم أمام الرب. وفي دالة الحُبّ وفي لُطفٍ وتواضعٍ عاتب إبراهيم الرب، وقال: "أفتُهلك البارّ مع الأثيم؟ أديانُ الأرض كلّها لا يصنع عدلاً؟ أمّا تعفو عن هذه المنطقة إن وُجدَ خمسون بارًّا فيها؟". أجابه الرب: "أعفو".



بدأ إبراهيم يُقلِّد من العدد حتى طلب العفو إن وُجِدَ عشرة أشخاص، ووافق الرب على طلبه، لكنّه لم يُوجد عشرة أناس أتقياء في كل المنطقة. عندئذ توقف الحوار. عاد إبراهيم إلى خيمته حزيناً على الفساد الذي يُمارسه الناس.

دخل الملاكان بيت لوط، وأخبراه هو وعائلته بالكارثة التي ستحل بالمدينتين، وفي الصباح الباكر خرج الملاكان ولوط وزوجته وابنتاه من المدينة. طلب الملاكان منهم أن يسرعوا في التحرك، وأوصياهم ألا ينظروا إلى الوراء. فجأة التهبت نار في المدينتين، وتساقطت حجارة من فوق، وعلت الصرخات، ولم يجد أحد وسيلة للهروب. وبالرغم من تحذير الملاكين للوط وعائلته، التفتت امرأة لوط إلى الوراء، وللحال صارت عمود ملح وهلكت. صارت عبرة لمن لا يهرب من الشرّ.



٢٢- ابنا إبراهيم: إسحق وإسماعيل

(تكوين ٢١)

إذ بلغ عُمرُ إبراهيم المائة، حَقَّقَ اللهُ وعده معه.

أنجبتُ سارة ابناً، فأقاما وليمة عظيمة. دُعِيَ ابْنَهُمَا إسحق؛ ويعني: "ضحكاً"، لأن سارة ضحكت عندما كانت في الخيمة وسمعت أن الله يهبهما ابناً. كما قالت سارة: "لقد أعطاني الله ضحكاً، فإن كل مَنْ يسمع يضحك معي".

الآن صار لإبراهيم ابنان. واحد يُدعى إسحق أنجبته سارة، والثاني يُدعى إسماعيل أنجبته هاجر المصرية جارية سارة.

إذ أدرك إسماعيل ما لإسحق من معزة خاصة لدى أبيه وأنه هو الوارث لأبيه أبغضه، وكان يُسيء معاملته.

طلبت سارة من إبراهيم أن يطرد هاجر وابنها، إذ لا تريد أن توجد علاقة بين إسحق وإسماعيل.

حزن إبراهيم لهذا الأمر، لأن إسماعيل ابنه أيضاً.

قال الله لإبراهيم: "لا تقلق على هاجر وابنها. افعل ما تقوله لك سارة، فإنه من الأفضل أن يعيش إسحق وحده معك. كل ما لك سيؤول إليه يوماً ما. إنني سأهتم بإسماعيل. فسيكون أباً لأسرة عظيمة مثل إسحق.

في اليوم التالي صرف إبراهيم هاجر وابنها.

في باكر الصباح تركتُ هاجر خيمة إبراهيم ومعها ابنها إسماعيل. أعطاهما إبراهيم خبزاً وإناء ماء لرحلتها. لكن إذ فرغ الماء خشيت هاجر على ابنها بأن يموت من العطش، فانفجرت في البكاء وصرخت.

ظهر لها ملاك الرب من السماء، وقال لها: "لا تخافي يا هاجر، فإن ابنك سيصير أمةً عظيمة".

نمًا إسماعيل، وصار صيادًا في البرية.



٢٣- ذبيحة طاعة وحب

(تكوين ٢٢)

كم كانت مسرة إبراهيم وسارة بإسحق، كلما تطلعا إليه تذكرًا وعد الله أن يُقيم من نسل إبراهيم أبناء مثل نجوم السماء ورمل البحر في الكثرة. كانت حياتهما مملوءة بالفرح والسلام، خاصةً وأن إسحق هذا جاء هدية تحقيقًا لوعده الإلهي لهما، وكان إسحق مُطيعًا نقيًا مُحبًا لله. لم تكن سارة تقدر على غيابه، غير أنه ذات مرة غاب قرابة أسبوع مع أبيه إبراهيم، وإذ جاءا رأتها مُتهلِّلين جدًّا، وكانا كملَكَيْن يسيران على الأرض. مع شيخوختها جرت لاستقبالهما. سألت إبراهيم: "أين كنتما؟ ولماذا غبتما كل هذا الزمان؟ وما هو سر فرحكما وبهجة قلبكما؟".

قال لها إبراهيم: "لقد ظهر لي الرب بالليل بينما كنت نائمًا، وقال لي: خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحق، واذهب إلى الجبل الذي أريك إياه، وأصعده هناك مُحرقًا. عرفت صوت صديقي العجيب، الله نفسه. ولم أفكر كيف يتحقق وعده لي بإعطائي نسلًا عظيمًا.

لقد آمنت أنه قادر أن يُقيمه من الأموات ويردّه لي حيًّا".

ثم حكى لها إبراهيم كيف بكر جدًّا، وربط حطبًا وأعد أتانه، خرج ومعه إسحق ابنه وغلّامان، وسار الكل معًا لمدة ثلاثة أيام، ورأى العلامة التي يعرف بها الموضع لتقديم ابنه مُحرقًا على جبل المُريّا.



كانت سارة تتابع حديثه بكل أحاسيسها ومشاعرها. لكن مع محبتّها الشديدة لإبراهيم وطاعتها له قطعت كلماته على غير العادة، وقالت له:

- ولماذا لم تسألني في الأمر؟ أليس إسحق هو ابني أنا أيضاً؟
- أنت تعلمين، إنني لا أخفي عنك شيئاً، بل وأناقش معك كل الأمور،
وأسمع لك كما تسمعين أنت لي. لكن الأمر كان صادراً من الله الذي هو فوقني
وفوقك.

- لعلي كنت أذهب معك، وأشترك معك في العمل.

- إنني تممت ما قاله لي إلهنا!

- وما هي مشاعرك وأنت ذاهب لتقدم ابنك ذبيحة؟

- أنا أعلم تماماً أن الله يرفض ذبح أي إنسان، ولا يقبل ذبائح بشرية، لهذا
تيقنت أن وراء الأمر خطة إلهية تفوق إدراكي. ملأ الله قلبي سلاماً وثقة. قلتُ
في نفسي: "الذي وعدني أنه بنسل إسحق ابني، يتبارك كل الأمم، هو قادر أن
يقيمه من الأموات. كنت متأكداً أنه سيعود معي حياً".

- وماذا حدث؟

- سرتُ ثلاثة أيام، فرأيتُ علامةً من بعيد.

- كنت أودّ أن أرى معك هذه العلامة.

- إنك ترينها في ابنك إسحق المبارك.

- ماذا حدث؟

- لقد تركتُ الغلامين والدابة، وسرتُ مع إسحق ابني، وكان يحمل حطب
المُحرقة. في الطريق سألتني إسحق: "هوذا النار والحطب، ولكن أين الخروف
للمُحرقة؟" أجبتُه: "الله يرى له الخروف للمُحرقة يا ابني". سررنا معاً وعند
الموضع بنينا المذبح، ربّطتُ ابني إسحق، وقد سلّم لي نفسه تماماً. أمسكتُ
بالسكين ومددتُ يدي، لكنني سمعت صوتاً رهيباً.

- أي صوت هذا؟

- صوت ملاك الرب من السماء يقول لي: "إبراهيم، إبراهيم. لا تمدّ يديك إلى الغلام، ولا تفعل به شيئاً، لأنني الآن علمتُ أنك خائف الله، فلم تمسكِ ابنك وحيدك عني".

- هل قدّم الله لك وعداً؟

- نعم. بعدما رأيتُ كبشاً وأصعدته مُحَرَّقة عَوْضِ ابني، ناداني ملاك الرب ثانيةً من السماء، وقال لي: "بذاتي أقسمتُ يقول الرب. إنني من أجل أنك فعلتَ هذا الأمر، ولم تمسكِ ابنك وحيدك، أباركك مُباركة، وأكثرُ نسلك تكثيراً كنجوم السماء، وكالرمل الذي على شاطئ البحر. ويرث نسلك باب أعدائه. ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض، من أجل أنك سمعتَ قولي".

٢٤ - مقبرة سارة

(تكوين ٢٣)

بلغت سارة مئة وسبعًا وعشرين سنة، كلها أعوام مُثمرة ومُفرحة في الرب، ماتت سارة في قرية أرْبَع التي هي حبرون في أرض كنعان. كانت تشارك رَجُلها إبراهيم في كل أيام جهاده، تُطيعه وتحمل معه المشقات وتتقبل معه الوعود الإلهية بفرح.

يبدو أن إبراهيم كان مُتغيّبًا عن خيمته في لحظات موتها، وإذ جاء وسمع بالخبر وقف أمامها يذكر عشرات السنوات التي عاشتها معه، وقد بقيت الوحيدة من أهله التي خرجت معه من أور الكلدانيين لتعيش مُتغرّبة. وقف أمام جثمانها يتذكّر شريكة حياته، فصار يندبها ويبكها، يُعلن عن مشاعر حُبّه من نحو زوجته سارة.

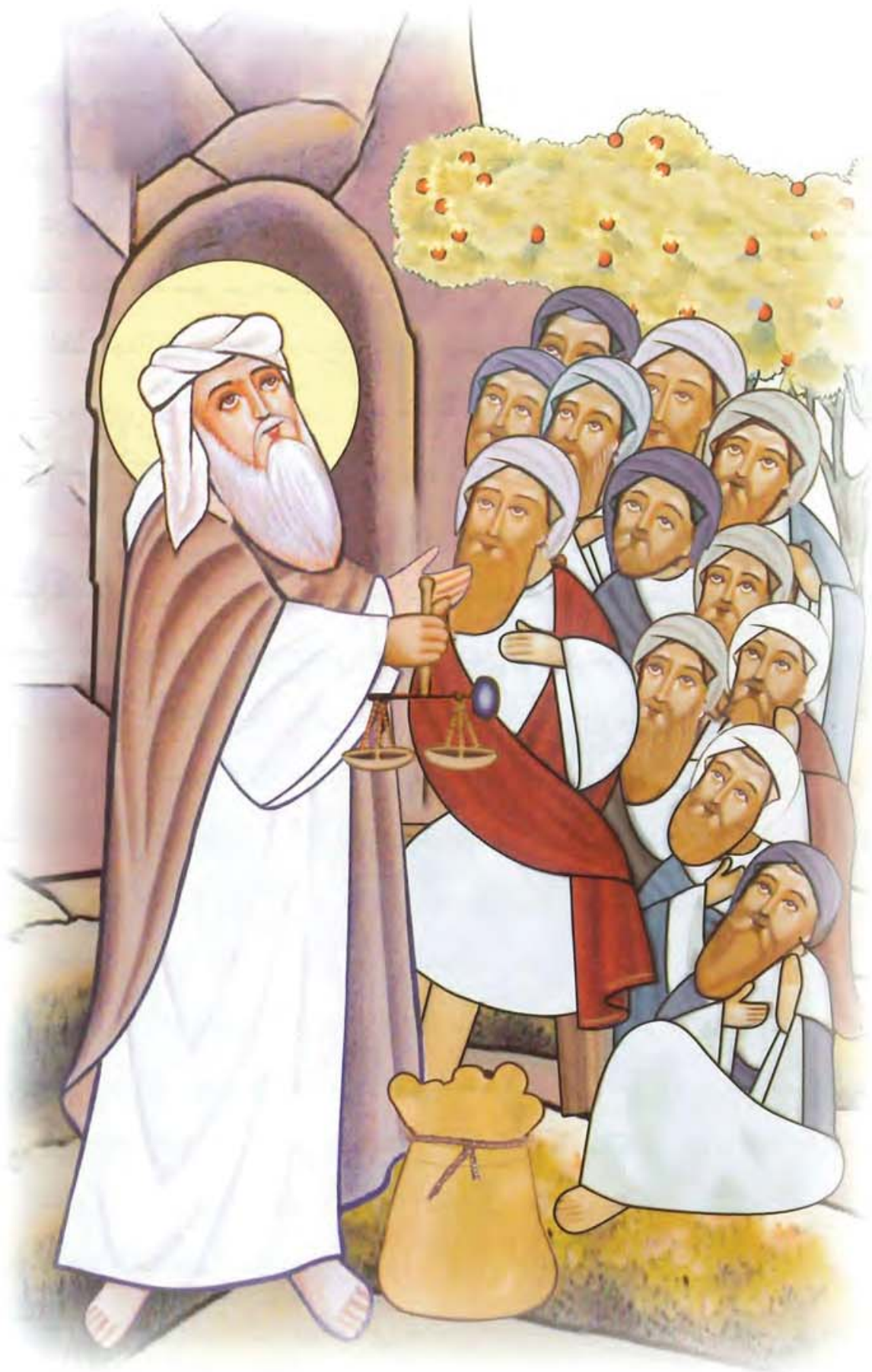
هذه هي المرّة الأولى التي نسمع فيها عن إبراهيم الشيخ الوقور يندب ويبكي. فلم نسمع أنه بكى أو حزن عند مُفارقتة أهله بأور الكلدانيين، ولا عند سبي لوط، ولا عند انطلاقه ثلاثة أيام ليذبح ابنه، لكنه يقف الآن أمام سارة يندبها ويبكها.

كلم إبراهيم بني حثّ قائلاً: "أنا غريبٌ ونزيرٌ عندكم، أعطوني ملكَ قبرٍ معكم، لأدفن ميّتي من أمامي".

أجاب بنو حثّ إبراهيم قائلين له: "اسمعنا يا سيّدنا، أنت رئيس من الله بيننا، في أفضل قبورنا ادفن ميّتك".

قام إبراهيم وفي تواضع عبّر عن شكره لمحبتهم وسجد لشعب الأرض بني حثّ.

تأثر بنو حثّ جدًّا بالشيخ الذي فقد زوجته، فأعلنوا حُبهم له وتكريمهم إيّاه، واشتياقهم أن يُقدّموا له أفضل مدفن لهم ليكون بين يديه، أمّا هو فلم يستغلّ هذا الحُبّ، بل في نقاوة قلب سألهم أن يقبلوا ثمن المقبرة، وأصرّ على دفع ثمنها.



٢٥- البحث عن زوجة لإسحق

(تكوين ٢٤)

بعد موت سارة بثلاث سنوات، استدعى إبراهيم خادمه أليعازر الدمشقي الوكيل على كل ممتلكاته، واستحلفه أن يذهب إلى الأرض التي تسكنها عشيرته ليجد عروساً يأتي بها لابنه إسحق، تُعِينه في طريق الرب كما كانت سارة مُعِينَةً له، قائلاً له: "الله سيُرسل ملاكه لِيُعِدَّ لابني الزوجة الصالحة".

أخذ أليعازر مجموعة من الخدم وعشرة جمال وهدايا كثيرة، وانطلق إلى حاران. سافر إلى آرام النهرين إلى مدينة ناحور، وهناك حلَّ الجمال وأجلسها خارج المدينة عند بئر الماء وقت المساء وقت خروج المستقيات.

صلى العبد التقي قائلاً: "أيُّها الرَّبُّ إله سيّدي إبراهيم، يَسِّرْ لي اليوم واصنَع لطفاً إلى سيّدي إبراهيم. ستأتي فتيات المدينة ليسحبن ماءً من هذه البئر. إن حَسُنَ في عينيكَ أن الفتاة التي أطلب منها أن أشرب فتقدّم لي بسخاء، وتقدّم لي عليّ أن تسقي الجمال، لتكن هي التي اخترتها أنتَ عروساً لابن سيدي".

لم ينتظر طويلاً، وإذ بفتاة جميلة وديعة جاءت واقتربت من البئر. تطلّع العبد إليها باهتمام عظيم، وإذ أدارت وجهها لتترك المكان بعد أن نزلت إلى البئر وملاّت جرّتها منه، انحنى أمامها، وقال لها: "اسمحي لي أن تعطيني لكي أشرب".

أجابت الفتاة: "نعم، وأسقي أيضاً جمالك حتى تفرغ من الشرب".

قدّمت له الماء ببشاشة، وبسرعة بدأت تملأ ماء لتسقي الجمال.

تعجّب العبد لإجابتها، وتساءل إن كانت هذه هي التي يختارها الله لإسحق.

رفع العبد قلبه إلى الله يشكره على استجابته للصلاة سريعاً.

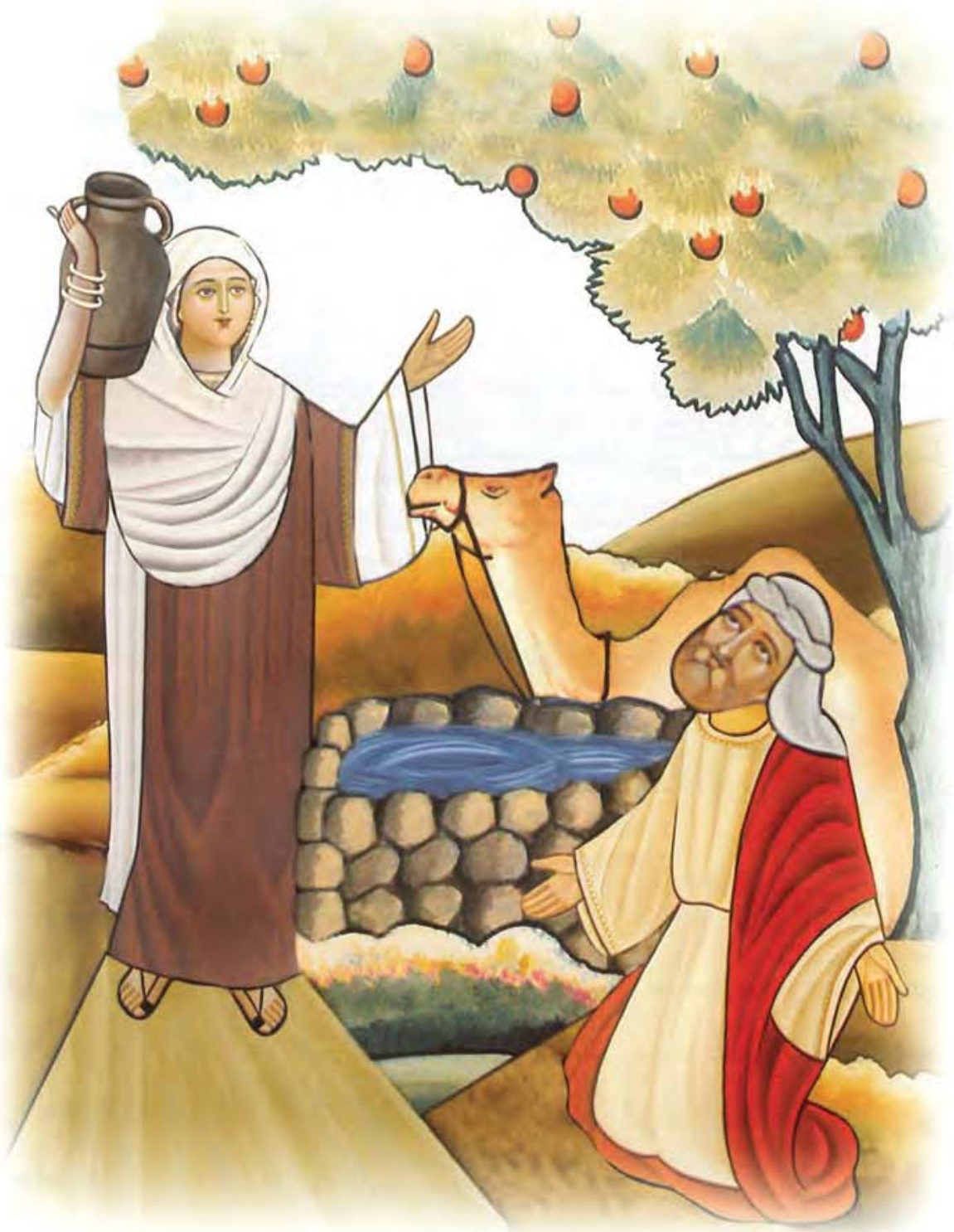
سألها: "ما اسمك؟" أجابت: "أنا رفقة. أبي هو بتوئيل".

عرف العبد أنها ابنة أخ إبراهيم.

قالت له الفتاة: "تعال، ولتقم في بيتنا، لدينا أماكن كثيرة لك ولرفقائك

ليقضوا الليلة".

شكر العبد الله الذي استجاب صلاته. وقدّم لرفقة خِزامة ذهب لتضعها في
أنفها، وزنها نصف شاقل، وسوارين على يديها وزنهما عشرة شواقل ذهبٍ كهدية.
قال لها إنه قد جاء من عند عمها إبراهيم. سألته أن يأتي إلى المنزل ليلتقي
بأبيها وأسرتها قالت له: "عندنا تبنٌ وعَلَفٌ كثيرٌ، ومكان لتبيتوا أيضًا".



٢٦- زواج إسحق برفقة

(تكوين ٢٤)

أسرعت رفقة إلى بيتها، وأخبرت أسرتها عن عبد إبراهيم. كان والدها قد توفى، أمّا أخوها لابان، إذ رأى أخته رفقة وقد تزينت بالخزامة والسّوارين، وأخبرته بكل ما حدث أسرع إلى الرّجل، يقول له: "ادخل يا مبارك الرب، لماذا تقف خارجاً، وأنا قد هيأت البيت ومكاناً للجمال؟!".

دخل الرّجل وحلّ الجمل، وقدم له طعاماً للجمال، وماءً لغسل رجليه وأرجل الذين معه، ووضع قدامه لياكل.

دُهِش عبد إبراهيم من تصرفات رفقة وعائلتها، فقد اتّسموا باللطف والكرم في العطاء. فقال: "لا آكل حتى أتكلّم كلامي".

بدأ يروي لأهل رفقة عن عظمة سيده إبراهيم، وعن ابن شيخوخته الذي من سارة، والوصية التي قدّمها له إبراهيم من جهة زواج ابنه إسحق؛ وعمل الله معه حين جاء عند البئر والتقى برفقة. وختم حديثه بقوله: "والآن إن كنتم تصنعون معروفًا وأمانة إلى سيدي فأخبروني، وإلا أنصرف يمينًا أو شمالاً".

مع كل خطوة يشعر فيها كبير بيت إبراهيم بالنجاح يسجد للرب إلى الأرض، مُقدّمًا ذبيحة شكر لله الذي يُرتب الأمر بيديه.

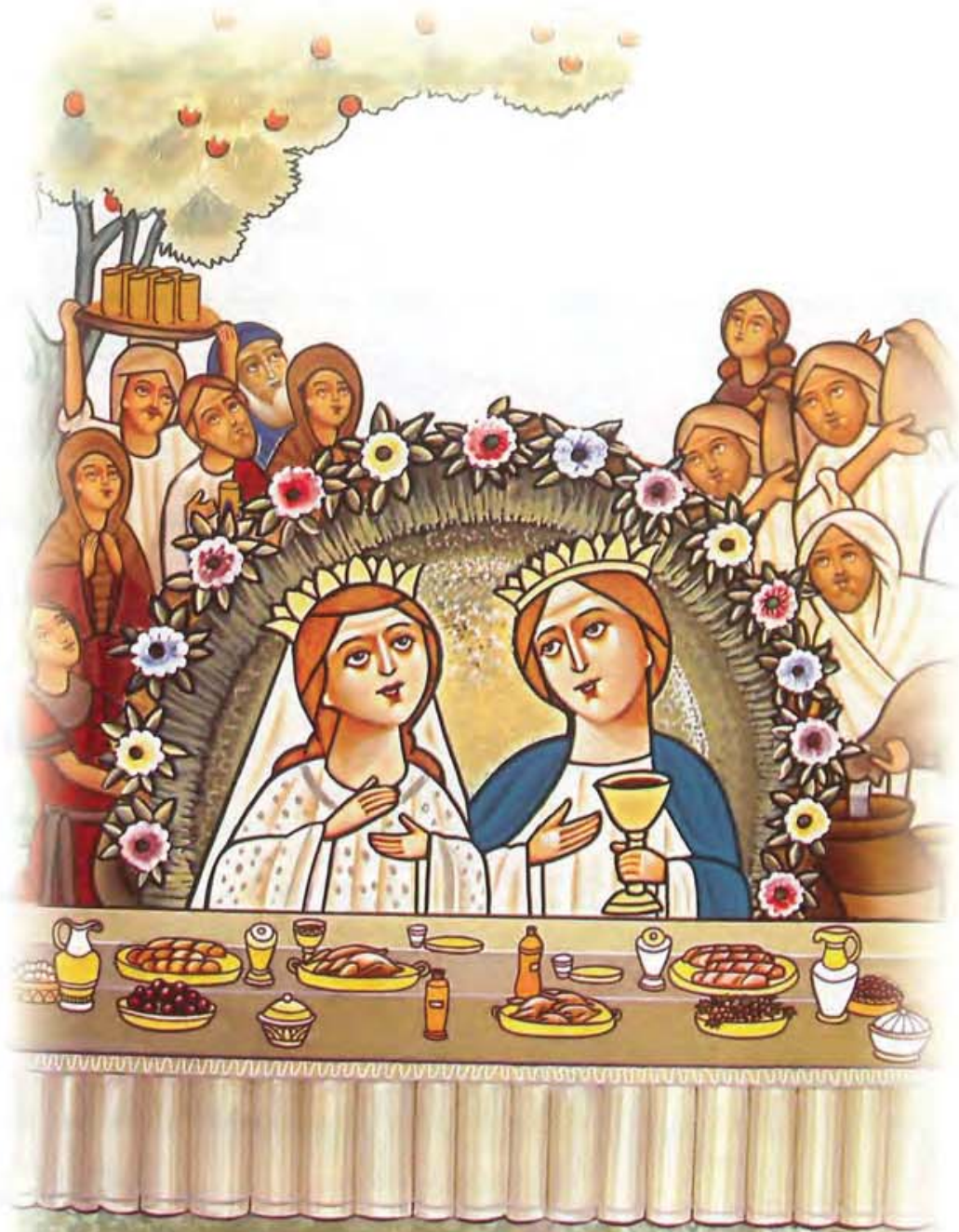
أدرك الكل أن الأمر قد صدرَ من قِبَل الرب. وقدم العبد أنية فضة وأنية ذهبٍ وثيابًا أعطاهما لرفقة، وأعطى تحفاً لأخيها ولأمها.

وعندما بدأ الموكب يتحرك قالوا: "ندعو الفتاة ونسألها شفاهًا، فدعوا رفقة وقالوا لها: هل تذهبين مع هذا الرّجل، فقالت أذهب". لقد تركوا لها حرية

الاختيار، ولم يلزمها أحد على الزواج بشخصٍ مُعيّنٍ مهما كانت الظروف! طلبوا لها من الله النموّ والإثمار فيكون نسلها ألوف وألوف وربوات وربوات، كما طلبوا لنسلها القوة، فلا يحطمهم عدوّ.

انطلقت رفقة مع مُرضعتها المحبوبة لديها جدًّا، التي تُدعى دبورة.

انطلقت نحو عريسها إسحق بعد أن تركت عشيرتها وبيت أبيها، وهي تُشبه كنيسة العهد الجديد التي تركت العالم الوثني لتتقبل السيد المسيح عريساً لها. إذ اقتربت القافلة من بيت إبراهيم، خرج إسحق ليلتقي مع عروسه عند بئر لحي رئي، كما عند مياه المعمودية. أحب إسحق رفقة، وتعزى من بعد نياحة والدته.



٢٧- عيسو ويعقوب

(تكوين ٢٥، ٢٧)

عاش إسحق مثل أبيه إبراهيم في أرض كنعان. كانت زوجته رفقة عاقراً لا تقدر أن تُنجب أطفالاً. صَلَّى إسحق إلى الله بعد عشرين سنة فاستجاب لصلاته. أنجبت توأمين، البكر دُعي عيسو، والصغير يعقوب.

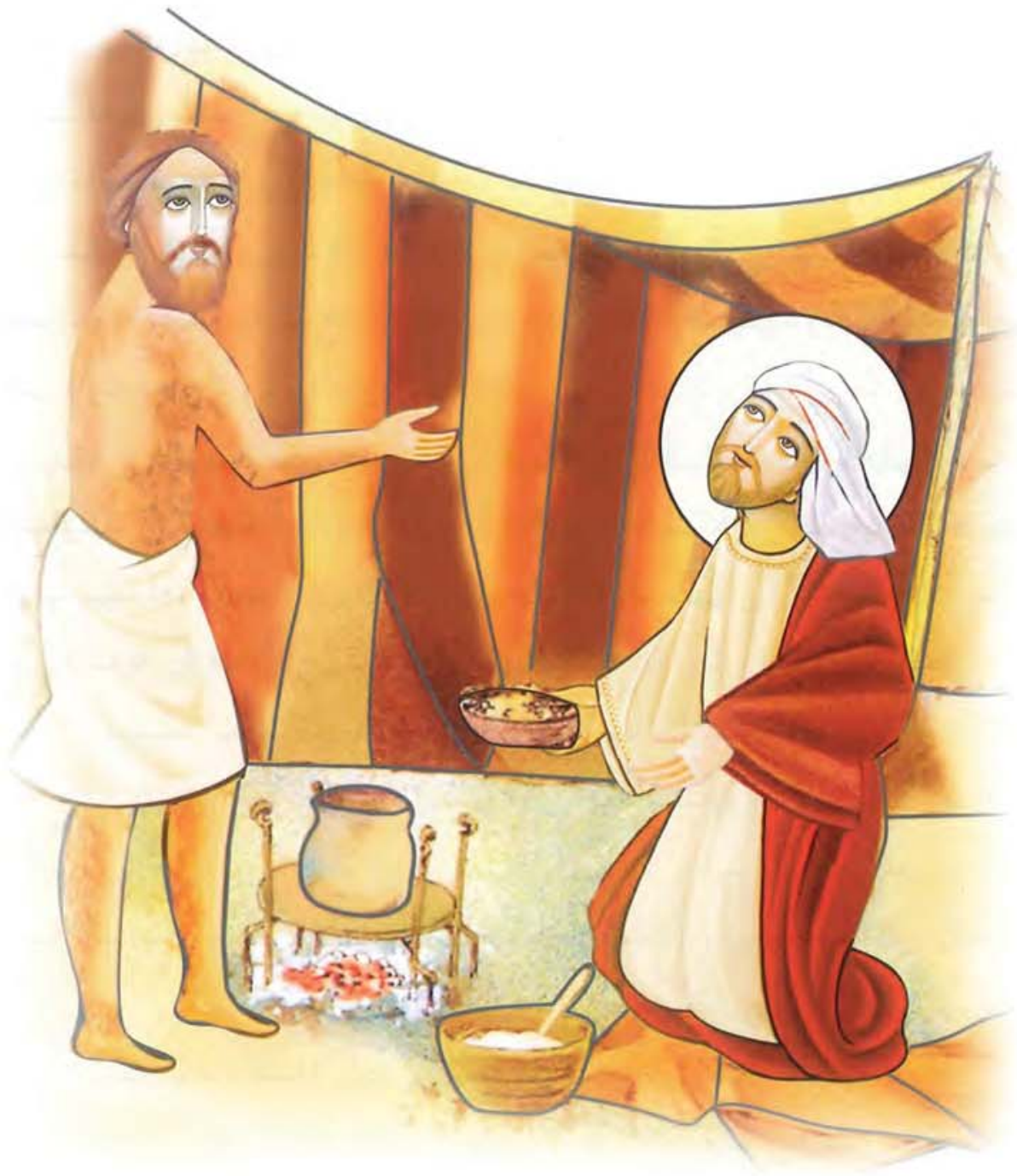
كان يعقوب فلاحاً مُحبباً للسلام، اتصف بالهدوء والحكمة، يتقي الله، ويخضع في طاعة لوالديه. أمّا عيسو فكان صياداً، اتصف بالعنف. لذلك أحببت رفقة ابنها الأصغر يعقوب أكثر من عيسو.

ذات يوم عاد عيسو من الصيد وكان جائعاً ومُرهباً، ووجد أخاه يعقوب قد أعدّ طعاماً من العدس. انتهى عيسو أن يأكل طبق عدس، فطلب ذلك من أخيه. عرف يعقوب عن عيسو استهتاره، فقال له: "أعطني البكورية، وأنا أعطيك طبق عدس". في استهتار وغباوة باع عيسو بكوريته.

ظهر عيسو كإنسان جسدي، إذ باع بكوريته لأخيه يعقوب من أجل طبق عدس أحمر، ودُعي أدوم لأن لحظة ميلاده وُلِدَ أحمر كفرو شعر رأسه. وقد ظهر استهتاره من قوله: "ها أنا ماضٍ إلى الموت فلماذا لي بكورية؟! هكذا احتقر عيسو البكورية.

أخطأ يعقوب إذ استغل إعياء أخيه، وساومه في أمر البكورية، لكنه كإنسانٍ روحيٍّ لم يبيع طبق العدس بصيدٍ ماديٍّ أو مالٍ، بل باقتناء البكورية التي تعني نوال البركة.

إن كان عيسو يُمثّل الإنسان المُستهتر الذي يُفرط في النعم الروحية من أجل لقمة العيش وشهوات الجسد، وهذا كان خطأ من جانبه، فإن يعقوب يُمثّل الإنسان المُحبّ للروحيات.



شاخ إسحق، وضَعَفَت عَيْنَاه. سأل ابنه عيسو أن يصطاد شيئاً، ويطبخه،
ويُقَدِّمه له، فيُبارِكه.

سَمِعَت رفقة ما قاله إسحق لعيسو، وكان عيسو عنيفاً مع والدته.
استدعت رفقة ابنها يعقوب، وطلبت منه أن يأتي إليها بجذيين تطبخهما
لإسحق، فيُقَدِّم الطعام مُدَّعياً أنه عيسو، ويُبارِكه أبوه. اعترض يعقوب خشيةً أن
يكتشف أبوه الأمر، فتحلَّ به لعنة عَوْض البركة. لكن الأم صمَّمت أن يفعل هذا،
وقدَّمت له من ثياب أخيه، وطلبت منه أن يُغَطِّي رقبته وذراعيه بجلدٍ من الماعز.
تمَّ يعقوب مشورة أمه.

قال له إسحق: "صوتك هو صوت يعقوب. تقدِّم لأجسَّ يديك لكي أتأكد أنك
عيسو"، وإذ وَجَدَ يديه مُشعِرَتَيْن وأيضاً رقبته، تأكَّد أنه عيسو. وبعد أن انتهى من
الأكل بارك يعقوب وجعله وارثاً له.

خرج يعقوب ودخل عيسو بكمية من الطعام. أدرك إسحق أنه قد خُدِعَ،
فاضطرب. رفع عيسو صوته وبكى، طالباً البركة أيضاً، لكن إسحق كان قد جعل
يعقوب سيِّداً له، وأعطاه كل البركة، ولم يتبقَّ لعيسو شيئاً.

٢٨- سُلْم يَعْقُوبِ وَالسَّمَاءِ الْمَفْتُوحَةِ

(تكوين ٢٨ - ٣٠)

خافت رَفَقَةُ على ابنها يعقوب من أخيه عيسو أن يقتله، إذ شعرت برغبته في الانتقام. فأشارت على رَجُلِهَا إِسْحَقَ أن يُبارِكِ ابنه يعقوب ويوصيه أن ينطلق إلى خاله لابان في حاران، ليتزوج من بناته زوجة تَقَدِّرُ أن تسنده في طريق إيمانه، ولا يرتبط كأخيه ببنات حث الوثنيات.

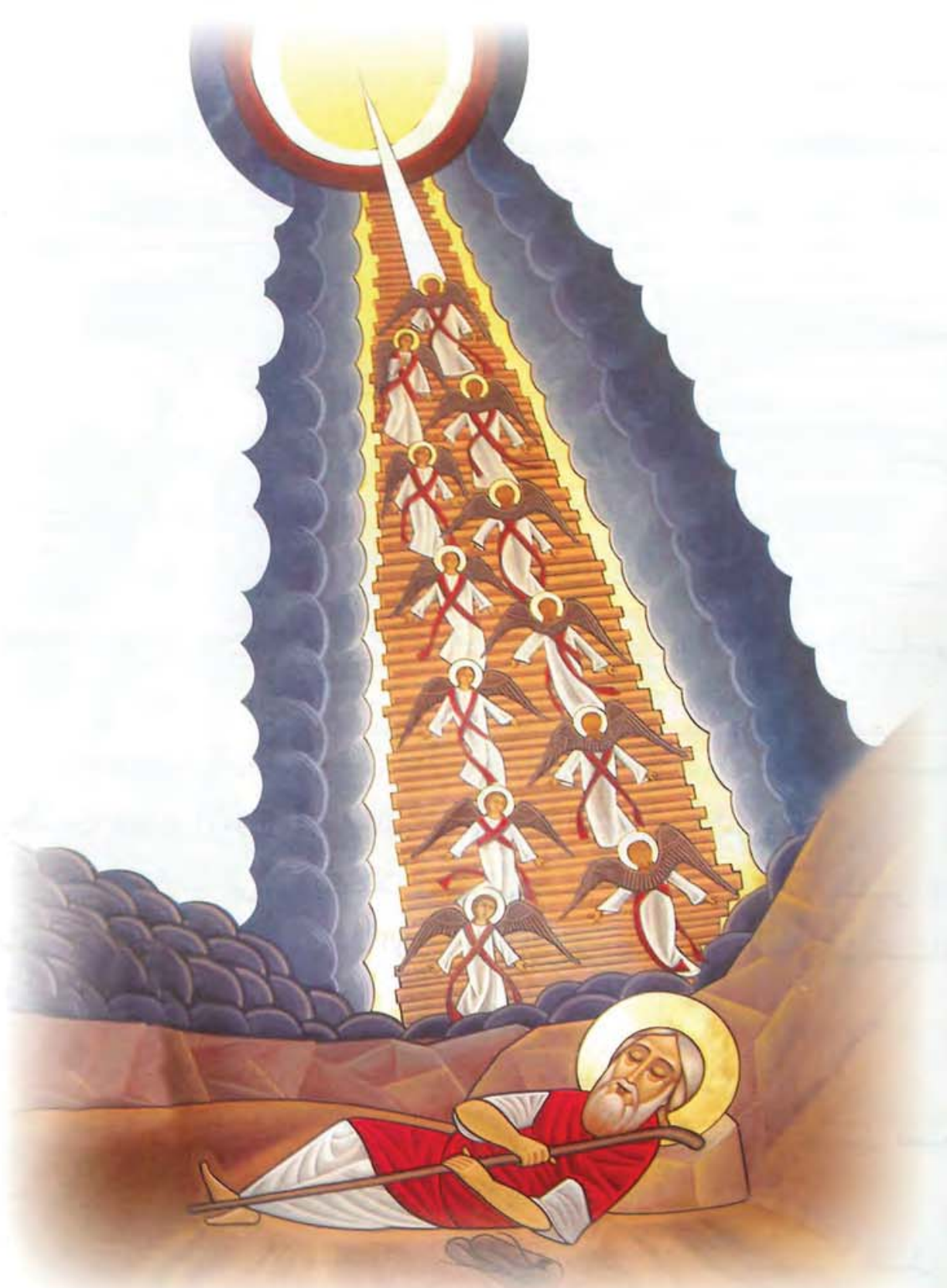
في نهاية اليوم الأول من رحلته الشاقّة أراد يعقوب أن يستريح، فوضع رأسه على حجر ونام. رأى في حُلْمٍ ملائكة صاعدين ونازلين على سُلْمٍ رأسه في السماء. هذه السُلْمُ هي رمز لصليب المُخْلِصِ، الذي فتح لنا أبواب السماء، وأيضاً رمز للسيدة العذراء التي نزل عن طريقها الله إلى عالمنا.

سمع يعقوب الرب الإله من فوق السُلْمِ يقول له: "أنا الرب إله إبراهيم وإله إسحق، الأرض التي ترقد عليها هي هبة لك ولنسلك. كل الأمم تتبارك فيك وفي نسلك. ها أنا معك! إني لن أنساك!".

استيقظ يعقوب، وكان قلبه مملوءاً بالمهابة، فصرخ: "حقاً، إن الرب في هذا المكان! ما أرهب هذا المكان! ما هذا إلا بيت الله، وهذا باب السماء!" أخذ الحجر، وأقامه عموداً، وصبّ عليه زيتاً، ودعى الموضع "بيت إيل" أي بيت الله. إذ تمتع يعقوب بسلام الله خلال السُلْمِ، أسرع نحو فدان آرام، فرأى بئراً في حقل وثلاثة قطعان من الغنم رابضة تنتظر من يرفع الحجر الكبير الذي يُغَطِّي البئر حتى يسقي الكل منه.

إذ كان يعقوب يتحدّث مع الرعاة أبصر راحيل قادمة ومعها غنم خاله لابان، فتقدّم ودحرج الحجر عن فم البئر، وسقى غنم خاله. وقبّل يعقوب راحيل، ورفع صوته وبكى، وأخبرها أنه ابن رفقة، فركضت وأخبرت أباها.

جاء لابان وقال له: "إنما أنتَ عظمي ولحمي، فأقام عنده شهراً". وكان يعقوب يرعى غنم خاله بكل أمانة. شعر لابان أنه لا يستغني عنه فسأله كم تكون أجرته؟ أحبَّ يعقوب راحيل ابنة لابان الثانية. طلب الزواج منها، فسأله أن يعمل لمدة سبع سنوات كمهرٍ لها. عَبَرَتِ السنوات بسرعة من أجل محبته لراحيل. وفي يوم عرسِهِ إذ كانت العروس تُرَفُّ في وليمة الزواج وهى مرتدية بُرَقَعًا أحمر، وفي الليل لم يكن سهلاً أن يُميزها حيث النور الخافت أو الظلام. في الصباح اكتشف يعقوب أن لابان خَدَعَهُ، إذ وجد نفسه مع أختها الكبرى ليئة، غضب يعقوب جداً، لكنه إذ تذكَّر أنه خدع أباه إسحق، هدأ. قدَّم له لابان عرضاً آخر أن يعمل معه سبع سنوات أُخرى مهراً لراحيل. تحقَّقت رغبته وتزوَّجها، وكان يحبها أكثر من ليئة.



٢٩- عودة يعقوب إلى كنعان

(تكوين ٣١ ، ٣٢)

شعر بنو لابان أن يعقوب اغتنى جداً، وحسبوا أنه أخذ كل ما كان لأبيهم، وصنع لنفسه كل هذا الغنى، الأمر الذي جعل وجه لابان يتغير بالنسبة ليعقوب. في ذلك الوقت، قال الرب ليعقوب: ارجع إلى أرض آبائك وإلى عشيرتك، فأكون معك".

إذ كان يعقوب راجعاً إلى كنعان ومعه زوجته وأولاده ورجاله مع غنمه ومواشيه، لاقته في الطريق ملائكة الله.

يبدو أن عدد الملائكة كان ضخماً، حتى دعاهم يعقوب "جيش الله". ونحن ما دمنا مع الله نسير في موكب إلهي، ترافقنا الملائكة المحبين لخلصنا. في ضعفٍ بشريٍّ خشي يعقوب أن ينتقم منه عيسو. بعث بعض الرُّسل يتقدّمون الموكب ومعهم رسالة استعطاف، كي يصرف غضبه، ولا يدخل في معركة مع أخيه.

سمع عيسو الرسالة، وكان غنياً جداً، فخرج للقاء أخيه ومعه أربعمئة رجلٍ من عبيده، الأمر الذي أربع قلب يعقوب، فضاقت به الأمور. التجأ يعقوب إلى الله بالصلاة وفكّر في تقسيم موكبه إلى جيشين، حتى إذا هاجم عيسو الجيش الأول يهرب الآخر، كما فكّر في تقديم هدية محبة استرضاءً لأخيه.

ذات ليلة، إذ رقد لينام ظهر له شخص عجيب، وصارع معه. بدأ الفجر يحلّ، فطلب الغريب منه أن يُطلِّقه، ثم ضربه على مفصل فخذه فشعر بقوته العجيبة، وأدرك يعقوب أن هذا الغريب من السماء. فقال له يعقوب: "لا أطلقك إن لم تُباركني". فقال له: "ما اسمك؟" فقال: "يعقوب". فقال: "لا يُدعى اسمك في ما بعدُ يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت". وكانت هذه الحادثة إحدى ظهورات الابن في العهد القديم.

« لا أطلقك إن لم تباركني »

(تك ٣٢ : ٢٦)



هياً الله قلب عيسو، فأشعل فيه مشاعر الأخوة، وألهبَ فيه الحنين نحو لقاء أخيه. ركض للقائه، ووقع على عنقه وقبّله وبكيا. كما طلب منه أن يستضيفه مع كل موكبه.

اعتذر يعقوب بأن أولاده صغار، وغنمه مرهقة، فهو مضطراً إلى الإبطاء في الحركة، سائلاً عيسو أن يتقدمهم، فأراد عيسو أن يترك من رجاله من يسندونه ويرشدونه، لكن يعقوب رفض.

أول عمل قام به يعقوب عند عودته أرض كنعان هو أنه بنى مذبحاً للرب.

٣٠- أيوب البار

(سفر أيوب)

في عصر الآباء، غالبًا في أيام إبراهيم أو حفيده يعقوب، وُجِدَ إنسان ليس من نسل إبراهيم، وكان خائف الله، يُقدِّم ذبائح يومية من أجل أبنائه ليعيشوا في التقوى، ويغفر الله لهم أي تصرف خاطئ لا إرادي.

كما كان أيوب يُحب الطهارة والعفة، لا يتطَّلع إلى فتاة أو سيِّدة بنظرة شريرة، وكان مُحِبًّا للفقراء، يحسب نفسه أبًا لهم، ويقوم باستضافة الغرباء.

في لقاء مع الله، تحدَّث الشيطان معه دون أن يرى مجده.

اشتكى الشيطان أيوب بأنه يتَّقِي الله من أجل كثرة الخيرات التي وهبها له. وطلب أن يسمح له بالألم، فسيُجَدِّف عليه كما يفعل الآخرون.

خطَّط الشيطان لِيَسْلِبَ من أيوب كل شيء.

جاءت لأيوب رسائل عاجلة مُثيرة بأن كل ما يملكه من غنم ومواشٍ قد سُلِبَت، وحدث هبوب ريح على بيت أحد أبنائه الذي كان كل إخوته بعائلاتهم مُجتمعين عنده، فمات جميع أولاد أيوب بأولادهم وبناتهم.

خلال سلسلة مُستمرة من الرسائل المُرَّة التي كانت تأتيه، كان يحني أيوب رأسه في خضوع لإرادة الله، قائلاً: "الرب أعطى، الرب أخذ، فليكن اسم الرب مُباركًا".

عاد الشيطان ليشتكى أيوب طالبًا من الله أن يسمح له بأن يمدَّ يده إلى جسده. وبالفعل ضُربَ جسده بالقروح من رأسه إلى أخمص قدميه.

في كل هذا كان أيوب يُبارك الرب ويشكره، فثارت عليه زوجته.

جاء إليه ثلاثة من أصدقائه ليعزوه، وعوض أن يُقدِّموا له كلمة تعزية، كادوا أن يُحطِّموا نفسه، ويفقدوه سلامه الداخلي. أضافوا إلى متاعبه ما يزيد من آلامه. لقد أصرّوا أن أيوب ارتكب آثامًا خطيرة مخفية عن البشر، لكنها معروفة لدى الله. هذه هي تعزيات البشر، إنها باطلة!

حاول أيوب أن يدافع عن نفسه بلا جدوى. وفي نفس الوقت كان يُعاتب الله الذي سمح له بهذه التجارب التي أعثرت الكثيرين فيه.

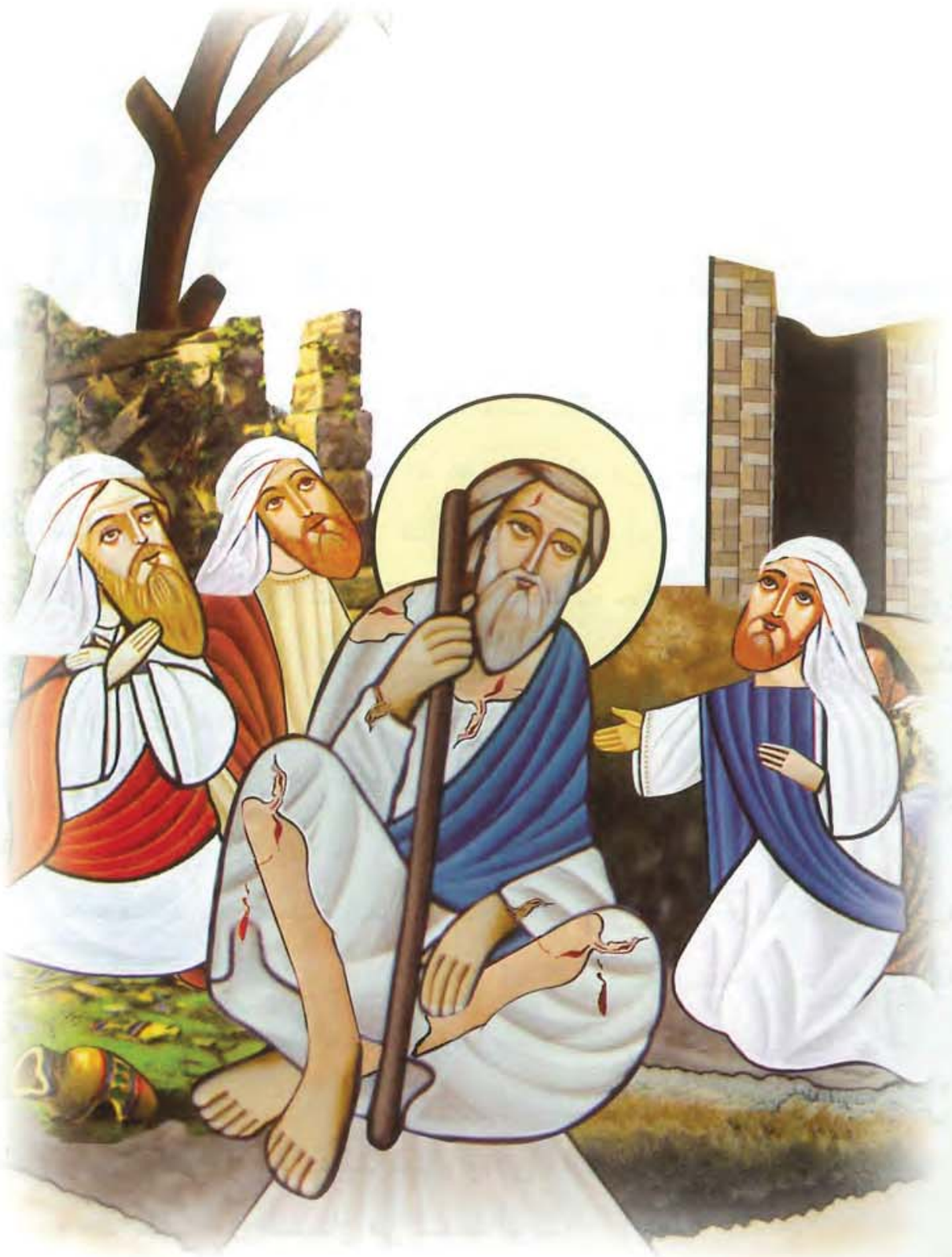
بينما كان الأصدقاء مُصمِّمين أن يعترف أيوب بخطايا الخفية التي سببت له هذه الكوارث المتلاحقة، وأن يسأل الله المغفرة عنها، إذا بالله يظهر له. لم يوبّخه الله على خطايا خفية، وإنما قدّم له أسئلة ليُدرك عجزه عن فحص حكمة الله وخطته وتدبيره.

بدأ الله يسأل أيوب عن الكواكب والهواء والسحب والمطر. لقد أظهر له أنه هو الذي يوجّه كل الخليقة، ويرعاها بعنايته الإلهية في حديث مُستفيض. أدرك أيوب أنه كان يليق به أن يثق في رعاية الله الفائقة، حتى حين يسمح له بتجارب تبدو غير مُحتملة.

لم يعد أيوب يتكلّم لكي يحتجّ على ما حلّ به، وإنما في تواضع يتوسّل لكي يكشف له الله عن حكمته، فإنه مُشتاق أن يتعلّم.

مهما بلغت حكمة الإنسان فإنه كإنسان لا يقدر أن يُدرك فكر الله، وأن يتعرّف على خطته من جهة أبعده.

تغيّرت لهجة أيوب، لم يعد يحاور الله كمن هو عالم بكل شيء، لكنه يعترف أنه مُحتاج إلى الله نفسه ليشرح له ما لا يدركه. إنه لا يكفّ عن أن يسأل لكي يهبّه الرب فهماً. يطلب في تواضع أن يتعرّف على الحق الإلهي.



لم يَعُدْ أيوب يطلب أن يدخل في حوارٍ وجدالٍ مع الله، لكنه يسأل أن يسمح له أن يجلس عند قدميه ويتعلّم منه ما هي طرقه الإلهية غير المُدرّكة. أدرك أنه يصعب على الفكر البشري أن يُدرك محبة الله وخطته حتى بالنسبة للآلام. فإنّ الله وحده الذي يسمح بها يعرف الحدود التي تُناسب كل إنسانٍ.

هكذا يليق بالمؤمن أن يثق في كلمة الله ومحبته.

تحدّث الله مع أيوب في شيء من الحزم، لكنه هو المُعزّي الحقيقي الذي وإن سمح بالتجربة يُقدّم المنفَذ، وإن سمح بالجرّاحات فهو يشفي، بل ويُمجّد المُجربين.

أظهر أيوب في إجابته على الرب خضوعاً عجيّباً، فتجلّى الرب أمامه. إذ انتهت المحاكمة لم يترك الله أيوب ليموت في وسط آلامه. فقد وهبه أكثر ممّا كان يتصوّر، ضِعف ما فقدَ من ممتلكاته وأيضاً ما يُعادل أبناءه وبناته، لأن الذين رقدوا هم أحياء عنده. لقد أراد الله بنهاية حياة أيوب أن يُعلن أنه يودّ أن يُسرّ الإنسان بعطايا الله ويتنعم بها ما دامت عيناه تتطلّعان إليه وقلبه يُقدّم ذبيحة شكرٍ وتسبيح.

لم يُبرّرهُ فحسب، بل وأقام منه شفيحاً عنهم، فصار رمزاً للسيد المسيح الشفيع عن البشرية المقاومة له.

تصرّف الرب عجيب، يُذهل الإنسان! فإنّه وإن عاتب أيوب في حديثه الشخصي معه، وكشف له عن عجزه عن إدراك قوّة الله وحكمته وخطته، إلاّ أنّه أمام الأصدقاء الذين قاوموه يُمجّده؛ يحسبه شفيحاً عنهم أمامه.

تعزّى أيوب بهذا اللقاء، وسجد أمام الله إلى التراب في تواضعٍ حقيقيّ. تهلّلت نفسه قائلاً: "بالسمع سمعتُ عنك، والآن رأيتُك عيناى!".

وهكذا خاب أمل الشيطان في اسقاط أيوب.



٣١- يوسف بن يعقوب

(تكوين ٣٧)

كان ليعقوب اثنا عشر ابناً، أصغرهم بنيامين، وكان يوسف أخاه من أمّه راحيل التي كانت عاقراً إلى زمن طويل.

كان الجميع رعاة غنم، وكان عندهم بقرٌ كثيرٌ.

أحبَّ يوسف رعاية الغنم منذ صباه، إذ كان يُحب الحيوانات والطيور كما كان يعشق الطبيعة.

رأى والده الشيخ جالساً يستظلّ تحت شجرة. أسرع إليه وتحدّث معه، إذ كان يشعر بعذوبة صوته، اشتاق أن ينصت إلى نصائحه، لكي يتعلّم منه الحكمة. ابتسم أبوه ومال نحوه، وضَمَّه إلى صدره، وهو يقول: "ماذا أفعل لك يا ابني يوسف؟ إنني سأقدّم لك مفاجأة الليلة"، ثم قبّله.

بالليل إذ كان الاثنا عشر أخاً جالسين في الخيمة، قدّم له أبوه يعقوب هدية، وقال له: "إنك ابن مُطيع. هذه هديّة رمزيّة لك!".

في استياء شديد تطلّع إخوته الكبار نحوه ونحو الهدية.

همس أحدهم: "هدية! لم يُقدّم لنا أبونا هديّة قط!".

همس آخر: "إنه يُدللّ يوسف ويُفسده".

وقال ثالث: "هل هذا عدل؟ لماذا المُحاباة؟!".

صارت نظراتهم إليه تعني الرغبة في الانتقام، ولم يكن يوسف في ذلك الحين يفهم ما يجري حوله.

في خجل شكر والده يعقوب، ولم يفتح الهدية. لكنّ والده أصرّ على فتحها. وكانت المفاجأة: إنها قميص ملوّن! إنه لباس الشخص المسئول أو السيّد صاحب السلطان!

قال أحدهم: "نحن نتعب طول النهار في رعاية الغنم ونرتدي ثيابًا خشنة
وجلودًا، ويوسف الصغير يرتدي قميصًا مَلُونًا. ما هذا الظلم!
حسده إخوته، أمّا هو فكان يحبّهم ويخدمهم.



٣٢- حُلْمَان

(تكوين ٣٧)

إذ كان يعقوب وأبناؤه يجلسون سويًا، أعطوا العشرة الإخوة ظهورهم ليوسف، ولم يطيقوا رؤية وجهه. أما هو فكان يُحبّهم ويشتاق أن يتطلّع إليهم. قال لهم: "بالأمس رأيتُ حُلْمًا، وكان الحُلْم واضحًا جدًّا. كان وقت حصاد، وكنا جميعًا في الحقل. انتصبتُ حزمتي، وانحنت جميع حزمكم أمام الحزمة التي جمعتها أنا".

في ليلة أُخرى قال لهم: "لقد رأيت حُلْمًا".

قال أحدهم: "لا نريد أن نسمع شيئًا عن أحلامك!".

قال أبوه يعقوب: "ارو لنا الحلم".

قال: "رأيت الشمس والقمر وأحد عشر كوكبًا يسجدون أمامي!".

ثار جميع إخوته، وقالوا: "ماذا تعني؟ أنسجد لك؟!".

تضايق أيضًا والده قائلاً: "هل تعني إني أنا ووالدتك (أو ليئة) وإخوتك

نسجد لك؟!".

قال: "لا أقصد هذا يا أبي، إنما أنا أروي لك ما رأيت في الحُلْم كما هو".

أما إخوته العشرة فلم يحتملوا هذا الأمر، وفكروا كيف يمكن الخلاص منه.

ذات يوم كان هو وأخوه بنيامين في البيت والعشرة الإخوة كانوا يعملون

في حقلٍ بعيدٍ جدًّا. طلب منه والده يعقوب أن يفتقد إخوته، ويسأل عن سلامتهم،

ويأخذ لهم طعامًا. بكل محبة خرج يوسف يبحث عنهم، ولمّا عرف موضعهم

أسرع إليهم فرحًا.

وإذ رآه من بعيد قالوا: "إنها فرصتنا للخلاص من صاحب الأحلام".

سمع أحدهم يقول في سخرية: "هوذا صاحب الأحلام قادم!".

تطلّع كل واحدٍ إلى الآخر. وقال أحدهم: "هذه فرصة لا تُعوّض! ماذا

تنتظرون؟ هلّمّ نقله ونتخلص منه".



توسّل إليهم رأوبين وهو أكبرهم سنًا، قائلاً: "لا، لن نقتله. لنلقه في البئر إلى حين في البريّة، فيتعلّم درسًا لن ينساه، لا نسفك دمه!".

إذ اقترب إليهم يوسف هجموا عليه، وخلعوا عنه القميص الملوّن دون أن ينطق أحد بكلمة، وألقوه في جُبّ عميق.

جلسوا لياكلوا ممّا أحضره لهم.

صار يتوسّل إليهم أن يعفوا عنه فلم يستجيبوا لصراخه المرّ ودموعه. سمع يهوذا يقترح عليهم أن يبيعه لتجار ذاهبين إلى مصر مقابل ٢٠ قطعة من الفضة. ووافق الجميع على رأيه.

أنزلوا له حبلاً، فأمسك به ورفعوه، ولم يكن رأوبين حاضرًا أثناء بيعه. وجدّ يوسف نفسه بين قافلة معها جمال، وقدموه لهم، وقالوا لهم: "هذا هو الصبي؛ إنه جميل وبصحة جيّدة، يكون لكم عبدًا يخدمكم"، وقدمت القافلة عشرين من الفضة ثمنًا له، وكانت دموعه تجري بغزارة من عينيه.

عاد إخوته إلى والدهم يعقوب، وقدموا له القميص الملوّن بعد أن لطّخوه بالدم، وقالوا له وهم يبكون: "انظر! هل هذا هو قميص أخينا؟".

أجاب: "هو بعينه. أين يوسف ابني؟".

قالوا: "وحش رديء افترسه!".

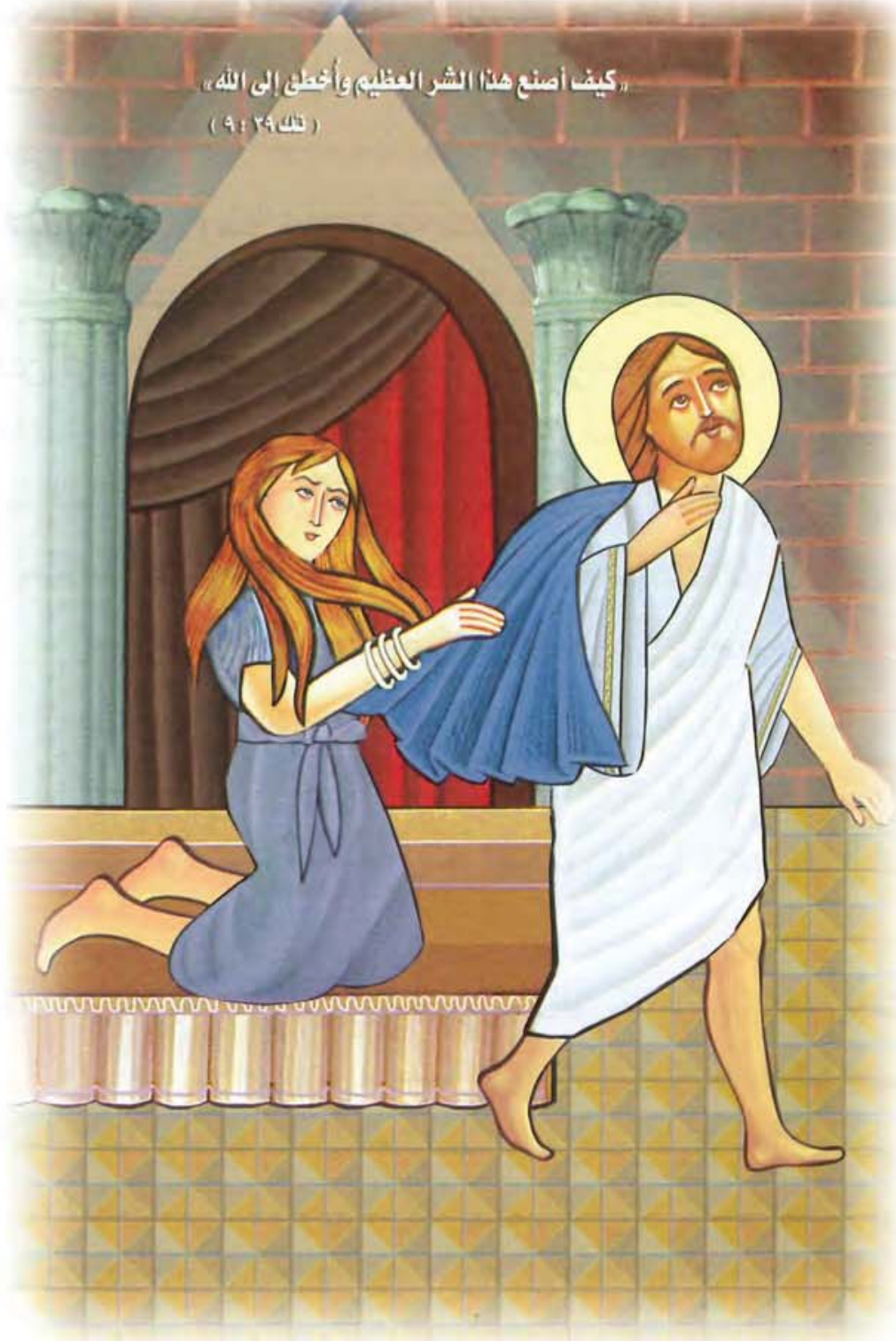
صارت نفسه مرّة، ومزّق يعقوب ثيابه، وكان يصرخ: "ابني يوسف ليس

موجودًا".

٣٣- يوسف وامرأة فوطيفار

(تكوين ٣٩)

جاءت به القافلة إلى مصر؛ هناك باعوه إلى فوطيفار رئيس شرطة مصر.
تعلم اللغة المصرية القديمة "الديموطيقية"، كما تعلم عادات المصريين.



صار يعمل في بيت فوطيفار بأمانة. أعطاه الرب نعمةً في عينيه، فأحبه
جدًّا وسلّمه كل شئون بيته.

سأله فوطيفار: "لماذا كل ما تعمله تنجح فيه؟".

أجابه: "إنها عطية الله، فهو يهبنا البركة والنجاح!".

فوجئ يوماً بسيّدته امرأة فوطيفار تمسكُ به، وكان وحده معها في البيت.
طلبت منه أن يصنع خطأ معها. أمسكت به، للحال ترك ثوبه في يدها، وهرب
وخرج إلى خارج.

أمسكتُ بثيابه وصرخت لتتّهمه بالشرّ، فصدّقها رجُلها، وحمي غضبه
عليه. وُضع يوسف في بيت السجن، المكان الذي كان أسرى الملك محبوسين
فيه. ولكن الرب كان مع يوسف، وأعطاه نعمةً في عينيّ رئيس بيت السجن.

٣٤- مفسر الأحلام

(تكوين ٤٠ - ٤١)

دخل السجن ظلماً ولم يوجد من يدافع عنه، لأنه عبدٌ غريب، لكن إلهه كان معه يُعطيهِ سلاماً وفرحاً. أعطاه الربّ نعمةً في عينيّ رئيس بيت السجن، فسلمه كل إدارة السجن. وكان الرب معه، ومهما صنع كان الرب يُنجِّهه".

غضب فرعون على رئيس خبازيه ورئيس السقاة، فألقاهما في السجن.

ذات يوم لاحظ يوسف أن ساقى الملك وخباز الملك المسجونين كانا حزينين، سألهما عن سبب حزنهما، فأجابا أنهما مضطربان بسبب أحلامهما. قال لهما يوسف: "أخبراني كل منكما بحلمه، وبمعونة الله أشرحه لكما".

رأى رئيس السقاة كرامةً ذات ثلاثة فروع، أفرخت وأزهرت ونضجت عناقيدها، أخذ ساقى الملك من العنب، وعصره في كأس، وقدمه للملك ليشرب. قال له يوسف إن الثلاثة فروع هي ثلاثة أيام، وأن الملك سيردك إلى عملك كساقى له. طلب منه أن يذكره عند الملك عندما يرجع إلى عمله.

أما الخباز فرأى في حلم أنه يحمل ثلاث سلال على رأسه. وكانت الطيور تأكل من خبز فرعون الذي في السلة العليا. قال له يوسف إن الثلاث سلال تشير إلى ثلاثة أيام في نهايتها تعلق رأسه، وتأتي طيور السماء لتأكل لحمه.

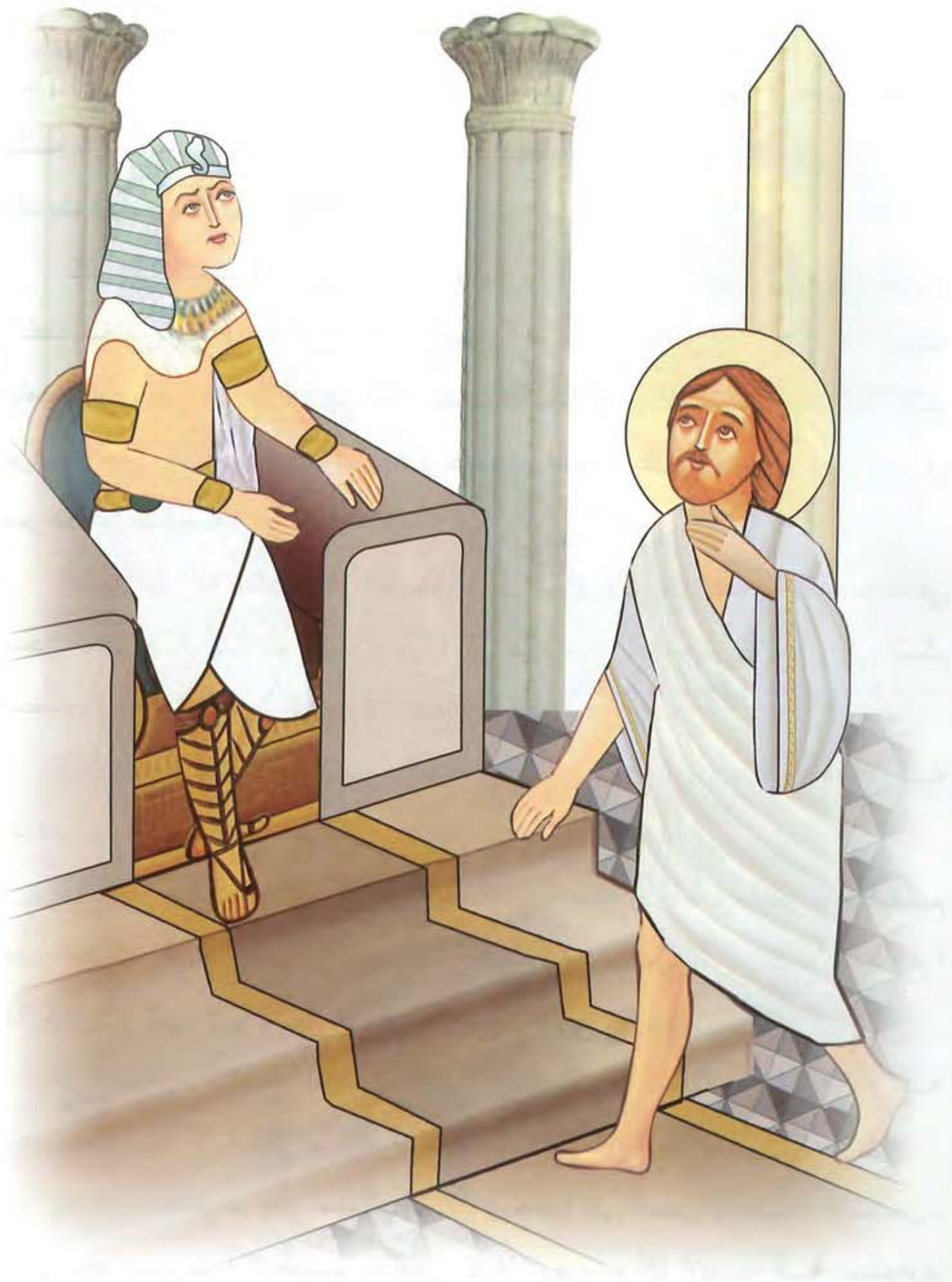
تحقق ما قاله يوسف. تهلّل ساقى الملك جدّاً، لكنه سرعان ما نسي ما قاله له يوسف. أمّا الله فلم ينس يوسف في السجن.

بعد عامين رأى فرعون ملك مصر حلمين. لم يستطع كل الحكماء أن يفسروها له. انزعج فرعون، واستدعى كل سحرة مصر وحكمائها وروى لهم الحلمين، فلم يوجد من يفسرهما له. تذكر رئيس السقاة يوسف، وتحدثت مع فرعون عنه، فاستدعاه من السجن. حلق يوسف شعره وأبدل ثيابه، ودخل على فرعون.

أخبره الملك أنه رأى في حلم أنه كان واقفاً بجوار نهر عندما جاءت سبع بقرات حسنة المنظر وسمينة لتشرب، وجاءت بعد ذلك سبع بقرات قبيحة المنظر رقيقة اللحم. هذه البقرات النحاف أكلت السمان. بعد ذلك رأى سبع سنابل من القمح مملوءة بالحنطة سمينة وحسنة، وسبع سنابل أخرى جافة وملفوحة بالريح ولا تحمل حنطة، فإذا بالأخيرة تأكل الأولى.

أخبره يوسف أن الحلمين يحملان نفس المعنى. فستأتي سبع سنوات تكون فيها الخيرات وفيرة للغاية في كل أرض مصر، يتلوها سبع سنوات قحط شديد، تكتسح كل خيرات السنوات السبع الأولى. وأن تكرار الأمر مرتين هو تأكيد أن الله هو مقرر الأمر، وأن الله مُسرِع ليصنعه. وأشار يوسف على الملك أن يبني مخازن، ويجمع ما استطاع في السنوات الأولى لتسند الدولة كلها في أثناء الجفاف.

فرح الملك بيوسف جداً، وقال له: "مبارك أنت بروح الله، أنت رجلٌ حكيمٌ، ضع خطة لإنقاذ البلد في سنوات الجوع. أقم في القصر معي، واستخدم مركبة ملوكية. إنك تصير مثلي، ليس من يتعداك. أنت الرجل الثاني بعدي مباشرةً، لتُدبر كل الأمور بحكمتك.. إني مُتأكد أنك تُدرك خطة الله. اعمل ما يحسن في عينيك".



٣٥- لقاء يوسف مع إخوته

(تكوين ٤٢ - ٤٥)

وهبَ الله يوسف حكمة، فبنى مخازن ضخمة جداً، وكان يجمع الفائض من الغلال فيها، ولم يكن مُسرفاً قط في فترة الفيض من الخيرات. وإذ حَلَّتِ المجاعة تهَلَّتْ كل مصر بحكمة يوسف، إذ صار لديها مخزوناً يمكن به تدبير احتياجات البلد طوال سنوات المجاعة.

كان يوسف يتوقَّع مجيء إخوته ليشتروا قمحاً من مصر. وبالفعل إذ فرغت مخازن يعقوب جاء جميعهم ليشتروا قمحاً من مصر فيما عدا أخيه بنيامين الذي بقيَ في البيت مع أبيه. سجدوا أمامه دون أن يعرفوه، أمّا هو فعرفهم. اهتمَّ بهم وسألهم عن أبيهم وأخيه، واطمأن على سلامتهما دون أن يُخبرهم عن شخصه.

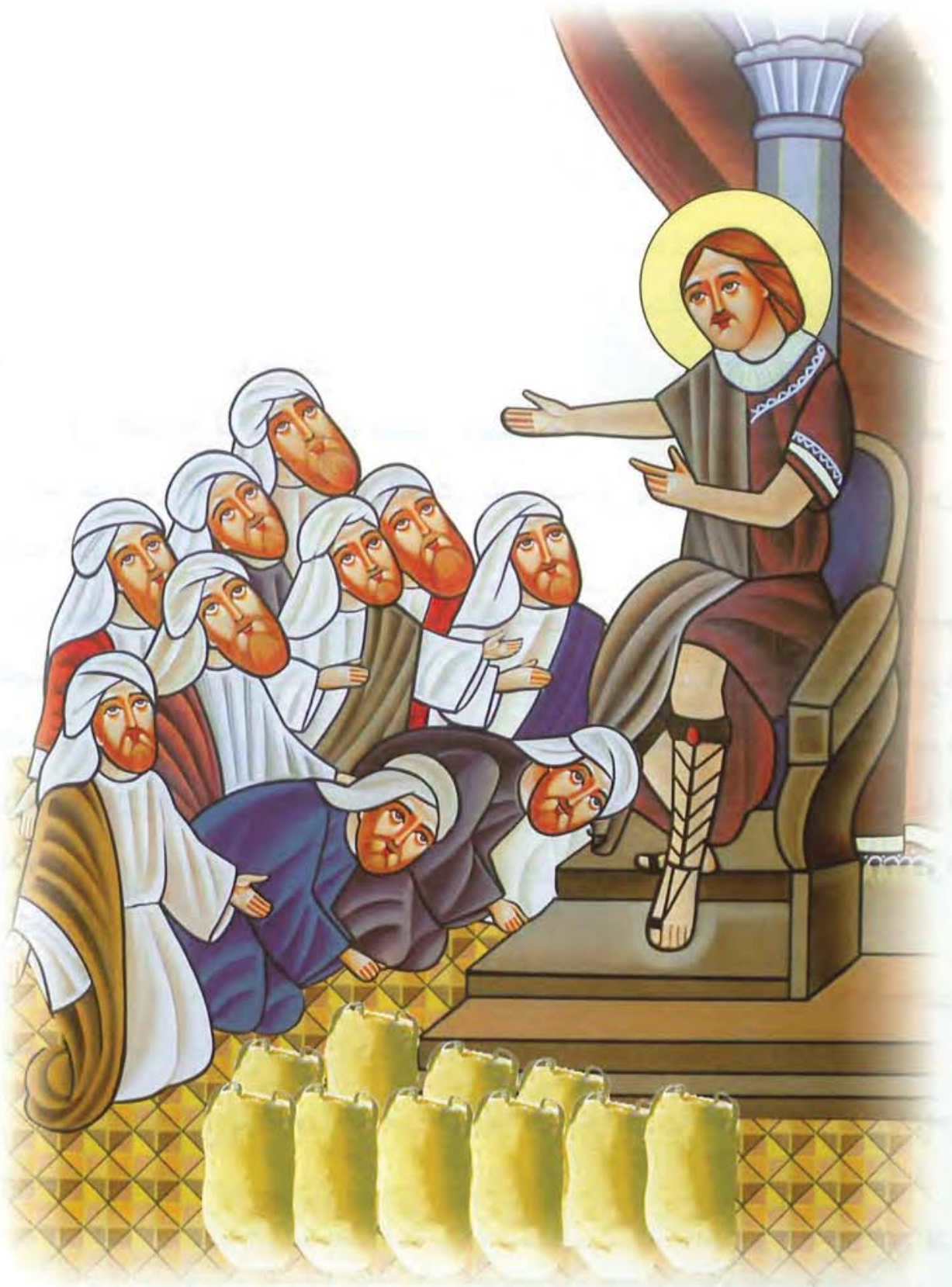
أظهر لهم أنه مُتشكِّك في أمرهم، وقال لهم: "إنكم جواسيس"، ووضعهم في السجن لمدة ثلاثة أيام، ثم أصدر أمراً: "إن كنتم لستم جواسيس، اذهبوا إلى بلدكم واحضروا أخاكم بنيامين إليّ، وأنا أحتفظ بشمعون في السجن".

وُضِعَتِ الحنطة في الأكياس الخاصة بهم، ودفَعوا الثمن. لكنه أمر رجاله بردَ فضّتهم في أكياسهم.

في الطريق اكتشف أحدهم أن الفضة في كيسه؛ ولمّا فتح الآخرون أكياسهم وجدوا فضّتهم فيها. خافوا جداً لئلاّ يظن فرعون أنهم لصوص، لكنهم لم يعرفوا ماذا يفعلون، غير أنهم ذهبوا إلى أبيهم ومعهم القمح والفضّة.

فرح يعقوب بالقمح، لكنّه إذ عرف أن الحاكم قد تشكَّك في أمرهم، وأنه يحتفظ بشمعون رهينة حتى يرجعوا ومعهم بنيامين حزين جداً.

إذ فرغ القمح لم يكن أمامهم إلاّ أن يرجعوا إلى مصر ومعهم بنيامين. لم يكن يعقوب يريد أن يعطيهم بنيامين. تدخل يهوذا وأكد لأبيه أنه سيعود ببنيامين. سمح لهم يعقوب أن يأخذوا بنيامين معهم.



جاء إخوته التسعة الكبار وبنيامين الصغير ومعهم الفضة المردودة وفضة أخرى وهدية. وقفوا أمامه، فطلب أن يأتوا إلى بيته.

هياؤا الهدية، ولما دخل البيت سجدوا أمامه إلى الأرض. فسألهم عن سلامتهم وسلامة أبيهم، واطمأن أنه حي.

تطلع إلى أخيه بنيامين ابن أمه، فحنّت أحشائه إليه جداً، فخرج من أمامهم ودخل المخدع وبكى. غسل وجهه وخرج إليهم.

أقام لهم وليمة، واشترك معهم شمعون. فرحوا جداً وتعجبوا أن العاملين قدّموا أمام بنيامين طعاماً خمسة أضعاف.

في الصباح إذ امتلأت أوعيتهم بالحنطة انصرف إخوته وحميرهم. وإذا خرجوا من المدينة طلب من الموكل على بيته أن يسعى وراءهم يبحث عن كأسه الذي يشرب فيه.

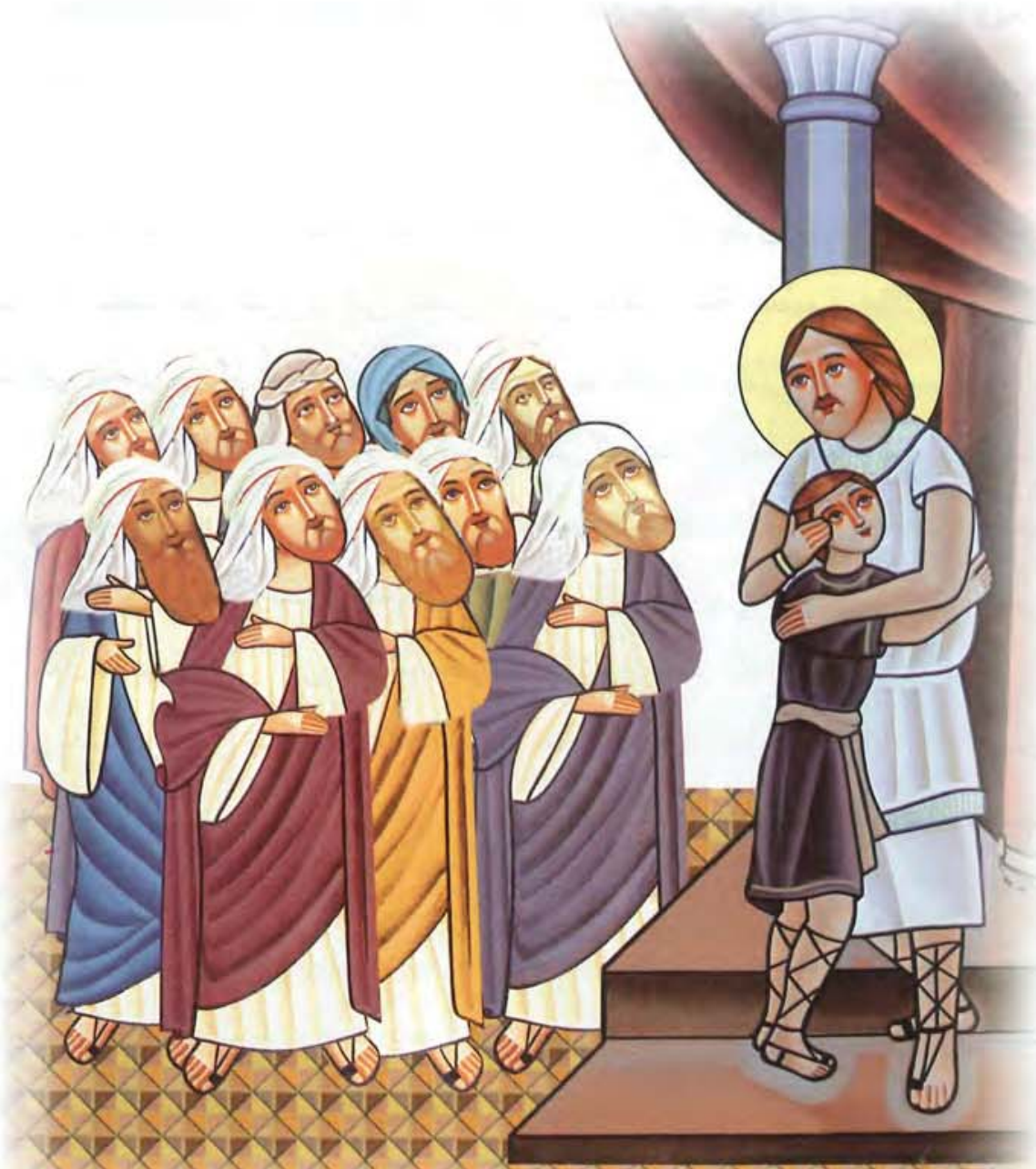
بعد فترة صغيرة لحق بهم بعض الفرسان يتهمونهم بأن كأس سيدهم الفضي قد سرقوه. وإذا كانوا متأكدين من براءتهم، طلبوا منهم أن يفتشوا الأوعية. فتش الرجال في أكياسهم فوجدوه في كيس بنيامين. مزق إخوته ثيابهم، ورجعوا إلى قصر يوسف، وسقطوا أمامه إلى الأرض، وهم لا يعلمون ماذا يفعلون. قال لهم يوسف أن يرجعوا جميعهم إلى أبيهم يعقوب بسلام، ويتركوا بنيامين الذي وجد الكأس في وعائه.

صرخ يهوذا قائلاً: "خذني أنا عبداً. ماذا يقول أبونا حين نرجع إليه بدون بنيامين؟ إنه يموت من الحزن، فإنه يحبّه جداً!"

أصرّ يوسف أن يبقى بنيامين له. قال الكل إنه لن يمكنهم العودة إلى أبيهم بدون بنيامين.

لم يقدر يوسف أن يضبط نفسه ويقاوم مشاعره. لقد تأكّد أن إخوته الآن قد صاروا بقلب صالح. فصرخ: "أخرجوا كل إنسان عني". ثم أطلق صوته بالبكاء، وقال لهم: "أنا يوسف أخوكم! أحيّ أبي بعد؟!"

ارتعبوا ولم ينطقوا بكلمة. قال لهم: "أنا يوسف أخوكم الذي بعتموه إلى مصر. إنه لاستبقاء حياة أرسلني الله قدامكم. ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا بل الله". ارتبكوا جدًّا وتأسفوا على ما سبق أن فعلوه به، وركعوا أمامه. أمَّا يوسف فلم يطلب منهم هذا، بل امتلأ قلبه فرحًا، إذ وجد إخوته، خاصة بنيامين. وقع على عنق أخيه بنيامين وبكى، وبكى بنيامين على عنقه. قبل جميع إخوته وبكى.



٣٦- يعقوب يرحل إلى مصر

(تكوين ٤٦)

كم كان يوسف مُشتاقًا أن يرى أباه، وأن يترك إخوته كنعان ويعيشوا في مصر. أرسل معهم مركبته ليأتوا بها مع أبيهم يعقوب في هذه الرحلة الطويلة. قدّم لهم زادًا وحللاً وهدايا وصرّفهم.

بصعوبة شديدة صدّق يعقوب هذه الأخبار المُفرحة! يوسف حيّ! ويحكم مصر بعد فرعون. لم يحتمل أن يتأخّر، بل تحرّك بسرعة مع كل العائلة بدون تردّد.

وسط هذا الحدث المُثير سمع يعقوب صوت الله يقول له: "أنا الله، إله آبائك. لا تخف من النزول إلى مصر، لأنّي أجعلك أمةً عظيمةً هناك. أنا أنزلُ معك إلى مصر، وأنا أُصعدُك أيضًا. ويضع يوسفُ يده على عينيك".
تحرّك يعقوب وعائلته (حوالي سبعين شخصًا)، مُتجهين إلى الجنوب الغربي. وانطلق يوسف إلى حدود شرق مصر لاستقبال أبيه. إذ التقى يوسف بأبيه وقع على عنقه، وبكى زمانًا.

قال له يعقوب: "الآن أموت بعد ما رأيتُ وجهك أنك حيٌّ بعد".

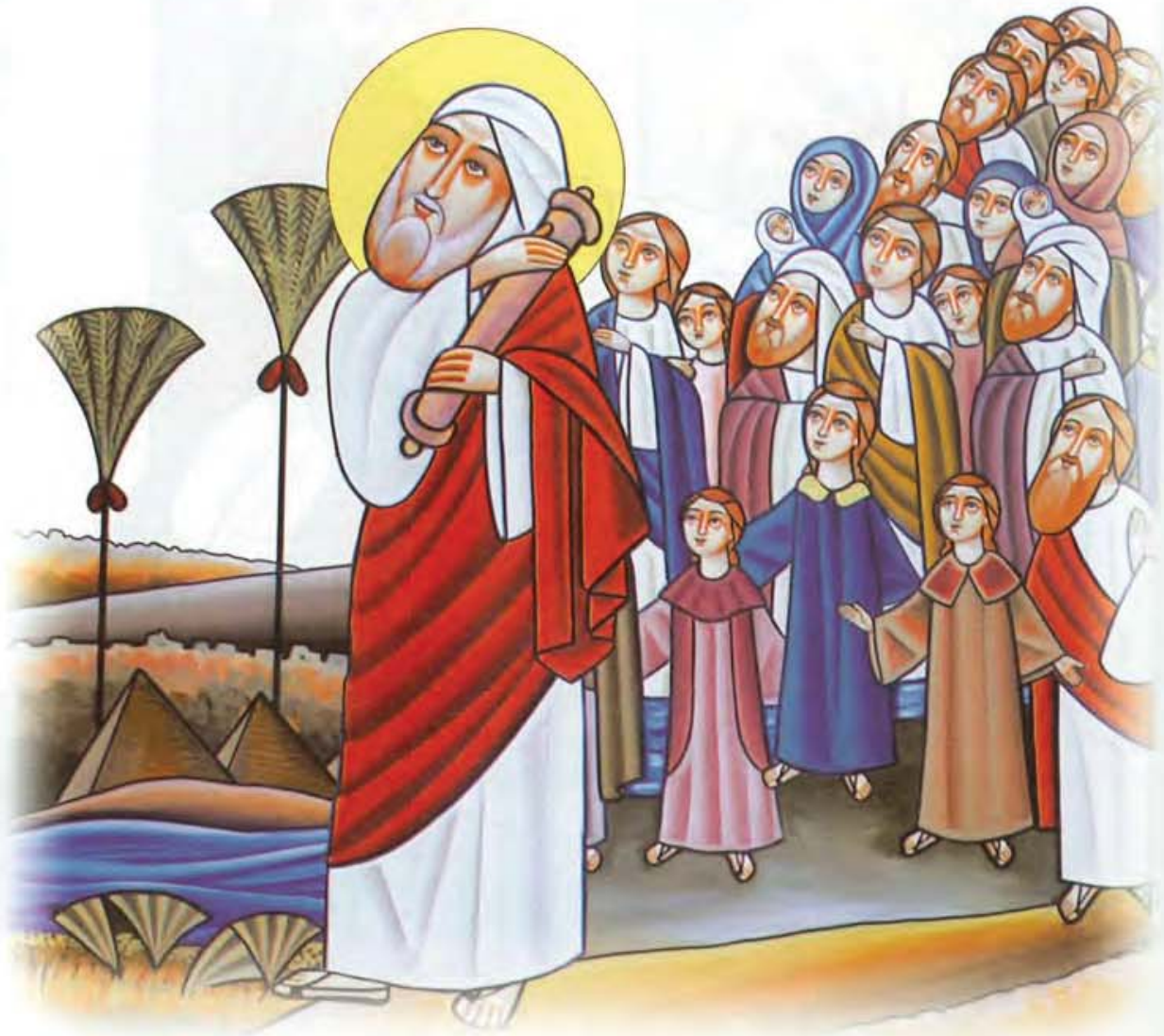
رحّب فرعون ببيعقوب وأحفاده في مصر، وبعد حوالي ٤٣٠ عامًا صاروا أمةً ضخمة وقويّة، وصارت تُدعى بني إسرائيل (يعقوب). كان الله يعدّهم شعبًا له يؤمنون به وينالون نبوّات عن مجيء المسيح مُخلّص العالم.

عاش يعقوب ١٧ عامًا في أرض جاسان بمصر، وعند موته بارك ابني يوسف: أفرايم ومنسى، فوضع يده اليمنى على رأس أفرايم الذي على يساره واليسرى على منسى الذي على يمينه. كانت يداه على شكل صليب، اليمنى على رأس الصغير واليسرى على الأكبر.

طلب يعقوب من يوسف أن يدفنه مع آبائه في حبرون بكنعان.

بارك يعقوب كل أبنائه، كل منهم ببركة خاصة به، أما يهوذا فحفظ له أعظم البركات، لأن منه يأتي السيّد المسيح، نسل المرأة. وكما قال له يعقوب: "لا يزول قضيبٌ من يهوذا، ومُشترَعٌ من بين رِجْلَيْهِ حتى يأتي شيلون، وله يكون خُضوعٌ شعوبٍ". تُعتبر هذه البركة بداية تحقيق الوعد الإلهي في جنة عدن عندما قال للحية (الشیطان): "أضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك، وأنتِ تسحقين عقبه".

أغلق يوسف عيني أبيه المحبوب بعد موته، وقام بتحنيط الجسد كعادة المصريين في ذلك الحين. وبعد ٧٠ يوماً من الحزن، في موكب رهيب حُمِلَ جسد يعقوب وانطلق به أولاده إلى كنعان لكي يُدفن هناك حسب وصيته.



بعد موت أبيه خاف إخوة يوسف لئلا ينتقم منهم، لكنه بكل محبة قال لهم:
"لا تخافوا. لأنه هل أنا مكان الله؟ أنتم قصدتم لي شرًا، أما الله فقصد به خيرًا ...
لا تخافوا. أنا أعولكم وأولادكم". عزّاهم وطيب قلوبهم.



الفترة الرابعة

قيام شعب خاص بالله

سجّل لنا موسى النبي بروح الله قيام هذا الشعب واستلامه الشريعة، والتزامه بالسلوك كما يليق بهم كشعب الله وسط الشعوب الوثنية. لكن للأسف كثيراً ما تدمروا على الله، وعصوا وصاياه، وكان الله طويل الأناة جداً معهم حتى يتجسّد كلمة الله مُخلص العالم، ويفتح باب الخلاص لجميع الأمم.

وردت أحداث هذه الفترة في أسفار: الخروج - اللاويين - العدد -

التثنية.

عبّرت قرون كثيرة منذ أن خلق الله الإنسان. وتزايد عدد البشر. قامت ممالك وأمم وبُنيت مدن كثيرة، ونشأت ثقافات مُتنوّعة. حقاً وُجد أفراد في كل أمة يتقون الله ويعبدونه، لكن لم توجد أمة بأكملها تُنسب لله كشعبه الخاص في ذلك الحين سوى سلالة يعقوب أو إسرائيل.

شعر أحد الفراعنة بأن اليهود صاروا قوّة داخل مصر، يمكن أن تتحرك ضده، فأذلّهم كعبيد يعملون بالسُّخرة (أي بدون أجر). في حوالي سنة ١٤٥٠ ق.م اختار الله موسى نبياً له، يُحرّر شعبه من عبودية فرعون، ويخرّج بهم من أرض مصر، ويسير معهم في البرية حتى جبال موآب على حدود كنعان أو أرض الموعد.

٣٧- الرضيع في النهر

موسى النبي

(خروج ١ - ٢ : ٤-١)

وقف فرعون في قصره العظيم يُراقب إنشاء أبنية فخمة، تُستخدم فيها حجارة كبيرة وثقيلة، لكن بدأ القلق يساوره. ففي غضبٍ شديدٍ صار يقول: "عبرانيون هم! جاءوا إلى مصر منذ حوالي ٤٠٠ عام، وكان عددهم قليلاً جداً، وها هو يتزايد عددهم جداً. حقاً إنهم عبيدي، ويعملون لحسابي بجديّة، لكنني لا أستطيع أن أثق فيهم. إن لم أكن حريصاً، فسيثورون عليّ، ويغتصبون مملكتي".

التقى فرعون برجال البلاط، وقال لهم: "لقد صار اليهود أكثر منا عدداً وقوة. هلّمّ نتصرف بحكمة قبل أن يصيروا خطراً علينا. لنسلبهم خريّتهم، ونذيقهم المرارة؛ فأصير في أمان! إنني مُحْتَاج إلى أعمالهم كعبيدٍ لي ولكن...". صدرت الأوامر مُشدّدة بسحق اليهود بالضغط عليهم بالأعمال الشاقة في الحقول وبناء المُدن العظيمة والهيكل والقصور والمقابر، يلتزمون بحمل الحجارة الثقيلة، وعمل اللَّبن وحمله بكميات كبيرة. وأُقيم عليهم رؤساء عمل، مُسَخَّرين قساة، مرّروا حياتهم جداً. ومع هذا كان عددهم يتزايد جداً.

أصدر الملك أمره إلى القابليتين اللتين كانتا تقومان بتوليد العبرانيات أن تقتلا كل طفلٍ ذكرٍ عبرانيٍّ. إلا أن القابليتين خافتا الله، فلم تسمعا له. في تلك الأيام كانت هناك سيّدة تُدعى "يوكابد" من سبط لاوي، قامت بمساعدة رَجُلها "عمرام" وطفليها هرون ومريم بإخفاء الرضيع الذي ولدته، إذ كان جميلاً للغاية.

لم يكن ممكناً أن تخبّئه أكثر من ثلاثة شهور، حتى لا تُعرّض العائلة كلها

للقتل.



أخيراً، إذ تَرَجَّتِ الأمُّ اللهُ أن ينقذ طفلها، طلبت من الكلّ أن يجمعوا بعض أعشاب البردي من حافة النهر، وقامت الأمُّ بضفرها كسلّة، طلّوها بالحُمرة والقار حتى لا يتسرّب إليها الماء، فصارت أشبه بقاربٍ صغيرٍ. ألبست الأمُّ رضيعها، وقبّلتها، وقمّطتْهُ بملاءةٍ حوله لتحفّظه في دفءٍ وسلامٍ وأمانٍ.

صارت الأمُّ ترقّب من إحدى النوافذ الجنود وهم يعبرون ببيتهم، وإذ خلى الطريق منهم حملت رضيعها، وطلبت من ابنتها الصغيرة أن ترافقها، وسارتا الاثنتان معاً حتى بلغوا شاطئ النيل. عندئذ بدأت الفتاة الصغيرة تفهم ما تفعله أمها.

وضعت الأمُّ السلّة بين أعشاب البردي في الماء، وأضجعت رضيعها فيها، ثم رفعت عينيها نحو السماء لتُصلّي اللهُ في صمتٍ. تُحدّثه بدموعها المُنهمرة، وتنهّذات قلبها غير المُنقطعة. لم تدخل المياه إلى قارب الطفل الرضيع، أمّا هو فصار يتثاءب ثم نام في هدوء.

مسحت الأمُّ دموعها وهي تهمس: "لن يستطيع الملك أن يجده. إنه مخفي بين البردي؛ إنه محفوظ في يدي الله!".

في صوتٍ هادئٍ حزينٍ قالت مريم لأمها: "أمّاه. سأبقى هنا مع أخي، أقضي معه النهار كله حتى لا تقترب منه الطيور، وإن جاء أحد أتظاهر باللعب". قبّلت الأمُّ ابنتها الصغيرة، وحوّطتها بحضنها، ثم فارقتها وهي تشعر بأن ابنتها إنسانة ناضجة بقلبها وفكرها، وإن كانت صغيرة بجسدها.

٣٨- الرضيع والأميرة

(خروج ٢: ٥ - ١٠)

بقيت المسكينة مريم بجوار النهر وحدها تجلس على حجرٍ بعض الوقت، وكانت تتطلّع إلى أخيها بقلبها وكل مشاعرهما.

بين الحين والحين عندما تطمئن أنه لا يراها أحد تتسلّل بين أوراق البردي لتلقي نظرة قريبة على أخيها النائم.

شاهدت موكبًا من النساء، تتقدّمه فتاة. إنها ابنة فرعون، الذي يطلب أبوها قتل الأطفال الذكور، فقد كان من عادتها أن تأتي إلى شاطئ النهر لتستحمّ. هذا ما أدركته مريم فاخفت بين الأشجار بعيدًا، وحرصت ألاّ يصدر عنها صوت. نزلت الأميرة إلى الماء لتستحمّ، فسمعت صوت بكاء طفل، وإذ وجّهت بصرها نحو الصوت شاهدت هذه السلّة الفريدة.

طلبت من إحدى جواريتها أن تأتي إليها بالسلّة. فتحت الغطاء فوجدته طفلاً يبكي. صرخت الأميرة: "انظرن! إنه رضيع عائم! حتمًا إنه عبراني!" أخرجته الأميرة من السلّة وهي متهلّلة، فقد أحبّته جدًّا: "كم هو جميل للغاية وحلو! إنني أخذه معي إلى القصر ليعيش معي!".

لاحظت مريم أخت الطفل علامات الفرح على وجه الأميرة. فتسلّلت لتسير بهدوءٍ بجوار الأميرة وجواريتها كمن لا تُعطي اهتمامًا. اقتربت مريم منهنّ جدًّا.

"سلام"، قالت مريم: "أرضيع هذا؟!".

أجابت الأميرة: "نعم، لقد وجدته عائمًا هنا!".

قالت مريم: "أحتاجين إلى مُربّية له تُرضعه وتهتم به؟ فإنني أعرف سيّدة

يهوديّة ممكن أن ترعاه ليلاً ونهارًا".

انحنت مريم أمامها، بينما كانت الأميرة تحاول أن توقف بُكاء الرضيع بكل وسيلة. أجابتها الأميرة وهي شاكرة لها: أرجوكِ اذهبي، واحضريها إليّ".
جاءت الأم مُسرعةً، وانحنت أمام الأميرة، وقالت لها: "كل ما تأمرين به أنفذه".

تطلّعت إليها الأميرة بابتسامة عريضة، وقالت لها: "خذي الرضيع واهتمي به، وأنا أدفع لك الكثير لتربيته. لتحبيه كأنه ابنك، وعندما يقوى أحضريه إليّ في القصر".

ثم قالت الأميرة: "إني أدعوه موسى"، وهو اسم مصري معناه: "مُنْتَشَل من الماء".

امتلأت عينا الأم بالدموع، وقلبها بالفرح، وشكرت الله الذي ردّها إليها رضيعها، وصار في أمان. وكانت مريم أيضًا سعيدة جدًا، إذ شعرت أن الله هو الذي حفظ أخاها الرضيع.

حملت الأم رضيعها إلى البيت، حيث نشأ هناك في كوخٍ صغيرٍ مصنوع من اللبن الأخضر (الطوب النّي).

كبر الرضيع وصار يلعب هناك، وكان يسمع أصوات سياط رؤساء العمل المصريين وهي تنهال على العمّال العبرانيين. كما سمع من والدته وإخوته عن القصص القديمة عن شعبه. سمع عن معاملات الله مع إبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف الذي جاء إلى مصر. وعرف موسى أنه حتمًا سيترك عائلته ويذهب إلى القصر كابن لابنة فرعون.



(خروج ٢)

إذ كبر موسى أخذته يوكابد أمه إلى القصر، ليصير ابناً لابنة فرعون الملك، وترعاه ابنة فرعون بنفسها. لم يعد بعد عبرانياً بسيطاً يعيش في كوخ، بل صار إنساناً له تقديره في المجتمع في ذلك الحين.

اختلفت حياة موسى كأمر تماماً عما كانت عليه في بيت والديه. تعلم في مدرسة القصر بينما هذبته أمه بالتعاليم الدينية، وأخبرته عن موقف شعب الله في مصر. عاش في داخل القصر غير أن قلبه كان يئن مع أنات شعبه.

نمًا في القامة والمعرفة، إذ تتقف بكل حكمة المصريين من كتابة وعلم وفلسفة وأيضاً ديانات. لكن موسى لم ينس أنه عبراني، وأنه عاش في كوخ من الطين بين الأطفال العبيد. واختار أن يعبد الله الحي، ولم يقبل عبادة الشمس أو نهر النيل أو عجل أبيس ... الخ.



٤٠- هروب موسى من مصر

(خروج ٢: ١٠-١٥)

ذات يوم إذ كان موسى وحده في الحقول يلاحظ ما يُعانيه شعبه أثناء العمل، رأى مرارة الذُّل الذي يعيشون فيه، فاحتدَّتْ نفسه فيه، وإذ رأى في أحد أركان حقلٍ أحد رؤساء العمل المصريين يضرب عبداً عبرانياً بالسوط بقسوةٍ وعُنفٍ، احتدَّتْ نفسه فيه. لم يستطع أن يقف صامتاً، وإنما ضربَ المصري فسقط ميتاً، ثم قام بإخفاء جثته في الرَّمْل، وعاد إلى القصر ونفسه مرّةً فيه. عاد في اليوم التالي إلى الحقول، ووقف يُراقب شعبه، فرأى يهوديين يتشاجران. قال للمُعندي: "لماذا تؤذي أخاك من بني جنسك؟". في سُخرية قال المُعندي: "مَنْ أقامك حاكماً علينا أو قاضياً أيها الأمير المصري؟ أتريد أن تقتلني كما قتلت المصري بالأمس؟!". تركهما موسى وهو مُرتعب، إذ تحقَّق أن الخبر لم يَعدُ سرّاً، بل عرّفهُ الكثيرون حتى فرعون؛ الذي لمَّا سمع بالأمر طلب أن يُقتل موسى، فاضطرَّ موسى أن يهرب من وجه فرعون في الحال. ترك القصر الملوكي وحقول مصر. رافق مجموعة من التّجار المُسافرين نحو الشرق، إلى مناجم النحاس في سيناء، في الطريق إلى مديان.



٤١ - هَارِبٌ يُعَدُّ لِلْقِيَادَةِ

(خروج ٢: ١٦ - ٢٥)

بلغ موسى إلى قبائل المديانيين المتجولة، وهناك جلس بجوار البئر. ربما كان يُفكر ماذا يفعل لشعبه المُستعبد وها هو طريد في بلدٍ غريبٍ.

جاءت خمس أخوات إلى البئر، وملأن المساقى التي بجوار البئر ليسقين غنمهن. غير أن بعض الرعاة العُنفاء جاءوا وأهانوا الفتيات، ودفعوهن بعيداً بغمهن، لكي تشرب غنمهم من الماء الذي أخرجته الفتيات.

تدخل موسى وألزم الرعاة أن ينتظروا حتى تشرب غنم الفتيات أولاً، لأن الفتيات جنن أولاً، وهن اللواتي أخرجن الماء وملأن المساقى.

عادت الفتيات إلى البيت مبكرات، فدهش والدهن الكاهن الوثني يثرون، وكان ينتمي إلى قبيلة تدعى القينيين، تعمل في النحاس.

قال لهن الأب: "ماذا حدث؟ لماذا جئتن مبكرات اليوم يا فتيات؟".

أجبن: "مصري عند البئر خلصنا من الرعاة العُنفاء، فقد أعطانا الفرصة لنسقي الغنم، كما سحب لنا الماء من البئر، وأسقانا نحن وغمنا".

أجابهم: "حسناً، أين هو؟ هل تركتن إياه دون أن تدعيه إلى خيمتنا؟ اذهبن حالاً وادعيه ليأكل معنا".

ذهب موسى مع الفتيات إلى يثرون، وتكوّنت علاقة حبّ ربطتهما معاً. سرّ يثرون لمّا عرف أن موسى عبراني، وأن أجداده كانوا رعاة غنم يعملون في كنعان. دعا يثرون موسى أن يعيش معهم، وأعطاه ابنته صفورة زوجة له.

كان موسى سعيداً جداً بحياته في خيمة، ورعايته غنم حميه، يجول في البرية كأجداده، وكان قلبه يزداد غيرة نحو شعبه المُستعبد في مذلةٍ بمصر.

أنجبت صفورة طفلاً، دعاه موسى "جرشوم" ومعناه "غريب"، إذ قال: "إنني غريب وأعيش في بلدٍ غريب".

تولّى فرعون آخر الحُكم في مصر، وصار الجوّ آمناً لموسى أن يرجع إلى
مصر حيث كان العبيد اليهود يئنّون إلى الله وَيَشْكُون بِؤْسهم له.



٤٢ - العُلَيْقَةُ الْمُشْتَعَلَةُ

(خروج ٣ - ٤ : ٩)

سمع الله صراخ شعبه ورأى مذلتهم. سمع صرخات اليأس الصادرة عن شفاه العبيد الساقطين في الوحل، يُجرَحون كل يوم، ويموت بعضهم تحت وطأة ضربات سياط رؤساء العمل العُنفاء.

حوّل الله هذا الضيق الشديد إلى بنيانهم وخلصهم. فقد أعدّ لهم خِطَّة لكي ينتزعهم من أرض العبودية، ويدخل بهم إلى كنعان، أرض الموعد، كشعبٍ يَعْبُد الله الواحد الحيّ، وينال ما سبق فوعد به آباءهم.

مضى حوالي ٤٠ عامًا منذ خروج موسى من القصر، وانطلاقه إلى البرية يعمل كراعي غنم بسيط. عاش في حياة هادئة، أمّا قلبه فكان يئنّ مع أنين شعبه، لكن ليس في يديه شيء يعمل له لصالحهم.

ذات يوم عند سفح جبل سيناء أو حوريب، إذ كان موسى يرعى غنم حميه يثرون، وكان يُفكّر في شعبه أنهم في حاجة إلى قائد يقف أمام فرعون، ويلزمه أن يطلقهم ليتحرّروا من هذه العبودية المُرّة. لكن أين يوجد هذا القائد بين شعب سَحَقَهُ ذُلُّ العبودية؟!!

بينما كان يُفكّر ويُصَلِّي بقلبٍ مُلتهبٍ رأى منظرًا غريبًا، رأى نارًا مُلتهبة ومملوءة بهاءً في وسط عُليقة مملوءة أشواكًا، تبدو الشجرة نفسها مُلتهبة لكن لا يصيبها ضرر.

لاحظ موسى المنظر وهو في دهشةٍ. "يليق بي أن أقترّب أكثر لأرى هذا العَجَب". وإذ بدأ يقترب، يريد أن يفحص الأمر، سمع صوتًا يدعو من العُلَيْقَةِ: "موسى، موسى".

أجاب موسى: "هأنذا!".

قال له الله:

"لا تقترب.

اخلع نعلَيْكَ، لأنَّ الأرض التي أنت واقف عليها مُقدَّسة.
أنا هو إله شعبك. إله إبراهيم، وإله إسحق، وإله يعقوب.
لقد رأيتُ مذلةً شعبي الذي في مصر، وسمعتُ صراخهم من أجل
مسخريهم.

إني علمتُ أوجاعهم، فنزلتُ لأنقذهم من أيدي المصريين، وأصعدهم إلى
أرض جيِّدة وواسعة، تفيض لبناً وعسلاً.

بسرعة سحب نعلَيْه من رجلَيْه، وسقط على الأرض ساجداً، وغطَّى وجهه،
إذ خاف أن يتطلَّع إلى الله من بهاء النور الساطع من العليقة.
أكمل الله حديثه مع موسى من خلال العليقة الملتهبة:

"اذهب يا موسى إلى فرعون، وأخبره أن يترك شعبي يرحل إلى البرية
مسيرة ثلاثة أيام، ليقدِّموا ذبائح لي.

أنا أعلم أن الملك لن يدعكم تخرجون بسهولة.

لهذا أرفع يدي وأضرب مصر، بعد هذا سيترككم فرعون تخرجون".

ارتعب موسى: "من أنا حتى أقودهم، وأذهب إلى فرعون، وأخبره بهذا

الأمر؟!".

أجاب الله: "سأكون معك!".

قال موسى:

"لكن... لكن، ما هو اسمك؟

للمصريين آلهة كثيرة، يدعونها بأسمائها، ويتقبَّلون منها قوتهم. لذا وجب

عليّ أن أعرف اسمك.

أيضاً، كيف يُصدِّق الشعب أنك تكلمتَ معي؟".

أجابه الله:

"أنا أهيه الذي هو أهيه (كائن).

أنا هو الله، يهو، إله شعبك.

سيدعونني يهوه، معناها هو كائن.

اذهب، وقل لشعبك إن يهوه يقودكم إلى كنعان".

قال موسى: "افترض إنهم لا يصدقونني؛ إن قالوا إن يهوه لم يُكلمك قطّ،

ماذا أفعل؟".

- "ماذا في يدك؟".

- "عصا الرّعاية".

- "القها على الأرض".

ألقاها موسى على الأرض، فصارت تتلوى بعيدًا. لقد صارت حيّة،

وتراجع موسى إلى الوراء.

- "الآن اقترب إليها، وامسك بذنبها".

فعل موسى هكذا، فعادتِ الحيّة وصارت عصا في الحال.

قال الله: "هذه العلامة تُقنع شعبي إنني ظهرت لك. انظر، فإنني أظهر لك

علامتين أُخريين".

- "الآن ضع يدك داخل ثوبك".

فعل موسى هكذا، وإذ أخرجها صارت يده بيضاء.

- "ضعها ثانية في ثوبك".

أطاع موسى، وعادتُ يده كما كانت.

أمّا العلامة الثالثة التي أظهرها الله لموسى فهي أنه أمره أن يأخذ ماءً من

النهر ويسكبه على الأرض، فصار الماء دمًا.



٤٣ - مخاوف موسى

(خروج ٤ : ١٠ - ٦ : ٩)

ارتبك موسى جدًّا، لكنّه وثق في الله القادر أن يُخلِّص.

لم تنته مخاوف موسى، فقد ثارت في ذهنه أسباب كثيرة تمنعه من الذهاب

إلى فرعون.

توسّل موسى إلى الله، قائلاً: "آه يارب، لم أكن قطُّ مُتكلِّمًا عظيمًا في

حياتي. إنني لستُ لبقًا كمن هم في قصر فرعون، يُقدِّمون أحاديث طويلة مشوّقة.

إنني لا أستطيع ذلك. أنا لا أعرف أن أتكلّم قط!".

قال له الله: "مَنْ أعطاك فمك؟ أنا الذي أعطيتك، أليس كذلك؟ الآن اذهب،

وأنا أعينك لكي تتكلّم، وأخبرك بما تقوله".

توسّل موسى: "أرجوك. أرجوك، أرسل آخر غيري كما تحب، أيّ إنسان،

لا ترسلني أنا".

قال الله:

"حسنًا، يوجد هرون أخوك، فهو يتكلّم حسنًا.

أنت تتحدث معه، وأنا أكون معكما، وهو يُكلّم فرعون.

الآن ها هو يترك مصر ليلتقي بك، لأن فرعون قد مات، وصارت عودتك

آمنة. هرون قادم ليجدك.

إنه يفرح إذ يسمع أخبارك، وهو يتكلّم مع الشعب عنك.

أخبره بما تقوله. اذهب إذن، وتذكّر أن تأخذ عصاك، وتصنع العلامات

التي أظهرتها لك".

أخذ موسى عصاه والغنم وعاد إلى يثرون حميه، وقال: "قد حان الوقت أن

أعود إلى شعبي في مصر لأنظر إن كانوا لا يزالون أحياء".

قال له يثرون: "اذهب بسلام".

أخذ موسى صفورة زوجته وبنيه، ورحل. وكما قال له الله التقى بهرون الذي كان قد خرج إليه، وعاد الكل إلى مصر.

أخبر هرون الشعب بكل ما قاله الله لموسى. وعرف الشعب أن الله قد سمع صراخهم، فسجدوا حتى الأرض، وعبدوا الله. شعروا أن الله وضع نهايةً لمأساتهم ليقودهم إلى كنعان، الأرض التي وعد بها آباءهم منذ مئات السنوات.

دخل موسى وهرون أمام فرعون وتكلما قائلين: "دع شعبنا يذهب إلى البرية مسيرة ثلاثة أيام ليذبح الله، ويتعبد له".

لم يدع فرعون الشعب يخرج، إذ قال: "من هو إلهكما يهوه؟ إني لا أعرف أحدًا بهذا الاسم. لا تنتظرا أن أطلق عبيدي هكذا. لماذا تستبعدان الشعب عن ممارسة العمل؟ ارجعا أنتما أيضًا إلى العمل".

طرد فرعون موسى وهرون من أمامه، واستدعى رؤساء العمل والمُسخرين، وقال لهم وهو في غضبٍ شديدٍ وثورةٍ: "ليوقف هذا الأمر غير المعقول. فإنه شعب كسول.

إنكم لم تستطيعوا أن تقودوه للعمل بجديّة كما ينبغي، لذلك صار لديهم وقت ليحلموا بإله من عندهم.

وماذا عن آلهة مصر؟

اسمعوا لي؛ من الآن يلزمهم أن يذهبوا إلى الحقول، ويجمعون القش الذي كنتم تقدّمونه لهم لصنع اللّين؛ وعليهم أن يصنعوا ذات الكمية من اللّين كما كانوا قبلاً.

بهذا لا يكون لديهم وقت ليصغوا إلى حديث غبيّ كهذا".

انتشر العبيد في كل جوانب حقول القمح ليجمعوا القش، وكان الرؤساء يضربونهم ليعجلوا بالعمل.

لم يستطع الشعب أن يصنع ذات الكمية من اللّين دون تقديم التبن لهم، فذهب مُدبرو الشعب يشفعون في الشعب لدى فرعون.

قالوا له: "لماذا تعامل عبيدك هكذا؟ إننا غير قادرين على ذلك. لا نقدر أن نصنع ذات الكمية من اللبن إن كنا نجمع القش أيضاً.
أجابهم فرعون:

"مُتْكَاسِلُونَ أَنْتُمْ مُتْكَاسِلُونَ، لِهَذَا صَارَ لَكُمْ الْوَقْتُ لِتَنْتَصِتُوا إِلَى كُلِّ مَا هُوَ غَيْرٌ مَعْقُولٌ عَنِ اللَّهِ. تَقُولُونَ نَذْهَبُ وَنَذْبِحُ لِلرَّبِّ.

فَالآنَ اذْهَبُوا فَوْراً إِلَى عَمَلِكُمْ!

اعْمَلُوا، وَاللَّبَنُ لَا يُعْطَى لَكُمْ، وَمِقْدَارُ اللَّبَنِ تُقَدِّمُونَهُ".

إِذْ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِ فِرْعَوْنَ اتَّقَوْا بِمُوسَى وَهَارُونَ، وَتَحَدَّثُوا مَعَهُمَا بِغَضَبٍ شَدِيدٍ، قَائِلِينَ: "اتْرُكْنَا وَحَدْنَا. لِيَنْتَقِمَ اللَّهُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْتَحِقُّانَ. انظُرَا مَاذَا يَفْعَلُونَ الْآنَ بِنَا! هَذَا كُلُّهُ بِسَبَبِكُمَا، وَأَنْتُمَا تَقُولَانِ إِنَّ اللَّهَ سَيُحَرِّرُنَا!".

لَمْ يُجِبْ مُوسَى بِكَلِمَةٍ، إِنَّمَا رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَاشْتَكَى إِلَى اللَّهِ.

"مَاذَا تَفْعَلُ يَا رَبُّ؟

لِمَاذَا تَقْسُو هَكَذَا عَلَى شَعْبِكَ؟ لِمَاذَا أَرْسَلْتَنِي إِلَى هُنَا؟

فَمِنْذُ تَحَدَّثْتَ مَعَ فِرْعَوْنَ عِنْدَكَ، صَارَ أَشْرَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَأَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ

شَيْئاً قَطُّ لِتَوْقِفَ هَذَا!".

عَادَ فَنَذَرَ مُوسَى وَعَدَّ اللَّهُ لَشَعْبِهِ، وَطَلَبَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَسْنَدَهُ، فَسَمِعَهُ يَقُولُ

لَهُ: "سَتَرَى مَا أَفْعَلُهُ بِفِرْعَوْنَ. إِنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ يَطْرُدُكُمْ مِنْ مِصْرَ. إِنِّي أُحَرِّرُ شَعْبِي

مِنَ الْعِبُودِيَّةِ. سَأَقُودُهُمْ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي وَعَدْتُهُمْ بِهَا".

عَرَفَ مُوسَى أَنَّ الْأَمْرَ لَا بَدَّ وَأَنَّ يَتَحَقَّقُ. لَقَدْ أَدْرَكَ أَنَّ اللَّهَ الْقَدِيرَ مُحِبَّ

الْبَشَرِ هُوَ الَّذِي يَتَحَدَّثُ مَعَهُ. لَقَدْ شَعَرَ بِحُضْرَةِ اللَّهِ، وَوَثِقَ فِي وَعُودِهِ وَقُدْرَتِهِ

وَحُبِّهِ!



٤٤ - الضربات العشر

(خروج ٧ - ١١)

طلب الله من موسى أن يدخل ثانية إلى فرعون، ويسأله أن يُطلقَ شعبه. أجابه موسى كيف يسمع له فرعون إن كان الشعب نفسه لم يسمع له. كرّر الله على موسى نفس الطلب، وأوضح له أن قلب فرعون قاسٍ حتى تظهر آيات الرب وعجائبه.

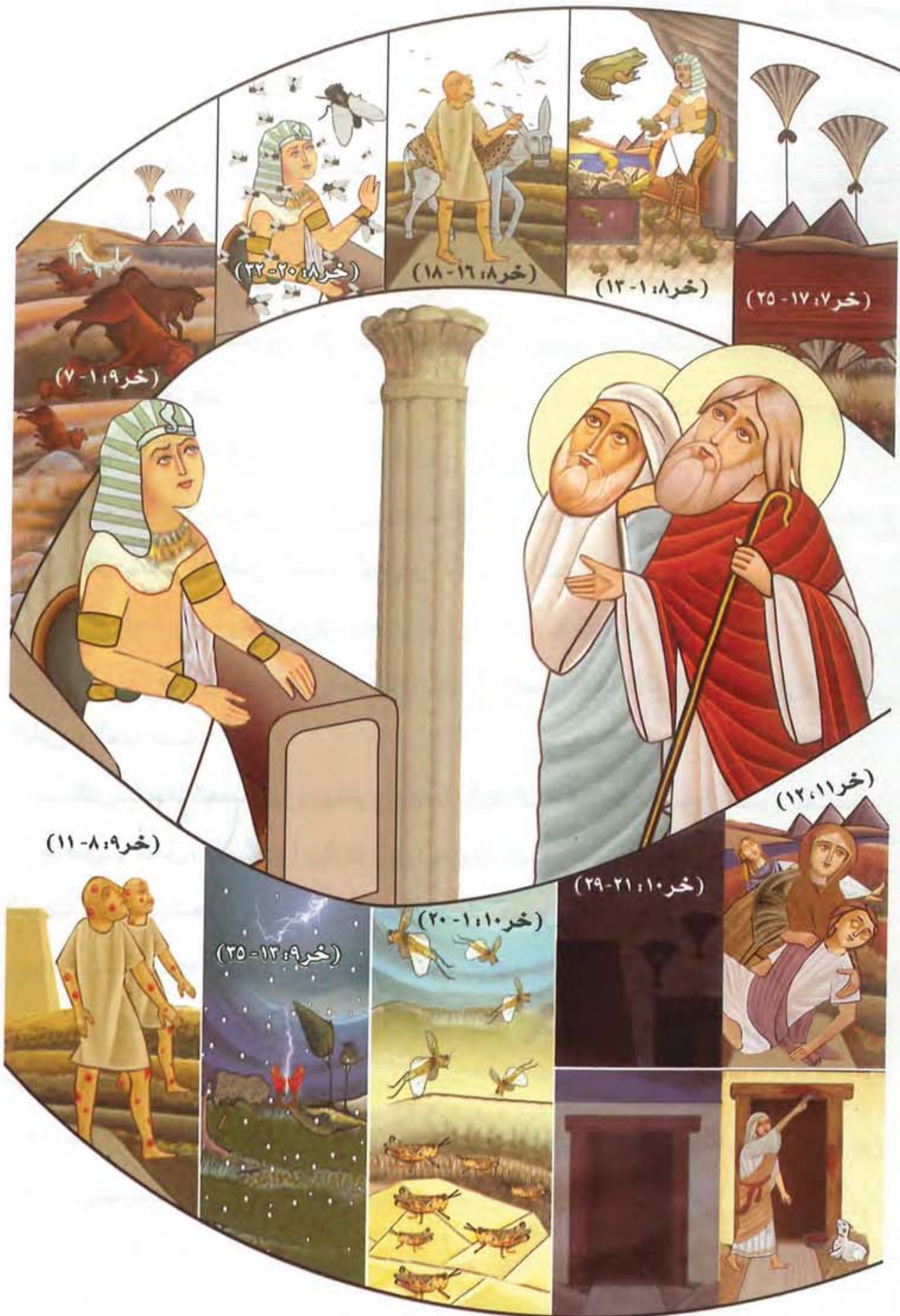
دخل موسى وهرون إلى فرعون، وكان سن موسى ٨٠ عامًا وهرون ٨٣ عامًا. طلب فرعون منهما بُرهانًا، فألقى هرون عصاه على الأرض، فصارت ثُعبانًا. لم يضطرب فرعون بل أرسل إلى السحرة والحكماء، فجاءوا وطرحوا كل واحدٍ عصاه فصارت ثُعبانًا، فابتلعت عصا هرون عصيتهم. لكن لم يُبالِ فرعون بذلك، ولم يقبل أن يُطلقَ الشعب ليعبُد الرب ويُقدّم ذبائح له.

١. التقى موسى وهرون بفرعون عند النهر، وضرب هرون النهر بعصاه، فتحوّلت مياه نهر النيل والسواقي إلى دمٍ. لم يستطع المصريون أن يشربوا، أمّا الإسرائيليون فكان لهم النهر ماءً يشربونه.

مات السمك وأنتن النهر. اضطر المصريون أن يحفروا حول النهر ليجدوا ماءً يشربون منه.

كان بعض المصريين يعبدون نهر النيل كإله، والبعض يعبدون التمساح الذي يعيش في النهر. أوضح لهم الله أن النهر وكل الكائنات التي فيه في قبضة يده.

توالى الضربات ضدّ المصريين، ومع كل ضربة كان المصريون يثورون على فرعون، وكان يخضع لهم ثم يعود حالاً يُقسّي قلبه ويرفض أن يُطلق الشعب ليعبُدوا الرب. كان فرعون بالأكثر يزداد عنادًا وقسوة. هذا وقد كانت الضربات موجّهة ضدّ آلهة المصريين التي كانوا يعبدونها.



٢. فاض النهر ضفادع، فامتلأت الأرض بالضفادع، ودخلت إلى قصر

الملك وفي مخدعه وإلى بيوت شعبه.

كان فرعون قد ألزم الشعب بالعمل في الطين، فنالته تأديب مُقزّر أن تقفز الضفادع من الطين برائحها غير المقبولة، وصوتها المزعج لتدخل إلى بيته وتفتح مائدته وسريره ومخازنه السريّة، فتحوّل حياته طيناً ووحلاً! بالكيل الذي كال به كيّل له وازداد.

أيضاً فقد المصريون في جوعهم شهوة الطعام، إذ امتلأت بيوتهم بنتانة الضفادع الميّتة. صار كل شيءٍ بالنسبة لهم كريهاً. أمّا الذين وثقوا في الله، فتمتّعوا بعد ذلك بالطعام العجيب النازل من السماء في البرية.

دعا فرعون موسى وهرون وقال لهما: " صلّيا إلى الرب ليرفع الضفادع عني وعن شعبي فأطلق الشعب ليذبحوا للرب". لكنّه عاد ومنعهم من الخروج.

٣. مدّ هرون عصاه وضرب تراب الأرض، فامتلأت الأرض بعوضاً على

الناس والحيوانات.

كان كهنة المصريين يهتمون جدّاً بالنظافة ويحترسون من التدنس بالبعوض والقمل، فضربوا بالبعوض. حاول السحرة أن يخرجوا البعوض من التراب فلم يستطيعوا، فاعترفوا أمام فرعون، قائلين: "هذا إصبع الله".

٤. امتلأت الأرض كلها ذباباً، فيما عدا أرض جاسان التي بها شعب

موسى وهرون.

كان المصريون يعبدون آلهة تقوم بطرد الذباب... فأراد الله أن يكشف عن

عجز آلهتهم.

لم يحتمل فرعون هذه الضربة في قصره، فطلب من موسى وهرون أن يذهبوا إلى البرية ويصلّوا لأجله، لكنه عاد ونكث بوعده.

٥. صارت الضربات أشد، إذ ضربت مواشي المصريين بالوبأ وماتت، ولم تمت مواشي أرض جاسان.

كان المصريون يعتقدون بالقداسة في بعض الحيوانات، ولاسيما عجل أبيس الذي يحسبون أن فيه روح إلههم أوزوريس، فبضربة الحيوانات يدرك المصريون خطأ معتقداتهم.

٦. صارت دمامل وبثور في المصريين، وأصابت السحرة والعرافين.

٧. أمطر الله بردًا عظيمًا جدًّا من السماء، وأرسل نارًا من أسفل. كانت النار تزداد اشتعالًا كلما سقط برد ثقيل، والبرد يتزايد كلما التهبّت النيران.

ترك الله الطبيعة نفسها تردّ على فرعون الشرير. لا تعرف مصر البرد، ومع هذا على خلاف الطبيعة أدب المصريون الوثنيون بالبرد. وممّا يُدهش أن البرد والنار (البرق) لا يحدثان معًا، لكن المضادين يعملان معًا بسماح إلهي للتأديب. بهذا سدّت الطبيعة فم فرعون المُتَشامخ، لتُعلن له أنه فقد كلَّ تعقلٍ وحكمةٍ، بمقاومته لحكمة الله.

٨. جلب الربُّ جرادًا غطّى كل الأرض حتى اظلمَّ الجو، لم يترك ورقة خضراء على شجر المصريين. أكل جميع عشب الأرض وثمر الشجر الذي تركه البرد.

٩. حلّ ظلامٌ دامس في كل الأرض لمدة ثلاثة أيام حتى خاف كل مصري أن يتحرك من مكانه، وصار الكل كأنهم مسجونون دون قيود حديدية أو أبواب مغلقة بينما كان نورٌ في أرض جاسان، فكان الإسرائيليون يتحركون بكل حرية. بدأت الضربات بتحويل المياه إلى دم، ليؤكد لهم الله أنه هو سرّ حياة الإنسان الحقيقية، المياه الحية، وليس نهر النيل أو أمور العالم. أمّا الضربة قبل الأخيرة، وتعتبر الإنذار الأخير قبل قتل أبنائهم، بسقوطهم تحت هذه الضربة يدركون الظلمة الداخلية التي في قلوبهم وأفكارهم. لقد ضلّت نفوسهم، لأنهم رفضوا النور الإلهي. سجنوا أنفسهم بأنفسهم في بيوتهم وسط ظلمة حالكة، وفارقتهم حتى عطية إشراق الشمس المادية عليهم. لم يكن ممكناً لإلههم حيث كانوا يعبدون الشمس (الإله رع) أن يخلصهم من الظلمة.

سمح الله بالضربات السابقة ليُظهر لفرعون وشعبه أن يتركوا العبادة التي أوجدوها لأنفسهم مثل بعض الحيوانات كعجل أبيس، ويقبلوا عبادة الله الحي. بعد الضربة التاسعة الخاصة بالظلام توقف موسى وهرون عن اللقاء مع فرعون، مُنتظرين أخطر ضربة تحلّ بفرعون وشعبه!

أمّا الضربة الأخيرة، فقد سمح الله بقتل كل بكرٍ ذكّر للمصريين من ابن فرعون إلى ابن الأسير في السجن، وكل بكرٍ ذكّر للحيوانات، وذلك في منتصف الليل.

تُشير ضربة الأبنكار إلى قتل إبليس وجنوده، لكي نصير نحن أنفسنا أعضاء في كنيسة الأبنكار.

٤٥- خروف الفصح

(خروج ١٢)

يا لغباوة فرعون وكبريائه! لقد كشف الله له عن ضعفه وضعف كل حكمائه وسحرته، لكنه أصرّ ألاّ يذهب الإسرائيليون إلى البرية ليذبحوا للرب. حسب فرعون سماحه لهم بعبادة الله وتقديم ذبائح له إهانة له شخصياً قدام شعبه، الذي كان يطلب منهم أن يعبدوه كإله!

لم يكن أمام فرعون إلاّ أن يدخل قصره، ويغلق بابه حتى لا يلتقي بأحد. لم يعد بعد يركب مركبته، حتى لا يسمع صراخ شعبه أن يطلق الإسرائيليين حتى يستريحوا منهم ومن إلههم.

تحدّث الله مع موسى مُعلنًا له أنه سيسمح بقتل أبكار المصريين من عائلة فرعون نفسه إلى بيوت الفقراء، بل حتى من الحيوانات. كما طلب منه أن تُقدّم كل عائلة من العبرانيين حملاً ابن سنة عند الغروب، ويُرش دمه على العتبة العليا لباب البيت والقائمتين. إذ بدون سفك دم لا يتحقّق الخلاص.

وأن يُشوى الحمل بالنار ويؤكل مع أعشاب مرّة، وخبز ليس به خمير، وألاّ يخرجوا من البيت حتى الصباح مهما حدث.

اشترط ألاّ يحملوا شيئاً من الحمل المذبوح خارج البيت، إشارة إلى الكنيسة حيث يؤكل جسد السيّد المسيح المُقدّس، حمل الله، مُحرّراً من عبودية إبليس. كان الحمل المذبوح إشارة إلى السيّد المسيح حمل الله الذي صُلب لأجل خلاصنا. مثل هذا اليوم يصير عيداً سنوياً يُسمى "عيد الفصح"، يحتفلون به حين يدخلون أرض الموعد. عبّر الرب على بيوت اليهود الذين نفّذوا تعليمات موسى النبي، فلم يدخل الملاك المُهلك عندهم.

قبل شروق الشمس دوت الصرّخات في كل بيوت المصريين من قصر فرعون إلى أكواخ الفقراء.

دعا فرعون موسى وهرون، وإذ دخلا إليه وجدا عَيْنِيهِ مملوءتَيْنِ بالدموع
وقلبه مُنْكَسِرًا، ورجاله حوله في مرارة.

بالكاد استطاع فرعون أن يتحدّثَ معهما، قائلاً:

"اخرجوا من بين شعبي فوراً، أنتما وكل شعبيكما وغنمكم وبقركم وكل ما
لكم.

اعبُدوا الرب، وباركوني".

خرج موسى وهرون وانطلق الشعب ليخرج من مصر بسرعة. وألحَّ
المصريون على الشعب أن ينطلقوا عاجلاً من الأرض، مُقَدِّمِينَ لَهُمْ كُلَّ مَا
يطلبونه من ذهبٍ وفضةٍ وثيابٍ وكل شيءٍ ثمينٍ.

خرجوا بعد ٤٣٠ عام منذ جاء يعقوب (إسرائيل) وأولاده إلى مصر.

خرج موكب يضم نحو ست مئة ألف رجل بجانب النساء والأطفال.

خرجوا يرحلون على أقدامهم، ومعهم حيواناتهم.

خرجوا من مدينة رعسيس على الحدود الشرقية لمصر، متجهين نحو

كنعان خلال برية سيناء.

أصرَّ بعض المصريين أن يخرجوا معهم ويرافقوهم، إذ رفضوا عبادة

الأصنام، وآمنوا بالله الحيّ.

دُعي هؤلاء المصريون باللفيف.



٤٦- عبور البحر الأحمر

(خروج ١٤ - ١٥ : ٢١)

انطلق الموكب من مصر، وقد شعر الإسرائيليون أنهم يتتسمون رائحة الحرية التي حرموا منها زماناً طويلاً. كانوا يعلمون أنهم مُنطلقون إلى رحلة طويلة وسط الصحراء حتى يبلغوا إلى كنعان التي وعد الله بها آباءهم.

إذ سمع فرعون بأن الشعب خرج بالفعل، شعر هو ورجال القصر أنهم فقدوا عبيداً هذا عددهم، كانوا يعتمدون عليهم في إنشاءات كثيرة.

طلب فرعون انتقاء أفضل المركبات ستمائة مركبة مع فرسانه وجنوده ليأسر الشعب الهارب، ويردّهم بمذلة إلى العبودية.

انطلق هذا الجيش الخطير بسرعة، فلقق بموسى وهرون ورجاله السائرين على أقدامهم عند منطقة فم الحيروث، بجوار البحر الأحمر.

إذ رأى الإسرائيليون الجيش يقترب منهم والبحر أمامهم والجبال عن يمينهم ويسارهم، شعروا أنهم سيقتلون، أو يرجعون أسرى في مذلة شديدة.

فزعوا جداً، وصرخوا. تذمروا على موسى الذي وضعهم في هذا الموقف الصعب، لأنه قادهم إلى الموت.

قالوا له: "هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية؟! ..."

أليس هذا هو الكلام الذي حدثناك به في مصر، قائلين: كُفّ عنا، فنخدم

المصريين، لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية؟".

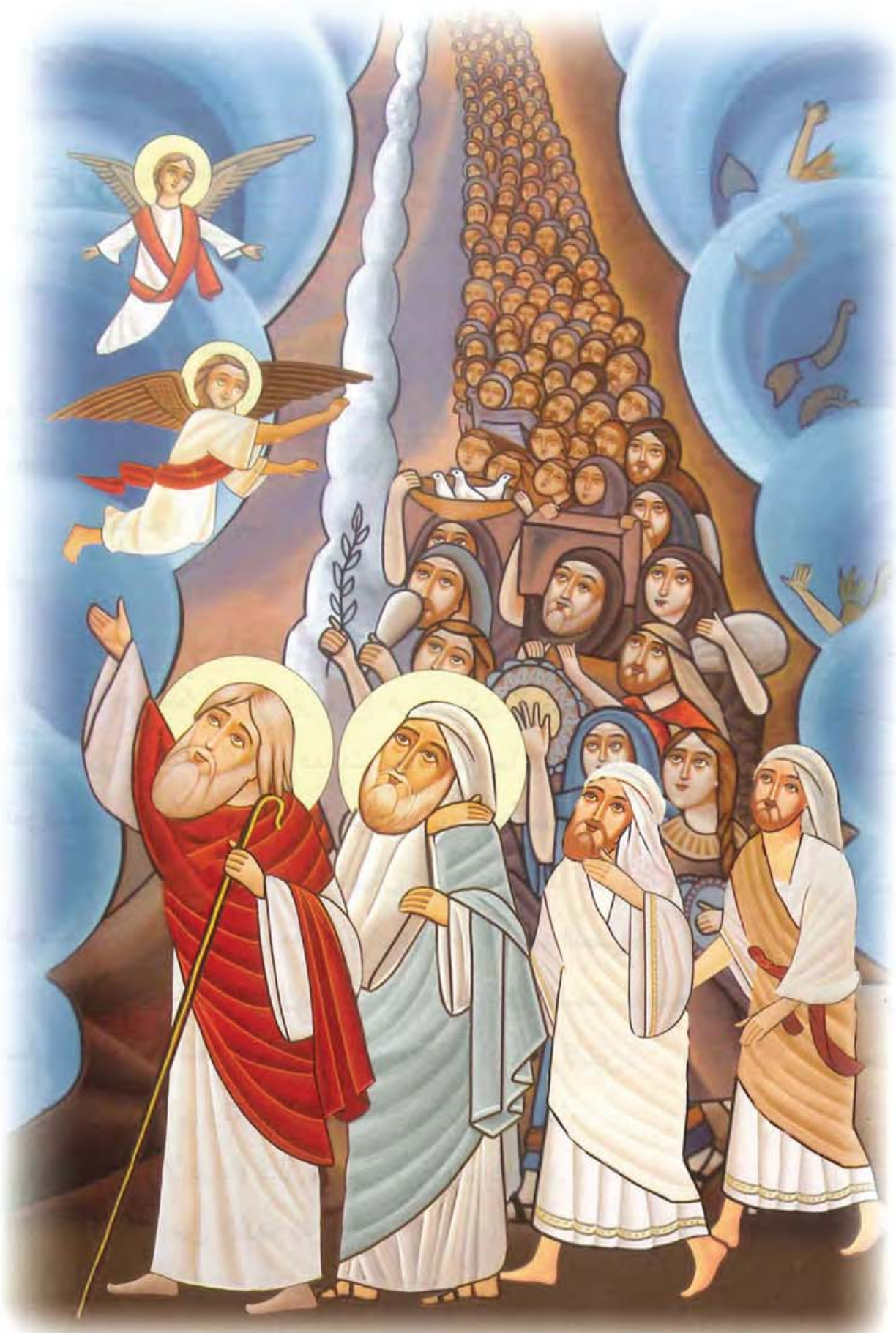
بايمانٍ قال لهم موسى: "لا تخافوا. قفوا وانظروا خلاص الرب الذي

يصنعه لكم اليوم... الرب يُقاتل عنكم وأنتم تصمّتون".

صرخ موسى في قلبه إلى الله، وقبل أن ينطق بكلمة مع الله، لاطفه الرب

قائلاً: "مالك تصرخ إليّ... ارفع عصاك، ومدّ يدك على البحر وشقّه، فيدخل

بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة".



انتقل ملاك الله السائر أمامهم كقائدٍ، وسار وراءهم حتى يطمئنون أنه لن يقترب فرعون إليهم.

صار عمود السحاب الذي كان أمامهم خلفهم، يفصل بينهم وبين جيش فرعون. كان عمود السحاب يُعطي نورًا للشعب الذي أمامه، ويجلب ظلامًا على جيش فرعون الذي خلفه، فكان الإسرائيليون يتحركون طول الليل كما في النهار بينما توقّف فرعون وجيشه.

مدّ موسى النبيّ يده على البحر، فأرسل الله ريحًا شرقيةً شديدة كل الليل، وجعل البحر يابسة وانشق الماء، فدخل الشعب وسط البحر، وكانت المياه سورًا يحفظهم عن يمينهم وعن يسارهم.

استطاعوا أن يسيروا فيه بكل طمأنينة، وعبروا إلى الجانب الآخر من البحر.

أسرع رجال الجيش وراءهم، وإذ كانوا في قاع البحر، شعروا أن الرب يُقاتل ضدّهم، ففكروا في الرجوع هربًا. لكن إذ صعد موسى وشعبه من البحر، مدّ موسى يده على البحر، فعادت المياه إلى ما كانت عليه، فدفن الجيش كله مع المركبات والفرسان في قاع البحر ولم ينجُ أحدٌ منهم.

تحولّ البحر إلى مقبرة لجيش فرعون، بينما تحوّلت ضفاف البحر من الجانب الشرقي إلى حفلٍ مُفرِحٍ وتسابيحٍ لله واهبِ النُّصرة.

وقف موسى وهرون وأختهما مريم وكل الشعب يتطلّعون إلى البحر الذي صار لهم جسرًا للعبور ومقبرة لأعدائهم، وترنّموا قائلين:

"الرب قوّتي وتسبّحتي، وقد صار لي خلاصًا،

غاص (الأعداء) كالرصاص في مياهٍ غامرة.

من مثلك بين الآلهة يارب".

قاد موسى النبي الشعب في التسبيح لله، وقادت أخته مريم النبيّة النساء.

كانت ترقص بدفوفٍ والكل يُرنمّن للرب صانع العجائب.

كان الكل يُردّد: "رَنِّموا للرب، فإنه قد تعظّم. الفرس وراكبه، طرحهما في البحر".

تطلّعوا إلى البحر كما نتطلع نحن إلى جُزْن المعمودية. نعبر بها من عبودية إبليس إلى حريّة مجد أولاد الله. يغوص إبليس وقوّاته كالرصاص، فلا نهلك. نعبر بها كما من الحزن إلى التسبيح والفرح بالله مُخلّصنا.

٤٧- المياه المرّة تصير عذبة

(خروج ١٥ : ٢٢ - ٢٧)

سبّح إسرائيل الرب الذي عبّر بهم البحر الأحمر، وأنقذهم من جيش فرعون. الآن صاروا في بريّة شور، في صحراء متّسعة. ما أن عبّر الشعب وفرح وتهلّل، حتى تحوّلت أفراحه إلى مرارة وضيق. شعروا بالعطش، وبحثوا عن بئر ليشربوا، فلم يجدوا ماءً. إذ لم يسلكوا الطرق المعروفة التي بها آبار للشرب، إذ كان الله يقودهم في طريق غير مَسلوكة من قبل.

أخيراً وجدوا بئراً مياهها مرّة. اندفعوا إليها، لأنهم كانوا في ظمأ شديد هم وأطفالهم وحيواناتهم، لكنهم لم يقدرُوا أن يشربوا، لأن الماء كان مرّاً.

تذمّر الشعب على موسى قائلين: "ماذا نشرب؟".

صرخ موسى إلى الرب، فأظهر له قطعة خشب من شجرة جافة، مُلقاة. حملها موسى وطرحها في الماء.

دُهِش الشعب، إذ وجدوا الماء المرّ صار عذباً. إنه لم يروِ ظمأهم فحسب، بل وجدوا عذوبة لم يختبروها من قبل، فتهلّلت نفوسهم.

قطعة الخشب الجافة رمز لشجرة الصليب التي تدخل قلوبنا الحزينة، فتجعلها ملكوت الله المُفرّح والعذب.

ذهبوا إلى إيليم، فوجدوا اثني عشر ينبوعاً عذباً وسبعين نخلة. وكان ذلك رمزاً لتلاميذ ربنا يسوع المسيح الاثني عشر الذين قدّموا لنا مياه الحياة السماوية، ورسله السبعين الذين قدّموا لنا الطعام الروحي.

حقاً إنها رحلة شاقّة، لكنها تقدّم لنا خبرات مُفرّحة!



٤٨ - الله قائد شعبه وراعيه

(خروج ١٦ - ١٧)

انطلق الموكب في البرية، لكن من أين يأتي موسى بطعام لهذا الشعب الذي يقترب من المليونين.

وماذا يفعل إن مرض أحدهم؟

ومن يصنع أحذية للأطفال عندما نتهرأ نعالهم أو تكبر أقدامهم؟

كان الله هو القائد الذي يعولهم، ويُقدّم لهم احتياجاتهم، فلم يسمح لمرض أن يحلّ بهم حتى لا يحتاجوا إلى أطباء وأدوية، ولا أن تتهرأ أحذيتهم، ولا تلبى ثيابهم.

وصف القديس يوحنا الذهبي الفم رعاية الله لشعبه في البرية في صورة

رائعة، فقال:

[في البرية) لم يكونوا يذهبون إلى سوق، إنما يأخذون ما يشتري بمال

مجاناً.

ولم يُفَلِّحوا أرضاً، ولا استخدموا محراثاً، ولا مهّدوا الأرض للزراعة، ولا ألقوا بذوراً، ولم يحتاجوا إلى أمطارٍ ورياحٍ أو فصول للسنة للزراعة، أو أشعة شمس أو شكل مُعيّن للقمر أو طقس مُعيّن، ولا شيء من هذا القبيل.

إنهم لم يعدّوا الأرض، ولا درسوا حنطة، ولا استخدموا مذراة لفصل

الحنطة عن القش، ولا طاحوناً ولا فرناً ولا أحضروا حطباً أو ناراً في بيت.

ولم يحتاجوا إلى أدوات للعجن... ولا أي نوع آخر من الأدوات الخاصة

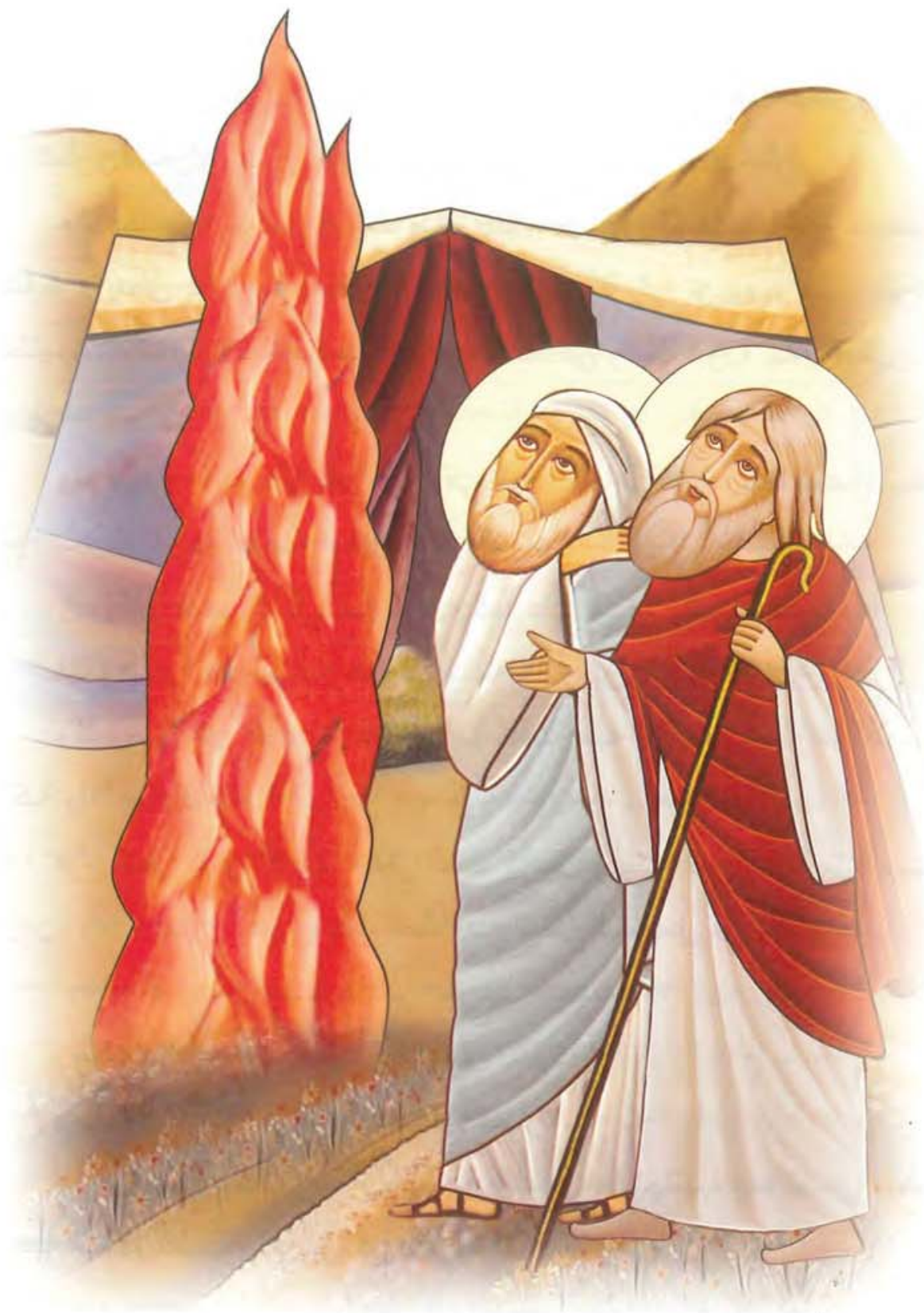
بالنسيج والبناء وصنع الأحذية، بل كانت كلمة الله هي كل شيءٍ بالنسبة لهم.

كانت لهم مائدة لم تعدّها يد بشرية، أُعدّت بدون مجهودٍ أو تعبٍ. لأنه هكذا

كانت طبيعة المنّ، إنه جديد، وطازج، ولا يحملهم أية مشقةٍ أو مجهودٍ. أمّا ثيابهم

وأحذيتهم وأبدانهم، فقد فقدت ضعفها الطبيعي. فثيابهم وأحذيتهم لم تبلّ بعامل

الزمن. وأرجلهم لم تتورّم رغم كثرة السير.



ولم يُذكَرَ قطُّ أن بينهم كان أطباء أو دواء أو أي شيء من هذا القبيل. وهكذا قد انتزع كل ضعفٍ من بينهم. فقد قيل: "فأخرجهم بفضةٍ وذهبٍ ولم يكن في أسباطهم عاثر (هزيل)" (مز ١٠٥ : ٣٧)...

أشعة الشمس في حرارتها لم تضربهم، لأن السحابة كانت تظللهم، وتحيط بهم كماوى متحرك يحمي أجساد الشعب كله.

ولم يحتاجوا إلى سراجٍ يُبَدِّد ظلام الليل، بل كان لهم عمود النار كمصدر إضاءة لا يُنطَق به، يقوم بعملين: الإضاءة بالإضافة إلى توجيههم في طريق رحلتهم... قائدًا هؤلاء الضيوف الذين بلا عدد في وسط البرية بدقة أفضل من أي مُرشدٍ بشريّ.

ولم يرحلوا فقط على البرّ، بل وفي البحر كما لو كان أرضًا يابسة... فقد قاموا بتجربة جريئة تخالف قوانين الطبيعة.

إذ وطأوا البحر النائر، ساروا فيه كما على صخرٍ يابسٍ صلبٍ.

فإذ وضعوا أقدامهم فيه صارت مادته كالأرض اليابسة...

وإذ وصل إليه الأعداء عاد إلى ما كانت عليه طبيعته، فصارت للأولين

مركبة وللأعداء قبرًا...

فقام البحر الذي لا يفهم بدورٍ مُحكَمٍ كأعقل وأذكي إنسان، قام مرّةً بدور

حارس، ومرّةً أخرى بدور مُنتقم، مُعلنًا هذا العمل المُتناقض في يومٍ واحدٍ.

وماذا أقول عن الصخرة التي أخرجت ينابيع ماء؟

وسحاب الطيور الذي غطّى الأرض بكثرتة؟

وماذا عن العجائب التي حدثت في مصر؟...

لم تكن هذه العجائب جميعها لمُجردٍ إشباع احتياجاتهم، إنما لكي يحفظ

الشعب التعاليم المُسلّمة لموسى عن معرفة الله بدقة زائدة.]

٤٩ - السماء تُمطر طعاماً

(خروج ١٦ : ١-٣٦)

سُرَّعَانِ مَا شَعَرُوا بِالْجُوعِ وَسَطَ الصَّحْرَاءِ الْقَاحِلَةِ، وَلَكِنْ لَيْسَ مِنْ طَعَامٍ يَأْكُلُونَهُ. بَدَأُوا يَتَذَمَّرُونَ عَلَى مُوسَى، قَائِلِينَ: "لَيْتَكَ تَرَكْتَنَا فِي مِصْرَ نَمُوتُ هُنَاكَ، كَانْ خَيْرًا لَنَا مِنْ أَنْ نَمُوتَ فِي الصَّحْرَاءِ!".

تَحَدَّثَ اللَّهُ مَعَ مُوسَى، قَائِلًا: "سَأُمْطِرُ عَلَيْهِمْ طَعَامًا مِنَ السَّمَاءِ فِي كُلِّ صَبَاحٍ، لِيُخْرِجُوا وَيَجْمَعُوا مَا يَكْفِيهِمْ مِنْ طَعَامٍ طَوِيلِ الْيَوْمِ".

مَعَ كُلِّ صَبَاحٍ قَبْلَ أَنْ تَشْرِقَ الشَّمْسُ كَانَ يُرْسِلُ لَهُمْ طَعَامًا مِنَ السَّمَاءِ، مَنَّا أبيض كالجليد على الأرض. كَبُذِرَ الكَزْبِرَةُ، طَعْمَهُ كَرُقَاقٍ بَعْسَلٍ شَهِيٍّ. لِمَاذَا دُعِيَ مَنَّا؟ لِأَنَّهُمْ تَسَاءَلُوا: "مَا هَذَا؟" فَإِنَّ كَلِمَةَ "مَنَّا" مَعْنَاهَا: "مَا هَذَا؟".

قال لهم موسى:

"هَذَا خَبْزُ اللَّهِ يُقَدِّمُهُ لَكُمْ! خذوا منه احتياجكم طول اليوم.

لا تحتفظوا بشيء منه لليوم التالي، فإنه يفسد ويمتلئ دوداً".

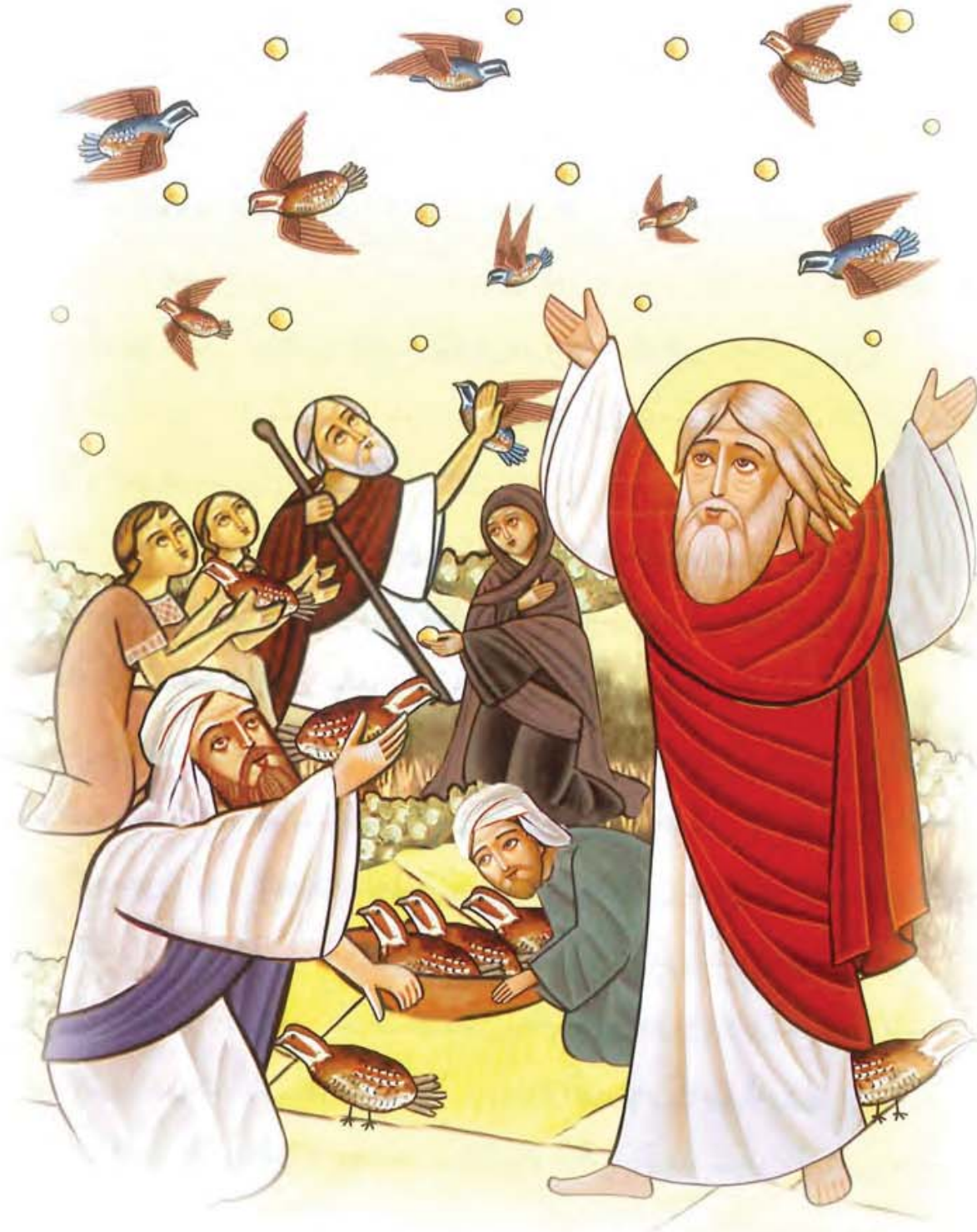
بالفعل احتفظ البعض باليمن لليوم الثاني، فصار فيه دود وأنتن.

كان الشعب يجمعه في الصباح باكراً، لأنه إذا صارت الشمس دافئة يذوب الطعام الذي على الأرض. يأكلون المَنَّا طازجاً يوماً فيوماً، ما عدا يوم السبت، إذ كانوا يجمعون يوم الجمعة طعاماً مُضَاعَفًا، يحفظون نصفه للسبت، حتى يُكْرَسُوا السبت للعبادة للرب. ولم يكن المَنَّا يدوِّد أو ينتن ليلة السبت.

لم يتوقَّف نزول المَنَّا طوال أربعين عاماً في البرية، فلم يجوعوا قط. وإذا دخلوا أرض الموعد التي تفيض عسلاً ولبناً توقَّف المَنَّا عن النزول.

انتقلوا من إيليم إلى برية سين، فاشتاقوا إلى اللحم. تَذَمَّرُوا عَلَى مُوسَى، قَائِلِينَ إِنَّهُمْ يَمُوتُونَ جُوعًا. كانوا يشتهون لو كانوا قد ماتوا في مصر، حيث كانوا يجلسون بجوار قُدُور اللحم يأكلون الخبز على رائحة الطعام.

عَوَضَ رائحة اللحم التي كانوا يشتهونها أرسل الله لهم طيوراً (سلوى) في
المساء غَطَّتْ كل المحلة ليأكلوا لحمًا. لكن الذين أكلوا السلوى (السَّمَان) بشهوةٍ
ونهمٍ شديدٍ قام الرب بتأديبهم.



٥- موسى يضرب الصخرة

(خروج ١٧ : ١-٧)

ارتحلوا من برية سين إلى دُفقة، ومن دُفقة إلى ألوش، ومنها إلى رفيديم.
وعندما لم يجدوا ماءً تذمروا على موسى وهرون، قائلين: "لماذا أصعدتنا
من مصر؟ لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش".
صرخ موسى بقلبه كما بلسانه، قائلاً: "ماذا أفعل بهذا الشعب؟ بعد قليل
يرجمونني؟!".

صرخ موسى لله مؤمناً أن النعمة الإلهية تفوق كل إمكانيات الطبيعة، إذ
يستطيع الله بطريقة أو بأخرى أن يروي ظمأ هذا الشعب.
قال الرب لموسى: "مُرْ قدام الشعب، وخذ معك من شيوخ إسرائيل،
وعصاك التي ضربت بها النهر، خذها في يدك، واذهب. ها أنا أقف أمامك
هناك، على الصخرة في حوريب".

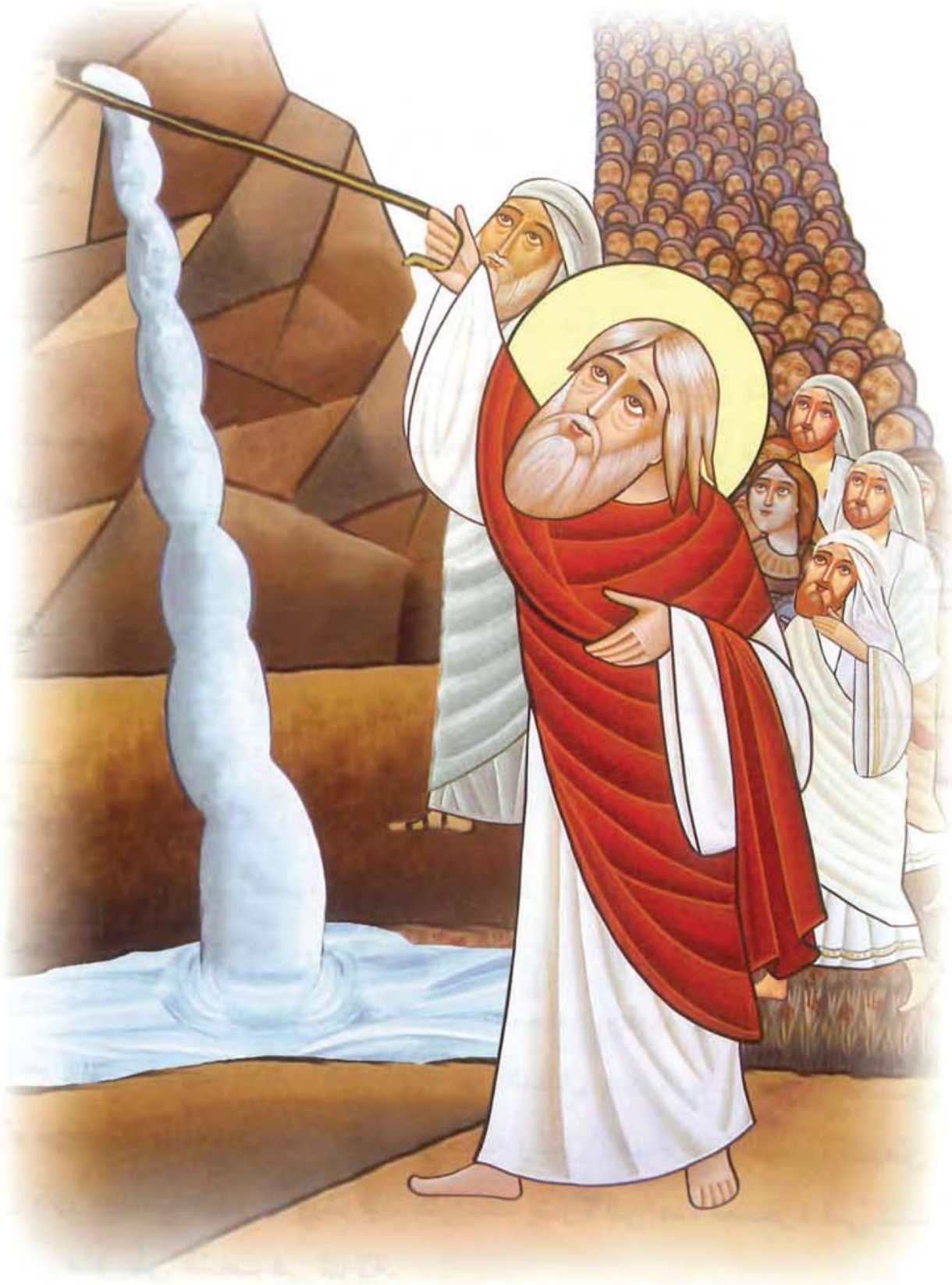
بأمر الرب ضرب موسى الصخرة، فأفاضت ماءً نقيًا باردًا، وكانت
الصخرة تتبعهم حتى لا يعطشوا.

وكما ضربت الصخرة علانية، هكذا علّق السيّد المسيح على الصليب
بسبب خطايانا، أمام الشعب. صُلب مرّة واحدة عن العالم كله، حيث أفاض لنا
دمًا وماءً كفارةً وتطهيرًا لكل مَنْ يؤمن به.

ما كان يمكن للشعب أن يرتوي من هذا الينبوع ما لم تُضرب الصخرة
بالعصا. وهكذا ما كنا نرتوي من ينبوع محبة الله اللانهائية، وننال الرُّوح القدس
فيها، ما لم يُضرب السيّد المسيح بالصليب، مُحتملاً عقوبة خطايانا.

خلال السبعة الأيام الأولى من عيد المظال عند اليهود، كانوا يُحضرون
ماء من بركة سلوام في إناء ذهبي، ويسكبه رئيس الكهنة أمام الشعب، ليُعلن أن
من كان عطشاناً فليقترب ويشرب. كان ذلك إشارة إلى هذه الصخرة التي كانت
تفيض ماءً على الشعب في البرية.

في اليوم الثامن أو الأخير من العيد، وقف يسوع المسيح، رئيس الكهنة
الأعظم وأسقف نفوسنا، ونادى قائلاً: "إن عطش أحد، فليقبل إليّ ويشرب. من
آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهارٌ ماءً حيٌّ".



٥١- معركة مع عماليق

(خروج ١٧ : ٨ - ١٦)

فجأة هجم شعب ضخم يُدعى عماليق على الشعب. هذه هي المرة الأولى التي يدخل فيها الشعب في حربٍ علانية مع شعب آخر. اختار موسى رجالاً تحت قيادة تلميذه يشوع، ودخلوا في معركة معهم، لكن شعب عماليق كان أكثر قوّة وخبرة في الحرب. وقف موسى على تلّ وفي يده عصا الله التي شقّ بها البحر، وأخرج بها ماءً من الصخرة، وبسط موسى يديه، فصار منظره على شكل صليب، وكان هرون وهور يسندان يديه حتى لا يُخفضهما. فكان كلما بسط يديه شعبه ينتصر، وإذا أخفضهما ينهزم. بقي هكذا حتى الغروب، فهزم يشوع عماليق. كان ذلك رمزاً لنصرتنا على إبليس وكل قوَّاته بقوّة الصليب.



٥٢- مشورة يثرون لموسى

(خروج ١٨)

رافقت صفورة ابنة يثرون كاهن مديان الوثني زوجها موسى كل الطريق، وعبرت معه البحر الأحمر. وعندما اقتربت من سكن أبيها، ذهبت إليه تركز له بأعمال الله العجيبة مع زوجها ومع إسرائيل شعبه، وتأتي بأبيها الكاهن الوثني ليسمع ويرى عمل الله، فيقدم مُحرقّة وذبائح لله.

اختبرت الابنة عمل الله في حياتها، فدعت أباه الكاهن الوثني ليتمتع معها بعمل الله.

جاء يثرون ليلتقي بموسى، ويمجدّ الله بكل قلبه على أعماله الخلاصيّة. جاء إلى البريّة، حيث كان موسى نازلاً عند جبل الله. ومن الجانب الآخر لاقاه أيضاً موسى العظيم في الأنبياء، الذي وهبه الله كل هذه العجائب بكل تواضع. خرج موسى لاستقبال حميه وسجد وقبله.

سأل كل واحد صاحبه عن سلامته، ثم دخلا إلى الخيمة.

قصّ موسى على حميه كل ما صنع الرب بفرعون والمصريين من أجل إسرائيل، وكل المشقة التي أصابتهم في الطريق، وكيف خلّصهم الرب. فرح يثرون بجميع الخير الذي صنعه الرب.

قال يثرون: "مبارك الرب الذي أنقذكم من أيدي المصريين، ومن يد فرعون. الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الآلهة".

أخذ يثرون حمو موسى مُحرقّة وذبائح لله، وجاء هرون وجميع شيوخ إسرائيل ليأكلوا طعاماً مع حمي موسى أمام الله.

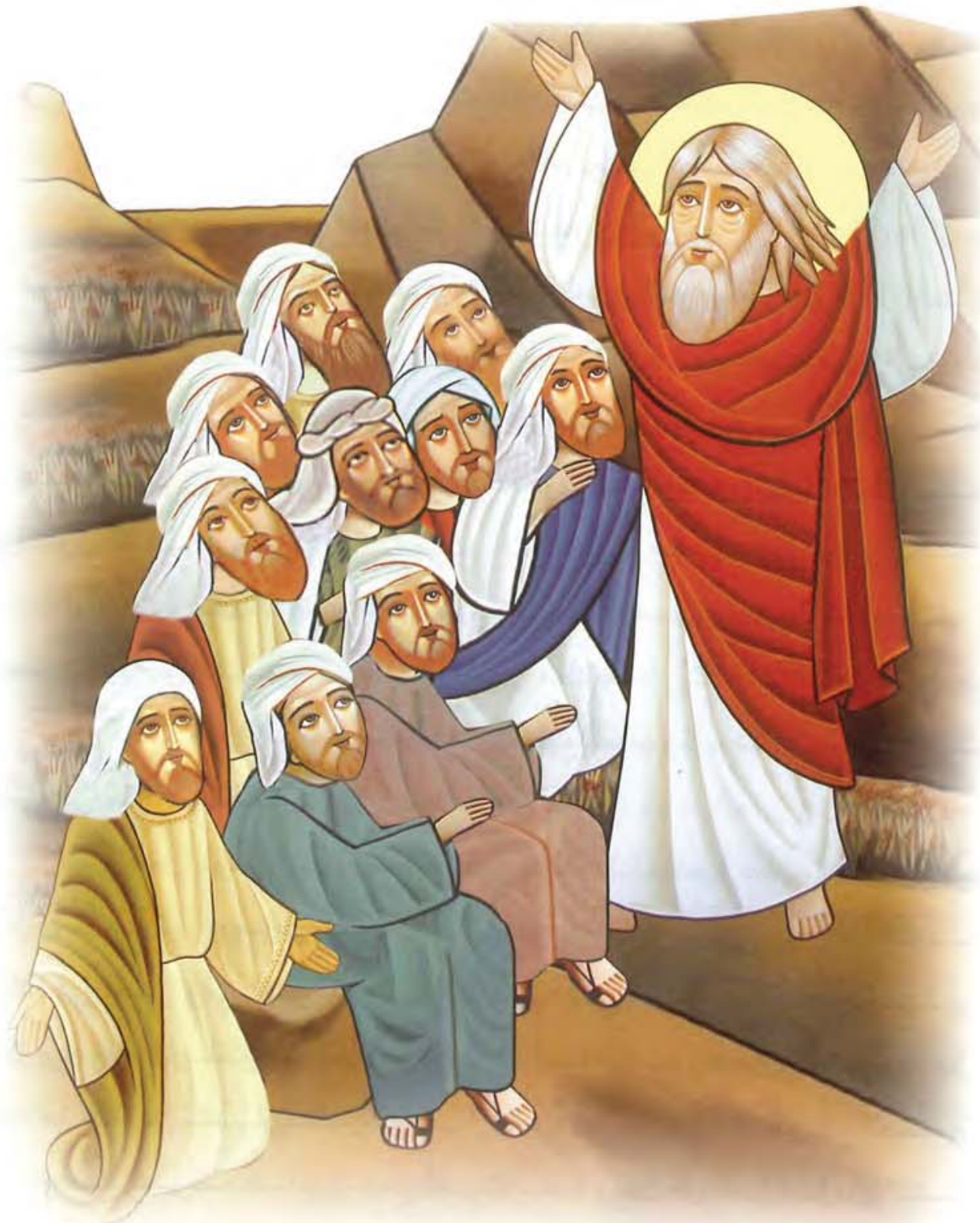
وحدث في الغد أن موسى جلس ليقضي للشعب. فوقف الشعب عند موسى من الصباح إلى المساء. فلما رأى يثرون كل ما يصنعه موسى للشعب، قال له: "ما هذا الأمر الذي أنت صانع للشعب؟ ما بالك تجلس وحدك وجميع الشعب واقف عندك من الصباح إلى المساء؟".

أجابه موسى: "إن الشعب يأتي إليّ ليسأل الله. إذا كان لهم دعوى يأتون إليّ، فأقضي بين الرّجل وصاحبه، وأعرّفهم فرائض الله وشرائعه".
رأى يثرون موسى يتحمّل كل المسؤولية بمفرده، يقضي في كلّ كبيرة وصغيرة، من الصباح حتى المساء، فقال له:
"ليس جيّدًا الأمر الذي أنت صانع. إنك تكلّ وهذا الشعب الذي معك جميعاً، لأن الأمر أعظم منك. لا تستطيع أن تصنعه وحدك.
الآن اسمع لصوتي، فأنصحك فليكن الله معك.
كن أنت للشعب أمام الله، وقدّم أنت الدعاوي إلى الله.
وعلمهم الفرائض والشرائع، وعرفهم الطريق الذي يسلكونه والعمل الذي يعملونه.

وأنت تنظر من جميع الشعب ذوي قدرة خائفين الله أمناء مبغضين الرشوة، وتقيمهم عليهم رؤساء ألوف ورؤساء مئات ورؤساء خماسين ورؤساء عشرات، فيقضون للشعب كل حين.
ويكون أن كل الدعاوي الكبيرة يجيئون بها إليك، وكل الدعاوي الصغيرة يقضون فيها. وخفّف عن نفسك فهم يحملون معك.
إن فعلت هذا الأمر وأوصاك الله، تستطيع القيام وكل هذا الشعب أيضاً يأتي إلى مكانه بالسلام".

لم يرفض موسى مشورة حميه، فمع كونه قائداً لشعبٍ عظيمٍ كهذا، وقد أغرق كل جيش المصريين في البحر الأحمر كالذباب، وصنع عجائب عظيمة هكذا في مصر وفي البحر الأحمر وفي البرية، كان يشعر أنه إنسان عادي، وكزوج ابنة كان أكثر تواضعاً من حميه. قبل منه المشورة دون غضب. لم يقل له: "ما هذا؟ هل تقدّم لي مشورتك بعد أن قمتُ أنا بكل هذه الإنجازات الضخمة؟ في تواضعٍ تصرفٍ حسناً، إذ سمع لصوت حميه وفعل كل ما قال. واختار موسى ذوي قدرة من جميع إسرائيل، وجعلهم رؤساءً على الشعب، رؤساء ألوف

ورؤساء مئات ورؤساء خماسين ورؤساء عشرات. فكانوا يقضون للشعب كل حين. أمّا الدعاوي العسرة، فكانوا يجيئون بها إلى موسى وكل الدعاوي الصغيرة يقضون هم فيها. ثم صرف موسى حماه، فمضى إلى أرضه.



٥٣- على جبل سيناء

(خروج ١٩ - ٢٤)

إذ خرج الشعب من أرض العبودية، وسلكوا في طريق البرية القفر، في طريقهم إلى أرض الموعد، كانوا في حاجة إلى استلام الشريعة الإلهية أو الوصية. لهذا يصرخ المرتل في أرض غربته، قائلاً: "غريب أنا في الأرض، لا تخف عني وصاياك" (مز ١١٩ : ١٩).

سار الشعب في برية سيناء، وبعد ثلاثة شهور من خروجهم من مصر جاءوا إلى سفح جبل سيناء أو جبل حوريب، وهناك عسكروا.

قبل أن يُسلمهم الشريعة أعلن الله حبه العملي للشعب، إذ قال لموسى: "هكذا تقول لبني يعقوب: أنا حملتكم على أجنحة النسور، وجئتُ بكم إليّ. فالآن إن سمعتم لصوتي، وحفظتم عهدي، تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب. فإن لي كل الأرض".

إنه يحبنا، ويحملنا بالروح القدس (أجنحة النسور)، ويأتي بنا إليه، أي إلى أحضانه الإلهية، لنختبر محبته، ونعرف أنه أبونا السماوي، ويريدنا أن نكون خاصته.

نزل موسى من الجبل، وأخبر الشعب بما سمعه، فقالوا: "كلّ ما تكلم به الرب نفعل".

استعدّ الشعب لمدة ثلاثة أيام، حتى يأتي الرب على الجبل أمام عيون الشعب. حدثت رعود وبروق، ثم سمعوا صوت أبواق ترتفع تدريجياً. وإذ أعلن الرب حضوره يبدو أن الجبل كلّهُ قد أضاء وارتجف جداً. وكان موسى يتكلم، والله يُجيبه.

ارتعد كل الشعب المُعسكر في المحلة أسفل الجبل، وخرجوا لملاقاة الله وهم أسفل الجبل. وكان الجبل كلّهُ يُدخّن، إذ نزل الرب عليه بالنار، وصعد دخان كثيف، وارتجف كل الجبل جداً. وحدث حوار بين الله وموسى.

دعا الرب موسى أن يصعد، وطلب منه أن يُحذّر الشعب ألاّ يتسلّوا إلى الجبل،
ولا يتعدّوا الحدود التي وُضعتْ لهم، لئلاّ يقتحموا الجبل لينظروا الرب، فيسقطون.
صعد موسى وهرون وابناه ناداب وأبيهو وسبعون من الشيوخ، وسجدوا
من بعيد، ثم اقترب موسى وحده إلى الرب.

تحدّث موسى مع الله، وكان الشعب يسمع صوت الربّ كرعدٍ، ولكنهم لا
يُفسّرون ولا يفهمون ما يقوله.

أعطى الله موسى الوصايا العشر، كما أخبره عن العهد الذي يريد أن يُقيمه
معهم.

كان هذا العهد مُقدّمًا لإسرائيل، حتى متى جاء السيّد المسيح يُقدّم عهدًا
جديدًا بالصليب، فقد أعلن الرب حُبّه بالصليب لكل البشريّة.
تكلّم الله معه بالوصايا التالية:

❖ أنا الربّ إلهك... لا يكن لك آلهة أخرى غيري.

❖ لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما... لا تسجد لهن ولا تعبدهن.

❖ لا تتلقّ باسم الرب إلهك باطلاً...

❖ اذكر يوم السبت لتُقَدّسه. ستّة أيام تعمل وتصنع جميع عملك، وأمّا اليوم

السابع ففيه سبت (راحة) للرب إلهك...

❖ أكرم أباك وأمك، لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك.

❖ لا تقتل.

❖ لا تزني.

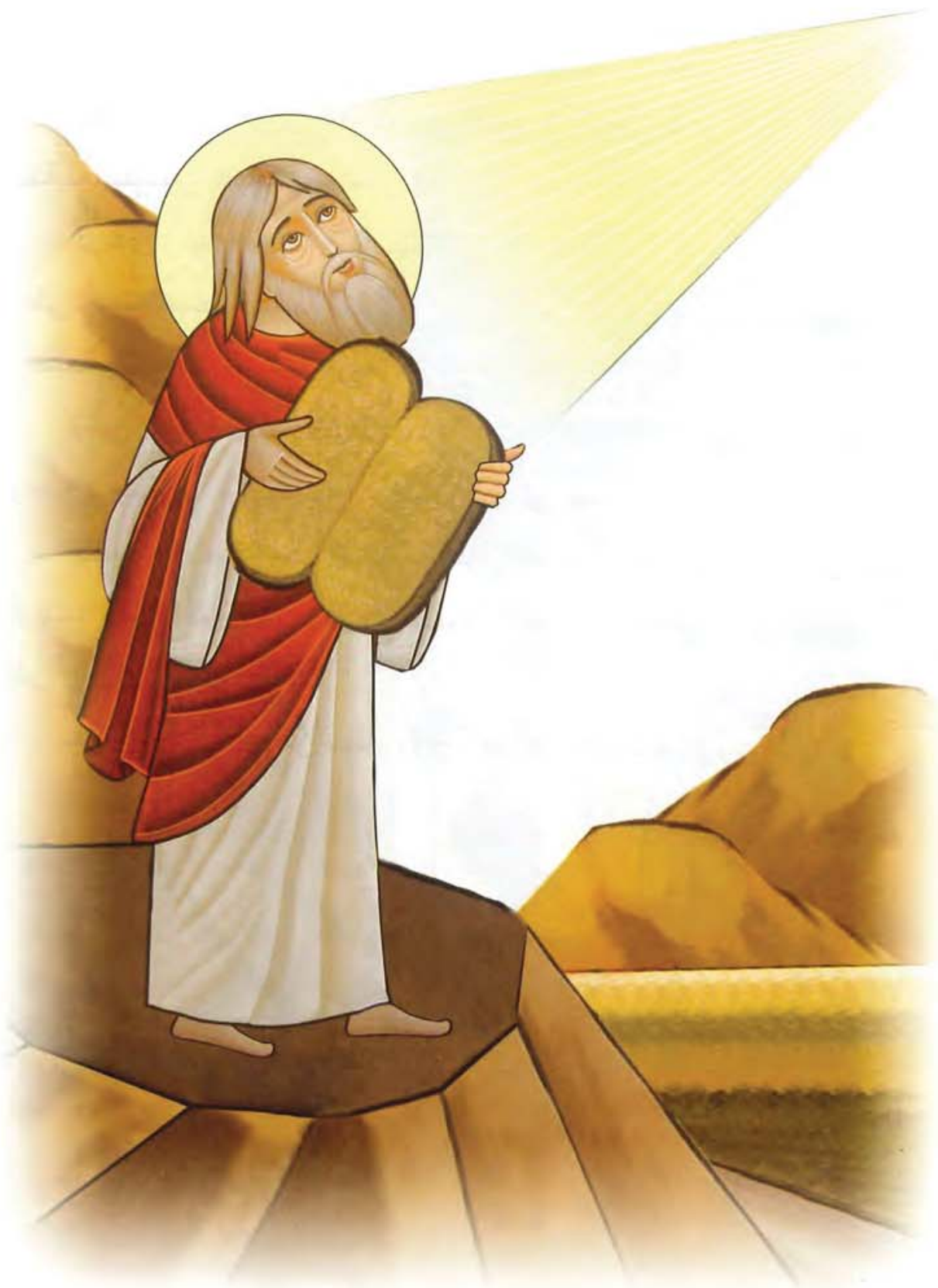
❖ لا تسرق.

❖ لا تشهد على قريبك شهادة زور.

❖ لا تشته امرأة قريبك، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئاً

مما لقريبك.

أعطاه الله أيضاً شرائع وقوانين مفصّلة لتنظيم كل جوانب الحياة.



٥٤- كهنة الله

(خروج ٢٧ : ٢٠ - ٢٨ : ٥)

أعلن الله أن هرون أخا موسى يكون هو رئيس الكهنة، وأولاده يكونون كهنة له، يقودون العبادة ويخدمون الله.

يرتدي رئيس الكهنة ثوبًا جميلًا في أسفله أجراس، وعلى رأسه عصابة، وعلى جبهته صحيفة ذهبية منقوش عليها: "قدس للرب". على صدره صدرية مُرصَّعة باثني عشر حجرًا كريمًا، ترمز للأسباط الاثني عشر.

يُشير رئيس الكهنة للسيد المسيح، رئيس الكهنة السماوي، الذي يشفع في مؤمنيه بذبيحة نفسه (الصليب)، ويدخل بهم إلى حضن الله.

لا يُسمح لأحد أن يدخل الخيمة سوى الكهنة. وهم الذين يملأون السُّرج بالزيت، وهي دائمة الإنارة. وهم يُقدِّمون البخور، ويحفظون خبز الوجوه الاثني عشر رغيفًا.

هرون وأبناؤه هم من سبط لاوي، أمّا بقية السُّبط فيعاونون الكهنة.



٥٥- العجل الذهبي

(خروج ٣٢)

أعلن الشعب قبوله للميثاق (العهد) عند سفح الجبل.

أعلنوا أنهم يقبلون الله الحيّ (يهوه) إلهًا لهم، ولن يقبلوا معه آلهة أخرى (الأوثان). هذا وقد أعلن الله قبوله لهم شعبًا خاصًا به، إن حفظوا العهد ولم يكسروه.

دعا الله موسى للصعود إلى جبل الله أو جبل سيناء مرّة أخرى، حيث صام أربعين يومًا وأربعين ليلة بدون طعامٍ أو شرابٍ.

كانت فترة فريدة في حياة موسى، أشبه بمن يعيش في السماء، لا يفكر في شيءٍ إلا رؤية الله والحديث معه. خلال هذه الفترة نقش الله العشر الوصايا على قطعتين من الحجارة، دُعيًا لوحيّ الشريعة.

هناك أعطاه الله أحكامًا خاصة بخيمة الاجتماع وأثاثاتها بكونها بيت الله الذي فيه يسكن الله وسط شعبه، وبكونها أيقونة جميلة عن السماء. إذ غاب موسى على الجبل، قلق الشعب لعدم رجوعه، وظنوا أنه قد أصابه شيء، ولا يعود.

اجتمعوا حول هرون، وأصرّوا أن يصنع لهم عجلًا من الذهب، حتى يروا إلهًا منظورًا يسير أمامهم. فقد اعتاد الشعب في مصر أن يعبد التيوس، يعبد إلهًا منظورًا مجسمًا أمامه. ما صنعوه هو أثر عبادتهم القديمة للعجل، والتي كانت لا تزال في داخلهم.

جاءوا بأقراط الذهب التي في آذان نسائهم وبنبيهم وبناتهم، وصنعوا منها عجلًا مسبوكًا، وأصعدوا مُحرقات، وجلسوا للأكل والشرب ثم قاموا يرقصون، وكانوا يُردّدون: "هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصدتكَ من أرض مصر".

قال الرب لموسى: "إذهب انزل، لأنه قد فسَدَ شعبك الذي أصدتته من

أرض مصر".

إذ فسَدَ الشعب لم يقل الله لموسى: "شعبي"، بل قال له: "شعبك".

في الصباح نزل موسى من على الجبل، وهو يحمل اللوحين اللذين أعطاه الله إياهما، وكان فرحاً مُتهللاً، إذ عاش أربعين يوماً وأربعين ليلة في حديث مُستمر مع الله، لم يكن مُحتاجاً إلى طعامٍ ولا شرابٍ ولا إلى نومٍ للراحة. كان الله هو شِبعُهُ ومصدر فرحه وراحته.

نزل موسى من الجبل إلى المَحَلَّة، ورأى الشعب يعبدُ العجل الذهبي.

اغتاظ موسى، وألقى بلوحي الشريعة على الأرض فانكسرا.

أخذ موسى تمثال الذهب وأحرقه بالنار، وسحقه وذراه على وجه الماء، وسقى الشعب. وقف موسى عند باب المحلَّة وقال: مَنْ للرب فليأت إليّ. ثم أمر بقتل من سجدوا للأوثان، خاصةً الذين من اللاويين.

غضب موسى على الشعب، لأنه كان غيوراً على قداسته. لكنه لم يفقد حُبّه الشديد لهم.

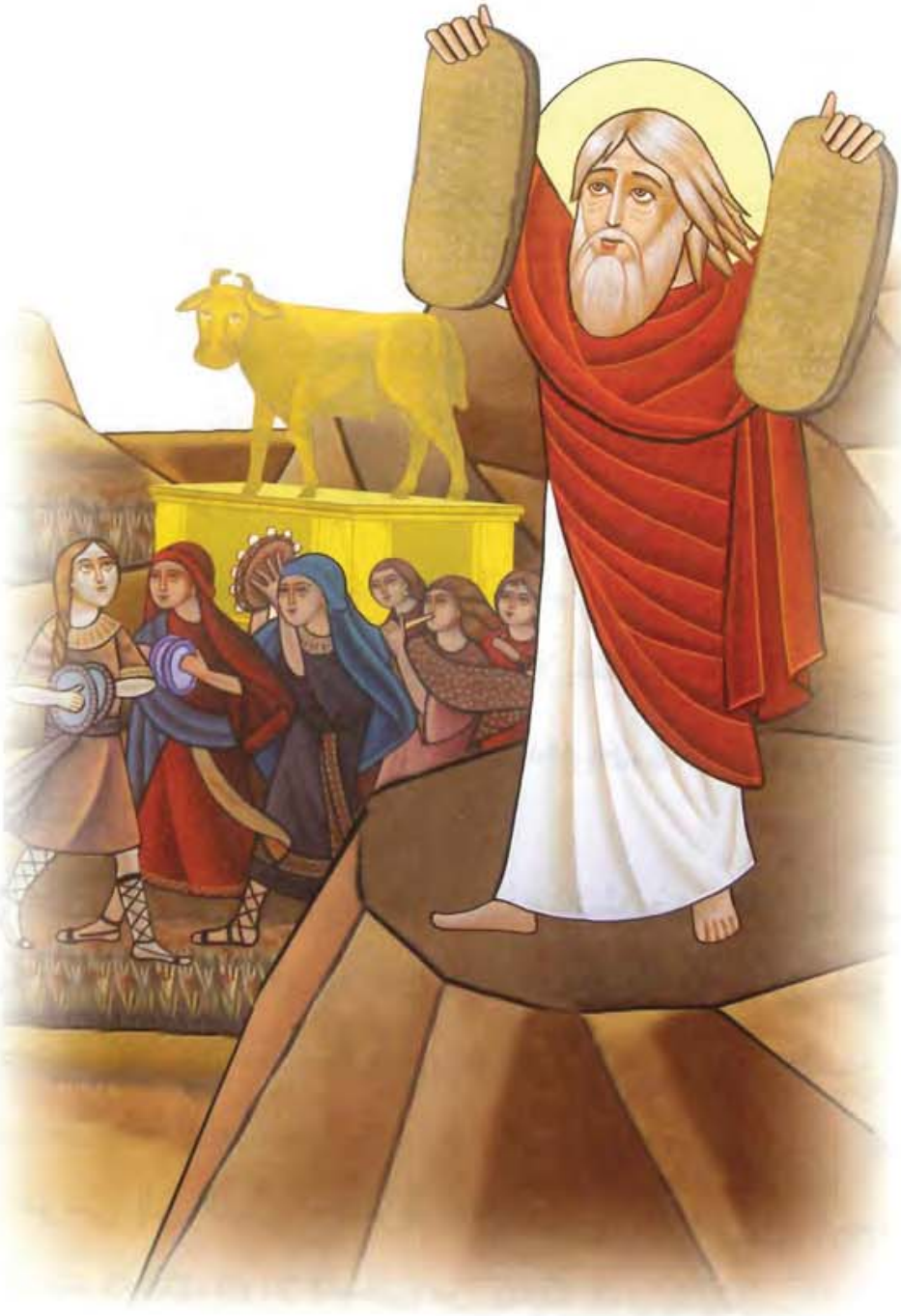
في اليوم التالي جمع الشعب، وقال لهم: "أنتم قد أخطأتم خطيئة عظيمة، فأصعد إلى الرب لعليّ أكفر عن خطيئكم".

وعندما قال له الرب: "اتركني، ليحمي غضبي عليهم وأفنيهم، فأصيرك شعباً عظيماً"، لم يقبل موسى أن يهلك الله الشعب ويستبدله بشعبٍ من نسله. بقوله: "اتركني"، يترك الله لموسى مجالاً للتشفُّع والكشف عن حُبّه لشعبه، أي مُمارسته لعمله الأبويّ. كأنه لم يُرد أن يفنيهم من أجل موسى، فيطلب منه أن يسمح له أن يفنيهم!

تَشَفَّعَ موسى عن شعبه لدى الله مُقدِّماً له ثلاث حُجج، الأولى يُذكره أنه شعبه الذي اهتم به قديماً، فأخرجه بقوة عظيمة ويد رفيعة، والثانية أن العدوّ يشمت بهزيمة أولاده، والثالثة يُذكره بمواعيده لأبائهم إبراهيم وإسحق ويعقوب عبيد الرب، الذين أقسم الله لهم بنفسه أن يُبارك نسلهم ويهبهم أرض الموعد.

صعد موسى إلى الجبل، واعترف عن الشعب كله، وشفع فيهم، ثم قال: "والآن إن غفرت خطيئتهم، وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت".

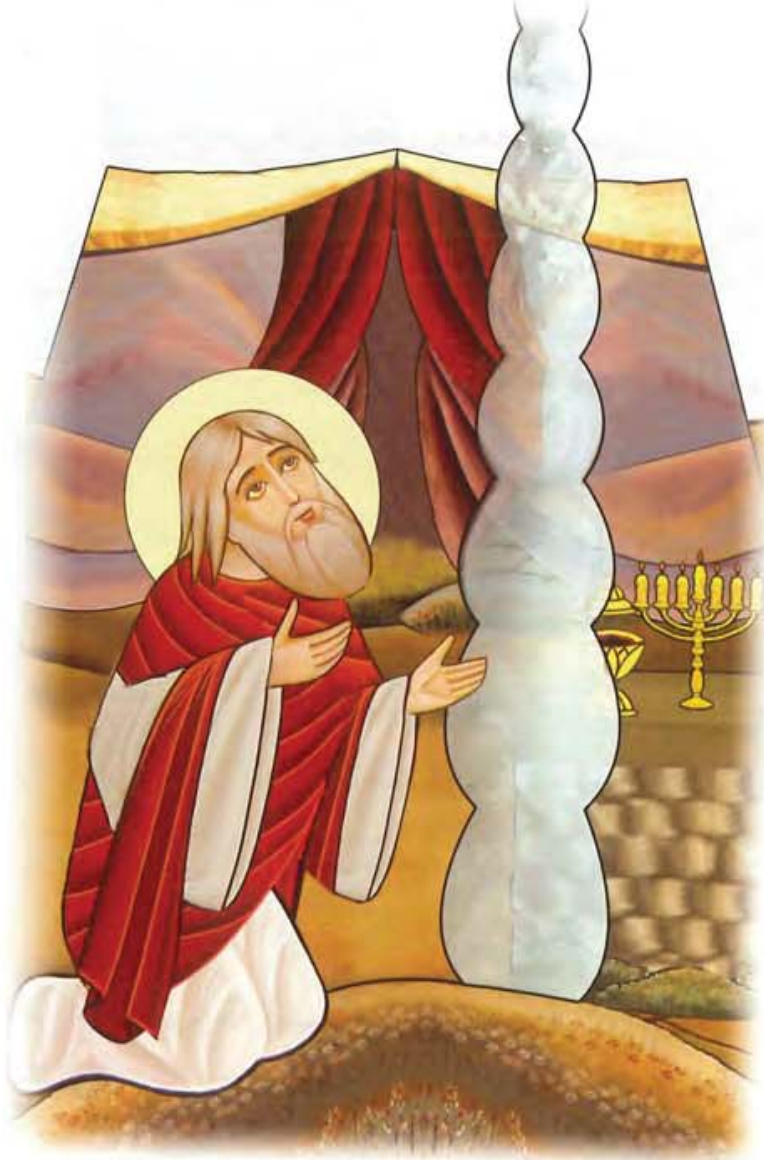
سُرَّ اللهُ بِمَحَبَّةِ مُوسَى لِلشَّعْبِ وَشَفَاعَتِهِ عَنْهُمْ، وَإِنْ كَانَ قَدْ قَامَ بِتَأْدِيبِهِمْ.
قَالَ لِمُوسَى: "هُذَا مَلَائِكِي يَسِيرُونَ أَمَامَكَ". أَرَادَ اللهُ أَنْ يَكْتَفِي بِإِرْسَالِ مَلَائِكِهِ
لِيَسِيرَ أَمَامَهُمْ، لَكِنْ مُوسَى أَصْرَّ أَنْ يَسِيرَ وَجْهَ اللهِ أَمَامَهُمْ.
أَجَابَهُ الرَّبُّ: "هَذَا الأَمْرُ أَيْضًا الَّذِي تَكَلَّمْتَ عَنْهُ أَفْعَلُهُ؛ لِأَنَّكَ وَجَدْتَ نِعْمَةً
فِي عَيْنِي وَعَرَفْتَنِي بِاسْمِكَ.
أَعْظَمُ مَا فِي حَيَاةِ مُوسَى التَّصَاقُوقَ وَعَشْرَتَهُ مَعَ اللهِ، وَمَحَبَّتَهُ لِلشَّعْبِ أَكْثَرَ
مِنْ مَحَبَّتِهِ لِنَفْسِهِ وَلِنَسَلِهِ!



٥٦- أرني مجدك

(خروج ٣٣)

نصبَ موسى خيمة خارج المحلّة، ودعاها خيمة الاجتماع. وكان كلّما خرج موسى إلى الخيمة، يقوم الشعب ويقف كل واحدٍ عند باب خيمته، ليتمتّعوا بمنظر لقاء الله مع موسى. إذا ما دخل موسى الخيمة ينزل عمود سحاب، ويقف عند باب خيمة الاجتماع. ويتكلّم الرب مع موسى، ويسجد الشعب كل واحدٍ عند باب خيمته. وكان "يُكلّم الرب موسى وجهاً لوجه كما يُكلّم الرّجل صاحبه". صار لموسى دالّة عند الله، وكان قلبه يزداد التّهاباً وشوقاً نحوه، فسأله: "أرني مجدك".



قال له الرب: "لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يراني ويعيش"، ثم قال له: "هوذا عندي مكان. فتقف على الصخرة. ويكون متى اجتاز مجدي أني أضعك في نقرة من الصخرة، وأسترك بيدي حتى أجتاز، ثم أرفع يدي، فتتظر ورائي. وأمّا وجهي فلا يُرى".

٥٧- وجه موسى المنير

(خروج ٣٤ : ٥ - ٣٥ : ١)

للمرة الثانية قضى موسى أربعين يوماً مع الله. نقش الله وصاياه على لوحين جديدين، وتحدث مع موسى.

في المرة الأولى قدم الله اللوحين منحوتين والوصايا منقوشة عليهما، لكن في هذه المرة طلب الله من موسى أن ينحت اللوحين مثل الأولين، ويكتب الله عليهما.

لقد جدد الله العهد مع شعبه الساقط، لكن الشعب فقد اللوحين اللذين من عمل الله.

نزل موسى من الجبل ومعه اللوحان.

لم يكن موسى يعلم أن وجهه كان مُشرقاً بنور الرب. كان وجهه يلمع حتى لم يستطع الشعب أن يتطلع إليه.

شعر الشعب أن ضياء وجهه يؤذيهم، فسألوه أن يضع بُرقعاً عليه، ثم بدأ يتحدث معهم عن وصايا الله.

إذ وقف موسى أمام الله، صار "جلد وجهه يلمع في كلامه معه"، الأمر الذي لم يحدث طوال السنوات السابقة، أثناء لقائه معه خلال العليقة الملتهبة أو عند تسلّم الوصايا العشر في المرة الأولى أو الشريعة.

كأن الله أراد أن يكافئه في هذه المرة من أجل حبه الشديد لشعبه أكثر من حبه لنفسه. فإن كان بالحب قبل أن يمحي اسمه من الكتاب الأبدي، إذ طلب من الله: "والآن إن غفرت خطيئتهم، وإلا فأمحني من كتابك الذي كتبت". فإنه

بالحب صار وجهه يضيء وهو بعد على الأرض!

هذا هو بهاء حياة الحب الحقيقية ومجدها!



٥٨- إقامة خيمة الاجتماع أو خيمة الله

(خروج ٣٥ - ٤٠)

على الجبل أخبرَ اللهُ موسى عن خطّته نحو شعبه، وهي أن يتمتّع الشعب بالحضور الإلهي. طلب الله منه أن يُقيم خيمة الاجتماع، وأراه مثلاً لها في السماء.

أظهر له الطريقة التي تُبنى بها الخيمة الخاصة بالله وسط خيام شعبه. في هذه الخيمة يجتمع الله بشعبه، لذلك كانت تُدعى "خيمة الاجتماع".
تنقسم الخيمة إلى قسمين رئيسيين: قُدس الأقداس والقُدس.

يوجد داخل قُدس الأقداس تابوت العهد المُصَفَّح بالذهب في الداخل والخارج وغطاؤه عليه كاروبان من الذهب. وفي داخل تابوت العهد يوجد لوحا الشهادة المنقوش عليهما الوصايا العشر، والإناء الذي به المنّ، وعصا هرون التي أفرخت.

يُعتبر قُدس الأقداس مسكن الله، لا يدخل فيه أحد سوى رئيس الكهنة يشفع في كل الشعب.

وفي القُدس المنارة الذهبية تضمّ سبعة سُرج؛ والمذبح الذهبي يُقدّم عليه البخور، ومائدة خُبز الوجوه من الذهب. أمّا المذبح النحاسي الذي تُقدّم عليه الذبائح ففي الدار الخارجية.

كما طلب الله من موسى أن يشترك كل الشعب في تقديم مواد بناء الخيمة، من ذهب أو فضة أو نحاس أو بخور أو أقمشة، أو حجارة كريمة. ووهب الله "بصائليل بن أوري" حكمة وفهماً، فيصنع خيمة يُقدّسها الرب نفسه، لأنه يسكن فيها وسط شعبه. كما اشترك كثيرون من الصنّاع المهرة في إقامتها.

كانت الخيمة ضخمة وجميلة للغاية وثمينة. صنّعت من أثنى المواد، كما خطّطها الرب نفسه. كانت من الداخل غاية في الإبداع، وفي الخارج مُغطاة بجلود ماعز وكباش.

عندما انتهوا من إقامة الخيمة، امتلأت الخيمة بالسحابة التي تُشير لحضور
الرب بمجدٍ عظيمٍ.



٥٩- يوم الكفارة العظيم

(لاويين ١٦ : ٧ - ١٠)

انفرد الشعب اليهودي بطقس "يوم الكفارة العظيم" الذي لا نجد ما يُشبهه لدى أي شعب آخر.

كان لهذا اليوم أهميته الخاصة، وطقسه الفريد، يُقدّم لنا مفاهيم رائعة عن ذبيحة رب المجد يسوع المسيح على الصليب.

كانوا يتطلّعون إليه كما نتطلّع نحن إلى يوم "الجمعة العظيمة".

كان شيوخ السنهدرين السبعون يُدرّبون الكهنة الجُدُد على طقوسه، وتحفيظهم جميع الأمور المتعلّقة به.

في الليلة السابقة لليوم كان رئيس الكهنة يظلّ مُستيقظاً حتى الصباح حتى لا يتعرّض لحلمٍ أو عارضٍ ليلٍ يُدنّس جسده، وكان الكهنة والشيوخ حوله حتى لا يغفل أو ينعس.

يقوم رئيس الكهنة بأربع خدمات:

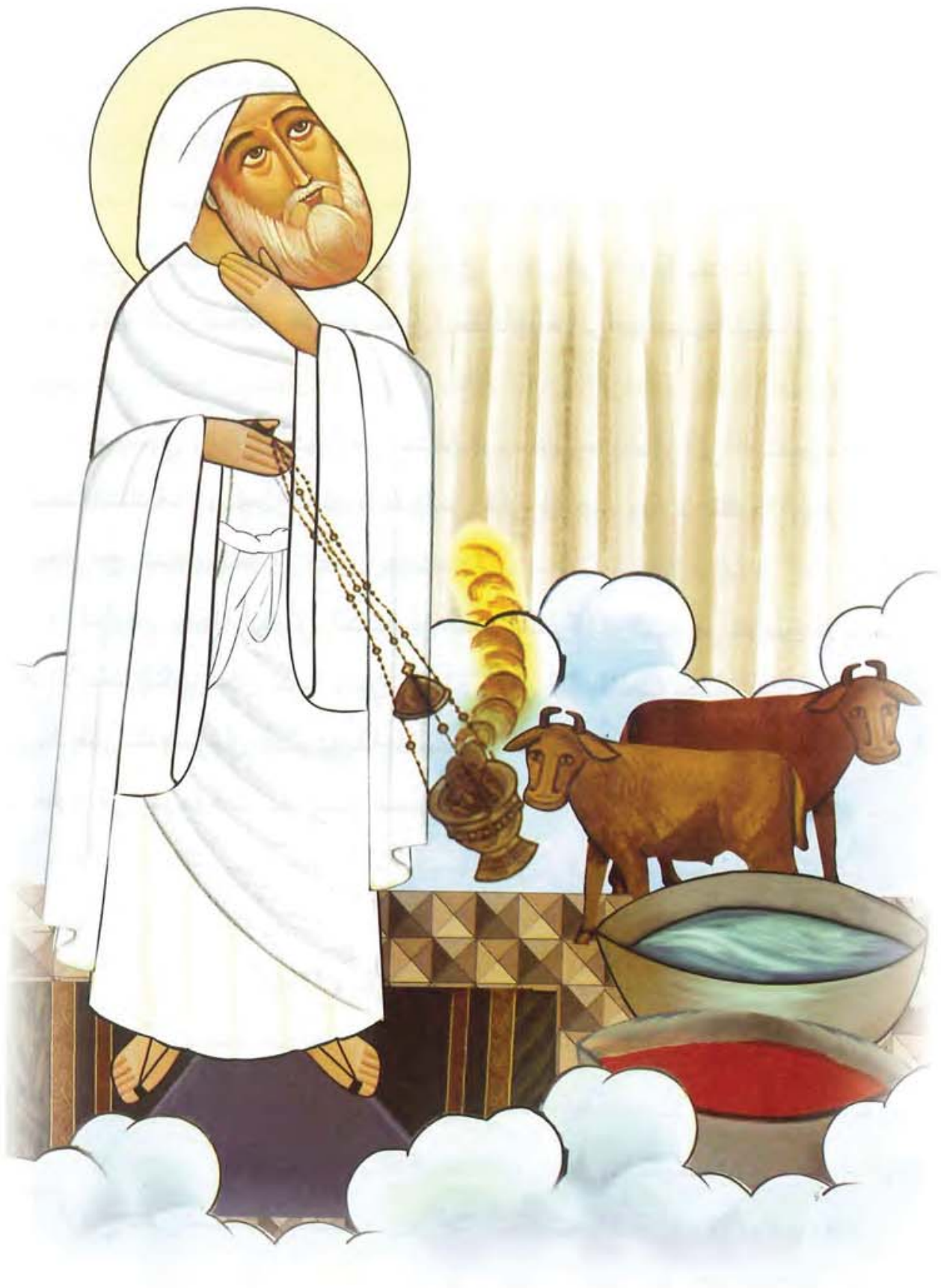
أ. خدمة الصباح اليومية: يلبس رئيس الكهنة الملابس الفاخرة التي للمجد والبهاء، ويدخل القدس ويُصلح السُّرج ويرفع البخور، ثم يُقدّم المُحرّقة الدائمة.

ب. خدمة يوم الكفارة العظيم: إذ ينتهي رئيس الكهنة من الخدمة الصباحية الدائمة، يبدأ طقس يوم الكفارة بخلع ملابسه الذهبية، ويغسل جسده، ثم يرتدي ملابس كتانية، وهي ملابس كهنة عادية، لكي لا يستكبر، بل يشعر أن طقس هذا اليوم هو لنزع خطاياهم مع خطايا إخوته وبنيه من الكهنة والشعب.

يذكر التقليد اليهودي أن رئيس الكهنة يغتسل ٥ مرات في هذا اليوم وعشر مرات يغسل يديه ورجليه، في إناءٍ ذهبيٍّ مُخصّص لهذا الغرض.

ج. خدمة تقديم الذبائح الإضافية المُقرّرة لهذا اليوم.

د. خدمة المساء اليومية: يقوم بها رئيس الكهنة بملابسه الفاخرة.



في يوم الكفارة يدخل رئيس الكهنة باسم الجماعة كلّها إلى قُدس الأقداس
مرّة واحدة في السنة، بعد مُمارسة طقسٍ طويلٍ ودقيقٍ واستعداداتٍ ضخمة.
تُقدّم ذبائح حيوانية خاصة، تُكفّر عن الشعب، وترمز إلى ذبيحة الصليب.
هذا اليوم يُقدّم فيه طقس خاص بالكفارة. يُراجعه الكهنة مع رئيس الكهنة،
ويقضون الليل كلّه معه حتى لا ينام، لئلا يمرّ عليه حلم شرير.
يُختار تيسان مُتشابهان، وهما يُمثّلان شعب إسرائيل وخطاياهم طول العام.
يُذبح تيس كذبيحة خطية تُقدّم لله. ويُطلق الثاني في البرية بحيث لا يستطيع أن
يرجع ثانية إلى المحلّة. هذا معناه أن خطاياهم قد نُزعت عنهم تمامًا ولا تُحسب
عليهم.

إذ ينتهي رئيس الكهنة من خدمة يوم الكفارة يدخل إلى القُدس، ويخلع
الثياب الكتانية، ويستعد لارتداء الملابس التي للمجد، ويقوم بتقديم المُحرقات عن
نفسه وعن الشعب بعد أن يغسل جسده.
لم يكن ممكناً لرئيس الكهنة أن يُقدّم المُحرقات التي هو موضوع سرور
الله إلا بعد التكفير عن نفسه وعن الكهنة وعن كل الشعب خلال ذبيحة الخطية.
إذ لا يقدر المؤمن أن يُقدّم ذبيحة التسبيح والفرح إلا بعد تقديم التوبة لنوال
المغفرة في استحقاقات دم السيّد المسيح.

٦٠- الاثنا عشر جاسوساً

(عدد ١٣، ١٤)

إذ كان الشعب دائم التذمُّر مُشتهياً العودة إلى أرض العبودية من أجل كراتها وبصلها وبطيخها ... الخ. أراد الرب أن يكشف لهم عن نوعية ثمار الأرض الجديدة التي وعدهم بها حتى يسحب قلوبهم إليها، دون أن ترتدّ إلى أرض العبودية.

بعد عام من خروجهم من مصر وهم في البرية، قال الرب لموسى: "أرسل رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان التي أنا مُعطيها لبني إسرائيل. رجلاً واحداً لكل سبطٍ من آبائه تُرسلون. كلُّ واحدٍ رئيسٍ فيهم".

إن كان الله قد أمر موسى بإرسال رجالٍ ليكتشفوا الأرض بأنفسهم، فقد جاء هذا الأمر استجابة لطلب الشعب نفسه. إذ يقول موسى النبي: "تقدّمتم إليّ جميعكم، وقتلتُم دعنا نرسل رجالاً قدامنا، ليتجسسوا لنا الأرض، ويردّوا إلينا خبراً عن الطريق التي نصحدها فيها، والمدن التي نأتي إليها، فحسن الكلام لدي".

كان بين الرجال اثنان ممتازان هما هوشع الذي يدعى يشوع بن نون، وكالب بن يفنة.

وكانت التعليمات الصادرة إلى الرجال تتلخص في كلمتين، هما: "اصعدوا... تشددوا".

ذهبوا بسرعة، وعادوا بعد أربعين يوماً، وقدموا تقريرهم.

انقسم التقرير المُقدّم من الرجال إلى قسمين، الغالبية العظمى لم تستطع أن تنكر ما رأته من خيرات عظيمة، لكنها ارتعبت من بني عناق وأرعبوا الجماعة، ففقدوا رجاءهم، وانحطّوا إلى اليأس.

قالوا: "إنها تفيض لبناً وعسلاً... غير أن الشعب الساكن في الأرض عمالقة". يستحيل الانتصار عليهم، لأنهم أقوياء وعُنفاء، وحصون المدن قويّة.

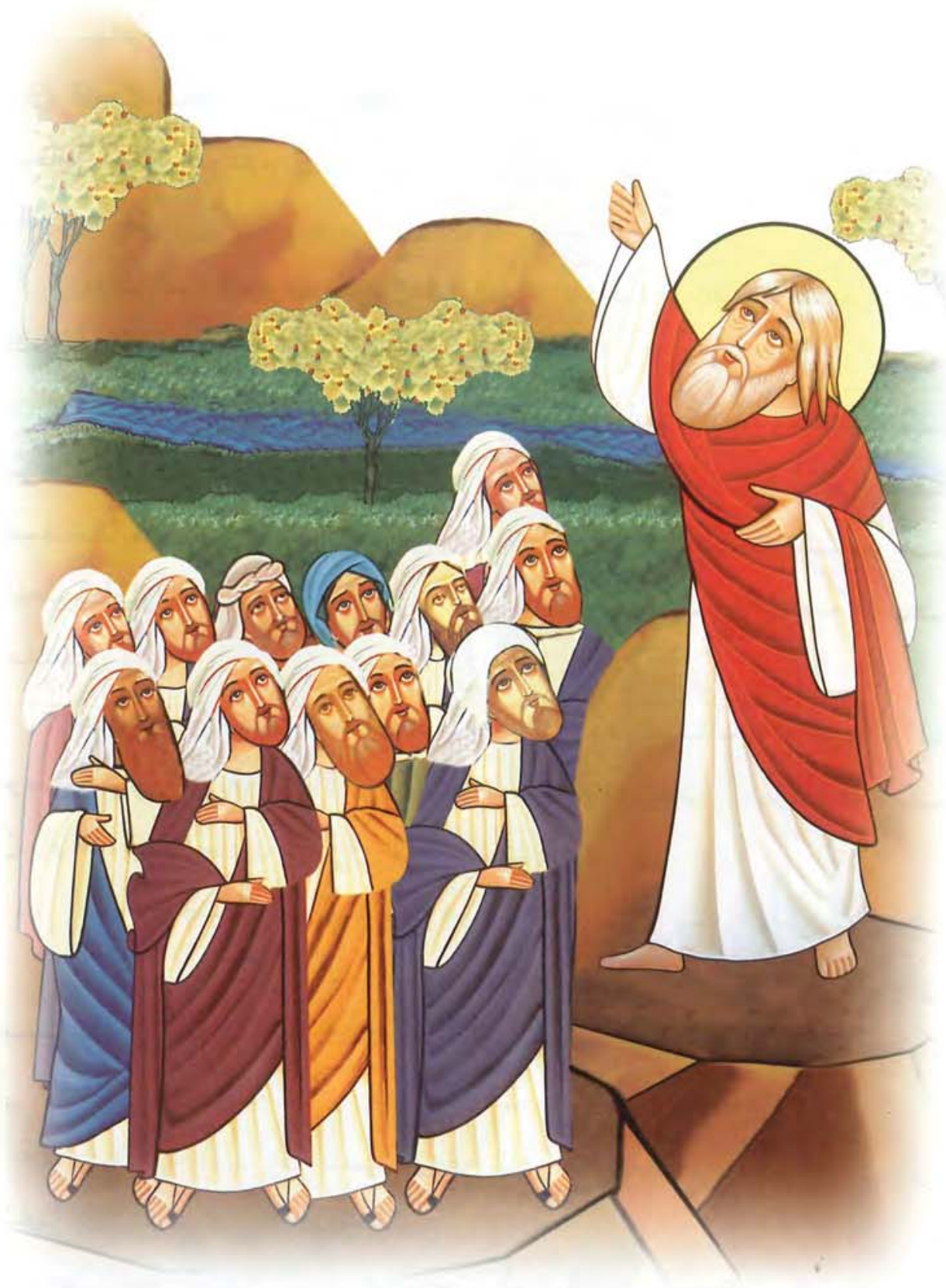
أما القسم الثاني الذي يضم كالب مع يشوع، فقال: "إِنَّا نَصْعَدُ وَنَمْتَلِكُهَا،
لَأَنَّا قَادِرُونَ عَلَيْهَا". "إِن سُرَّ بِنَا الرَّبِّ يُدْخِلُنَا إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ".

بدأت النساء تبكين، وصار الكل في حالة إحباطٍ شديدٍ، وصاروا يسألون
قائلين: "مَنْ يَقُودُنَا إِلَى مِصْرَ؟ لَسْنَا نَرِيدُ مُوسَى وَلَا خَطِيئَتَهُ".

بدأ يشوع وكالب يُطمئنان الناس، إنهم بمَعُونَةِ اللَّهِ يَنَالُونَ النَّصْرَةَ،
وَيَتَمَتَّعُونَ بِأَرْضِ الْمَوْعَدِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَمِينٌ وَقَادِرٌ عَلَى تَحْقِيقِ وَعْدِهِ.

أراد الله أن يُبَيِّدَ هَذَا الشَّعْبَ الْمُتَمَدِّمَ الْمُتَشَكِّكَ فِي قُدْرَتِهِ عَلَى تَحْقِيقِ وَعْدِهِ،
لَكِنِ مُوسَى تَشَفَّعَ فِيهِمْ أَمَامَ اللَّهِ، فَسَمِعَ لَهُ الرَّبُّ، وَغَفَرَ لَهُمْ. لَكِنَّهُ قَامَ بِتَأْدِيبِهِمْ، إِذْ
سَمَحَ بِالنِّيبَةِ (تَوَهَانِ) فِي الْبَرِّيَّةِ حَتَّى يَفْنَى كُلَّ الْجِيلِ الَّذِي خَرَجَ مِنْ مِصْرَ، وَلَمْ
يَدْخُلْ مِنْ هَذَا الْجِيلِ سِوَى يُشُوعَ وَكَالِبِ.

لَقَدْ دُفِنَ كُلُّ الْجِيلِ الَّذِي خَرَجَ مِنْ مِصْرَ، وَاسْتَمَرَّتْ رِحْلَةُ الشَّعْبِ مِنْ وَقْتِ
خُرُوجِهِمْ إِلَى وَقْتِ عُبُورِهِمْ إِلَى أَرْضِ الْمَوْعَدِ حِوَالِي أَرْبَعِينَ عَامًا.



٦١- الحية النحاسية

(عدد ٢١)

جاء هذا التأديب صفة على وجه إسرائيل، ومع هذا فمن وقتٍ إلى آخر كان الشعب يسقط في عبادة الأوثان، كانوا يتأرجحون. فمع معرفتهم أنهم لن يدخلوا أرض الموعد، بل سيدخلها أولادهم، قبلوا هذا التأديب، وتمسكوا أحياناً بالله إلهاً لهم.

مرّت السنوات وهم يجولون في البرية. مع كل الرعاية المستمرة التي قدّمها الله لهم، اتسموا بالتذمّر والتمرّد على الله.

وهبهم الله النّصرة على ملك عرّاد الذي ثار عليهم كحمارٍ وحشي. لكن سرعان ما ضاقت نفس الشعب، وتكلّموا على الله وعلى موسى قائلين: "لماذا أصعدتنا من مصر؟! لنموت في البرية، لأن لا خبز ولا ماء، وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف". فأرسل الرب على الشعب حياتٍ مُحْرِقة لدغت الشعب، فمات كثيرون.

حين تذرّوا بسبب العطش احتملهم الله ولم يُعَاتِبهم بكلمة واحدة، وإنّما أمر موسى وهرون أن يُفجّرا ماءً من الصخرة، أمّا الآن إذ وهبهم نصرة وغلبة بعد أن رواهم من الصخرة، فبتكرار التذمّر قام بتأديبهم.

أسرع الشعب إلى موسى، مُعترفين أنهم أخطأوا، وصلى موسى لأجلهم.

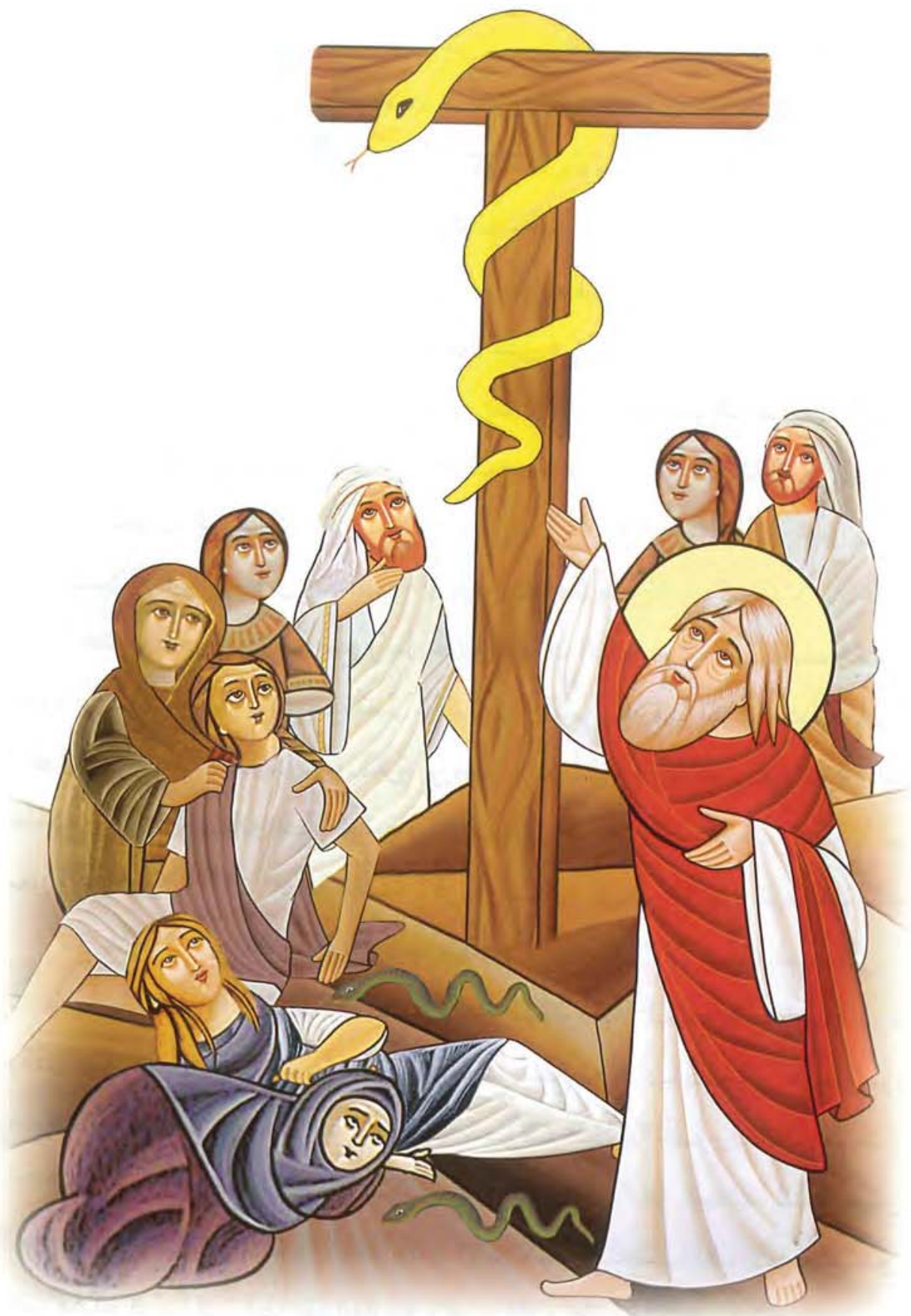
لم ينزع الله التجربة، لكنه فتح باب الخلاص منها. قال الرب لموسى: "اصنع لك حية من نحاس وضعها على الراية. فكان متى لدغت حية إنساناً ونظر إلى الحية النحاسية يحيا".

ما هذه الحية إلا رمز للسيد المسيح الذي حملَ خطايانا على الصليب

ليشفينا من لدغات الحية القديمة، إبليس.

قال السيد المسيح: "كما رفع موسى الحية في البرية، هكذا ينبغي أن يُرفع

ابن الإنسان، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية".



٦٢ - حمار يتكلم!

(عدد ٢٢ - ٢٤)

إذ أشرف الشعب على الدخول إلى أرض الموعد، ابتكر الشيطان حرباً جديدة خلال بلعام الساحر والعرّاف. استخدمه الله لتحقيق رسالة إلهية ومقاصد علوية، فإنه ليس غريباً أن يُخرج من الأكل أكلاً، ومن الجافي حلاوة. رأى بالاق ملك موآب الخطر يحوِّط به، وعوض أن يستعدّ للحرب بخطة حربية، التجأ إلى بلعام لكي يلعن شعب إسرائيل، فينهزم أمامه. أدرك بالاق أن سرّ القوة في هذا الشعب ليس في أسلحته، لكن في وجود الرب وسطهم كسرّ البركة. لهذا عوض أن يُجهّز جيشاً لمُحاربتة، أرسل رُسلًا وقدم هدايا كثيرة ووعد بوعودٍ لكي يأتي بلعام ويلعن هذا الشعب، فتُنزع عنه البركة. لكن ما حدث أن اللعنة تحوّلت إلى بركة.

صدر الأمر من قبل الله نفسه ألا يلعن بلعام شعب الله.

رفض بلعام أن يذهب مع رُسل بالاق، فعاد الأخير وأرسل إليه أناساً أعظم، رؤساء موآب، وأغراه بالمال، قائلاً له: "لأنني أكرّمك إكراماً عظيماً، وكل ما تقول لي أفعله. فتعال الآن، العن لي هذا الشعب". أجاب بلعام في حزم: "ولو أعطاني بالاق ملء بيته فضةً وذهباً، لا أقدر أن أتجاوز قول الربّ إلهي لأعمل صغيراً أو كبيراً". كانت إجابة قاطعة وقوية، سجلها الوحي الإلهي لتوبيخنا.

مع هذه الإجابة القوية، مال قلب بلعام نحو المكافأة الأرضية، فعوض أن يرد عليهم بما أخبره الرب به أولاً، سألهم أن يمكثوا ليلة ليسمع صوت الرب ثانية، وكأنه كان يأمل أن يُغيّر الله رأيه، لهذا سمح له الرب بالنزول حسب سؤال قلبه. إذ كثيراً ما يستجيب الرب لنا حسب انحراف قلبنا إذا أصررنا على طلبتنا.

تكلم الرب مع بلعام حسب اشتياق قلبه المنحرف نحو الهدايا. لذلك أمره بالذهاب مع رؤساء موآب. وإذ تمّ بلعام الأمر، حمي غضب الله، لأنه مُنطلق، ووقف ملاك الربّ في الطريق ليقاومه وهو راكب على أتانته وغلماه معه،

فأبصرت الأتان ملاك الرب واقفاً في الطريق، وسيفه مسلول في يده. فمالت الأتان عن الطريق، ومشيت في الحقل. فضرب بلعام الأتان ليردها إلى الطريق. فتح الرب فم الأتان، فقالت لبلعام: "ماذا صنعت بك حتى ضربتني الآن ثلاث دفعات؟!!" لم يظهر بلعام أية علامة اندهاش، بل أجاب: "لأنك ازدريت بي، لو كان في يدي سيف، لكنت الآن قد قتلتك!".

صارت الأتان دياناً له، فبصوت الحيوان الأعجم يخزي من كان يظن أنه

حكيم.

لما أبصرت الأتان ملاك الرب، مالت وزحمت الحائط، وضغطت رجل بلعام بالحائط، فضربها أيضاً.

خرج الملك بنفسه لاستقباله، وفي عتاب قال له: ألم أرسل إليك لأدعوك؟ لماذا لم تأت إلي؟ أحقاً لا أقدر أن أكرمك؟!

أخذ بالاق بلعام إلى مرتفعات بعل، وهناك طلب الأخير من بالاق أن يبني له سبعة مذابح ويهيئ له سبعة ثيران وسبعة كباش، وقدم بالاق وبلعام ثوراً وكبشاً على كل مذبح قبل أن ينطلق إلى رابية لسمع صوت الرب.

أراد الله أن يشهد للحق أمام الأمم ولو خلال عراف.

استغل الله هذا الموقف لكي يُقدم للأمم خمس نبوات على فم بلعام بقيت في

سجلات الأمم:

النبوة الأولى (٢٣: ٧-١٠): تتحدث عن التجسد الإلهي.

النبوة الثانية (٢٣: ١٦-٢٤): تتحدث عن آلام السيد وقيامته.

النبوة الثالثة (٢٤: ١-١٤): تتحدث عن يوم البنطيقستي (الخمسين).

النبوة الرابعة (٢٤: ١٥-١٩): تتحدث عن الكرازة بالسيد المسيح.

النبوة الخامسة (٢٤: ٢١-٢٥): تتحدث عن اقتناء المسيح يسوع ربنا.



٦٣- العظة الوداعية

أو

نشيد موسى

(تثنية ٣١ - ٣٢)

بلغ الشعب كله شمال شرق البحر الميت في مقابل أرض كنعان.
عرف موسى النبي أنه سينتقل بعد قليل من هذا العالم، وأنه لا يدخل أرض
الموعد.

أمره الله أن يضع يده على تلميذه يشوع لنتقل السلطة والقوة إليه.
كان موسى قائداً ناجحاً، إذ اهتم بالصف الثاني من القيادة، ليمتد العمل
ولا يتوقف.

في تواضع قال: "أنا اليوم ابن مئة وعشرين سنة، لا أستطيع الخروج
والدخول بعد..."، كما أعلن فرحه بأن تلميذه يشوع يُحقِّق ما لم يستطع هو أن
يُحقِّقه. "الرب قال: لا تعبر هذا الأردن... يشوع عابر قدامك كما قال الرب".
لم يطلب موسى النبي يوماً إضافياً على عمره ليتمَّ العمل ويدخل بالشعب
إلى أرض الموعد.

أكد موسى النبي أن الله هو القائد الحقيقي لشعبه، كما قادهم في أيام
موسى، سيقودهم خلال يشوع.

سند موسى الشعب لكي يُحقِّق يشوع رسالته، كما سند يشوع مُعلنًا: "الرب
سائر أمامك، هو يكون معك، لا يُهملك ولا يتركك. لا تخف ولا ترتعب".
وقف موسى وبجواره يشوع وبدأ يُعلم الشعب، كانت آخر عظة له لشعبه

عبارة عن أنشودة تُدعى: "أنشودة موسى".

تغنى فيها عن عظمة الله، وعن اختيارهم كشعب الله المُختار. كما وبّخهم
على انجذابهم أحياناً للعبادة الوثنية. كما تحدّث معهم بكل صراحة وبدون
مُجاملة، عمّا سيحلّ بهم متى انصرفوا عن الحق الإلهي.

ماذا قدّم لهم في العظة الوداعيّة أو نشيده الأخير؟

١. دعا موسى النبي الملائكة وكل الطغمات السمائيّة، كما يدعو كل الأمم لكي تشهد على ما ينطق به بخصوص معاملات الله العجيبة مع شعبه.
٢. تظهر عظمة الله في رعايته لخليقته، فهو صالح وكامل في عنايته بخليقته، كل ما يسمح به هو لخير شعبه.
كما هو عادل وأمين، ليس فيه ظلم.
٣. مع أمانة الله التي لا يشوبها شائبة، انحرف الشعب، وفي غباوة حنث بوعده مع الله.
بسلوكهم المعوج في معاملاتهم مع الله الأمين لم يضيروا الله في شيء،
إنّما أفسدوا أنفسهم بأنفسهم.
هم مصدر خطيئتهم، وهم علة فسادهم وهلاكهم.
٤. يليق بالمؤمن أن يتعلّم من آباءه ليس فقط كلمة الله ووصاياه، وإنّما عمله معهم عبر العصور.
٥. حرّر الله شعبه من العبودية، واهتمّ بهم في البرية، لا ليهبهم أرضاً تفيض عسلاً ولبناً، وإنّما يُقدّم لهم ذاته، فيصير هو نصيبهم، وهم نصيبه. "إنّ قِسْمَ الرب هو شعبُهُ. يعقوب حَبْلُ نصيبه".
٦. يُحرّكُ النسر عُشَّهُ، ثم يَنسُطُ جناحيه ويرف بجناحيه لكي يُلزم صغاره على الاستعداد لترك العُش والتمرنُ على الطيران.
هكذا حرّك الله كل ما هو حول شعبه بالضربات العشر لكي يدفعهم للخروج من أرض مصر، والطيران في البريّة، فيدخلوا أرض الموعد أو بالأحرى يحملهم إليها.
يقول لهم: "وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئتُ بكم إليّ" (خر ١٩ : ٤).
إنه يفتح حضنه لنستريح فيه.

" الربُّ سائرٌ أمامك. هو يكونُ معك. لا يُهملُك ولا يتركُك. لا تخفُ ولا ترتعبُ "

(تثنية ٣١: ٨)



٦٤- موت القُبلة

(التثنية ٣٣ - ٣٤)

بعد أن ترنم موسى النبي بالنشيد ليختم حياته مُتهللاً بالرغم من إدراكه ما سيحلّ بالشعب حيث يجحدون الإيمان، قدّم البركة للشعب ككل، كما قدّمها لكل سبط.

لم نسمع عن زوجة موسى، ولا عن أولاده أو بناته حسب الجسد، ولم يوص أحدًا منهم بشيءٍ، ولا اهتم بتدبير أمورهم الماديّة، لكنه حسَبَ الشعب كله أولاده، فلم ينطلق من هذا العالم دون أن يُباركهم. بارك الأسباط، مُبتدئًا بيهودا الذي يأتي السيّد المسيح، وأخيرًا بارك الشعب ككل.

إذ انتهى من تقديم البركة ترك موسى المحلّة وحده، وصعد ببُطءٍ إلى جبل نَبُو، حتى بلغ قمّته.

هناك استطاع أن يرى كنعان عبّر نهر الأردن. قال الله لموسى: هذه هي الأرض التي وعدتُ إبراهيم وإسحق ويعقوب أن أعطيها لنسلهم. تستطيع أن تنتظر إليها من هنا، لكنك لا تقدر أن تدخلها. أسلم موسى النبي رُوحه في يد الرب، وهو في المئة وعشرين من عمره، ولم تضعف عيناه، ولا فقد نضارة جسمه.

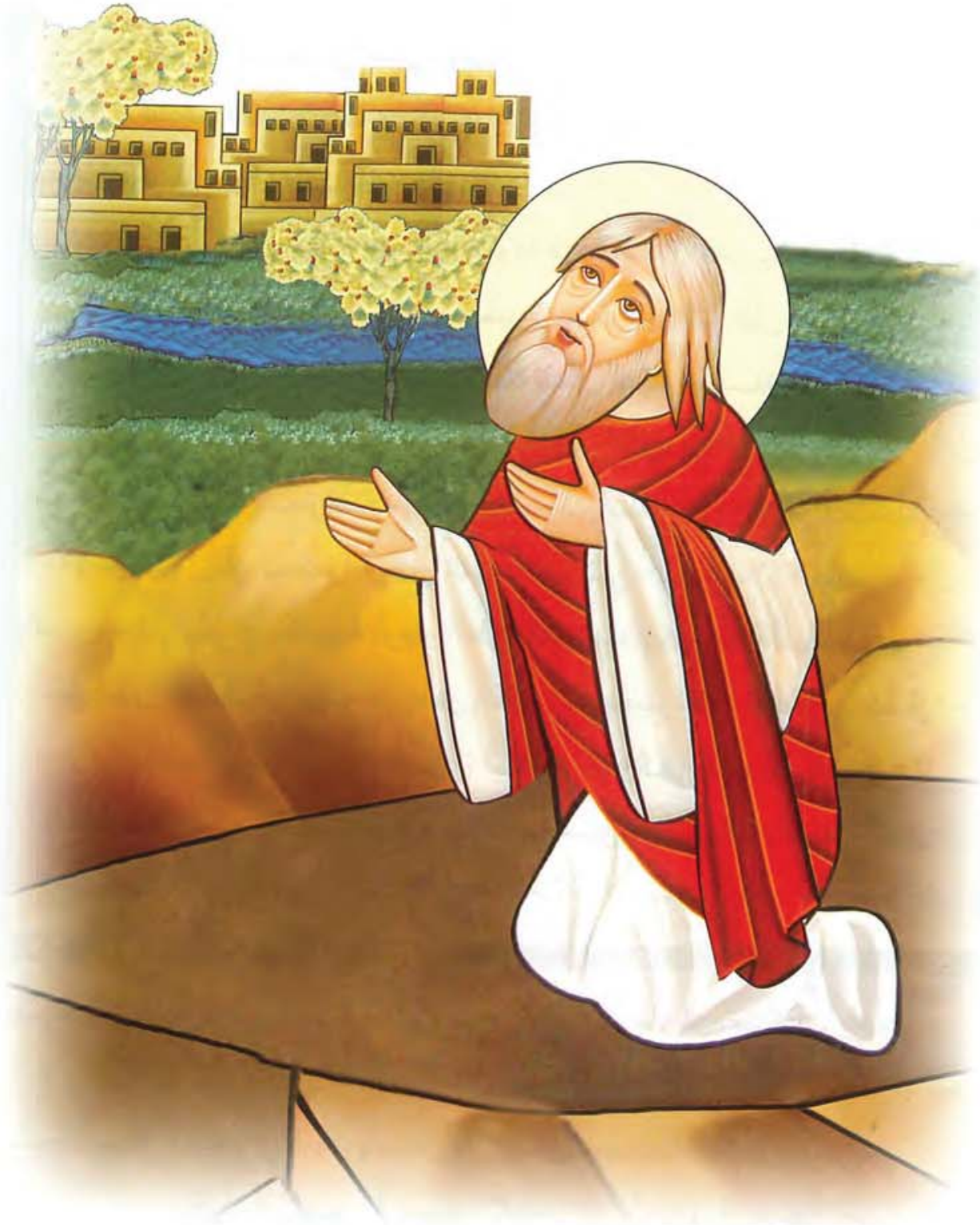
قيل إنّ الرب دفنه في الجواء (الوادي الواسع) مُقابل بيت فغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم.

كانت جنازته فريدة، لم يحضرها أحد من البشر، بل أقامها له السماويون بالفرح. لم يكن معه من يدفنه، فقام الرب بهذا العمل.

لا يعلم أحد حتى اليوم أين دُفن، لم يُوجد من يشبه موسى النبي، حتى جاء

السيّد المسيح، رب موسى.

يَدْعُو الْيَهُودَ مَوْتَ مُوسَى "مَوْتَ الْقُبْلَةِ"، إِذْ قَبَّلَهُ الرَّبُّ وَأَخَذَ نَفْسَهُ.
قِيلَ فِي رِسَالَةِ يَهُوذَا: إِنَّ إِبْلِيسَ أَرَادَ أَنْ يُظَهِّرَ جَنَّتَانَهُ كَيْ يَعْبُدَهُ الْيَهُودَ بَدَلًا
مِنَ الرَّبِّ لِحُبِّهِمُ الشَّدِيدِ لَهُ، لَكِنْ مِيخَائِيلُ رَئِيسُ الْمَلَائِكَةِ انْتَهَرَهُ بِاسْمِ الرَّبِّ."



الفترة الخامسة

أرض تفيض عسلاً ولبناً

الآن مات موسى النبي واستلم يشوع - رمز يسوع المسيح - قيادة الشعب كله. استطاع يشوع أن يدخل بهم أرض الموعد، فصاروا أمةً مُستقلّة، لها وطنها ولها قاداتها.

كان يشوع قائداً روحياً، موهوباً في العمل العسكري أيضاً، بالرغم من أن الجيش لم يكن له خبرة عسكرية ذات شأن. دخل يشوع في معارك كثيرة مع الأمم التي كانت تقطن البلاد. كانت انتصاراته تعتمد على علاقته مع الله، لأن القائد الحقيقي كان هو الله القدوس.

استمرت المعارك لسنين طويلة، وفي سنة ١٠١٥ ق.م استطاع الإسرائيليون أن يحكموا أرض الموعد في شيء من السلام الحقيقي.

قام يشوع بتقسيم الأرض على الأسباط، وكان لكل سبط شيوخ يحكمون السبط من وقت إلى آخر. كثيراً ما سقطوا في الشر، وكان الرب يؤدّبهم بسقوطهم في أيدي الأعداء. وكان الله يُقيم قضاة لخلصهم، وكان القاضي يحكم مجموعة من الأسباط وليس كل الأسباط.

٦٥- جاسوسان على السطح

(يشوع ١ ، ٢)

قاد الله شعبه في البرية لمدة ٤٠ عاماً. وأخيراً عسكروا في أرض موآب، شرق نهر الأردن. بأمرٍ إلهيٍّ وضع موسى يده على رأس تلميذه يشوع الذي كان مملوءاً حكمة.

قال الله ليشوع، القائد الجديد: "تشدّد وتشجّع. كما كنتُ مع موسى أكونُ معك. فإنك ستدخل بالشعب إلى الأرض التي وَعَدْتَهُمْ بها". آمن يشوع بوعد الرب، وأخبر الشعب كله بما سمعه، قائلاً: "إنه وقت لعبور نهر الأردن، ونستلم الأرض التي وهبنا الله إياها".

خلال الأربعين سنة في البرية اختبر الشعب بعض المعارك، وكان الله هو سرُّ قوتهم، لكنهم لم يختبروا قطّ منذ قيامهم كشعبٍ، أن يقتحموا مُدناً مُحاطةً بحصونٍ. الأمر يحتاج إلى خِطة ومهارة وأسلحة، الأمر الذي لم يكن في مقدرتهم.

بينما كان الشعب يتحرك من هنا وهناك بسرعة، كان كل واحدٍ منهم مُنشغلاً بحزم أمتعته استعداداً للرحيل، التقى يشوع بجاسوسين سرّاً، وقال لهما: "لديّ عمل لكما هام وخطير للغاية.

أود أن تعبرا النهر، وتدخلّا مدينة أريحا سرّاً، لكي تُقدّما تقريراً عن هذه المدينة المُحصّنة بأسوار ضخمة عالية، وعن الأرض التي حولها.

فإنه يقطن في المدينة أناسٌ أقوياء، سيقفون أمامنا ويحاربون". اضطرب الشخصان جداً. وقال أحدهما للآخر: "جاسوسان! نصير

جاسوسين لأجل الله! إنه أمر خطير، لكن الله يحمينا".

عند الظهيرة عبّر الجاسوسان نهر الأردن، ووقفوا في بداية الليل أمام أسوار أريحا الضخمة، فإنه لم يكن سهلاً عليهما أن يدخلوا المدينة.

كان كثيرون يدخلون ويخرجون من أبواب المدينة. اختفى الجاسوسان بينهم حتى لا يلاحظ أحد أنهما غريبان. قال أحدهما للآخر: "يلزمننا أن نجد مكاناً نبيت فيه الليلة، فقد صار الوقت متأخراً."

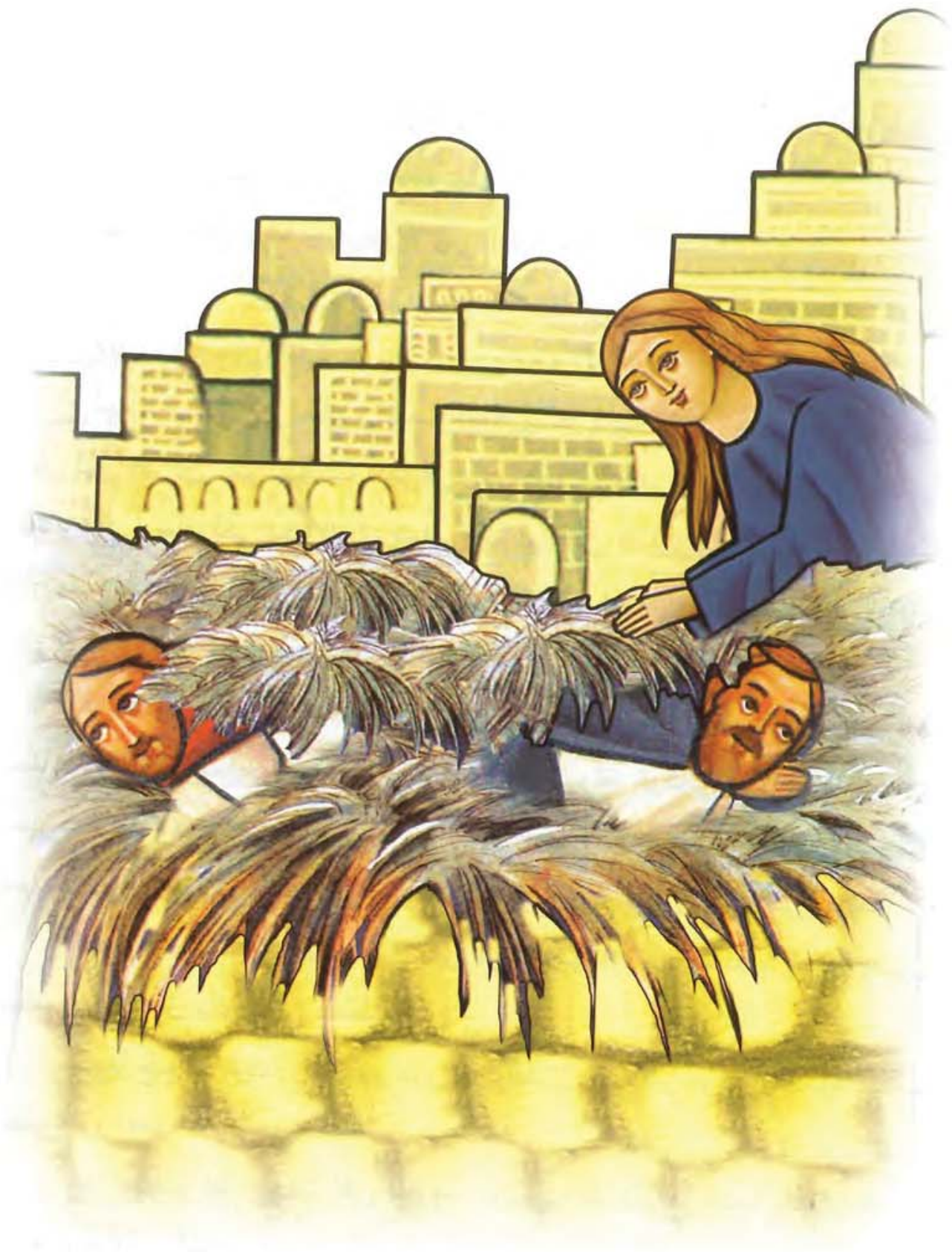
- إني أخشى أن يرانا أحد، ويُخبرُ الملك، فنموت.
- انظر! ها هو منزل مبني على السور، وله نافذة خلفية، يمكننا أن نهرب منها ولا يرانا أحد.

- هلمّ نرى إن كنا نجد فيه موضعاً لنا.
رحبتُ راحاب صاحبة المنزل بهما عندما دخلا إليها، وقالت لهما: "هل أنتما الجاسوسان اللذان يبحث عنكما الملك؟".

خاف الجاسوسان جداً، وفكرا قائلين: "هل أتينا إلى الفخ بأرجلنا؟". أدركتُ راحاب ما يفكر فيه الجاسوسان، إذ ظهرت علامات الارتباك عليهما، وبابتسامة عذبة، قالت لهما: "لا تخافا! فإني سأخفيكما! إني سعيدة بحضوركما في بيتي! إن الملك والمُشيرين والجند وكل الشعب في خوفٍ. لقد سمعنا عن شعبكما، وعن إلهكما الذي يعمل عجائب كثيرة لأجلكم. سمع كل واحدٍ كيف أعانكم الله للغلبة على أعدائكم. لقد وهبكم النُصرة. إنه إله السماء. هذا ما يدفعني أن أساعدكما!".

صممتُ راحاب قليلاً، ثم استرسلتُ في الحديث: "إني أعترف لكما إنني كل يوم أقف على سطح بيتي، وأتطلع لأرى شعبكما من بعيد وراء نهر الأردن، في موآب. كنتُ ومازلت أقول في نفسي: يا لهذا الشعب السعيد بإله السماء والأرض. هل يمكنني أن أومن به، وألمس محبته؟!"

أنا أعترف بكثرة خطاياي. وأثق أن الله يغفرها لي.
لقد ملأتُ الخطية، فهي مغرية، لكنها مُفسدة، لا تُشبع قلبي!
أودّ أن أترك عبادة البعل، وأعبُد الله الحيّ!".



بينما كانت راحاب تتحدّث مع الجاسوسين وهما يُنصِتَان إليها ويُمجِّدان الله، إذ بصوت ضجيج في الشارع يقترب نحو البيت. كان الجند يجرون نحوه. قالت راحاب لهما: "أسرّعا! اصعدا إلى السطح، واختفيا بين عيدان الكتان حتى يعبر الجند".

أسرّعا نحو السطح، وغطّتهما راحاب بالعيدان. رقد الاثنان وكانا يُنصِتَان ويترقبان ماذا يحدث.

صرخ الجند وهم يضربون على الباب بعنف: "راحاب! افتحي باسم الملك!".

قالت راحاب: "ماذا تريدون؟".

أجاب الجند: "إنّ الملك والشعب يتتبعون حركات الإسرائيليين المُعسكرين عبر نهر الأردن على الجانب الشرقي. لقد عرّف الملك أن جاسوسين قد جاءا إليك، وقد أرسلنا لكي نخبرك أن تُسلمي لنا الرَّجُلَيْن اللذين جاءا إلى هنا، وأنت تأويهما. فإنهما جاسوسان لحساب الجيش العبراني. لقد جاءا لكي يستكشفا المدينة كلها".

في هدوء قالت راحاب: "نعم. لقد جاء الرَّجُلَان قبل الظلام. إنني أودّ مساعدة الملك. بالحقيقة كنتُ أودّ ذلك، لكن للأسف لقد تركاني، ولا أستطيع أن أخبركما أين ذهبا. لقد خرجا ليس من وقت طويل. لقد أرادا أن يعبرا الأبواب قبل حلول الليل. انظروا فإنّه يوجد وقت للخروج وراءهما إنّ أسرّعتم الحركة". تتفّس الجاسوسان الصعداء، قائلين في نفسيهما: "هل يُصدّقها الجند؟ هل يبحثون عنا؟ هل يأتون إلى السطح؟".

سمعا صوت الجند وهم يخرجون من المنزل مُندفعين، وقد أغلقوا باب المدينة وراءهم.

لقد استخدم الله راحاب لكي ينقذهما، وبعون الله أنقذاها عندما عادا إلى أريحا واستولى الشعب عليها.

٦٦- راحاب والحبل القرمزي

(يشوع ٢)

إذ اطمأنت راحاب بأن الجنود قد خرجوا، جاءت وأخرجت الجاسوسين من مخبأهما.

سألها أحدهما: "لماذا فعلت هكذا؟".

أجابت راحاب: "أنا أعلم أن الله قد أعطاكم هذه الأرض. الآن قدّموا لي وعدًا أن تتقدّاني أنا وأهل بيتي عندما تستوليان على أريحا".

قال الجاسوسان: "من أجل إيمانك سنساعدك. ضعي حبلًا قرمزيًا (أحمر) على النافذة، وتأكّدي أنك أنت وكل أهل بيتك داخل هذا المنزل، ولا يخرجون منه. عندما ندخل أريحا، فلا يصيبكم ضرر".

حلّ المساء، فطلبت منهما عند مجيئهما مع الشعب أن ينقذاها هي وأقرباءها، فوعداها بذلك.

كان البيت إشارة إلى الكنيسة التي يتحقّق خلاص الناس فيها بالانضمام إليها باستحقاق دم المسيح (الحبل القرمزي).

وضعت راحاب على النافذة التي على السور حبلًا قرمزيًا (أحمر) وكان قويًا، به نزل من السور وهربا.

بالإيمان خلّص الجاسوسان، وبالإيمان خلّصت راحاب، وجاء فيما بعد ربنا يسوع من نسلها.

عاد الجاسوسان إلى يشوع، وبفرح صرخا قائلين: "إننا حتمًا بنعمة الله سننتصر! الشعب كلّه يخافوننا!".

قدّمًا تقريرًا عن حالة الرعب التي حلّت بملك أريحا والشعب بالرغم من قوّة الأسوار الحصينة المحيطة بالمدينة.

فرح يشوع بما سمعه من تقرير الجاسوسين، وابتهج جداً إذ عَرِفَ أَنَّهُ
توجد إنسانة واحدة مؤمنة في المدينة. وقرَّرَ يشوع اقتحام مدينة أريحا، وآمن أن
الله سيُسَلِّمُهَ إِيَّاهَا.

غير أن بعضاً من الشعب قالوا: "أين هو الجسر لكي نعبر به نهر
الأردن؟".

قال طفل صغير: "ربما يُجَفِّفُ اللهُ الماءَ كما أخبرتمونا. إنه فعل هكذا قديماً
بالبحر الأحمر".

قال يشوع: "حتمًا يقودنا الله، وهو يسحب الماء إلى خلف بكلمةٍ منه.
لا تخافوا، فإنَّ اللهَ واهبُ النُّصْرَةِ!".



٦٧- عبور نهر الأردن

(يشوع ٤)

في الصباح الباكر قام الشعب، وحزّموا الخيام، ونزعوا الأوتاد الخشبية، ووضعوا الأمتعة على ظهور الدواب، وسافروا قرابة سبعة أميال حتى بلغوا شاطئ نهر الأردن.

قال يشوع: "لنعسكر هنا لمدة ثلاثة أيام". فنصبوا خيامهم على شاطئ النهر الذي كان في حالة فيضان على جانبيه. وكانت مدينة أريحا مُقابلهم، تبعد ليس أكثر من أربعة أميال.

كانت مدينة أريحا في ارتباكٍ شديدٍ. أمّا راحاب التي ساعدت الجاسوسين، فقد صدّقتُ وعدهما لها أنها وكل أهل بيتها يصيرون في أمان. تحرّكت كل أسرتها، ودخلوا بيتها كما أخبرها الجاسوسان. وكان الحبل القرمزي (الأحمر) الذي استخدماه عند هروبهما مُعلّقًا على النافذة على السور.

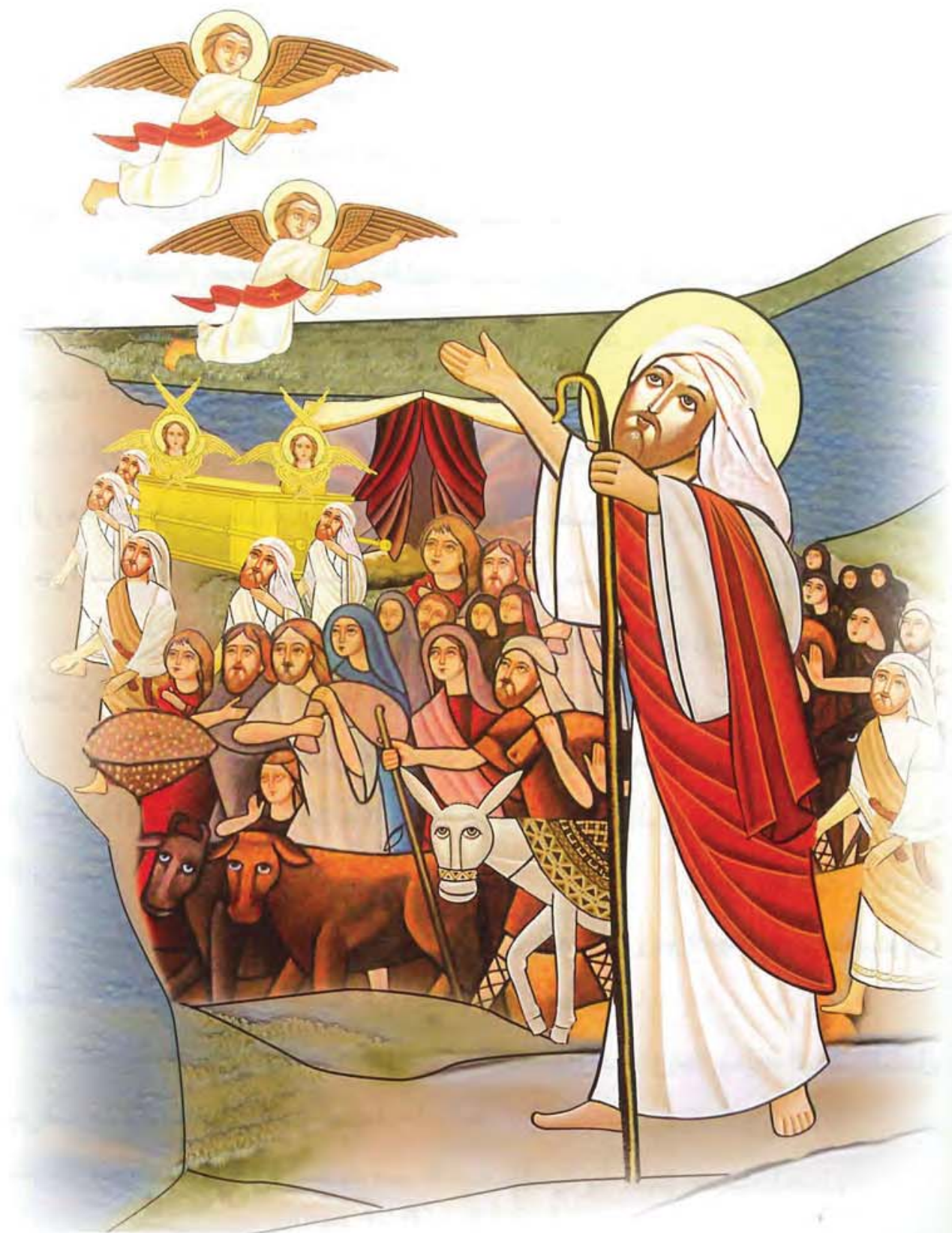
طلب الله من كل الشعب أن يتهيأوا لعبور نهر الأردن لمدة ثلاثة أيام بالصلاة والانشغال بالعبادة.

وفي اليوم الثالث طلب يشوع من الكهنة أن يحملوا تابوت العهد الذي يُمثّل الحضرة الإلهية، ويتقدّموا الموكب كلّهُ.

ما أن لمست أُرْجُل الكاهنين اللذين في المقدّمة المياه حتى وقفت كل المياه في جانبٍ واحدٍ، وانسحبت المياه في الجانب الآخر فصار يابسة جافة، سار فيها كل الأسباط.

في صباح اليوم الرابع دعت راحاب أسرتها، قائلة: "انظروا، فإن اليهود يُفكّون خيامهم".

كانت راحاب تراقب من بعيد محلة إسرائيل عبر نهر الأردن لمدة ثلاثة أيام، لكن أمرًا جديدًا لم يحدث.



تطلّعت راحاب وعائلتها، كل واحد نحو الآخر بنظرات يشوبها مزيج من الخوف والذهشة مع الرّجاء. صرخت راحاب، قائلة: "الله يصنع هذه الأعجوبة لأجلهم. إنه يعمل لحسابهم! انظروا! ها هم يعبرون بسرعة؛ لعلمهم لا يريدون أن يغرقوا كما غرق جيش فرعون في البحر الأحمر".

صرخت راحاب قائلة: انظروا إلى النهر. هوذا المياه توقّفت. لقد صار النهر مُمرًا جافًا! يا لها من مُعجزة! لقد جفّ نهر الأردن!

لاحظت راحاب وعائلتها الكهنة يحملون تابوت العهد المقدّس في وسط نهر الأردن، وقد وقفوا هناك. وبمعونة إلهية عبّر كل الشعب النهر على الأرض الجافة.

في مخافةٍ وصمتٍ سار الشعب طريق الجبال حوالي ميلين من النهر وأربعة أميال من مدينة أريحا. ها هم يقيمون نصبًا تذكاريًا هناك من اثني عشر حجرًا حصلوا عليها من عمق نهر الأردن.

صرخ رقيب جالس على السور المُحيط بمدينة أريحا: "ها هم اليهود قادمون. اضربوا جرس الإنذار!".

إذ عرفوا أن العبرانيين قد عسكروا بالقرب من مدينتهم، أمر ملك أريحا أن تُغلق الأبواب نهارًا وليلاً، لا يدخل أو يخرج منها أحد، حتى تتهيأ المدينة للحرب.

صارت أريحا في ارتباكٍ شديدٍ. جرى الجُند إلى مواقعهم على الأسوار، فبالتأكيد يحارب اليهود المدينة في وقت قصير جدًا.

لكن أمرًا ما لم يحدث؛ فقد مرت الأيام وأبواب أريحا مُغلقة تمامًا. الكل يترقّب ما يحدث في خوفٍ شديد!

٦٨- لقاء مع رئيس جند الرب

(يشوع ٥ ، ٦)

في يومٍ إذ كان يشوع يسير بجوار أسوار أريحا يترقب أوامر الله، رأى شخصاً عجيباً، يُمسك بيده سيفاً مسلولاً يبرق حدّاهِ جدّاً.

صار قلب يشوع يخفق بشدة: "تُرى هل أرسلَ الملكَ هذا الرَّجُلَ المُحاربِ القوي في مظهره ليدخل في معركة مع جُندي عبراني، فتحسب هذه المعركة الموقف بالنسبة للمدينة؟ أم أن هذا الرَّجُلَ الغريب قد جاء من مكانٍ آخر؟ ولكن، من أين أتى؟".

رَفَع يشوع قلبه إلى الله وصَلَّى، طالباً عونَه السماوي، وإذ شعر بطمأنينة اقترب إلى الرَّجُل.

سأل يشوع: "هل أنت عدوٌّ لنا أم صديق؟ معنا أم مع أعدائنا؟".

أجابهُ الشخص: "أنا رئيس جُند الرب".

أضأ وجهه، وسقط يشوع بوجهه إلى الأرض.

وقال له: "بماذا يُكلم سيدي عبده؟".

قال له رئيس جُند الرب: "اخلع نَعْلَكَ من رجليكَ، لأن المكان الذي أنت واقفٌ عليه هو مُقدّس".

إذ رَجَع يشوع إلى الشعب كان واثقاً من النُصرة.

صرخ يشوع وسط الشعب، قائلاً:

"لقد أخبرني الله ماذا نفعل.

لينتقدم رجال الحرب، ويدوروا حول المدينة مرّة واحدة.

وليحمل سبعة كهنة أبواق الهتاف السبعة، ويسيروا أمام تابوت العهد،

ويدوروا أيضاً حول المدينة مرّة واحدة".

بقلبٍ شبّه مُنكسرٍ سار رجال الحرب، يتبعهم الكهنة حاملين الأبواق

وتابوت العهد ومعهم كل الشعب. داروا حول الأسوار ثم عادوا إلى حيث بدأوا. تطلّع جند أريحا من أعلى الأسوار، وكانوا يسخرون ممّا يرونه، قائلين: "ما هذا الضجيج الذي يفعلونه؟! يا لهم من شعب غبي؟! إنهم يسكرون حول الأسوار ولا يحاولون اقتحامهما!".

اقتربوا من أبواب أريحا الضخمة والمغلقة بإحكام شديد، وبأمر إلهي تحرك هذا الموكب الضخم حول السور وهم في صمت.

تكرّر الأمر في اليوم الثاني وهكذا لمُدّة ستة أيام ولم يحدث شيء.

تطلّع الحُرّاس من أبراج السور، ووقف الملك وكل شعب أريحا، ماذا يفعل الإسرائيليون طوال هذه الأيام الستة.

في غروب اليوم السادس قال يشوع للشعب: "إنها معركة الله. استعدّوا باكراً جداً، لأننا لا نسير مرّة واحدة حول الأسوار بل سبع مرات".

بدأ البعض يعترضون في أعماقهم كيف يسكرون حول الأسوار سبع مرات. ألا يكون في ذلك مضيعة للوقت والجهد. كيف يحاربون بعد أن تُتَهَك قوتهم؟! وآخرون كانوا يترقبون حدوث معركة حقيقية.

وفي اليوم السابع عند الفجر كان الكل مُستعدّاً. في صمتٍ صاروا في صفوفٍ، وكانوا يدورون حول الأسوار مرّة فمرة. وصار الجند يتطلّعون من أعلى الأسوار وفي المنازل القائمة على الأسوار يرون الجماهير تدور حول الأسوار. وكانت راحب وأهل بيتها أيضاً يتطلّعون من النوافذ، لا ليسخروا، بل ليترقبوا عمل الله العجيب.

لاحظ سكان أريحا الموكب يتحرّك، ووقف الحُرّاس فوق الأسوار يضحكون ويستهزئون بالموكب الذي يدور حول الأسوار في صمتٍ وبلا عمل.

انتهت الدورة الأولى، ولم يقف الموكب كالعادة، بل بدأوا دورة ثانية فثالثة حتى السادسة، وأهل أريحا وملكها وقادتها يصفون الإسرائيليين بالغباء. فقد أرهقوا أنفسهم، وبذلوا طاقتهم بلا جدوى ولا هدف.



بدأتِ الدورة السابعة والكلّ في المدينة حتى غير القادرين على رؤية
الموكب يتساءلون: ماذا يفعل هؤلاء؟

انتهتِ الدورة السابعة، ورفع يشوع صوته، قائلاً: "لينظر الكل نحو السور،
لُتضرب الأبواق، وليهتف كل أحد".

أخيراً ضرب الكهنة بالأبواق، وكانت راحاب تتوقّع أن تنهار الأبواب ليدخل
جُنْد اليهود المدينة. لقد ضرب الكهنة بالأبواق، وصرخ الشعب صرخة قويّة!
بدأ المنزل يهتزّ، وصار دويّ شديد من كل جانب.

بالكاد صدّقت راحاب عينيها، وقد تشقّقت أسوار المدينة الضخمة المرتفعة،
وتحوّلت في لحظات إلى أكوام من التراب والحجارة، ودُفن أغلب الجُنْد فيها،
بينما دخل جُنْد اليهود إلى المدينة.

وثب جنود إسرائيل فوق السور الذي سقطت حجارتُه حتى الأرض، وقتلوا
سكان المدينة، ولم يقترب أحد بسوءٍ إلى بيت راحاب التي خبّأت فيه الجاسوسين.
حذّر يشوع الشعب كما الجيش ألا يأخذ أحد شيئاً لنفسه كغنيمة، فإن
النُصرة هي للرب وليس لهم.

خافت راحاب جداً: هل يذكر الجاسوسان وعدهما لي بإنقاذنا؟
بحث يشوع عن الجاسوسين، وقال لهما: "تذكّرا وعدكما. أحضرا راحاب
وأهل بيتها حالاً".

سمعت راحاب قرعات على الباب فقفزت، وفتحت الباب، وجَدت أمامها
الرجّلين اللذين سبق أن خبّأتهما. لقد حفظا وعدهما لها.

قالا لها ولأهل بيتها: "تعالوا سريعاً، يلزمنا أن نخرج حالاً من المدينة!".

عبّروا على أنقاض الأسوار الساقطة حتى بلغوا محلّة اليهود.

بلغ لهب المدينة المُحترقة السماء، وامتأل الجوّ من سُحْب الدُخان القائم.
وتحوّلت أريحا إلى رماد. تحطّم قصر الملك ومعبد الإله بَعْل حتى الأرض.
وانمحت أريحا إلى غير عودة.

٦٩- الهزيمة في عاي

(يشوع ٧ ، ٨)

تحرك الإسرائيليون من أريحا إلى قرية عاي، والكل في ثقة بالنصرة، لأنها قرية صغيرة جدًا وضعيفة بالنسبة لأريحا. لم يكن ممكنًا أن يحدث تحرك نحو أريحا المُحصنة إلا بعد أن أعلن الله ليشوع: "قد دفعت بيدك أريحا وملكها جبابرة البأس".

أمّا هنا إذ كانت عاي قرية صغيرة، لم نسمع أن يشوع استشار الرب قبل تحديد عدد رجال الحرب للدخول في المعركة.

أمر يشوع بالهجوم، وكم كانت دهشته مع مرارة نفسه حين انهزموا. فقد انتصر الشعب على أريحا المدينة الضخمة المُحصنة، لكنهم انهزموا أمام قرية عاي الصغيرة، لأن في وسطهم من ارتكب معصية، ولم يعد الله في وسطهم.

لو أن يشوع استشار الرب لكان الرب منعه من القيام بأي عمل قبل تنقية الشر الذي تسلل إلى شعبه خفية، وبالتالي ما كانت قد حدثت الهزيمة أمام عاي.

وقف يشوع كشفيع عن الشعب أمام الله، فمزق ثيابه، وسقط على وجهه إلى الأرض أمام التابوت إلى المساء. إنه يحمل صورة رمزية لربنا يسوع المسيح الذي أخلى ذاته، وكأنه قد نزع عنه ثوب مجده من أجلنا، ونزل إلى الأرض هذا الذي ترتعب أمامه القوات السماوية، وتمم المصالحة على الصليب عند المساء.

صرخ يشوع إلى الرب، وجاءت الإجابة: "في وسطك حرام يا إسرائيل".

اكتشف يشوع أن عاخان بن كرمي لم يسمع لصوت الرب، فقد أخفى ذهبًا وفضة وثيابًا أثناء النصر على أريحا، وكان ذلك ممنوعًا.

رُجم هو وعائلته ليكون درسًا للشعب كله!

إذ نزع الشر من وسط الشعب، قال الرب ليشوع: "لا تخف ولا ترتعب. خذ معك جميع رجال الحرب، وقم اصعد إلى عاي. انظر، قد دفعتُ بيدك ملك عاي وشعبه ومدينته وأرضه".

وأمره أن يقسم الشعب فريقين: الفريق الأول يُمثل كمينين، واحد يختفي وراء مدينة عاي، من جهة الغرب بينها وبين بيت إيل. حتى يستطيعوا أن يصدوا أي تحرك لشعب بيت إيل لإنقاذ عاي، والآخر بالقرب من عاي ليقحمها عندما يعطيهم يشوع إشارة بذلك.

أمّا الفريق الثاني فهو الفريق الظاهر يقوم تحت قيادة يشوع بالانطلاق نحو عاي من مدخلها الأمامي، ويكون حين يخرج أهل عاي للقائهم يهربون من أمامهم، فتخرج كل مدينة عاي وراءهم، وتبقى المدينة بلا ساكن. فينطلق الكمين ويستولي عليها محاربًا أهل عاي من الخلف.

تم الهجوم على عاي وتحققت النصر عليها.

إذ دخل يشوع أرض الموعد وتحققت له النصر على أريحا كما على عاي، تم ما أمر به موسى من إقامة مذبح من الحجارة. وأوصى موسى وشيوخ إسرائيل الشعب، قائلاً:

"احفظوا جميع الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم، فيوم تعبرون الأردن إلى الأرض التي يُعطيكم الرب إلهك تُقيم لنفسك حجارة كبيرة وتُشيدها، وتكتب عليها جميع كلمات هذا الناموس، حين تعبر لكي تدخل الأرض التي يُعطيكم الرب إلهك أرضاً تفيض لبناً وعسلاً".

وقد حدّد موضع إقامته وطريقة إقامته وغايته بكل دقة.



٧٠- حيلة بني جبعون

(يشوع ٩)

ارتعب شعب جبعون إذ سمعوا ما حدث مع أريحا وعاي، وشعروا أن اليوم قد اقترب جدًا لانتصار إسرائيل عليهم. تظاهر ثلاثة رجال من أهل جبعون كأنهم قادمون من بلدة بعيدة جدًا، ف جاءوا إلى يشوع إلى المحلة في الجبال، ليقيموا ميثاقًا معه، ويأخذوا وعدًا منه ألا يؤذيهم هم وشعبهم.

قالوا له ولرجال إسرائيل:

"من أرض بعيدة جننا، والآن اقطعوا لنا عهدًا..."

هوذا خبزنا سُخِنًا تزودناه من بيوتنا يوم خروجنا لكي نسير إليكم، وها هو الآن يابسٌ قد صار قُتاتًا.

وهذه زقاقُ الخمر التي ملأناها جديدةً، هوذا قد تشققت.

وهذه ثيابنا ونعالنا قد بليت من طول الطريق جدًا".

للمرة الثانية سقط يشوع ورجاله في ذات الخطأ الذي ارتكبه عند مهاجمة

عاي، وهو التصرف دون طلب مشورة الله.

لقد شكَّ الإسرائيليون في أمر بني جبعون، وكان يمكنهم أن يستشيروا الله،

لكنهم اكتفوا باستخدام الحكمة البشرية، إذ دخلوا معهم في حوار، قائلين لهم:

"لعلكم ساكنون في وسطنا، فكيف نقطع معكم عهدًا؟!".

وجاءتهم الإجابة من أفواه البشر، لكنهم "من فم الرب لم يسألوا". اعتمدوا

على الفكر البشري دون الالتجاء إلى الله، فانخدعوا!

بعد أن تم الميثاق اكتشف يشوع أن جبعون قريبة جدًا من عاي.

غضب يشوع جدًا، لكنه التزم بحفظ العهد، على أن يقوم الجبعونيون

بخدمة الإسرائيليين.



٧١- مُحَاصِرَةُ جِبْعُونَ

(يشوع ١٠)

كانت كنعان في ذلك الحين تنقسم إلى عدة دويلات كبيرة وصغيرة، كل دويلة يحكمها ملك. وكانت بعض هذه الدويلات متحالفة معاً لمقاومة أي عدو يهجم على أية دويلة من دول التحالف. سمع ملك أورشليم بنصرات يشوع، فتحالف مع أربعة ملوك آخرين، وقاموا بمُحاصرة جِبْعُونَ التي قطعت عهداً مع يشوع. وردت رسالة إلى يشوع من المدينة المُحاصرة تخبره بما حدث وتطلب النجدة.

قال الربّ ليشوع: "لا تخفهم، لأنني بيدك قد أسلمتهم. لا يقف رجلٌ منهم بوجهك".

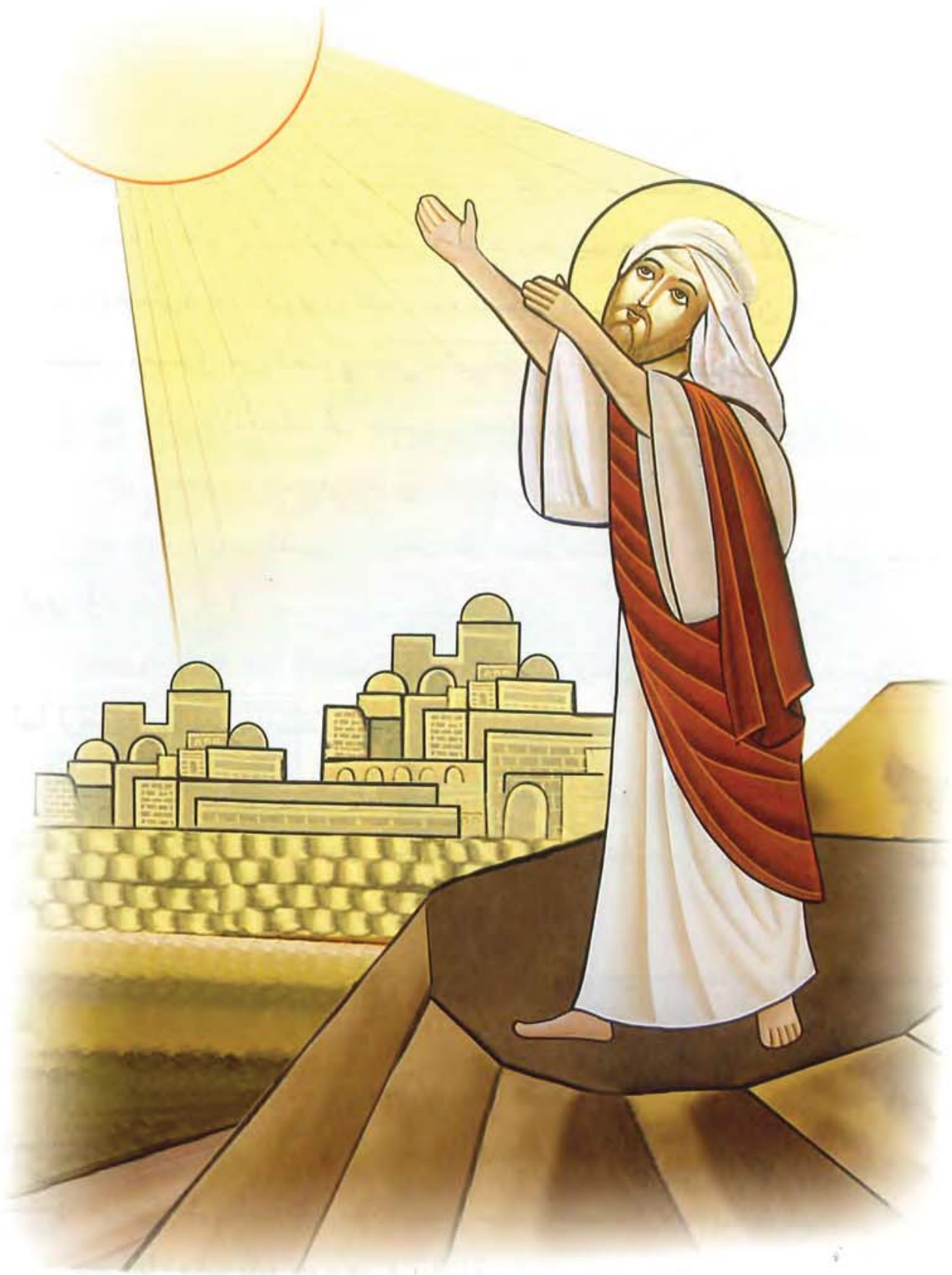
صعد يشوع الليل كله من الجبال. أزعجهم الرب أمام إسرائيل، وضربهم ضربة عظيمة في جِبْعُونَ وطردهم.

وفيما هم هاربون من أمام إسرائيل رماهم الرب بحجارة عظيمة من البرد من السماء. الذين ماتوا من حجارة البرد أكثر من الذين ماتوا بالسيف.

طلب يشوع من الله أن يؤجّل حلول الليل حتى تكمل النصر، قائلاً: "يا شمس دومي على جِبْعُونَ، ويا قمرُ على وادي أيلون". فدامت الشمس ووقف القمر حتى تمتّ النصر الكاملة.

بعد هذه النصر انتصر يشوع على كل منطقة فلسطين.

تفرغ يشوع بعد ذلك لتقسيم الأرض على الأسباط.



٧٢- تقسيم أرض الموعد كميراث للأسباط

(يشوع ١٣ - ٢٢)

إذ بدأ الاستقرار، وشعرَ الكل أن وعد الله لأبائهم قد تحقّق، كما أدرك الكنعانيون أن إسرائيل تسلّم البلاد بيد الله القويّة، بدأ تقسيم الأرض على الاثني عشر سبطاً. هذه الأسباط هم عشرة أبناء ليعقوب، مع سبطين لابني يوسف: أفرايم ومنسى، أمّا اللاويون فليس لهم نصيب في الأرض، لأن الرب نفسه نصيبهم، يعيشون من العشور التي للأسباط مع النذور والتقدمات. أمر يشوع الأسباط كل منهم أن يذهب إلى أرضه حسبما نظم موسى. كان البعض أرضه في شرق الأردن والآخرين في غربه. لم يكن بالأمر السهل أن يحتلّ كل سبط مكانه، ما عدا سبط يهوذا وحده الذي أقام نفسه بقوة.

تغيّرت حياة هذا الشعب تماماً، من شعب رحل إلى دولة مننظمة مستقرّة لها أرضها، يلزمها أن تتقدّم في كل أمور الحياة. بدأوا في بناء البيوت عوض الخيام التي اعتادوا الحياة فيها. كما بدأوا يتعلّمون النسيج وعمل المجوهرات وتدبير المشروعات. تحوّلت حياتهم من حياة معارك مستمرة مع سكان كنعان إلى دولة مستقرّة. انتهى دور يشوع كقائد يدخل بالشعب إلى أرض الموعد، ويقوم بتقسيمها على الأسباط.

جمع يشوع قادة الأسباط، وذكرهم بأعمال الله العظيمة معهم. خاصة في اختيارهم شعباً مختاراً لله. وحثّهم على الالتزام بالطاعة للوصايا العشر التي تسلّمها موسى على جبل سيناء، كما حذّرهم من ممارسة العادات الوثنية. بعد قليل مات يشوع، وهو في المئة والعشر سنين من عمره.



٧٣- مُدُن المَلْجَأِ لإِسْرَائِيل

(يشوع ٢٠)

طلب الله من موسى أن يختار ست مدن لرسالة خاصة، وهى أن تكون مُدُن المَلْجَأِ.

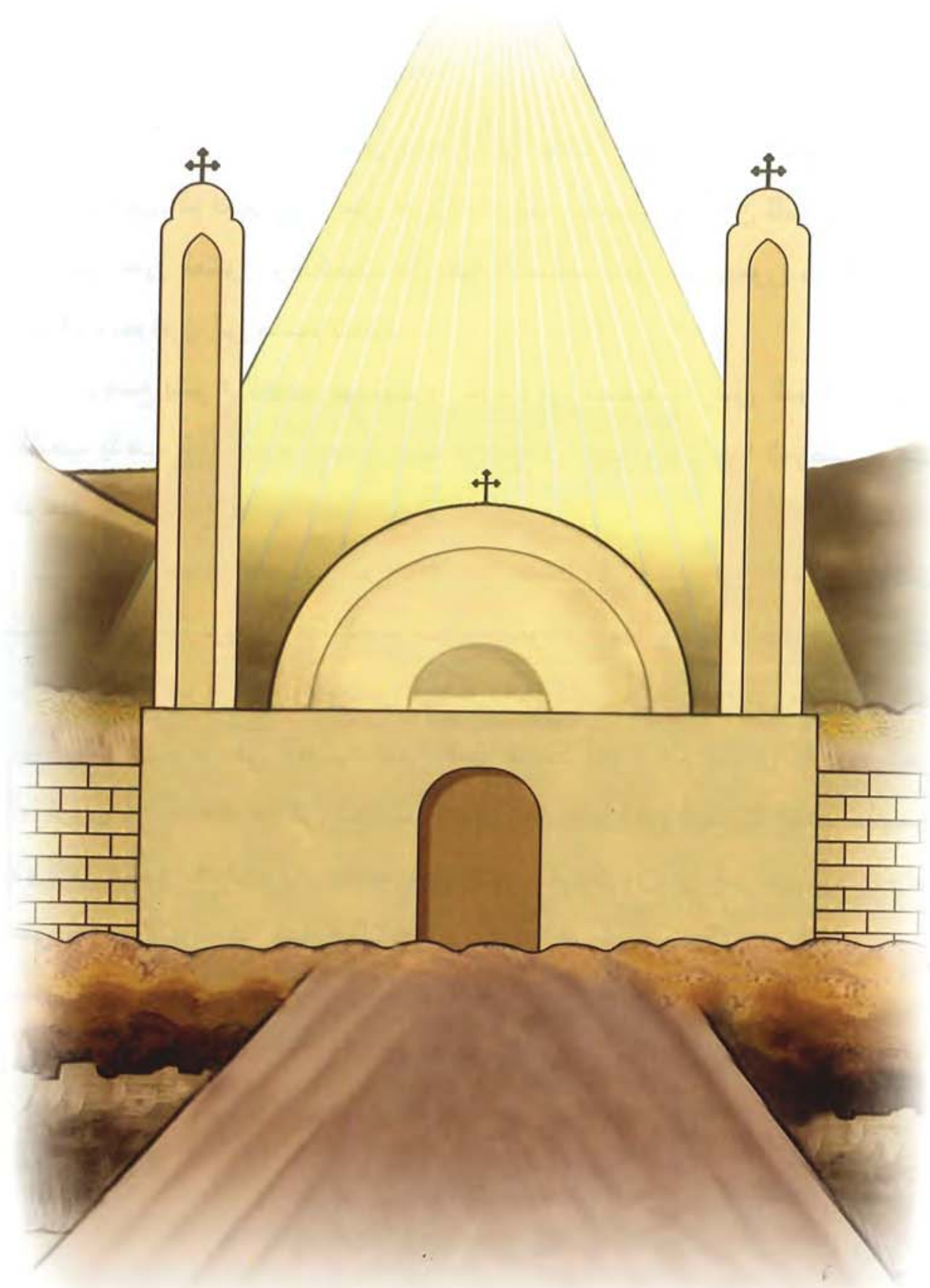
أحياناً يقتل إنسان آخر بالخطأ. فإن حدث هذا في إسرائيل، يمكن للقاتل أن يهرب إلى إحدى مُدُن المَلْجَأِ. فلا يستطيع أقرباء القتيل أن يقتحموا مدينة المَلْجَأِ، وينتقموا من القاتل.

مثال ذلك لو أن إنساناً يقوم بتقطيع حطب، فطارت رأس الفأس، وأصابته إنساناً خطأ. فإن الذي كان يضرب بالفأس يدفع ثمن هذا الخطأ بحياته نفسها ما لم يهرب إلى مدينة المَلْجَأِ، ومتى مات رئيس الكهنة يخرج من المدينة ولا ينتقم أحد منه.

هنا إشارة إلى الكنيسة مدينة المَلْجَأِ، فبموت السيّد المسيح يُكفّر عن خطايانا فلا يُحكم علينا بالموت الأبدي.

مثال آخر: إن أصاب صياد إنساناً بسهمه خطأ فقتله، يلتزم المُخطئ أن يجري إلى أقرب مدينة ملجأ، وهناك يجتمع الشيوخ ليقرّروا إن كان القتل تم خطأ أم عمدًا. ويبقى المُخطئ في المدينة حتى متى مات رئيس الكهنة يعود إلى بيته في سلامٍ وأمانٍ بدون خوف.

بهذا تُقدّم الشريعة العدالة للأبرياء، وتهب طمأنينة للحياة.



٧٤- مذبح بلا ذبيحة

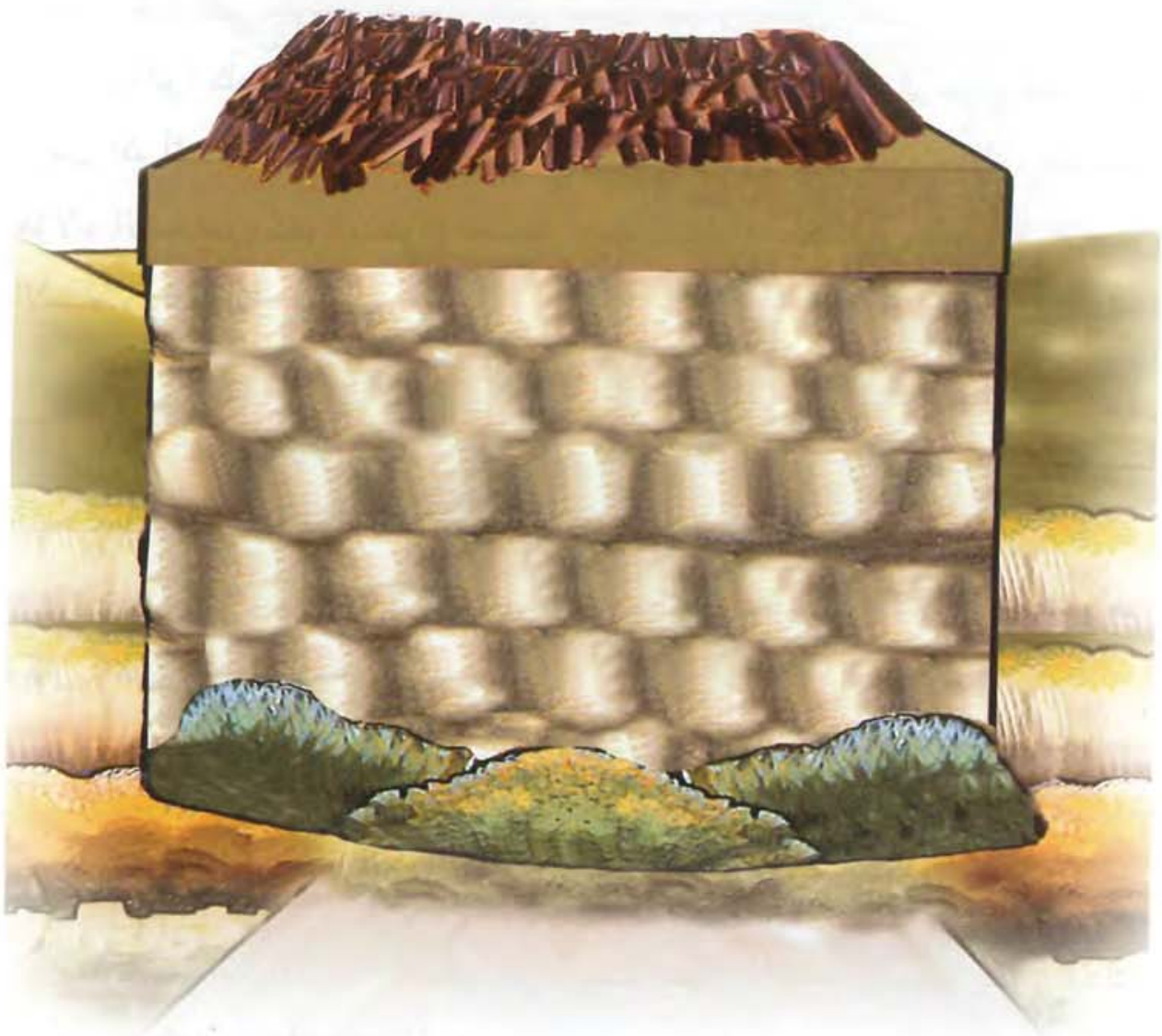
(يشوع ٢٢)

في أيام يشوع كان رجال سبط لاوي يخدمون في خيمة الاجتماع ككهنة عن إسرائيل. لم تُعطَ لهم أرض للزراعة، إنما أُعطيت لهم مَدُن للسكن. وكانوا يعيشون على العشور والتَّقَدِمات من بقية الأسباط. كانوا يخدمون جزءاً من السنة، ويعودون إلى مَدَنهم للعمل.

وضع يشوع الخيمة في شيلوه، تقريباً في مُنتصف أرض الموعد. وكان الشعب يذهب إلى شيلوه للعبادة ثلاث مرات كل عام. وكان هذا الموضع هو الوحيد الذي يُسَمَح فيه بتقديم ذبائح للرب.

أقام الأسباط الذين في شرق الأردن مذبحاً آخر. فتضايق الأسباط التي كانت غرب الأردن من هذا التصرف، وحسبوا أن هذا يُسبب انشقاقاً في إسرائيل بين الذين في شرق الأردن والذين في غربه. وكادوا أن يدخلوا في معركة أهلية.

تساءل الذين في الغرب: لماذا أقمتم مذبحاً آخر؟ قدّم الشرق إجابة حكيمة: ألا ترون أن مذبحنا هو في الجانب الشرقي من النهر في أرضنا؟ إننا نظهره لأولادنا كتذكاري فقط، وليس لتقديم ذبائح. إنهم سيذكرون أن إسرائيل شعب واحد على جانبي النهر. هذا المذبح للتذكير أن الرب هو إلها جميعاً.



٧٥- دبورة القاضية

(قضاة ٤)

بعد موت يشوع، صار كل سبطٍ يحكمه قائده.
بعد فترة دخل الشعب في صداقةٍ مع جيرانهم الوثنيين، وللأسف بدأ بعض
الإسرائيليين يُمارسون العبادة الوثنية.
إذ وجدوا لذتهم في عبادة الأوثان، ومُمارسة بعض العادات الشريرة، تزايد
شرُّهم جدًّا، وكان الرب من حين إلى آخر يقوم بتأديبهم بالسماح بهجوم بعض
الأمم الوثنية التي حولهم عليهم، والتي تحمل لهم نوعًا من العداوة.
وكانوا كلِّما شعروا بخطاياهم، وقَدَّموا توبة ورغبة في الرجوع إلى الله،
يُرسل الله أشخاصًا كقادة يُخلِّصونهم من الأعداء الذين احتلَّوهم وتسلَّطوا عليهم،
هؤلاء الأشخاص كانوا يُدْعَوْنَ قُضاة، أحيانًا كانوا يحكمون مجموعة من
الأسباط، وليس كل الشعب.

كان من بين القضاة دبورة القاضية والنبية التقيَّة العادلة.
اعتادت دبورة أن تجلس عند نخلة قديمة بين الرامة وبيت إيل؛ يأتي إليها
الشعب لتَحْكُم بينهم. وكان الله مُعِينًا لها في كل ما تفعله.
كان شعب دبورة شريرًا جدًّا، لذلك سمح الله ليايين ملك كنعان أن يأسرهم.
وكان عصره سيئًا للغاية، إذ كان قاسيًا.
صرخ الشعب إلى الله لكي يُعِينَهُمْ ويحرِّرَ مدينتهم.
بحث الله عن قائدٍ شجاعٍ يُخلِّص به شعبه. ومَنْ كان أفضل من دبورة
القوية المُخلِصة، القاضية التي خدمتِ الله زمانًا طويلًا بأمانة وإخلاص؟
قال لها الله: "دبورة، أصغي إليّ. يجب عليك أن تقيمي جيشًا يُحرِّرَ بلدك.
أنا أكون معك، وأقيمك قائدة لشعبي".

أجابت دبورة:

"كيف أفعل هذا؟ فإن الحرب هي من عمل الرِّجَال.

لكن بقيادتك لي، أستطيع كل شيء.
أجذك يا الله مُعيناً، فإنك إله المُستحيلات."



٧٦- نُصرة دُبورة وباراق

(قضاة ٤ - ٥)

أرسلت دبورة إلى رَجُلٍ يُدعى باراق، وقالت له:
"ألم يأمرك الرب إلهك، قائلاً: اذهب وقُدْ فِرْقًا إلى جَبَلِ تابور، وخُذْ معك
عشرة آلاف رَجُلٍ؟ سيقف أمامك سِيسرا، قائد جيش يابين، بمركباته وكل جيشه
غير المُحصى عند نهر قيشون. وسأسلّمه بين يديك!".
أجابها باراق الشاب: "إنني موافق حقًا، لكنني مُحتاج إلى معونتك. أرجوك
أن تأتي معي يا دبورة. إن ذهبت معي أذهب، وإن لم تذهبي لا أذهب".
أجابت دبورة: "بالتأكيد سأذهب معك. وسيبيعُ الربُّ سِيسرا في يد امرأة".

خرجت دبورة ومعها باراق إلى الحرب، وجاء كثير من المتطوعين من
الأسباط القريبة والبعيدة يحاربون معهما. ووقفت دبورة تُخاطب الجيش قائلة:
"سُيعيننا الرب، فإن الرب يسير أمامكم، ونحن نغلب حتمًا بالرب".

خرج سِيسرا قائد جيش يابين في كبرياء، معه تسعُ مائة مركبة حديدية.
ماذا يمكن لجيش دبورة أن يفعل، وهو لا يملك مركبة واحدة؟ هل يمكن
لجيش مُشاةٍ أن يقف أمام مركبات هذا عددها؟!

في ذات المساء تجمعتُ فِرَقُ سِيسرا معًا في معسكر بقوةٍ وتشامخ. لكن
فجأة امتلأت السماء سحبًا قاتمًا جدًّا، وتساقطت أمطار غزيرة جدًّا. ارتفعت
المياه في مجرى قيشون وفاض على جانبيه، حتى بلغت خيام سِيسرا.
في الصباح استمرّ الجو قاتمًا جدًّا.

ضرب سِيسرا بالبوق، ونادى: "هذا هو اليوم الذي ننتظره، إنه يوم
النُصرة. وإن كانت الأرض قد صارت وحلاً، فإننا لا نخاف، سنُعطي عدونا
درسًا لن ينساه".



ومن الجانب الآخر، صرخت دبورة ومعها باراق: "تقدّموا. لا تخافوا. إنها ليست معركتنا، بل هي معركة الرب واهب النصرة والحريّة. سيظهر لكم الرب أنه أعظم من كل بشر، وأقوى من كل المركبات". حاولت مركبات سيسرا أن تتحرّك، لكن جميعها غاصت في الوحل، ولم تستطع الحركة.

حاول سيسرا أن يتحرّك بمركبته فعجز. اضطرّ الكل أن يتركوا مركباتهم ويهربوا. كانوا يجرون بكل قدرتهم، لكن جيش دبورة لحق بهم وغلّبهم. أمّا سيسرا فأسرع في خطواته حتى بلغ مدينة قادش، وهناك دخل إلى خيمة حابر القيني الذي كان حليفاً لكنعان.

خرجت ياعيل زوجة حابر واستقبلته، وقالت له: "ملّ إليّ، ولا تخف". قال لها: "إني عطشان، اسقني قليل ماء". لكن يبدو أن تصرفاته معها كانت مريبة. أرادت هي أن تحميه في الخيمة في غياب رجّلها من أجل التحالف الذي بين الملك ورجّلها، أمّا هو فردّ هذه المحبّة النقيّة بشهوة شريرة. أعطته لبناً وأراحته. فقال لها: "قفي بباب الخيمة، وإذا جاء أحدٌ وسألك شيئاً تقولين إنه لا يوجد أحدٌ هنا".

نام سيسرا إذ كان مُتعباً، وبينما كان مُثقلًا في النوم ضربته ياعيل بوّتد الخيمة في رأسه بكل قوتها فقتلته، وذلك من أجل عدم أمانته. كان باراق يُطارِد سيسرا، فخرجت ياعيل إليه، وقالت: "تعال، فأريك الرجل الذي أنت تطلبه". فدخل الخيمة ووجده مقتولاً. تحرّرت الأرض من يابين ملك كنعان العنيف، وتهلّلت دبورة ومعها باراق وكل الشعب، وصاروا يُسبّحون الله.

٧٧- دعوة الشاب جدعون للعمل

(قضاة ٦: ١ - ٢٤)

استراح بنو إسرائيل لمدة أربعين سنة، وعوض أن يشكروا الرب ويسبّحوه، صنعوا الشرّ في عينيّه.

أسلمهم للتأديب سبع سنوات تحت مذلة المديانيين لكي يتوبوا.

أرسل الله جدعون قاضيًا ومُخلصًا لهم، وهو شاب من سبط منسى.

ظهر له "ملاك الرب" بينما كان جدعون جالسًا تحت شجرة البطمة في

قرية "عفرة" غرب الأردن. هنا أحد ظهورات ابن الله قبل التجسد.

كان جدعون يضرب سنابل الحنطة بالعصا لينزع منها الحبوب، ربما لأنه

فقد أدوات الدرس بسبب هجمات المديانيين. كان يخبّط الحنطة خفية في معصرة،

في كهف أو مغارة، حتى لا يراه المديانيون وينهبونه.

بدأ ملاك الرب بالتحية: "الربُّ معك يا جبارَ البأس". فقد كان جدعون

معروفًا بالشجاعة والقوة، وأيضًا بالغيرة على شعبه الذي أذله المديانيون.

أجاب جدعون:

"أسألك يا سيّدي، إن كان الرب معنا، فلماذا أصابتنا كل هذه؟

وأين كل عجائبه التي أخبرنا بها آباؤنا، قائلين: ألم يُصعدنا الربُّ من مصر؟!

والآن قد رفضنا الربُّ، وجعلنا في كفّ مديان".

ما أجمل قلب جدعون الحامل للغيرة المتقدّدة نحو إخوته، فيقف بقلبٍ مُتّسع

وبدالة يُعاتب الرب نفسه لينال مراحمه!

النفث إليه الرّبّ وقال: "اذهب بقوّتك هذه وخلص إسرائيل من كفّ مديان،

أما أرسلتُك؟!".

سأله أن يذهب بغيرته المقدّسة للعمل لصالح الشعب. وكأنه يقول له:

"لا تخف ممّا أصابكم، فإني أرسلك لأعمل بك، كما عملتُ مع آباءك! وكما سبق

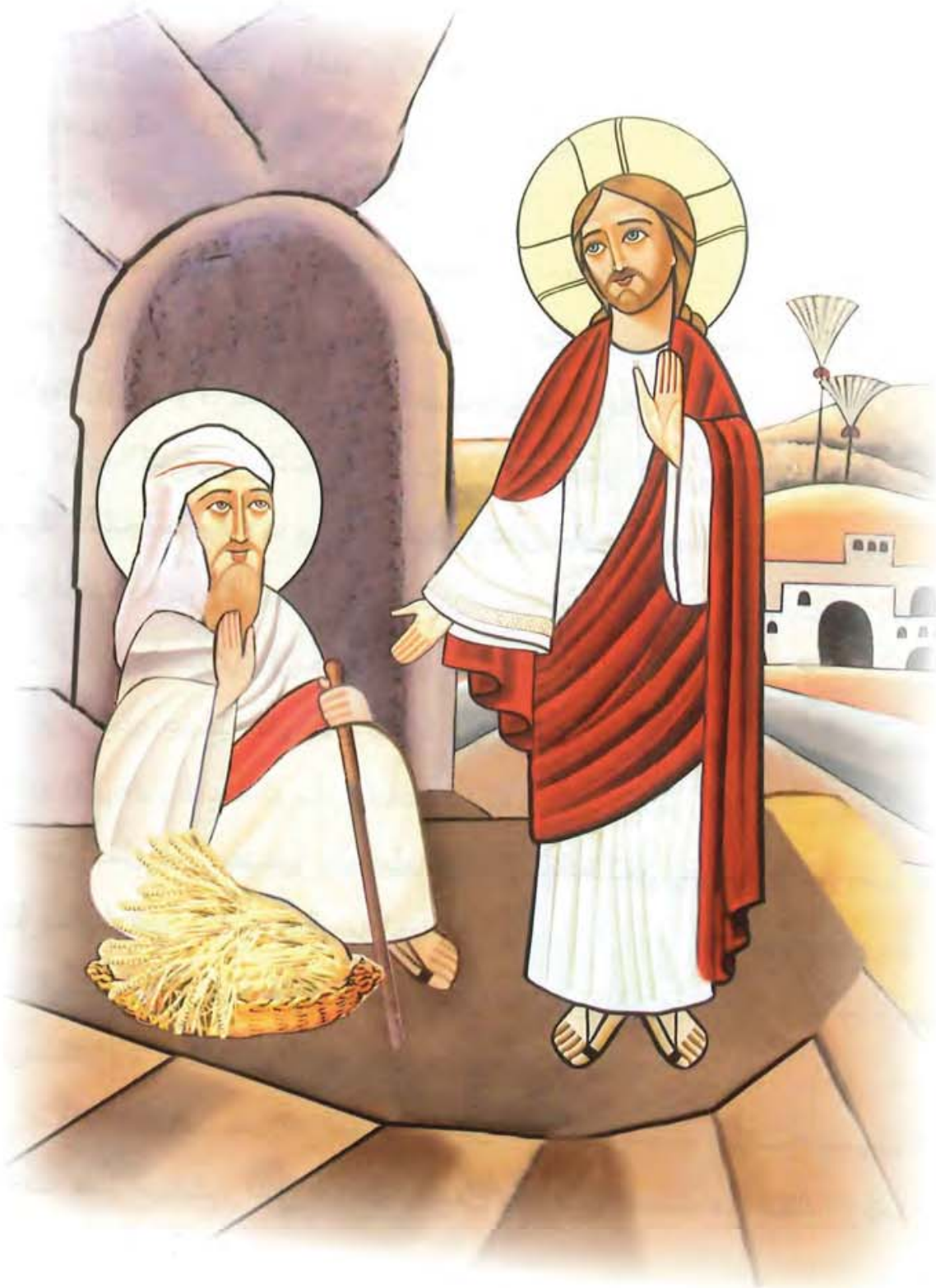
فقال ليشوع: "أما أمرتُك؟!".

لم يعتذر جدعون عن العمل، إنما في تواضع قال:

"أسألك يا سيدي بماذا أخلص إسرائيل!؟"

ها عشيرتي هي الذلّي في منسى، وأنا الأصغر في بيت أبي."

قال له الرب: "إني أكون معك، وستضرب المديانيين كرجلٍ واحدٍ."



٧٨- جزّة جدعون

(قضاة ٦: ٢٥ - ٧: ٨)

بعد ظهور ملاك الرب له، قام جدعون بالليل بتحطيم مذبح البعل الذي لأبيه، وبناء مذبح لله.

سمع أهل المنطقة بهدم مذبح البعل، فثاروا في القرية، مُطالبين بقتله. عرف والده أن ما فعله جدعون هو حقّ، فقال للثائرين: "ما دام ابني قد هدم مذبح البعل، لنترك الإله بعل يُعاقبه". بهذا أنقذ حياة ابنه. مرّة هجم المديانيون على إسرائيل بجيش قويّ وأرعبوهم. حلّ روح الرب على جدعون. فضرب بالبقوق، وأرسل رجلاً إلى أسباط إسرائيل: "تعالوا أعينونا في طرد المديانيين".

تطلّع جدعون من جبل جلبوع إلى معسكر مديان الذي في سفح الجبل. صلى جدعون:

"أيها الرب الإله، هل تستخدمني لإنقاذ إسرائيل؟

إنني أضع جزّة من الصوف على السطح. أعطني هذه العلامة:

غداً ليكن طلّ (ندى) على الجزّة وحدها دون الأرض المحيطة بها. بهذا

أعرف أننا سنهزم الميديانيين".

في الصباح الباكر وجد جدعون الجزّة رطبة مملوءة طلاً، والأرض حولها

جافة.

قال جدعون: "أيها الرب، لا تغضب عليّ. لتجعل الجزّة غداً في الصباح

جافة، والأرض حولها مبلّلة بالندى، فلا يكون عندي شك".

في الصباح التالي تم ما طلبه جدعون من الرب.

لا تتدهش من العلامة التي طلبها جدعون، فإن الجزّة تُشير إلى إسرائيل.

في اليوم الأول يُشير إلى ما حدث في العهد القديم، إذ كان إسرائيل شعب الله

الْمُتَمَتِّعَ بِنَدَى مَرَاحِمِ اللَّهِ، وَكَانَتْ الْأُمَمُ كُلُّهَا لَا تَعْرِفُ اللَّهَ، وَلَمْ يَقُمْ بَيْنَهُمْ أَنْبِيَاءُ،
وَلَا دَخَلُوا فِي مِيثَاقٍ مَعَهُ.

أَمَّا الْيَوْمَ الثَّانِي، فَيُشِيرُ إِلَى مَا حَدَثَ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، حَيْثُ جَفَّ إِسْرَائِيلُ
بِسَبَبِ رَفْضِهِ الْإِيمَانَ بِالسَّيِّدِ الْمَسِيحِ، وَقَبِلَتْ أُمَّمُ الْأَرْضِ الْإِيمَانَ بِهِ، فَتَمَتَّعَتْ بِنَدَى
النِّعْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ.

عِنْدئذٍ قَامَ جَدْعُونَ بَاكِرًا وَمَعَهُ فِرْقُ الْجَيْشِ وَعَسَكُرُوا عِنْدَ نَبْعٍ فِي حَرُودٍ،
وَعَسَكَرَ الْمِدْيَانِيُّونَ فِي وَادِي يَزْرَعِيلَ.

تَقَدَّمَ الْمِدْيَانِيُّونَ فِي اسْتِعْدَادٍ لِلدَّخُولِ فِي مَعْرَكَةٍ. جَمَعَ جَدْعُونَ جَيْشًا ضَخْمًا
لِيحَارِبَهُمْ، لَكِنَّ اللَّهَ قَالَ لَهُ إِنَّ هَذَا الْعَدَدَ الضَّخْمَ كَثِيرٌ عَلَيَّ، مَتَى تَمَّتِ النُّصْرَةُ
يُظَنُّ الْبَعْضُ أَنَّ النُّصْرَةَ تَحَقَّقَتْ بِقُوَّةِ الْجَيْشِ وَعَدَدِهِمُ الضَّخْمِ. بَدَأَ جَدْعُونَ يُقَلِّلُ
الْعَدَدَ حَتَّى بَلَغُوا ثَلَاثَ مِائَةٍ.

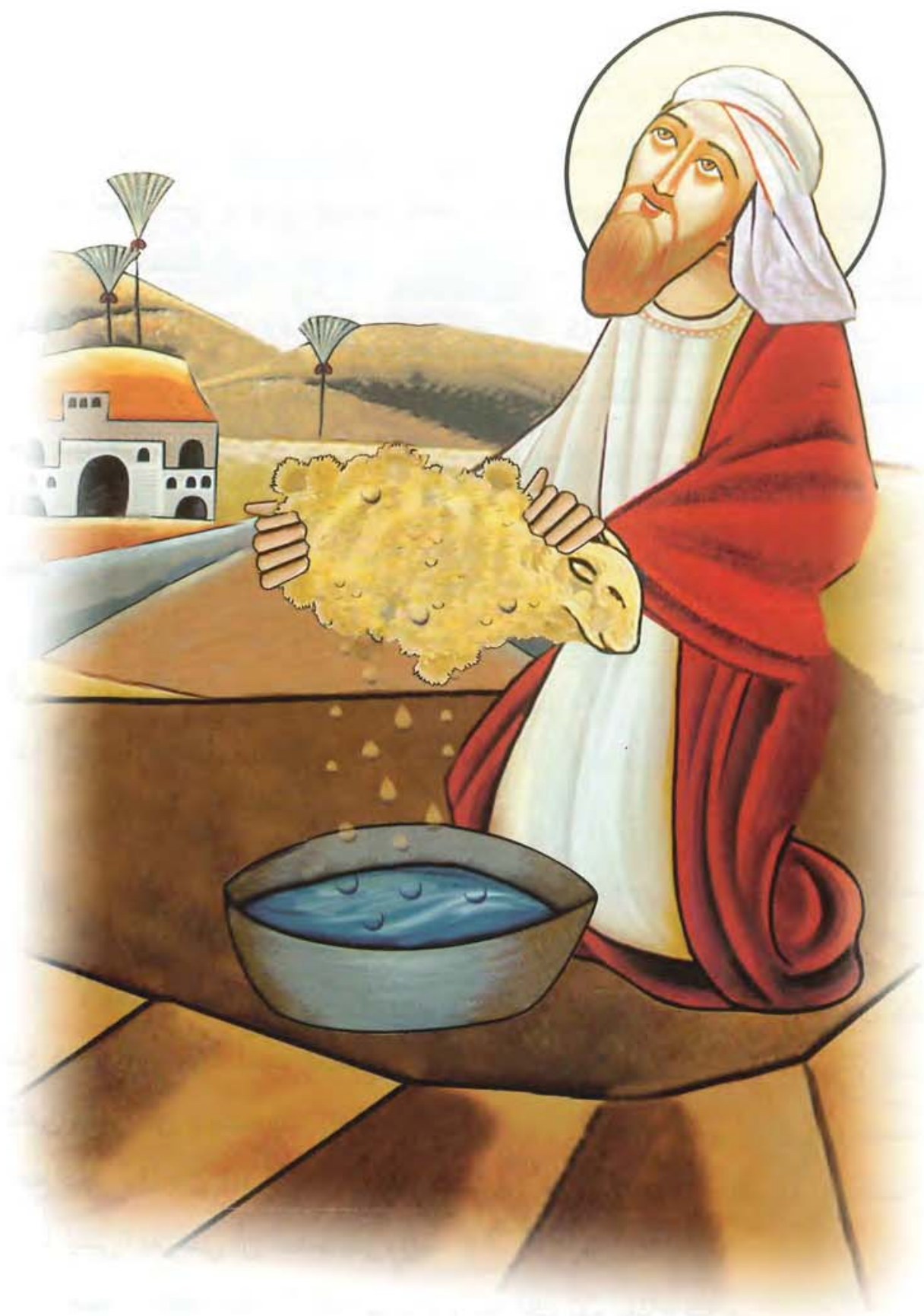
أَعْطَى جَدْعُونَ لِكُلِّ جَنْدِيٍّ بَوْقًا وَإِنَاءً خَزْفِيًّا يَخْفِي فِيهِ مَشْعَلًا مُنِيرًا كَأَمْرِ
الرَّبِّ.

بِاللَّيْلِ حَيْثُ كَانَ الْمُعَسَكَرُ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ، تَحَرَّكَ جَدْعُونَ وَرَجَالَهُ فِي
صَمْتٍ، وَأَحَاطُوا بِالْعَدُوِّ.

وَإِذْ صَارَ كُلُّ فِي مَكَانِهِ، ضَرَبَ جَدْعُونَ بِالْبُوقِ، وَفِي الْحَالِ ضَرَبَ الْكُلَّ
مَعًا بِأُبُوقِهِمْ، وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ كَسَرُوا الْأَوَانِي الْخَزْفِيَّةَ. فَجَاءَتْ سُمِعَتْ أَصْوَاتُ
الْأُبُوقِ الضَّخْمَةِ مَعَ ظَهْوَرِ النُّورِ فِي وَسْطِ الظُّلْمَةِ.

ارْتَبَكَ الْمِدْيَانِيُّونَ جَدًّا، وَصَارُوا يَتَخَبَّطُونَ، لَا يَدْرُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ وَلَا إِلَى
أَيْنَ يَذْهَبُونَ.

بَدَأَ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ يَقْتُلُونَهُمْ، وَالَّذِينَ لَمْ يَقْتُلُوا هَرَبُوا وَلَمْ يَرْجِعُوا ثَانِيَةً.
أَيْضًا أَرَادَ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ أَنْ يَقِيمُوا جَدْعُونَ مَلَكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، أَمَّا هُوَ
فَرَفَضَ، قَائِلًا: "لَنْ أَمْلُكَ أَنَا وَلَا أَبْنَائِي عَلَيْكُمْ. اللَّهُ (يَهُوه) هُوَ الَّذِي يَمْلُكُ عَلَيْكُمْ".



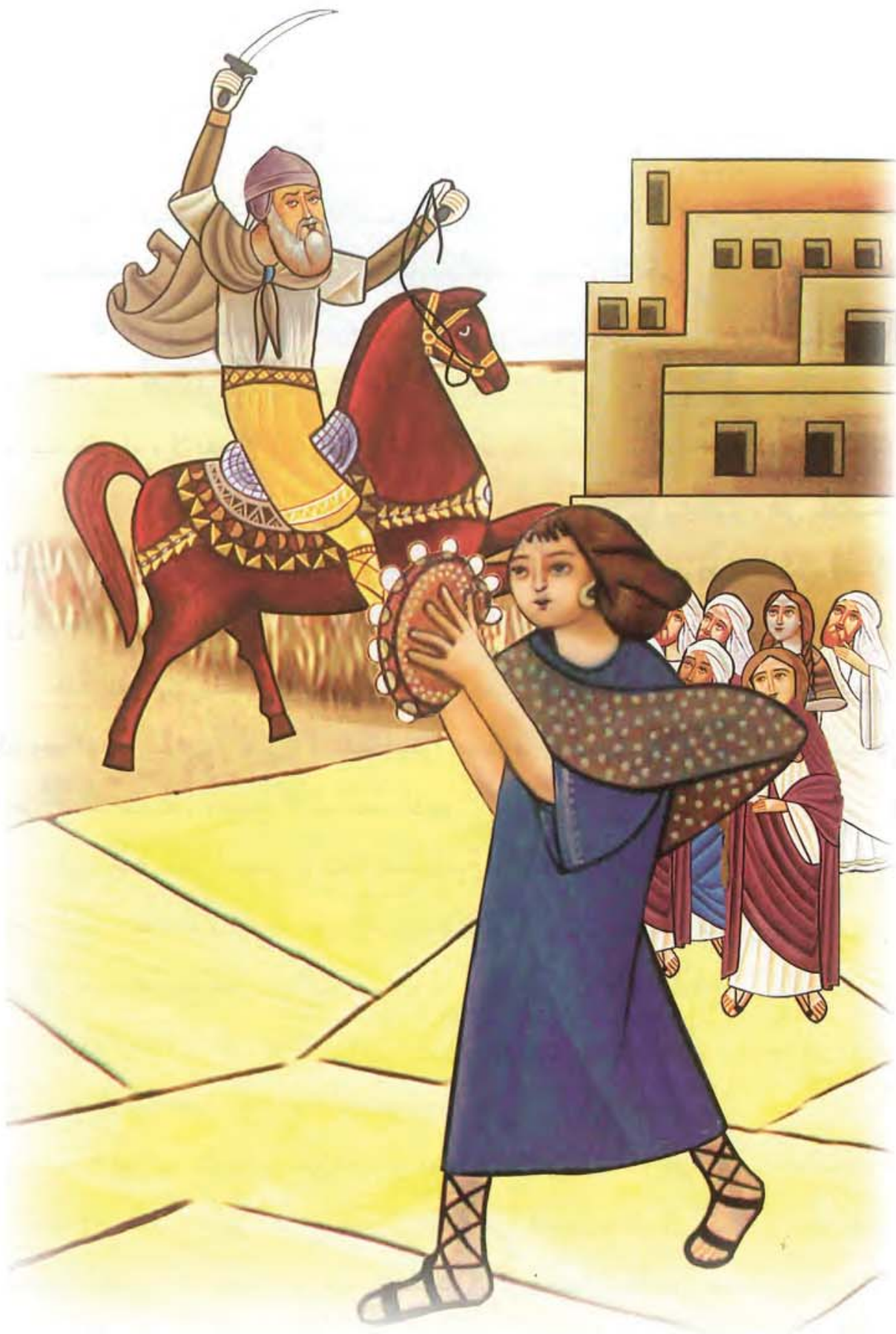
(قضاة ١١)

عندما مات جدعون، عبد إسرائيل الأوثان مرة أخرى، فقام بنو عمون بمحاربتهم، هذه هي المرة السادسة لدخول إسرائيل في ضيقة أيام القضاة. كان روح الرب على يفتاح، فقام ليخلصهم. كان يفتاح ابناً لامرأة زانية، طرده إخوته لكي لا يرث في بيت أبيهم. هذا لا يعيبه، فالابن لا يُطالب بخطية أبيه. لكنه تحت ضغط إخوته، هرب إلى أرض طوب أي (الطيبة) شرق الأردن، خارج حدود إسرائيل، وكان يحمل قلباً محبباً لهم، وإن كان قد التصق بأصدقاء أشرار. حين طرد يفتاح من جلعاد استند إخوته بلا شك على حكم قضائي صدر من شيوخ جلعاد. والآن جاء الشيوخ أنفسهم يسألونه العودة لمُحاربة بني عمون، قائلين له: "تعال وكن لنا قائداً فنحارب بني عمون". ويبدو أنهم طلبوه كقائد حرب فقط بكونه جبار بأس.

تسلم يفتاح العمل بعد حوارهِ مع شيوخ جلعاد لا من أيديهم، بل من يدي الرب نفسه، لهذا لم يعتمد على ذاته، ولا على رجاله، بل على الرب نفسه، قائلاً: "إذا أرجعتموني لمُحاربة بني عمون ودفعهم الرب أمامي...". ترك الأشرار والتصق بالرب.

أراد يفتاح أن يُحرّرهم، فنذر نذراً غريباً لا يُرضي الله، قائلاً: "هَبْ لي ياربَ النصر، وأنا أقدم أول من يستقبلني عند عودتي ذبيحة لك". لا يقبل الله الذبائح البشرية، بل يُبغضها. وحين طلب من إبراهيم أن يذبح ابنه كان ذلك رمزاً للسيد المسيح، ولم يسمح الله لإبراهيم أن يتمّ الذبح، إنما اكتفى بأنه أعلن محبته لله. وهبَ الله يفتاح نصرة عظيمة على عمون. وعندما رجع كان أول من التقى به ابنته الوحيدة التي جرت إليه تستقبله. صرخ يفتاح: "آه يا ابنتي! يلزمني أن أحفظ نذري!".

صارت ابنته تبكي لمدة شهرين، وبعد ذلك تمّ يفتاح نذره.



٨٠- جوف الأسد المملوء عسلاً

شمشون الجبار

(قصة ١٣)

مرّة أخرى ارتدّ الإسرائيليون عن عبادة الله الحيّ، وعبدوا الأوثان، سلّمهم الله للفلسطينيين للتأديب، يسيطرون عليهم لمدة أربعين عاماً.

أراد الله أن يخلصهم، فأرسل ملاكاً إلى زوجة منّوح من سبط دان، وقال لها: "سيكون لك ابناً، عندما يكبر يخلص إسرائيل من الفلسطينيين. يلزمه ألاّ يشرب خمراً، ولا يقصّ شعره. إنه سيكون نذيراً".

وُلدَ الطفل ودُعي اسمه شمشون، يُعتبر أقوى رجل ورد ذكره في الكتاب المقدّس. لم يقم بقيادة جيشٍ ضد الأعداء كما فعل بعض القضاة، إنّما كان يدافع عن شعبه بمفرده.

بدأ إسرائيل يعبد الأوثان ثانية، فسلمهم الله للفلسطينيين. سلّبهم الفلسطينيون كل سيوفهم ورماحهم حتى لا يستطيعوا مُحاربة أحد. كما سلّبوا محاصيلهم، فصرخ الشعب لله، وسمع الربّ صراخهم.

في تمّنة التقى شمشون بفتاة فلسطينية وثنية. تعلق بها، وأراد الزواج منها، الأمر الذي أغضب والديه. لكن الله سمح بذلك ليستخدم هذا الزواج لتحرير إسرائيل من الفلسطينيين الوثنيين.

نزل شمشون إلى تمّنة، وفي الطريق هجم عليه أسد كان رابضاً في كرم. حلّ روح الربّ عليه، فمزق الأسد بيديه.

مرّة أخرى كان في طريقه إلى تمّنة لحفل زواجه، رأى الأسد الميت، وقد امتلأ جوفه بالنحل الذي أخرج عسلاً، فأخذ من العسل وأكل منه وهو في الطريق. أعطى من العسل لوالديه فأكلا دون أن يعلموا شيئاً عن مصدره.



٨١- أُحْجِيَّةٌ فِي حَفْلِ الزَّوْجِ

(قِصَّةٌ ١٤)

أقام شمشون وليمة في بيت العروس وكان والده حاضراً وأيضاً ثلاثون من الأصحاب الفلسطينيين. استمرَّ حفل زواج شمشون أسبوعاً كاملاً.

اعتاد الشبان الفلسطينيون أن يتبادلوا الألبسة، خاصةً في حفلات الزواج كنوعٍ من الترف. قال لهم شمشون: لديَّ أُحْجِيَّةٌ إن أجاب عليها أحدكم أعطيتكم ثلاثين قميصاً (صدريةً من الكتان كملبسٍ داخليٍّ)، وثلاثين حُلَّةً ثيابٍ، وهي خاصة بحضور الولائم والمناسبات عوض الثوب اليومي، وإن لم تجيبوا عليها تعطوني ثلاثين قميصاً وثلاثين حُلَّةً.

وافق الشبان على ذلك، وروى شمشون أُحْجِيَّةً، قائلاً: من الآكل خرج أكلٌ، ومن الجافي خرجت حلوةٌ.

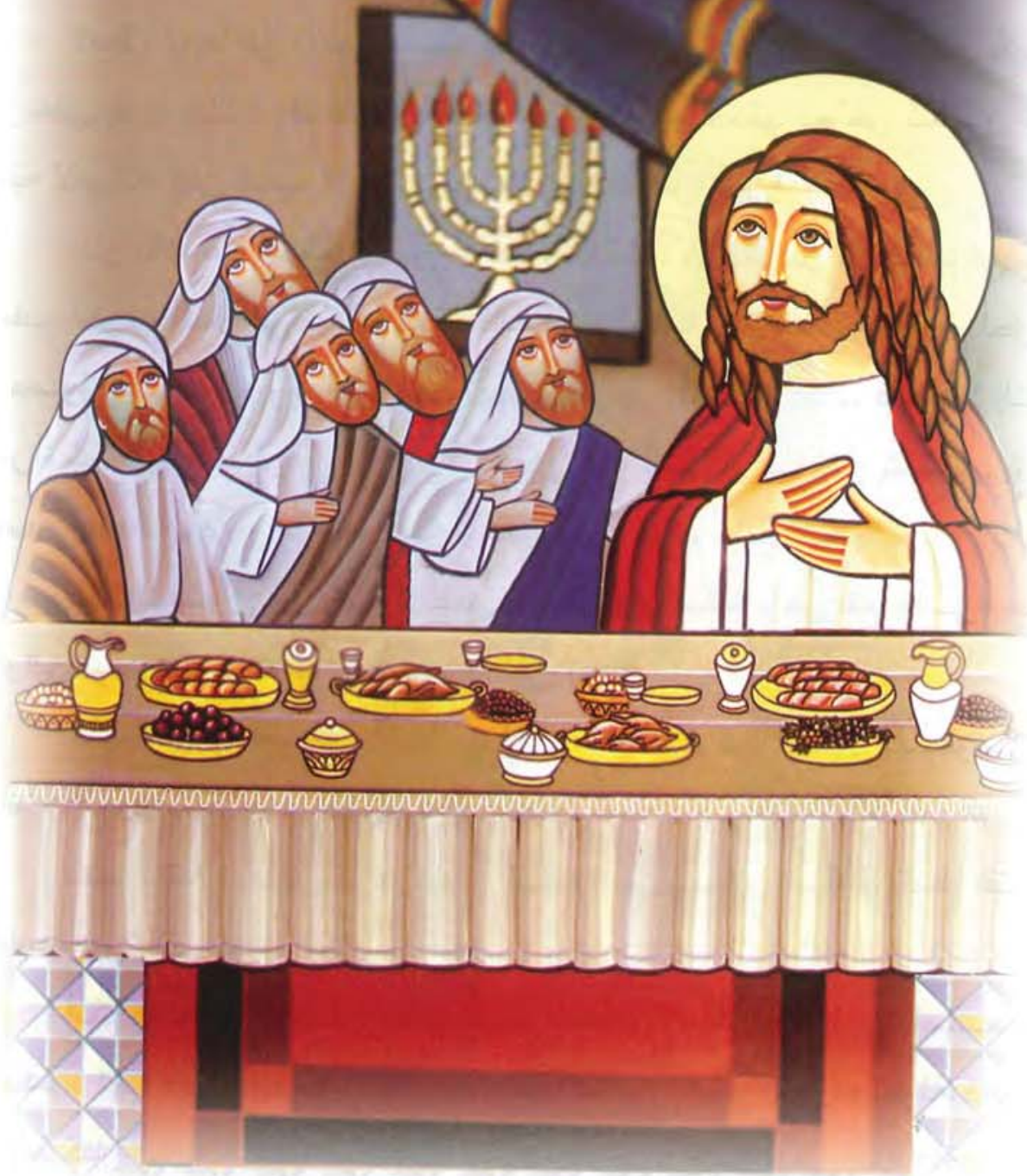
صاروا يتشاورون ثلاثة أيام، فلم يستطيعوا حلَّ الأُحْجِيَّةِ. أخيراً هَدَّوْا المرأة إن لم تعرف الإجابة من شمشون وتخبرهم سيحرقونها هي وبيت أبيها. أَلَحَّت الزوجة على شمشون وبكت، حتى اضطرَّ أن يُخبرها، وهي بدورها أخبرتهم.

وعند غروب الشمس جاء الرِّجَال يقولون: "أيُّ شيءٍ أحملي من العسل؟! وما أجفى من الأسد؟! فكان لزاماً عليه أن يُقدِّم لهم ثلاثين قميصاً وثلاثين حُلَّةً حسب وعده، إذ عرفوا أنَّ الأُحْجِيَّةَ خاصةً بالأسد الذي قتله.

قام شمشون بقتل ثلاثين من الفلسطينيين، وأخذ ثيابهم وأعطاهم لهم. غضب شمشون من زوجته، لأنها أخبرتهم بحلِّ المثلِّ، فتركها في بيت أبيها، وعاد إلى بيت والديه.

« مَنْ الْأَكْلَ خَرَجَ أَكَلًا ، وَمَنْ الْجَافِي خَرَجَتْ حَلَاوَةٌ »

(قَضَى ١٤ : ١٤)



٨٢- قتل ألف رجل بفك حمار

(قصة ١٥ - ١٦)

بعد مُدّةٍ إذ خمد غضب شمشون أراد أن يرجع إلى امرأته، فأخذ معه جدي معزى كهديّة للمصالحة، وكان جدي المعزى من الهدايا المألوفة كثيراً. وإذ نزل إلى تمّنة منعه والدها من الدخول، قائلاً: "إني قلتُ إنك قد كرهتها فأعطيتهَا لصاحبك. أليست أختها الصغيرة أحسنَ منها؟! فلتكن لك عوضاً عنها".

تعجّل أبوها في الأمر، مُسلماً ابنته لصاحب زوجها قبل أن يُطلقها رجّلها أو حتى ينذره بذلك، وقد ظنّ أن صغر سنّ أختها أو جمالها يُعوّض شمشون عن حبّه لامرأته، لكن الحبّ لا يُرشى بالجمال ولا بصغر السنّ!

كان ذلك علّة ليجمع شمشون ثلاث مئة ثعلباً، ويربط ذيل كل ثعلبٍ في ذيل ثعلبٍ آخر، وأشعل في ذبولهم ناراً، فانطلقت الثعالب بين حقولهم، فاحترق محصول عامٍ كاملٍ. وإذ أحرق حقولهم ومخازنهم اغتاز الأعداء، فانطلقوا إلى امرأة شمشون وأحرقوها وأباها بالنار. لكن هذا العمل لم يُرضِ شمشون، إذ حسبه إهانة له بحرق امرأته، لذلك أراد أن يعود فينتقم منهم ثانية.

ذهب شمشون إلى صخرة تُدعى عيطم ليقيم هناك، وهي تقع على بعد حوالي ميلين جنوب غربي بيت لحم بأرض يهوذا.

هاجم الجيش الفلسطيني سبط يهوذا، وعندما سألوهم: "لماذا تهاجموننا؟"

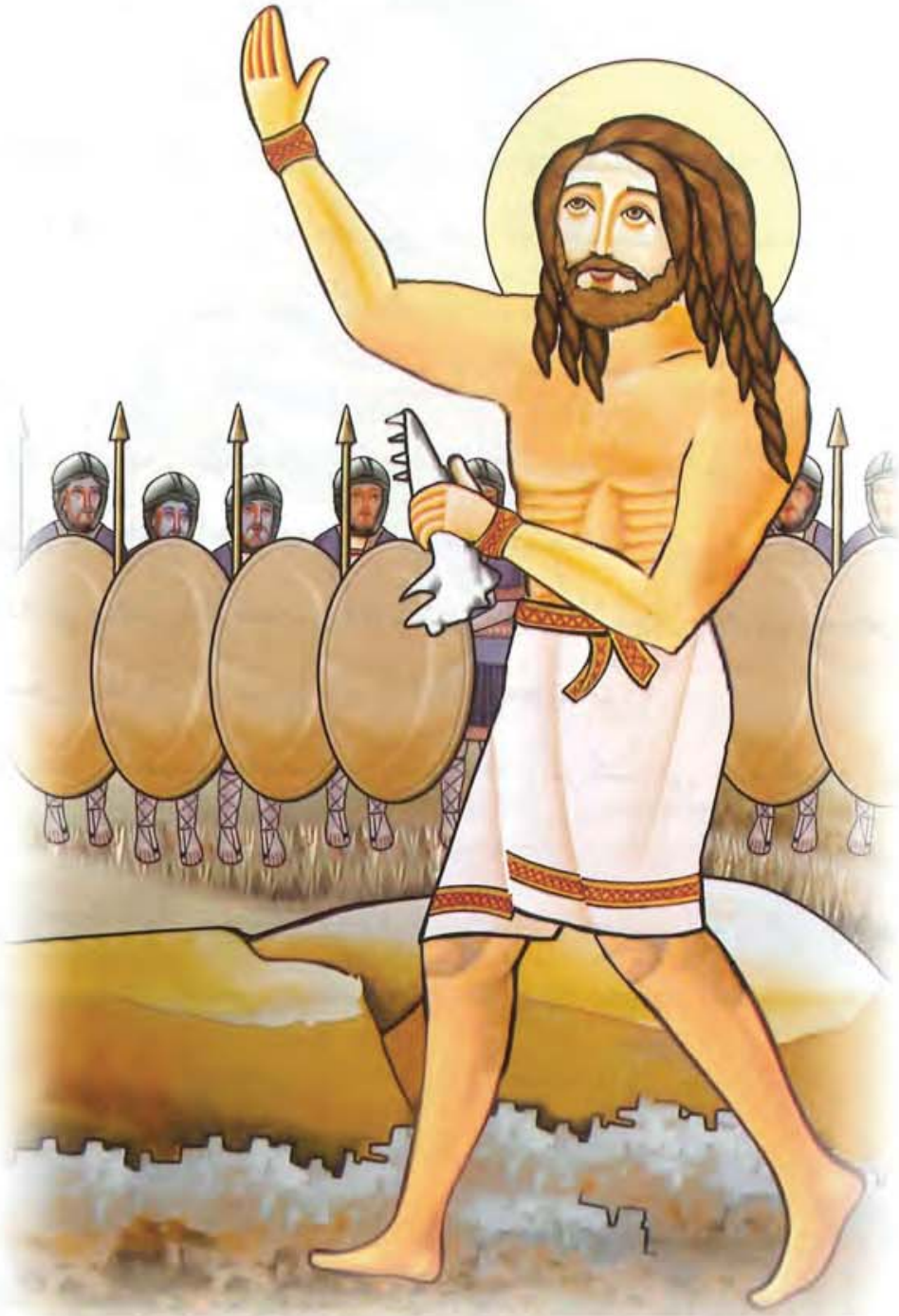
كانت الإجابة: "جننا لكي نقيّد شمشون ونقتله".

ذهب ثلاثة آلاف رجلٍ من يهوذا ليجتثوا عن شمشون. سألوهم: "لماذا تقتل

الفلسطينيين؟ فإننا نعاني الكثير بسببك".

أسلم نفسه لهم، عندئذ ربطوه بحبلين جديدين، وأصعدوه من الصخرة، وأسلموه لهم، فتهلّل الفلسطينيون بذلك. لكن شمشون قطع الحبال بسهولة كأنها خيوط كتان أحرقت بالنار. وعوض أن يقتله الأعداء أمسك بلحي حمار أي فكه وكان طريّاً، وبدأ يضربهم، فقتل منهم ألف رجلٍ.

عطش شمشون من الإرهاق، فصرخ لله الذي أنبع له ينبوع ماء شرب منه.
مع كراهيته للفلسطينيين لاحتلالهم إسرائيل ودخولهم في معارك معهم،
أخطأ شمشون، إذ سقط في محبة فتاة فلسطينية تدعى دليلة.
جاء قادة الفلسطينيين إلى دليلة، وطلبوا منها أن تتعرف على سرّ قوّته،
فيعطونها ألف ومائة قطعة فضة مكافأة لها.
مرّة أخرى نزع أبواب مدينة غزة وحملها على كتفيه بجوار جبل.



(قضاة ١٦)

حاولت دليلة أن تخدم شعبها وتعرف سرّ قوّة شمشون لتعلّمهم به. صارت تتوسّل إليه مرّات كثيرة كي يخبرها. وفي كل مرّة لم يستطع الفلسطينيون أن يغلّبوه. تارة قال: ليربطوني بسبعة أوتار طرية لا تجف، أي سبعة حبال من الكتان أو غيره من النباتات، لكن ما أن فعلوا ذلك حتى قطعها مثل حبال مُحترقة. وتارة أخرى قال: اربطوني بحبال جديدة لم تستعمل من قبل. لكنه قطعها مثل خيط ضعيف.

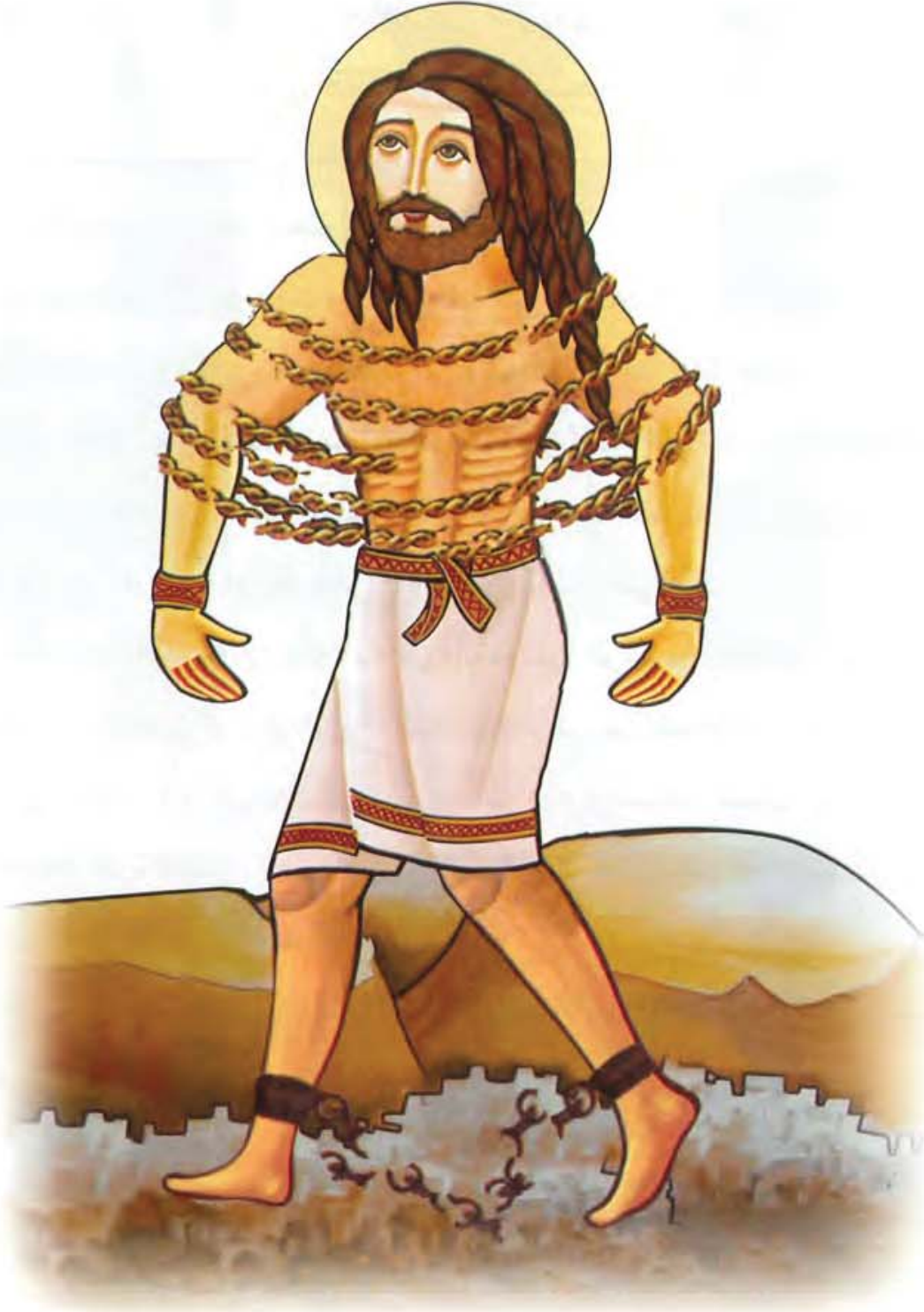
وثالثة: قال اجدلوا شعري مثل ثوب، أي تُضفر خصله السبع مع السّدَى، وهي الخيوط الطويلة التي تستخدم في آله النسيج، بخلاف اللحمية وهي الخيوط العريضة. وقد فعلت دليلة ذلك أثناء نومه، وعندما جاء الفلسطينيون ليقبضوا عليه غلبهم.

صارت تُعاتبه: "كيف تقول لي إني أحبك، وتكذب عليّ؟".
أخيراً، بعد الإلاح عليه يوماً فيوماً ليكشف لها عن سرّ قوّته، كشف لها أن سرّ قوّته في عمل الله معه. وأنه كندير للرب لا يجوز له أن يقصّ شعره. فإذا قصّ شعره يُفارقه الرب، وتزول قوّته العظيمة.
ظهر على وجهها ابتسامة عريضة، فقد أدركت في هذه المرة أنها قد نالت ما تشتهي.

وفي إحدى الليالي، جاء رؤساء الفلسطينيين ومعهم المال في أيديهم. وإذا نام شمشون وقد وضع رأسه على رجليها، قام بعض الفلسطينيين بقصّ شعره في هدوء.
صرخت دليلة: "استيقظ يا شمشون، فالفلسطينيون عليك!".

قفز شمشون، وفي هذه المرّة لم يقلّ الكتاب: "حلّ عليه روح الربّ"، بل قال: "أخرُجُ حسب كل مرّة وأنقض". لكنّه شعر بأنه خائر القوى، فقد فارقت قوّة الله. لقد سقط الجبار، لا على ركبتي دليلة، وإنما على ركبتي ملذاته الزمنية.

ألقى الفلسطينيون القبض عليه بكل سهولة، ووضعوه في السجن، وفتنوا عينيه.
جاءوا به إلى غزة، وربطوه في حجر الطاحونة لكي يُديره مثل الثور
أمامهم، وهُم يسخرون به.
كم كانت مشاعره وقد فقد قوّة الله بسبب شهوة جسديّة باطلة! صار
أضحوكة لكل مَنْ هُم حوله!



٨٤- موت شمشون

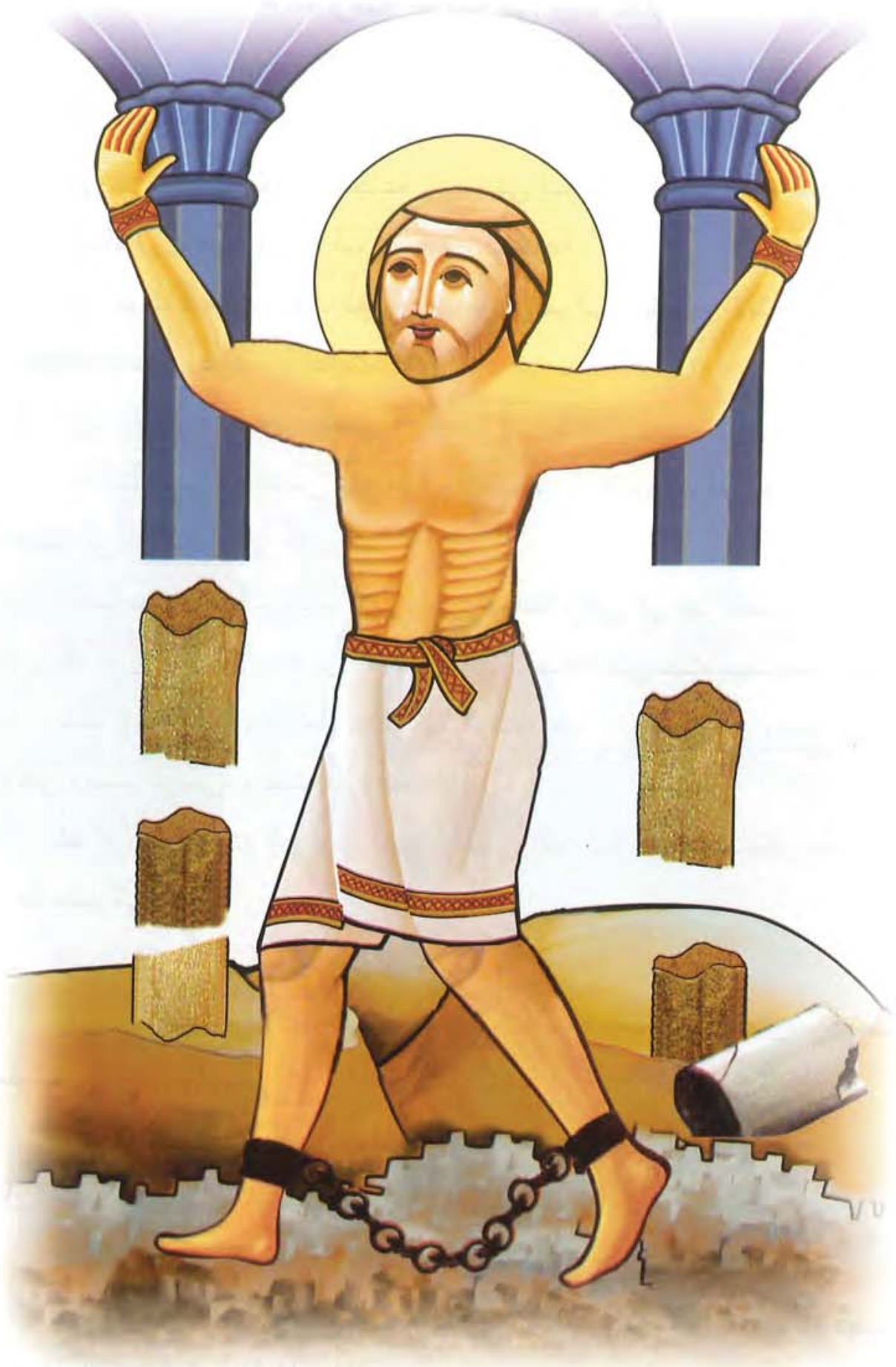
(قضاة ١٦ : ٢٣ - ٣١)

شعر شمشون بخطئه، وقدم توبة عن سلوكه الخاطئ مع دليلة. وفي عيد الإله داجون جاء به الفلسطينيون إلى قاعة الاحتفالات الضخمة في هيكل داجون، وكان عدد الحاضرين أكثر من ٣٠٠٠ من رجال ونساء وأطفال. طلبوا منه أن يلعب أمامهم للتسلية، ليسخروا به وبإلهه، وحسبوا أن الإله داجون قد سلمه إليهم. كان الكل يحسب هذا اليوم أعظم عيد، فقد تمجد داجون أخيراً وسلم إليهم عدوهم شمشون.

إذ بدأ شعر رأسه ينبت، وتذلل قلبه في داخله، أدرك أن الرب يكون معه، لذا صرخ قلبه: "يا سيدي الرب انكروني وشددني يا الله هذه المرة، فأنتقم نقمة واحدة عن عيني من الفلسطينيين". رفع شمشون قلبه إلى الله، طالباً منه أن يرد له قوته لكي ينتقم من العدو الوثني الذي يذل شعب الله. لقد أدرك وسط الضيق أن الله هو سرّ قوته، ولم يعد يخرج لينتفض متكلاً على ذاته.

سأل من يقودونه أن يأتوا به إلى العمودين الرئيسيين للمبنى ليتكى عليهما. صلى شمشون بروح التوبة، قائلاً: "انكروني يا الله، وهبني قوة. هب لي أن تتمجد فيّ. لأمت مع الفلسطينيين". ثم بسط يديه وأمسك بالعمودين، وصرخ إلى الله، وضغط بقوة فانهار العمودان، وسقط المعبد كله. مات في ذلك اليوم أكثر بكثير من الذين قتلهم أثناء حياته.

لقد أخطأ شمشون لكنه قدم توبة. آمن بالله وأحبّ شعبه، وكان يصلي لله ليهبه قوة للخدمة.



٨٥- أرملة غريبة في بيت لحم راعوث الموابية

(راعوث)

في فترة القضاة حدثت مجاعة شديدة في إسرائيل. اضطرَّ أليمالك وزوجته نُعمي وابناه أن يذهبوا إلى مواب هرباً من المجاعة.

بعد موت أليمالك، بقيت نُعمي وابناها في مواب، وتزوج الابنان من فتاتين موابيتين، تدعيان عُرفة وراعوث.

مات الابنان، فاشتاقت نُعمي أن ترجع إلى بلدها.

حاولت نُعمي أن تحبس دموعها أمام كنيتها عُرفة وراعوث فلم تستطع. لقد

صمتت إلى لحظات وهي تقول:

"مُنذ عشرِ سنواتِ جئتُ مع زوجي أليمالك وابني في هذا الطريق.

لقد هربنا نحن الأربعة من الموت بسبب المجاعة التي حلت ببيت لحم ووطننا.

جئنا إلى مواب ووطنكما، حيث نما الولدان هنا وتزوجا. الآن وقد مات

زوجي ومات الولدان، وبقيت أنا وأنتما أرامل.

لقد قررت العودة إلى بيت لحم، لأقضي بقية أيام حياتي الشقية، وأموت

وسط عشيرتي.

فلتذهبا إلى أسرتيكما يا بنتي.

إنني لن أنسى محبتكما، إنني أشهد أنكما كنتما زوجتين صالحتين، وكنتما

مملوءتين حباً لي ولزوجي.

الآن اسمعا يا بنتي لقولي، ولترجع كل منكما إلى بيت أبيها.

إنكما صغيرتان، فستجدان زوجين من شعبكما وتستريحان.

أما بالنسبة لي، فلست أظن أن لكما رجاءً في.

أنا إنسانة مُسننة، لا أصلح للزواج. وإن تزوجت وأنجبت أطفالاً، فهل

تنتظران أن تتزوجا من أولادي؟!!



الآن ارجعا! ليصنع الله معكما إحساناً، كما صنعتما بالموتى وبي".
رفع الثلاث أصواتهن وبكين. قَبَلَتْ عُرْفَةَ حماتها، وعادتُ إلى بيت أبيها،
أما راعوث فلم تتحرّك، إنما التصقت بحماتها.
قالت الكنة لحماتها:

"لا تُلحِي عليَّ يا أماه. لقد تعودتُ الطاعة الكاملة لوالديّ ولزوجي ولكِ،
لكنني هذه المرّة لن أستطيع أن أسمع لكِ.
فإنني أحبّك، لن أترككِ في شيخوختكِ وحدكِ.
لأنه حيثما ذهبتِ أذهب، وحيثما بتّ أبيتُ.
شعبك شعبي، وإلهك إلهي. حيثما مُتّ أموتُ، وهناك أُدفن.
لن يفصل بيني وبينك إلاّ الموت!".

ذهبتا الاثنتان معاً في الطريق إلى يهوذا حتى دخلتا بيت لحم.
تدفّق الكثيرون من بيوتهم لاستقبالهما، وتقديم التحيّة لهما. لكنهم أصيبوا
بنوع من الإحباط حين رأوا نُعْمِي تسير بدون زوجها أو أحد ابنيها، إنما ترافقها
سيّدة صغيرة السن، كما رأوا في نُعْمِي علامات الشيخوخة ليس فقط بسبب كبر
سنّها، وإنّما بسبب الضيق الشديد الذي أحنى ظهرها، وظهرت علامات المرارة
على ملامحها. لقد كانت عاجزة حتى عن أن تُحييهم.

في حزنٍ قالت: "لا تدعوني نُعْمِي، بل ادعوني مرّة، لأن القدير قد أمرني
جداً، وأذلّني وكسر قلبي. ذهبت مع زوجي وابنيّ، وعدت أرملة وثكلى".
في رقةٍ وبلطفٍ قالت راعوث: "لا تقولي هذا يا أماه. إنكِ لستِ وحدكِ.
ها أنا ابنتكِ، أكون معكِ، وأخدمكِ حتى النفس الأخير".

أجابت نُعْمِي: "أنا أعلم محبّتكِ يا راعوث، لكن لا تنسي أنني مع عجزِي
عن أن أصنع شيئاً، فإنني أشعر بالمسئولية نحوكِ، وأودّ أن أردّ محبّتكِ بالحُبِّ
أيضاً".

في الصباح قالت نُعْمِي لراعوث:

"اسمعي يا راعوث ابنتي.

إنه بحسب شريعة إلهنا لا تُحصَد كل المحاصيل، بل تترك بعض السنابل في أركان الحقول حتى يستطيع الفقراء والغرباء أن يلتقطوها ويعيشوا بها. اذهبي لعلك تجدين حقلاً لإنسانٍ طيب القلب يطلب من الحصادين أن يتركوا سنابل كثيرة ليلتقطها الفقراء".

ذهبت الأرملة الشابة غريبة الجنس إلى حقل شعير، وصارت تلتقط السنابل الساقطة من الحصاد بكل تواضعٍ وجدية. عملت باجتهاد لكي تُقدّم لحماتها شيئاً. كان كثيرون من العاملين في الحقل يراقبون الأرملة التي لم تعرف الراحة، حتى جاء صاحب الحقل فرآها، وسأل الموكل على الحصادين: "من هذه الفتاة؟". - إنها الفتاة الموآبية، التي رجعت مع نِعْمِي، استأذنت منا لثلتقط السنابل الساقطة.

- وما هو سلوكها؟

- لم تكفّ عن العمل منذُ الصباح. لم تسترح ولا أكلت أو شربت. ولم ترفع نظرها إلى أحد، ولا تحدّثت مع إنسانٍ.

- ما هو اسمها؟

- راعوث.

نادى بوعز صاحب الحقل راعوث، وتحدّث معها، قائلاً:

"اسمعي يا ابنتي راعوث.

لا تتركي هذا الموضع.

فتياني سيهتمون بك، التقطي السنابل من ورائهم.

إن عطشت، فاذهبي إلى الآنية واشربي ممّا استقاه الغلمان".

زال الخوف منها أمام رقّة الرّجل واهتمامه بها. وانحنى حتى الأرض وسجدت أمامه، وقالت له: "كيف وجدت نعمةً في عينيك حتى تنظر إليّ وأنا غريبة؟!".

أجابها بوعز: "لقد سمعتُ عنكِ وعن كل الخير الذي فعلتيه مع نُعمي حماتك. الله يُكافئك، فقد تركتِ وطنكِ وشعبكِ وآلهتكِ، وجئتِ إلى الله الحي الذي يُظللُكِ تحت جناحيه، كما يضمُّ الطير فراخه".

قالت راعوث: "لقد عزيت نفس جاريتكِ، وطيبت قلبها، وأنا لست كواحدةٍ من جواريكِ".

طلب منها بوعز أن تأكل فريكاً، فأكلت وشبعت وفاض عنها، ثم قامت لتلتقط من الحزم حتى المساء.

خبطت راعوث السنابل التي جمعتها، وفرزت الشعير، وجاءت به إلى حماتها.

سألتها حماتها: "أين التقطتِ اليوم؟".

أجابت: "في حقل رجل طيب القلب يدعى بوعز".

قالت نُعمي: "الرب هو الذي أرسلك عند هذا الرجل. فهو قريب لنا، ثاني وليتنا، وهو قادر أن يُعيننا".

قالت راعوث: "لقد طلب مني أن ألزم فتيانه".

قالت نُعمي: "لازميهم، ولا تذهبي إلى حقل آخر".

انتهى موسم حصاد الشعير، فقالت نُعمي لكتتها:

"اسمعي يا ابنتي، فإني لن أنسى محبتكِ وتعبكِ معي، فقد قدّمتِ لي كل

خير.

ليُكافئكِ الرب ويُبَارِك حياتكِ.

إنني أشتاق أن أراكِ مُتزوّجةً ولكِ أولاد.

بوعز هو الرجل الذي وحده يقدر أن يُعيننا. إنني أشير عليكِ أن تذهبي

الليلة إلى البيدر، وبعد نهاية حفل الابتهاج بالحصاد يدخل بوعز لينام، ادخلي أنتِ

أيضاً ونامي تحت رجله".



أطاعت راعوث حماتها، وبالفعل إذ استيقظ الرَّجُلُ في منتصف الليل اضطرب، فقد وجد سيّدة مُضْطَجعة عند رجليه، لم يستطع أن يتعرّف عليها بسبب الظلام.

- من أنتِ؟

- أنا راعوث أمتك، ابسط ذيل ثوبك على أمتك، لأنك وليّ.

قالت هذا كمشورة حماتها، لأنه حسب الشريعة الموسوية إن مات شخص دون أن يكون له ولد، يتزوَّجها أقرب من له (وليّها)، ويُنسب الابن الأول للميت، وليس للزوج الثاني الذي أنجبت منه. وكان الهدف أن يبقى اسم الميت ولا يضيع ذكره.

أدرك بوعز عفة راعوث ونقاوة قلبها، فقال لها:

"إني سعيد جداً أن تنتسبي لعائلتنا.

وأنا مُستعدّ أن أتزوَّجك إن رفض الوليّ الأول الزواج بك، لأنه هو أحق

مني أن يأخذك.

فإن قبل أن أتزوَّجك، أهتم بك وبنُعْمي كل أيام حياتكما".

في الصباح التقى بوعز ومعه عشرة رجال من شيوخ الشعب بالوليّ الأول عند باب المدينة. رفض الرَّجُل أن يتزوَّج ويُنسب ابنه الأول للميت. تنازل الرَّجُل عن حقه في الفكّ حتى لا يتزوَّج راعوث، فأشهد بوعز عليه الشيوخ، وتزوَّج بوعز راعوث الموابية.

أنجبت راعوث منه ابناً، فصار فرح عظيم لنُعْمي التي صارت جدّة بعدما انقطع رجاؤها لزمانٍ طويلٍ، وتهلّل بوعز بالطفل وأيضاً راعوث، بل وكل الأصدقاء والجيران، فدعوه "عوبيد". هذا الذي هو أبو يسىّ أبي داود. ومن نسله جاء السيّد المسيح - الحُبّ كلّهُ - حسب الجسد.

بدأت دموع الفرح تتهمر من عينيّ نُعْمي، وأيضاً من عينيّ راعوث، وهما

يشكران الله ويُسبّحانه.

٨٦- صموئيل آخر القضاة

(١ صموئيل ١ : ١ - ٢٣)

تطلّع الله من السماء، فرأى شعبه قد انشغل بالأرض التي أعطاهم إياها، وبمحاصيلها الكثيرة وفواكهها المُمْتَازة وحقولها وحظائر الغنم، ولم يهتموا بالعبادة، ولم يرفعوا قلوبهم إليه.

انتظرهم إلى مئات السنين لعلهم يرجعون إليه، أمّا هم فكانوا يزدادون في شرورهم.

وسط هذا الشعب العاصي كان لرئيس الكهنة عالي ابنان شريران جدًّا وغير أمينين في خدمة الرب، ولم يؤدّبهما أبوهما.

شاخ عالي، ولم يُسلم الله شعبه لقيادة هذين الابنَيْن، بل أشفق الله على شعبه، وأراد أن يُرسل إليهم نبيًّا يُشجّعهم على الرجوع إليه.

في ذلك الوقت عاش رجلٌ يُدعى ألقانة تزوّج بامرأتين، اسمهما حنة وفننة. وكان الثلاثة يذهبون كل عام إلى خيمة الاجتماع (بيت الرب) بشيلوه في أرض الموعد ليحتفلوا بالعيد.

كانت حنة رقيقة الطبع ومؤمنة، فأحبّها زوجها جدًّا. ملأ الحسد قلب فننة، فأرادت أن تغيظها. انفردت بحنة، وقالت لها:

"أراك مُتدينة جدًّا ولطيفة.

لكن الله العارف القلوب جعلك عاقراً، لأن قلبك شرير.

إنك تخدعين الناس، لكنك لا تستطيعين أن تخدعي الله.

توبي وارجعي إليه!".

صمت حنة، لكنها كانت مرّة النفس. بكت وامتعت عن الطعام. أدرك

رجلها أنها حزينة بسبب عدم إنجابها، فقال لها:

"لماذا تبكين يا حنة؟ ولماذا لا تأكلين؟

لماذا تكتئبين؟

أما أنا خيرٌ لكِ من عشرة بنين؟

ابتهجي يا حنة ولا تبكي".

هزّت رأسها في وداعةٍ، لكن قلبها كان مكسوراً.

انسحبت حنة، وذهبت إلى بيت الرب، وكان عالي الكاهن جالساً عند مدخل

البيت.

في مرارة نفس سجدت حنة حتى الأرض، وأخذت تبكي وتُصلي بصوتٍ

خافتٍ:

"انظر يارب إلى مذلة عبدتك. لا تتسني.

إن أعطيت عبدتك طفلاً، أقدمه لك لكي يخدمك كل أيام حياته".

كان كل كيائها يهتزّ بالمرارة، فظنّها عالي الكاهن سكرى. وبخها قائلاً:

"اذهبي يا امرأة، وكفي عن شرب الخمر؛ حتى متى تسكرين؟".

أجابته حنة وهي تبكي: "لا يا سيدي، لست سكرى، إنني أحبّ إلهي، أسكب

حزني أمامه. أمراً واحداً سألته من الربّ، وهو يُمسكه عني".

في حنان مع طيبة قلب، قال لها الكاهن الشيخ: "اذهبي بسلام، وليعطك

الرب سؤال قلبك، ولتفرحي به".

امتلاً قلب حنة بالسلام، وصارت تشكر الله على العطية التي سيقدّمها لها.

حبّلت حنة، وأنجبت طفلاً جميلاً دَعته صموئيل، ومعناه "الله سمع". كانت

تُردّد إنه نذير للرب، أفرح بخدمته للرب كل أيام حياته.



٨٧- نبيّ الربّ الصغير

(١ صموئيل ١ - ٢)

كان ألقانة يذهب إلى بيت الربّ في شيلوه دون حنة حتى بلغ عمر صموئيل ثلاث سنوات.

قالت حنة: "لقد حان الوقت لأقدم ابني لبيت الربّ، ويخدم هناك كل أيام حياته". ذهبت حنة إلى بيت الرب وهي مُبتهجة، وقدمت ابنها لعالى الكاهن وهي تقول له: "هذا هو ابني الذي أعطاني إياه الربّ. لقد أرضعته واهتممت به ثلاث سنوات. إني أقدمه للربّ".

انسحبت بهدوء ودموع الفرح تتسلل من عينيها، فقد صار لها هذه البركة العظيمة، أن يسكن ابنها في بيت الربّ.

قالت حنة لابنها: "يا لك من ابن سعيد، ستعيش في بيت خالق السماء والأرض. سأراك ثانية، سأصنع لك ملابس، وأزورك كل عام. تذكر يا ابني أنك خادم الربّ الصغير".

تطلع عالى الكاهن إلى الطفل الصغير، واحتضنه، وهو يقول له: "يا لك من ابن مبارك! تعال يا ابني. هذا هو الموضع الذي ستعيش فيه. ملاك الرب يحرسك!". بدأ الشيخ يُعلم الطفل العجيب، وأحبّ عالى الكاهن الطفل جداً. وشعرَ الطفل أنه سعيد جداً ببيت الرب.

كان صموئيل يرتدي منطقة من كتان، وكانت أمّه تأتي كل عام لزيارته، وتحضر له عباة صغيرة تخطها له.

كم كانت سعادة صموئيل حين كان يسمع والدته تقول له: "أنت خادم الله المختار. كم كنت أشواق لو أنني أعيش هنا في بيت الرب".

فرح الرب بالأم والابن، وإن كان قد حزن على عالى بسبب إهماله وتراخيه في تعليم ابنه.

اختار الله صموئيل، النبي الصغير، لكي يدعو الشعب للرجوع إليه.



٨٨- صموئيل! صموئيل!

(١ صموئيل ٣: ١ - ١٤)

مع صِغَر سن صموئيل كان يخدم الرب بكل قلبه، فأحبه كل مَنْ تعرّف عليه. في ليلةٍ حدث أمرٌ غريب، فبعد أن نام صموئيل سمع صوتاً يُناديه: "صموئيل! صموئيل!".

استيقظ الصبي الصغير في الحال، وظنّ أن عالي الكاهن يطلب منه خدمة. ذهب بسرعة إليه وسأله: "هل دعوتني يا أبي؟" قال له عالي الكاهن: "لم أدعك يا ابني، ارجع ونم".

تحيّر الصبي، فهو متأكد أن صوتاً ناداه، لكنه رجع إلى مخدعه كما طلب منه عالي الكاهن.

بعد قليل تكرر النداء، فاستيقظ الصبي، وأسرع إلى عالي الكاهن، وقال له: "هأنذا يا أبي، فإنك دعوتني". تحيّر عالي الكاهن، فإنه لم يُنادِ صموئيل.

وللمرة الثانية طلب من الصبي أن يرجع إلى مخدعه وينام.

للمرة الثالثة، سمع الصبي نفس الصوت، وذهب إلى عالي.

هنا أدرك عالي الكاهن أنه صوت الرب الذي لم يسمع أحد صوته إلى

سنوات، ولا نظره في رؤيا.

طلب عالي الكاهن من صموئيل أن يرجع إلى مخدعه. وأخبره إن سمع

الصوت يسجد ويقول: "تكلم يارب، فإن عبدك سامع".

تمّ صموئيل ما قاله له عالي الكاهن. تحدّث الرب مع الصبي الصغير

عمّا يخص الشعب كله والجيش والكاهن وابنيه.

كانت هذه بداية حديث صريح بين ربنا السماوي والصبي الصغير.

ازدادت هذه العلاقة مع الزمن، فإن الله يُسرّ أن يجد إنساناً مباركاً ولو كان

صبيّاً صغيراً، فيُقيمه قائداً، ويتحدّث معه عن معاملاته مع شعبه، ويكشف له أسرارَه!

الله يريد أن يتكلم معك، فهو يُحبك، ويودّ أن يُقيمك قائداً!

« تَكَلِّمُ يَارِبُ لِأَنَّ صِبْدَكَ سَامِعٌ »

(١ صم ٩:٣)



٨٩- تأديب عالي الكاهن

(١ صموئيل ٣ - ٤)

سأل عالي الكاهن الصبي صموئيل: "ألم يُخبرك الربّ بشيء؟".
أجاب صموئيل بكل صراحة: "قال لي إنّ ابنك سيقتلان في المعركة،
ويستولي الفلسطينيون على تابوت العهد، وأنك لا تحتمل الأمر، فتسقط ميتاً".
أحنى عالي الكاهن رأسه في خضوع للربّ وقبول إرادته المقدّسة.
بسرعة تحرّك الإسرائيليون للدخول في معركة ضدّ الفلسطينيين. وإذ لحق
الإسرائيليون خسائر كثيرة، طلب الشيوخ إحضار تابوت العهد إلى المعركة لكي
يهبهم الله النّصرة. جاء ابنا عالي بالتابوت. إذ رأى الجيش التابوت ظنّوا أنّ
النّصرة تتحقّق حتماً، لكن لم يفكروا في التوبة والرّجوع إلى الربّ، ولا فكّر ابنا
عالي في التوبة. لذا حدث ما لم يعهدوه من قبل. فوجئوا بقتل ثلاثين ألفاً من
الإسرائيليين، وكان من بينهم ابنا عالي. كما قام الفلسطينيون بالاستيلاء على
تابوت العهد.

أسرع أحد المُشتركين في المعركة بالذهاب إلى شيلوه. وإذ سأله عالي عن
أخبار المعركة، أخبره بما حدث. لم يحتمل عالي الخبر، فسقط في الحال ميتاً.
أمّا الصبي صموئيل فنما سالكاً في طريق الرب بكل أمانة. وهبّه الله
الكثير من الرؤى، وكان يتحدّث معه ويرشده. وشعر الشعب بأمانة صموئيل،
وعمل الله معه كنبّيٍّ، وكل ما كان يقوله لم يسقط منه حرف واحد. اجتمع حوله
كل إسرائيل كقاضٍ أمينٍ يدبّر أمورهم بروح الرب.



٩٠ - استرداد تابوت العهد

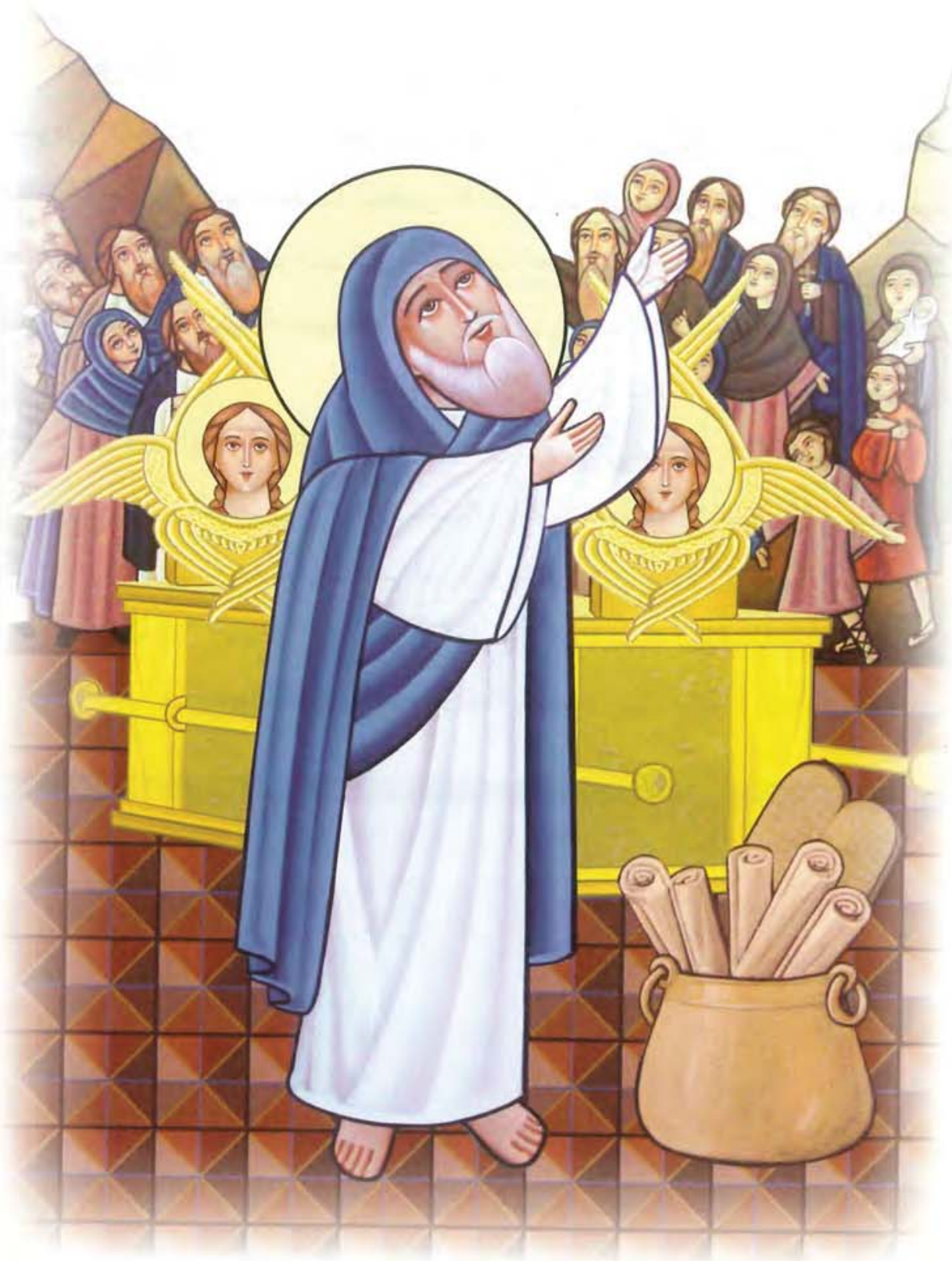
(١ صموئيل ٥ - ٧)

استولى الفلسطينيون على تابوت العهد، واحتفظوا به لمدة سبعة أشهر. كانوا ينقلونه من مدينة إلى مدينة، لأنه حيثما ذهبوا به يحلّ وباء في المنطقة، ويحدث ارتباك شديد. أخيراً استشاروا كهنتهم الوثنيين والعُرفاء. فنصحوهم أن يردّوا التابوت إلى إسرائيل ومعه بعض الهدايا الذهبية كنوع من الاعتذار والتكفير عن استخفافهم بالتابوت. وُضع التابوت والهدايا على مركبة جديدة تجرّها بقرتان دون أن يقودها أحد. سارت البقرتان بالمركبة متّجهة طول الطريق نحو إسرائيل.

تهلّل الإسرائيليون بعودة التابوت المقدّس، خاصة وأن الله أظهر قوّته واهتمامه بقُدسيّة التابوت الذي يُمثّل الحضرة الإلهية. فقد عاد التابوت مُكرّماً أمام الأعداء. بعودة التابوت ظنّ الإسرائيليون أنهم حتماً سيغلبون أعداءهم. لكن أمراً من هذا لم يحدث. عندئذ بكل قوّة، قال لهم صموئيل عن سرّ فشلهم وهزيمتهم. فقد تمثّل كثيرون بجيرانهم الوثنيين، وعبدوا الأوثان، ومارسوا عادات وثنية شريرة. طلب منهم أن يؤمنوا بالله، ويجدّدوا العهد معه، ويسلكوا بأمانة. كما طلب منهم أن ينزعوا عنهم الأوثان، ويرجعوا إلى عبادة الله الحيّ. هذا هو طريق خلاصهم ونصرتهم.

اقترح عليهم صموئيل النبي والقاضي أن يجتمع الشعب في المصفاة، ويصوموا ويصلّوا، مقدّمين توبة صادقة. جاء الشعب من كل مكان، وازدحمت كل الطرق المؤدية إلى المصفاة.

سمع الفلسطينيون عن هذا الاجتماع الضخم، فجاء رؤساؤهم مع جيش ضخم بسرعة، ليقوموا بهجوم مفاجئ أثناء عبادتهم لله. لم يكن اليهود مُستعدين للدخول في معركة، إنما جاءوا ليقدموا توبة لله. وإذ شعروا بالعجز التام رفعوا قلوبهم إلى الرب يطلبون النجدة.



بقي صموئيل مع الشعب يصلّون، وانطلق بعض المُحاربين بكل شِجاعةٍ لمواجهة الفلسطينيين. اقترب الجيش الغازي نحو المِصفاة، وفجأة حدث رَعْد مُرعب وبرق ومطر شديد وثقيل. ارتبك جيش الفلسطينيين جدًّا، وسقطوا في خزيٍ أمام الإسرائيليين. لم يُعدّ الفلسطينيون يهاجمونهم بعد إلى مدة طويلة. لكن للأسف كان كثيرون في فترات مُتباينة يعبدون الأوثان، وكان الرب الطويل الأناة تارةً يتركهم وأخرى يؤدّبهم. ومع هذا كان يُعدّهم ليكونوا مملكة مُقدّسة له، يأتي منها مُتجسّدًا ليُخلّص العالم كله. كان تسليمه أرض الموعد لهم حسب وعده مع أبيهم إبراهيم من أجل إصلاح البشريّة كلها، بمجيء رب المجد يسوع ليُقدّم نفسه ذبيحة عنها.

الفترة السادسة

مملكة واحدة

(صموئيل أول وثاني، ملوك أول وثاني وأخبار أيام أول وثاني)

استقرّ إسرائيل في أرض الموعد، وصارت أرضهم، وإن كانوا قد دخلوا في معارك مُستمرّة مع الفلسطينيين الذين كانوا أمةً مُتّحدة معاً لها خبراتها وإمكانياتها العسكرية. لكن قيام بعض المشاكل بين الأسباط وبعضها البعض أضعف من مركز إسرائيل.

كان القائد الروحي لإسرائيل هو صموئيل النبي. طلب منه الشعب أن يُقيم لهم ملكاً على كل الأسباط. ربما كان بعض الشيوخ والقادة العسكريين يرون في قيام ملكٍ ما يجعل الأسباط في انسجام أكثر، ويصير الكل جيشاً واحداً قوياً. لكن الغالبية العظمى خاصةً بين الشعب، طلبوا الملك لكي يصيروا مثل الأمم المحيطة بهم.

٩١ - الشعب يطلب ملكاً

(١ صموئيل ٨)

شاخ صموئيل، ووضع في قلبه أن يقوم ابناه بدوره. تذكر الشيوخ ما حلَّ بهم بسبب ابني عالي الكاهن، فلم يقبلوا ما كان يُفكر فيه صموئيل، لأن ابنيه انحرفا عن طريق أبيهما المستقيم. لم يكن في ذلك خطأ، إلا أن بعضهم تطلع مع غالبية الشعب إلى الأمم المحيطة بهم، الذين يفتخرون بعظمة ملوكهم وقوتهم وسلطانهم، فأرادوا أن يكون لهم ملك كسائر الأمم. ما كان يشغل قلوبهم هو المظهر الخارجي والافتخار بملكٍ قويٍّ.

حسب صموئيل النبي هذا الطلب رفضاً لله كملكٍ، هذا الذي جعل منهم أمة خاصة به، وحررهم من عبودية فرعون، وأشبع كل احتياجاتهم في البرية، ووهبهم أرض الموعد، وأعطاهم نصرات مستمرة على الأمم المعادية لهم بإقامة قضاة.

حزن صموئيل جداً، فلجأ إلى الله، وعرض عليه الأمر وهو مُرّ النفس. قال له الرب: "اسمع إلى صوت الشعب. وأقم عليهم ملكاً. إنهم لم يرفضوك أنت، بل رفضوني أنا".

سمع صموئيل لصوت الرب، ودبر أمر إقامة ملكٍ لهم. كان هذا التغيير الجوهرى في هذه الأمة مؤلماً بالنسبة لصموئيل، إذ يعرف مدى ضعف الشعب. كان يود أن يجد إنساناً تقيّاً، يدرك أن الله هو الملك الحقيقي، وأنه مُمثلٌ له، يخضع لوصاياه ويسمع صوته، ويطيع رجال الله خاصة الأنبياء. هكذا بدأ يُفكر في اختيار ملكٍ صالح، أمّا الشيوخ والشعب، فلم يكن يشغل قلوبهم إقامة ملكٍ صالح، بل ملك ذي قوامٍ ضخم وجميل وعظيم وقوي، يفتخرون به بين الأمم.



٩٢- شاول الملك

(١ صموئيل ٩ - ١٠)

لم يترك الله صموئيل يبحث كثيراً عن شخص يصلح أن يُقام ملكاً، بل أرشده إلى شخص له السمات التي يطلبها الشعب والتي في أذهانهم. أعطاهم حسب قلوبهم، حتى لا يثوروا على صموئيل، وفي نفس الوقت ليختبروا درساً جديداً في حياتهم، ألا وهو ما أبعد حكمة الله عن حكمتهم البشرية، واختيار الله عن اختيارهم.

طلب الله من صموئيل أن يمسح شاول بن قيس بالدهن المقدس، فيكون ملكاً لإسرائيل.

جاء شاول إلى صموئيل يسأله عن أتن أبيه الضالة. كان هذا الشاب طويلاً وقوياً وجميلاً.

كشف له النبي أن الرب اختاره ملكاً، وطلب منه ألا يقلق على أتن أبيه، فقد وُجِدَت.

سكب النبي دهنًا مقدسًا على رأس شاول، فحلّ روح الرب عليه، ووهبه قلباً جديداً.

رجع شاول إلى أسرته المتواضعة، ولاحظوا عليه أنه قد تغير تماماً، لكن لم ينطق شاول بكلمة عما حدث معه.

جمع صموئيل شيوخ كل الأسباط بناء على أمر الله ليُلقي قرعة من يُقام ملكاً. وقعت القرعة على سبط بنيامين، ثم وقعت على قيس البنياميني، فابنه شاول.

بحثوا عن شاول فلم يجدوه. أدرك صموئيل النبي أن شاول مُختبئ. استشار صموئيل الرب، فعرف أنه موجود في خيمة قريبة. أتى به صموئيل وقدمه للشعب فكان كتفه ورأسه فوق الكل. قدّم لهم شاول، قائلاً: "لقد اختار الرب واحداً".

عَلَّتْ هتافات كل الأسباط: "ليحيا ملكنا".



٩٣- نُصْرَة عَظِيمَة عَلَي بَنِي عَمُّون

(١ صموئيل ١١ - ١٥)

بعد أربعة أسابيع من الإعلان عن اختيار شاول ملكاً، هدّد بنو عمّون سكان يابيش جلعاد بإسرائيل بعنفٍ شديدٍ. وبعد سبعة أيام تحرك بنو عمّون نحو يابيش جلعاد، وكانت كل قوات شاول على أتمّ الاستعداد لمواجهة المعركة. تقدّم بنو عمّون، وكم كانت المفاجئة حين هجم عليهم جيش شاول من خلف، ونال نُصْرَة عظيمة. افتخر إسرائيل بملكه، الذي تمّ مسحه وقبوله والإعلان عنه. الآن وجب تتويجه بإكليل الملك. دعا صموئيل الشعب إلى الجبال، وهناك توجّه أمام الربّ. وكان شاول سعيداً، وأيضاً كل الشعب.

اقترح شاول إقامة مكانٍ للحكم، وتنظيم جيشٍ ثابتٍ يحمي المملكة، فوافق الكل بقلبٍ واحدٍ. وكانت أعين الفلسطينيين تترقب كل هذه الأحداث.

أرسل شاول ابنه يوناتان ليُحارب موقعاً عسكرياً صغيراً خاصاً بالفلسطينيين. فانصر يوناتان في المعركة وتشجّع شاول.

بلغ إلى مسامع شاول أن الفلسطينيين قد تجمعوا بكل قواتهم، وصار إسرائيل في موقفٍ حرجٍ للغاية. أمّا شاول كرجلٍ حربٍ لم يضطرب. قبل دخوله في المعركة الدفاعية، أرسل شاول إلى صموئيل النبي لكي يقدّم مُحْرَقَةً للرب.

انتظر شاول صموئيل، وطال انتظاره ولم يأت صموئيل. قدّم شاول المُحرّقة. تضايق صموئيل لتسرّع شاول، وتقديم الذبيحة وهو ليس بكاهنٍ ولا نبيّ.

قال صموئيل لشاول: "الرب اختارك لتكون بداية سلسلة من الملوك. الآن عائلتك تسقط معك". بالفعل لم يتولّ أحد من نسل شاول الملك بعده.

بدأت المعركة، وكان جيش الفلسطينيين له مُعدات أفضل، وقادة أكثر. أمّا الله وإن كان لم يُسرّ بشاول الملك لتعدّيه على العمل الكهنوتي، لكنه أحسن إلى الشعب، ووهبهم النُصرة.

دخل شاول في حروب كثيرة ضد أعداء إسرائيل، ونال نُصرات متواليّة.



134

٩٤- نُصْرَة عَظِيمَة عَلَي عَمَالِيق وَعَصِيَان شَاوَل

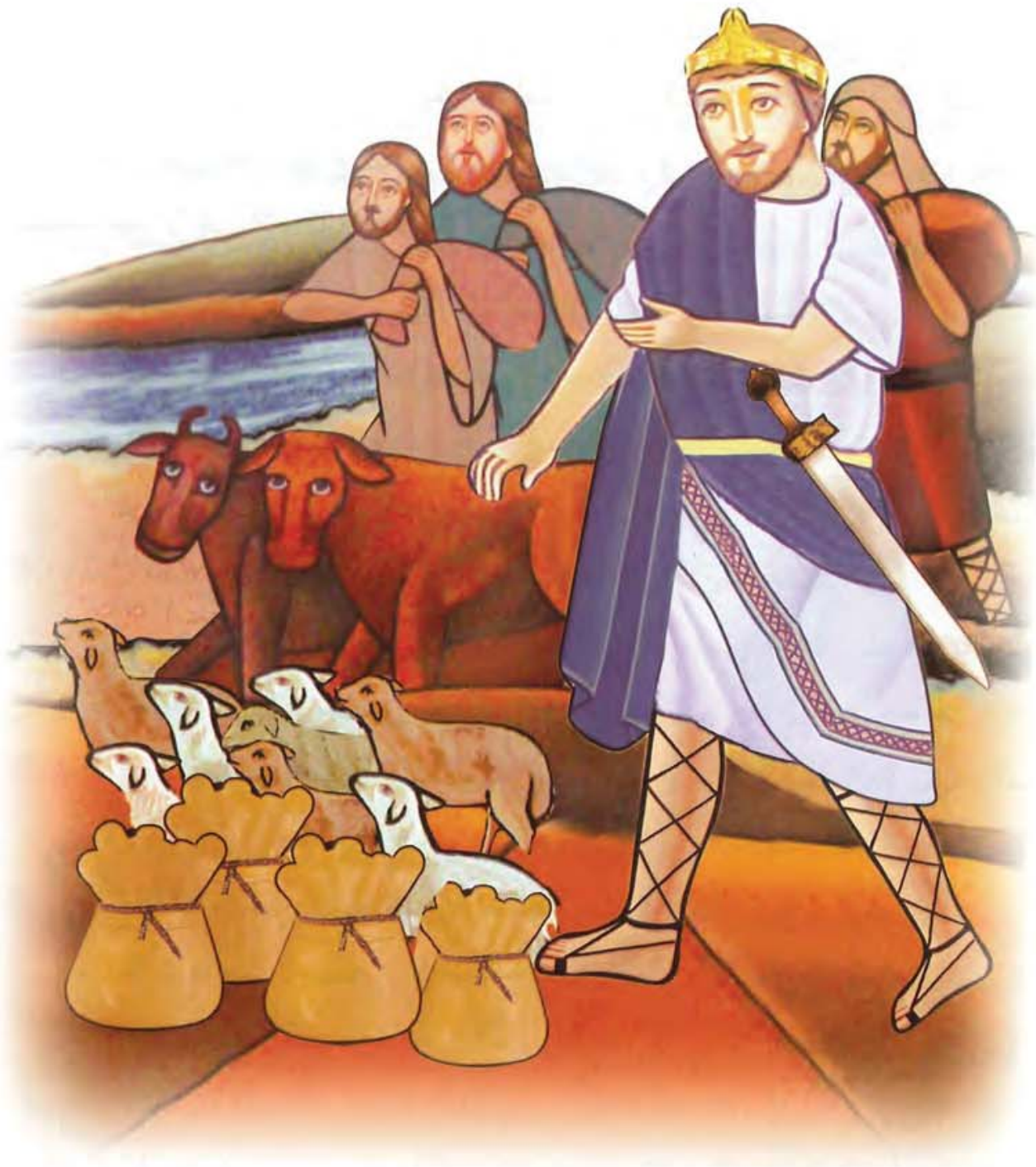
(١ صموئيل ١١ - ١٥)

جاء الدور على عماليق، وصدر الأمر إلى صموئيل النبي أن يُخبر شاول أن يقتل عماليق ولا يترك أحداً، ولا يأخذ غنيمة. أخبر صموئيل شاول بذلك. انتصر شاول، لكنه احتفظ بملكهم أجاج، واحتفظ بأفضل غنمهم ومواشيهم. أمام هذا العصيان فارق روح الرب شاول، ورفضه الرب تماماً. بالفعل انتصر شاول على عماليق، لكنه لم يسمع لصوت الرب. لقد قتل كل من وقع في يديه من الشعب، لكنّه أبقى "أجاج" [غالبًا هذا لقب ملوك عماليق كما يُقال "فرعون" عن ملوك مصر].

قتل شاول الغنم الضعيفة واستبقى الجيد منها بحجة تقديم ذبائح للرب مع أن الدافع هو النفع الشخصي. أبقى أجاج ربّما ليشبع غرور نفسه، أو لأنه أشفق عليه بكونه ملكاً مع أنه كان ملكاً على جماعة من اللصوص.

رفض الرب شاول، لأن شاول رفضه، ورجع من وراءه ليسلك حسب هواه. تضايق صموئيل، لأن شاول لم يستفد من الفرصة الإلهية المُقدّمة له. إذ قرّر صموئيل أن ينتهره، صرخ إلى الرب الليل كله. قضى الليل في الصلاة حتى لا ينتهر شاول من ذاته، وناح أيضاً عليه، فقال له الرب: "حتى متى تتوح على شاول وأنا قد رفضته عن أن يملك على إسرائيل؟!".

ذهب شاول إلى الكرمل، ونصب تذكاراً في الجبال لانتصاره على عماليق. وعندما جاءه صموئيل النبي مُبكرًا أراد أن يهنئ نفسه بطريق غير مُباشر، إذ قال له: "مُباركٌ أنت للرب؛ قد أقمت كلام الرب". غطّى على عصيانه بكلمات معسولة لم ينخدع بها صموئيل النبي، الذي كشف الرب له عن عصيانه. سأله صموئيل: "وما هو صوت الغنم هذا في أذني، وصوت البقر الذي أنا سامع".



عوض اعترافه بالخطأ ألقى باللوم على الشعب، قائلاً: "لأن الشعب قد عفا عن خيار الغنم والبقر لأجل الذبح للرب إلهك، وأمّا الباقي فقد حرمانه".

جاءت إجابة صموئيل: "هل مسرة الرب بالمُحرقَات والذبائح كما باستماع صوت الرب؟! هوذا الاستماع أفضل من الذبيحة، والإصغاء أفضل من شحم الكباش، لأن التمرد كخطية العرافة، والعناد كالوثن".

قال شاول "أخطأت"، وفي نفس الوقت ألقى باللوم على الشعب: "لأنني خفت من الشعب، وسمعت لصوتهم". لم تكن توبته صادقة، إنّما أراد أن يستميل صموئيل النبي كي يرجع معه ويكرمه أمام شيوخ الشعب، إذ يقول: "قد أخطأت. والآن فأكرمني أمام شيوخ شعبي وأمام إسرائيل وارجع معي". في كبرياء ينسب الشعب إليه لا إلى الله، قائلاً: "شعبي".

٩٥- مسح داود ملكاً

(١ صموئيل ١٦)

بأمرٍ إلهي توقف صموئيل عن النوح على شاول ليملتئ قلبه بالتعزيات الإلهية، إذ حول الله الشرّ إلى خير، فطلب منه أن يملأ قرنه دهنًا ليمسح ابن يسيّ البيتلحامي ملكاً.

سأله الرب أن يأخذ معه عجلة من البقر ليقدم ذبيحة للرب، وفي نفس الوقت يمسح داود ملكاً.

يبرز العمل الأول أمام الجميع، ويتمم الآخر سرًا. بهذا لا يكذب صموئيل عندما يُسأل عن سبب مجيئه إلى بيت لحم، إنما يخفي جزءًا من الحقيقة.

لماذا قدّمت الذبيحة في بيت لحم علانية بينما مسح داود سرًا وسط إخوته؟

أ. حتى لا يبطش شاول الملك بصموئيل النبي، إذ عُرف بحماقته وبطشه.

ب. لم يكن الوقت قد حان لإعلان ملك داود، إذ لم يستلم العرش إلا بعد

موت شاول، إنما أعطيت المسحة كنعمة إلهية تعدّه وتسنده للعمل حتى يتولّى الملك.

ج. لأن الذبيحة تُشير إلى الصليب (ذبيحة السيّد المسيح) مُرتبطًا بالملك، إذ

ملك الرب على خشبة (بحسب نبوءة المزمور).

جاء صموئيل النبي إلى "بيت لحم" التي تعني "بيت الخبز"، تبعد حوالي

سنة أميال (١٠ كم) جنوب أورشليم. في هذه المدينة وُلد السيّد المسيح - ملك

الملوك - من نسل داود.

أتى يسيّ بالابن الأكبر أليآب، وعندما أراد صموئيل مسحه ملكاً قال له

الرب: "لا تنتظر إلى منظره وطول قامته، لأنني قد رفضته؛ لأنه ليس كما ينظر

الإنسان، لأن الإنسان ينظر إلى العينين وأما الرب فإنه ينظر إلى القلب."

أتى يسيّ بأولاده السبعة الكبار، ولم يختَر الرب أحداً منهم. وأخيرًا

استدعى أصغر الأبناء الذي كان يرعى الغنم، ليمسح راعيًا على غنم الله الناطقة.

لم يمسح الله مَنْ كان وسيماً في هيئته، بل مَنْ كان جميلاً في النَّفس. اختاره من أجل نقاوته الداخلية وجمال نفسه، لا من أجل هيئته الخارجية. لقد سبق أن أعطاهم الرب ملكاً طويل القامة وحسن الصورة حسب طلبهم، أما الآن فيهبهم ملكاً حسب فكره الإلهي.

اتسم داود بالأمانة في القليل لذلك أقامه الله على الكثير. تعلّم من رعاية الغنم أن يحب كل خروف من غنم أبيه، فيهاجم الوحوش المفترسة (الأسد والدب)، لينقذ الغنم في شجاعة.

خلال رعاية الغنم تعلّم الموسيقى والعزف على القيثارة، فاستخدم الله هذه الوزنة للدخول به إلى الملك شاول.

كذلك تمتّع خلال الرعاية بالطبيعة ليُسبّح الله بمزامير روحية. تعلّم الضرب بالمقلع فأعانه على قتل جليات الجبار.

كلمة "داود" ربما مُشتقة من *dôd* التي تعني "حُباً" أو "محبوباً". وكان الله يُقيم من المحبوبين لديه المتجاوبين مع حُبه، ملوكاً يرثون الملكوت معه أبدياً. حلّ رُوح الرّبّ على داود الذي وهبَه نعمة الملوكيّة والقيادة الحكيمة لشعب الله، فلا يعمل بذاته بل بما للرّبّ.

انسحب رُوح الله من شاول، فأقلقه الرُوحُ الشرير. أشار عليه عبّيده أن يأتوا برَجُلٍ يضرب على عود لكي تطيب نفسه، وبالفعل جاءوا بداود بن يسّى البيتلحمي الذي يُحسِن ضرب العود. كان داود فصيحاً في كلماته، عذباً في مزاميره، جميلاً في طلعتِه؛ أما أعظم ما فيه هو أن "الرب معه"، وهذا هو سرّ قوّته.



٩٦- داود وجليات الجبار

(١ صموئيل ١٧)

كان داود أصغر إخوته السبعة، يُدعى "داود الصغير" يرعى غنم أبيه. تعلم منذ صبوته أن يُرتل المزامير على قيثارته في النهار والليل، خاصة في وقت الظهيرة، عندما تستريح الغنم تحت ظلال الأشجار، وتلتف حوله. كان يشعر كأنها تشاركه تسابحه لله إلهه.

مرّ به الفكر:

"إنه لأمر رديء، أن يخرج إخوتي الثلاثة الكبار مع جيش الملك شاول، بينما أبقى هنا مع الغنم.

إنني في ريعان شبابي الآن، ويمكنني أن أصنع أعمالاً أكثر أهميّة.

إنني أحبّ الرعاية، ولا أستكف منها!

أحبّ غنماتي جدّاً، وأبذل حياتي لأجلها.

كم أودّ أن أبذل كل عمري لأجل قطيع الله العاقل، لأجل كل إنسان!".

دعاه والده يسيّ، وقال له: "خذ يا ابني هذه الخبزات والجبن، واذهب إلى

إخوتك لترى ما هم عليه".

فرح داود جدّاً، لأنه سيذهب إلى إخوته الذين يحاربون عن الوطن، ويُقدّم

لهم قوتاً يُعينهم.

في الصباح الباكر جدّاً، خرج من البيت وذهب إلى أرض المعركة.

سمع أصوات ضجيج وصرّاخ! رأى أمراً رهيباً، إذ كان الجند يجرون في

كل اتجاه وهم في ارتباكٍ شديدٍ.

لكي يُشاهد بأكثر دقة ماذا يحدث، تسلّق إحدى الصخور، وتطلّع إلى أسفل،

نحو وادي إيلة. وبالكاد صدّق ما رآه.

لقد خرج من معسكر الفلسطينيين واحد من أبطالهم، يُدعى جليات، رجُل

عملاق جدّاً، طوله حوالي عشرة أقدام. تغطّي رأسه خوذة نحاسية ضخمة،

ويلبس عدّة حربية معدنيّة تبرق، حتى قدميه كانتا مُغطّيتين. علّق على جنبه سيف طويل، ورُمح ضخم يمسك به في يديه القويّتين، يبلغ طوله حوالي سبعة أقدام.

كان يقف هناك، يسخر بجيش شعب الله.

صرخ كأسد يزأر، قائلاً بقوة:

"أرسلوا لي إنساناً يُحاربني.

لماذا لم ترسلوا بعد مَنْ يدخل معي في معركة.

اخترخوا إنساناً يأتي ويُحاربني.

إن قتلني نصير لكم عبيداً. وإذا قتلته تصيرون أنتم عبيداً لنا".

إذ سمع الملك شاول وجيشه ذلك تسمّروا في أماكنهم. لم يخرج أحدٌ منهم

ليُحارب جُليات، بل كان الكل ينتظرون في رُعبٍ.

في وسط الصّمت الرهيب الذي ساد الجيش، صرخ داود، قائلاً: "حسناً!

لماذا لا ينزل أحد ليُحاربه؟".

حاول أحد إخوته أن يُبكم فمه، إذ قال له: "اصمت! ارجع إلى غنمك؛ ماذا

تعرف عن الحرب؟".

تضايق داود، وقال لأخيه: "ماذا عملت الآن؟ أما هو كلام؟!".

وتحوّل من عنده، وتنفّل بين الجُند حتى بلغ إلى أرض المعركة، وقال

لأحد الجنود: "مَنْ الذي ينزل ليُحارب جُليات؟".

أجابه: "لم يحاول أحد أن ينزل، مع أن الملك شاول يُقدّم مكافأة عظيمة

لمَنْ يُقاتل هذا العملاق".

قال: "أنا أُقاتله!".

تعجّب أنه في لحظات وجَد نفسه يقف أمام الملك.

قال له الملك: "إنك شاب صغير جدّاً. أنت صبي، وجُليات مُقاتل عظيم.

إنه بطل قد تدربّ على فنون الحرب منذُ صباه".

أجاب داود:

"ربّما أكون صغيراً يا سيّدي الملك، لكنني أستطيع أن أقاتله.
مرّة إذ كنت أرى غنماً، قتلت ذبّاً وأسدّاً بيديّ، هذين اللذين أرادا أن
يفترسا غنماً.

إنني أستطيع أن أصنع ذات الأمر مع جليات.
الله الذي أنقذني من الذّب والأسد، يقدّر بالتأكيد أن يخلصني من يده.
إنني أيها الملك شاول أستطيع أن أقتل هذا العملاق، فإنه يُعير صفوف الله
الحيّ".

لم يقدّر الملك أن يتباطأ، بل قال له: "اذهب، وليكن الربُّ معك. لكن كُن
حذراً. انظر، هذه حُلتي العسكريّة، ارتديها".

كان الملك شاول رجلاً ضخماً جداً. بالكاد أمكن داود أن يحمل سيفه الثقيل
جداً، وقد ابتلعت حُلته العسكريّة. أمّا خوذته النحاسية فغطّت وجهه، ولم يعد قادراً
أن يرى أين يذهب. بالكاد أمكنه التحرك وهو في داخلها!

قال داود: "إنها لا تصلح لي"، ثم خلعها. "لا أعرف كيف أستخدم مثل هذه
الأشياء. لا أحتاج إلى العُدّة الحربيّة التي للملك. فإنه لديّ خطة سوف أنفذها."
هكذا إذ كان مُتسلّحاً بعصا الراعي التي له مع مقلاعه، تسلّل بهدوء نحو
سفح الجبل في الوادي، حيث اختار خمسة حجارة ملساء، وضعها في جرابه
الذي يحمله على جنبه.

بدأ يقترب من جليات، فصار ينظر إليه، لكن داود لم يُبال، فقد عرّف أنه
يجب عليه أن يكون شجاعاً يطلب العون من الله.

تطلّع إليه جليات، فلم يُصدّق عينيه، وصار يهزأ، قائلاً: "هه! هه! هه! يا
لها من أضحوكة! ما هذا؟ إنه صبي صغير! ولد يُقاتل عملاقاً!".
تطلّع إلى عصاه، وقال: "أتظنني كلباً، تأتي لكي تضربه بعصا؟!".



فقال له داود:

"أنت تأتي إليّ بسيفٍ ورُمحٍ وترسٍ. وأنا آتي إليك باسم رب الجنود إليه

صفوف إسرائيل.

إنه يُعينني فأنتصر!

سيعرف العالم كله أن إلهي أقوى من الأسلحة البرونزية أو الحديدية!".

وقف الجيشان في صمتٍ رهيبٍ. بغضبٍ بدأ جُلّيات يتحرك نحو داود.

أمسك داود بحجرٍ من جرابه، ووضعهُ في المقلاع، وحركهُ من فوق

رأسه. طار الحجر في الهواء. يا للعجب، لقد ضرب الحجر جبهة جُلّيات، فسقط

على الأرض!

جرى داود نحوه، وكمُنْتصرٍ قفز على جسم جُلّيات، وسلّ سيفه الحديدي

الثقيل من جرابه. رفعه فوق رأسه وهوى به. وبضربةٍ واحدةٍ قطع رأسه من

جسده، وأمسكها، وصار يلوّح بها عاليًا ليراها الجيشان.

إذ رأى جيشه أنه مات اتّجه الجُند إلى خلفٍ، وجروا في ارتباكٍ شديدٍ.

لقد تركوا مُعداتهم في خيامهم. أمّا جيش إسرائيل فصار في طمأنينةٍ وأمانٍ،

وجرى الجُند خلف الأعداء، ودخلوا وراءهم بلادهم عقرون وجت.

استخدم الرب داود، الصبي الصغير، الذي ليس له إلاّ حجارة صغيرة

ومقلعٌ ليُحارب عملاقًا خبيرًا بأسلحته الضخمة! إذ كان الله معه غلب!

٩٧- شاول يحسد داود

(١ صموئيل ١٨)

لم يعرف شاول داود مع أنه كان يضرب له بالعود في صباه، فقد نسيه، خاصة أن شاول كان مُصابًا بمرضٍ نفسيٍّ يُفقدُه الذاكرة، ويجعله مُتغيّر المزاج. هذا وربما تغيّر شكل داود عندما بلغ سنّ الرُّشد.

بعد تحقيق النُصرة أحبّ شاول الصبي داود جدًّا إلى حين، وجعله حامل سلاحه.

وَعَدَ شاول أن يُعطي ابنته لِمَنْ يَقْتل جُلِيَّاتٍ وَيُخَلِّصُه من هذا العار، وإذ حَقَّق له داود طلبته لم يفِ بالوعد، إذ أعطى ابنته الكبرى ميرب لعدريئيل المحولي، وِعَوِضَ تَكْرِيمَ داود بدأ يحسده ويطلبُ الخلاص منه بطريقةٍ أو أُخرى. لقد حرّمه من المُكافأة التي وعده بها، لكن الله لم ينسَ داود، بل أعطاه بفيض أكثر ممّا وعد شاول، إذ وهبَه الآتي:

أ. حُب يوناثان بن شاول وتعلُّقه العجيب به، بصورة لم نسمع بما يُماثلها في التاريخ، ولا حتى في الروايات والقصص.

كان يوناثان شجاعًا ومقدامًا، رَجُلٌ حرب وذا كرامة لدى الشعب، وكان وليّ العهد، ومع ذلك أحب داود الذي نال كرامة وسط الشعب ورجال البلاط الملكي أكثر من والده.

حذره والده منه أنه سيسحب منه كُرسي المملكة، لكن حُبّه وشهامته وصداقته كانت في عينيّه أعظم من كُرسي المملكة.

صداقته لداود في الرب كانت في عينيّه أثنى من طاعته لأبيه في التخطيط

لقتله!

لقد قيل: "إن نفس يوناثان تعلّقت بنفس داود وأحبّه يوناثان كنفسه". عبّر عن هذا الحب بتقديم جُبته له مع ثيابه وسيفه وقوسه ومنطقته. أعطاه جُبته،

لباس الشرفاء، التي يرتديها خلال حياته اليومية. كما سلّمه أدوات الحرب الخاصة به، علامة التصاقه به تحت كل الظروف، في السلم كما في الحرب.
ب. نال داود نجاحًا في كل عملٍ تمتد إليه يداه، فأعجب به جميع الشعب ورجال شاول.

ج. غنّت النساء له، وأعطينه كرامة أكثر من شاول.

د. سقط شاول تحت سيطرة روح رديءٍ، فاحتاج إلى موسيقى داود تهبه راحة.

هـ. حرّمه شاول من الزواج بابنته ميرب، فأحبّته ميكال، وصارت له زوجة تحميه من أبيها.

دبّ الحسد في قلب شاول، إذ رآه ينجح في كل عملٍ تمتد إليه يداه، وتعلّق به الكثيرون وأحبّوه، وصار مكرّمًا في أعين الكثيرين أكثر منه. لأن الرب كان معه، وقد فارق الرب شاول.

بدأ شاول يستخدم كل وسيلة للخلاص من داود.

لم يستطع شاول أن يحتمل رؤيته، ولا أن ينطق اسمه.

اقتحم شاول روح رديءٍ، وصار مجنونًا في وسط البيت، أي فقد سلامه بل وعقله، بينما كان داود مملوءًا سلامًا يفيض به حتى على شاول نفسه عندما يضرب بمزاميره على الموسيقى ليهدئ من نفسه.

كان شاول يمسك بالرمح كصولجان ملك، صوبه ضد داود مرّتين لقتله، وكان الرب مع داود ينقذه.

لم يكن لداود سلطان ولا سلاح ولا حاول مقاومة شاول، ومع ذلك كان شاول يخافه. شعر أنه يصغر جدًّا أمام داود، ويهتزّ كرسيه، ليحتلّه هذا الشاب النقي.



٩٨- ميكال تنقذ داود من شاول أبيها!

(١ صموئيل ١٩ - ٢٠)

دافع يونانان بن شاول عن داود، فوبّخه والده وأراد قتله. ساعد يونانان داود على الهروب من وجه أبيه.

قال له يونانان: "لا تخف، لأن يد شاول أبي لا تجدك، وأنت تملك على إسرائيل، وأنا أكون لك ثانيًا، وشاول أبي أيضًا يعلم ذلك. فقطعا كلاهما عهدًا أمام الرب".

قام يونانان بمصالحة أبيه مع داود، مُذَكِّرًا إياه بالحاجة إلى رَجُلٍ صالحٍ وناجحٍ وشجاعٍ لبنيان المملكة، سمع له شاول وحلف له. فرجع داود إلى منصبه بعدما سمع شاول لصوت ابنه الصادق والأمين.

عادت الحرب بين إسرائيل وأعدائهم؛ حاربهم داود وضربهم ضربة عظيمة، فهربوا من أمامه، وكانت مكافأته أن قلب شاول امتلأ حسدًا.

أرسل شاول رُسُلًا إلى بيت داود ليراقبوه ويقتلوه في الصباح. لكن داود نجا بتدبير ميكال ابنة شاول؛ إذ أنزلته من الكوة. ربما كان بيتها في حائط السور. لذا نزل داود إلى خارج المدينة ليبدأ حلقة جديدة من حياته حملت خبرات ثمينة. وسط الآلام، لم يكن له موضع يستقرّ فيه. طُرِدَ لكي يُعِين المطرودين والمجروحين.

أخذت ميكال الترافيم (تمثال كبير في حجم إنسان) ووضعت في الفراش، ووضعت وسادة من جلد الماعز تحت رأسه وغطته بثوب. غالبًا كانت ميكال قد خبأت الترافيم في بيتها لا لتتعبد له، وإنما كفألٍ لكي تحبل وتُنجب ولدًا. ولم يكن داود يعلم عنه شيئًا.

من جهة أخرى كذبت ميكال، فقالت عن داود إنه مريض، وعندما عاتبها والدها، مُنْتَهَرًا إياها: "لماذا خدعتيني، فأطلقتِ عدويّ حتى نجا؟" كذبت إذ قالت: "هو قال لي: أطلقيني، لماذا أقتلك؟".



هرب داود وذهب إلى الرامة حيث أقام مع صموئيل النبي في نايوت،
غالبًا في مبنى لسكن الملتحقين بمدرسة الأنبياء.

لعلّ داود جاء إلى هذا الموضع، واضعًا في حُسابه أن شاول يهاب
الموضع ورئيسه. لكن شاول الذي امتلأ قلبه حقدًا لم يراجع نفسه، ولا ذهب
بنفسه ليطلب مشورة صموئيل النبي، إنّما بعث رُسلاً لأخذ داود كي يقتله.
عندما بلغت الإرسالية الموضع نسيت هدفها، لأنها تأثرت بالجو الروحي
التعبّدي، وحلّ روح الرب عليهم وصاروا يتنبأون، أي اشتركوا مع الأنبياء في
التسبيح والعبادة.

ظنّ شاول أن هذه الجماعة قد انخدعت أو خافت من سلطان صموئيل،
فأرسل جماعة ثانية وتكرّر ذات الأمر معها.
للمرّة الثالثة جاءت إرسالية من قبل شاول وصارت تتنبأ. وفي هذا كله لم
يرجع شاول إلى نفسه ولا اتّعظ.

قرّر شاول أن يذهب بنفسه، فجاء إلى الرامة إلى البئر العظيمة التي عند
سيخو؛ وإذ أراد الله أن يتمجد حلّ عليه هو أيضًا روح الله، فذهب إلى نايوت في
الرامة، وصار يتنبأ.

من شدة تأثره بالمُسبّحين بموسيقى رائعة، خلع رداءه وجبّته وعُدّته وبقي
لباسه الأبيض منظرًا النهار والليل يُسبّح. دُهِش كل من رآه، فقالوا: "أشاول
أيضًا من الأنبياء؟!"

ظنّ البعض أن صموئيل وداود سخرا من شاول حينما نظراه منظرًا
عريانا النهار كله وكل الليل. إنّما الواقع كان عكس ذلك، فقد مجدّ هذان النبيان
الله على عمله في شاول ولو إلى حين. وقد ترك هذا المنظر أثرًا طيبًا في قلب
داود. لذا مدحه مع ابنه يونانان قائلاً: "شاول ويونانان المحبوبان الحلوان." هذا
ما تبقى في قلب داود من جهة شاول؛ فقد نسي حسده وحقده ومقاومته له
ومؤامراته لقتله، ليراه الإنسان المحبوب الحلوان الذي يُسبّح الله بين الأنبياء.

٩٩- داود يأكل من خبز التقدمة

(١ صموئيل ٢١)

صار داود طريداً، ولم يكن معه سيف ولا خبز، ولم يستشير الرب في شيء، فصار يتخبّط، دخل نوب مدينة الكهنة وبسببه قُتل الكهنة وهلكت المدينة. الذي ارتعب أمامه الوثنيون، وغنّت له النساء "ضرب شاول ألوفه وداود ربواته"، والذي حاز حُبَّ وإعجاب الملك وابنه وابنته والقواد وجميع الشعب، يهرب أمام الملك المرفوض شاول. لقد جاءت ساعة التجربة المرأة، حيث يشعر أنه وحيد ليس من يسنده ولا من يُشاركه مشاعره.

جاء داود النبي إلى نوب، شمال أورشليم بالقرب منها، حُسبت مدينة للكهنة، لأن خيمة الاجتماع انتقلت إليها بعد خراب شيلوه. هناك التقى بأخيمالك الكاهن.

خارت قوى داود فاستخدم الخداع والمواربة ونوعاً من الكذب ليبرّر موقفه أمام أخيمالك، إذ قال له: "إن الملك أمرني بشيء، وقال لي: لا يعلم أحدٌ شيئاً من الأمر الذي أرسلتك فيه وأمرتك به، وأما الغلمان فقد عيّنت لهم الموضع الفلاني والفلاني".

كان داود رجلاً حسب قلب الله، لكن في ضعفه أخطأ؛ وقد أدّى ضعفه هذا وكذبه إلى عواقب وخيمة.

طلب داود من خبز الوجوه، الخبز المقدّس، الذي كان الكهنة يضعونه جديداً كل سبت ويأكلون القديم، ولا يحلّ أكله لغير الكهنة. ومع ذلك فقد قبل أخيمالك أن يُقدّمه لداود ورجاله إن كانوا طاهرين حتى من العلاقات الزوجية، ذلك لأنهم جاعوا ولم يكن يوجد خبز آخر.

لم يفعل داود النبي ذلك عن تهاونٍ بالوصية أو تراخٍ، لكن لم يكن أمامه طريق آخر، لذا لم يُحسب أكله هو ومن معه من هذا الخبز كسرًا للوصية. وقد

كان تصرّفه هذا رمزاً، إذ تمتعت الأمم لا بخبز التّقديمة، وإنما بجسد السيّد المسيح، الخبز النازل من السماء.

سأل داود عن وجود أي سلاح في الخيمة، فأعطاه الكاهن سيف جليات الذي قتله داود ملفوفاً في ثوب، وكان موضوعاً خلف أفود الكهنة ليكون في مأمن.

كان في نوب "دواغ" أحد عبيد شاول. وقد أدرك داود أن في وجود "دواغ" خطراً، لذا أسرع بترك المكان في ذات اليوم.

انطلق داود إلى جت، فحسبه الفلسطينيون جاسوساً طائشاً واضطر إلى التظاهر بالجنون لينقذ حياته. إنها لحظات ضعف عاشها رجل الإيمان الجبار.



١٠٠- في مغارة عدّلام

(١ صموئيل ٢٢)

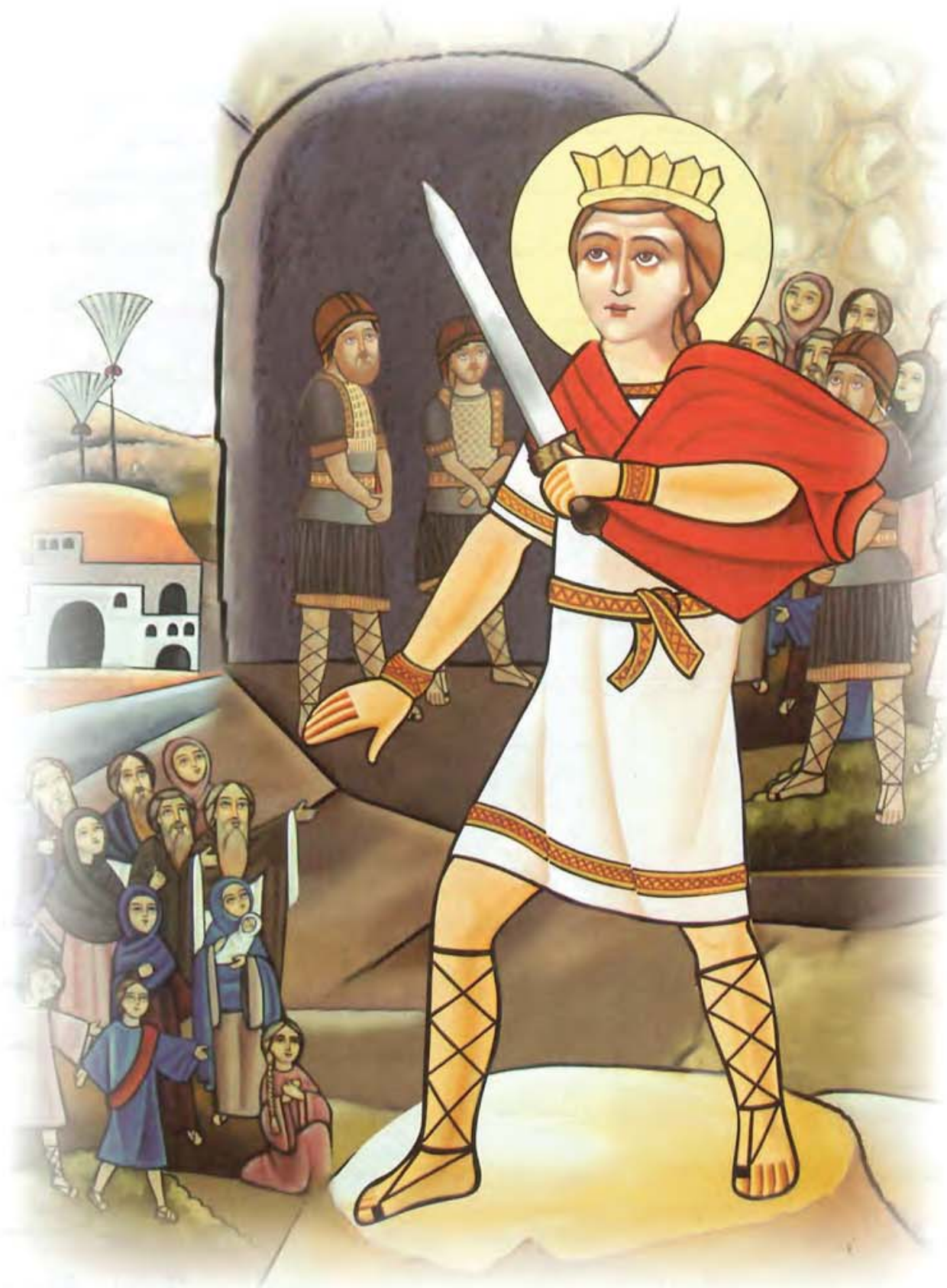
ترك داود النبي جتّ وذهب إلى مغارة عدّلام ليختبئ فيها. فوجد كلّ رجلٍ مُتضايق أو مَنْ كان عليه دين، وكلّ رجلٍ مرّ النفس بسبب انحدار حُكم شاول وفساده، في داود ملجأ لهم. جاءوا إليه ليكون رئيساً عليهم، هؤلاء الذين كانوا في نظر شاول خطرين وشاردين التصقوا بداود، ليصيروا فيما بعد أناساً جابرة يعملون لحساب المملكة الجديدة.

يبدو أن صموئيل النبي نصح داود أن يكون جاد النبي أو الرائي مُرافقاً له. نصح جاد داود ألا يُقيم في الحصن الذي في موآب (مغارة عدّلام)، بل يذهب إلى أرض يهوذا حيث يواجه المتاعب من أجل شعب الله، فذهب داود وجاء إلى وعر حارث.

وقد كان ذلك لخيره ولبنيان الشعب، حيث خلّص أهل قعيلة من الفلسطينيين، كما دافع عن مُدن يهوذا، فاشتهر ونال ثقة يهوذا؛ وعندما قُتل شاول كان حاضراً ليخلفه.

هاجم الأعداء قعيلة، فتطلّع الشعب إلى داود ورجاله القلائل (نحو ستمائة رجل) كملجأ لهم، بينما تجاهلوا الملك الرّسمي بكل جيشه، إذ فقدوا النّقة فيه وخاب أملهم من جهته. لقد أدرك الكثيرون أن داود الطريد يعمل من أجل بناء الجماعة المقدّسة، بينما شاول الملك لا همّ له إلا مقاومة داود ومُطاردته بلا سبب. فإن الأشرار لا يطيقون أولاد الله.

كان قلب داود مُلتهباً بالحُبّ نحو إخوته، لذا سأل الرب إن كان يذهب ليُخلّص قعيلة من الأعداء، فجاءته الإجابة بالإيجاب. وإذ خاف الرّجال الذين معه بسبب قلة عددهم ونقص السلاح، عاد يسأل الرب ثانية ليتحقّق الأمر، فجاءت الإجابة كالمرّة الأولى. تحرك داود ورجاله ليُخلّصوا قعيلة ويغلبوا الأعداء ويتمتّعوا بغنيمة عظيمة. طلب الله من داود الهروب من قعيلة حتى لا يقتله شاول.



١٠١- شاول يقتل الكهنة

(١ صموئيل ٢٢)

إذ رجع داود ورجاله إلى أرض يهوذا بدأت الأخبار تنتشر، وأحبهم الكثيرون. امتلأ شاول غيرةً من جديد، وضافت نفسه جدًّا، شعر كأن لا عمل لداود إلاّ تحطيم مملكته، ولا دور لمن هم حوله إلاّ خيانتته، حتى ابنه وارث عرشه يقف ضده.

كان شاول مُقيماً تحت شجرة في مدينة جبعة في الرامة. وقف أمامه عبده وقد أمسك بالرُمح كصولجان في يده، وصار يوبّخهم قائلاً: "اسمعوا يا بنيامينيون. هل يُعطيكم جميعكم ابنُ يسيّ حقولاً وكروماً؟! وهل يجعلكم رؤساء ألوف ورؤساء مئات؟!".

واضح أن شاول اختار جميع رجال البلاط الملكي وأصحاب المراكز العليا من سبطه وحده، لهذا قال لهم: "اسمعوا يا بنيامينيون". لعلّ شاول بسبب عدم إيمانه كان مُتخوفاً من إقامة عبده غير بنيامينيين، لئلاً يغتصب أحد الملك منه أو من أولاده من بعده.

تسلّطت الظنون على شاول فحسب كل عبده والذين من نفس سبطه يقاومونه، إذ يتهمهم قائلاً: "حتى فتنتم كلكم عليّ، وليس من يُخبرني بعهد ابني مع ابن يسيّ، وليس منكم من يحزن عليّ أو يُخبرني بأنّ ابني قد أقام عبدي عليّ كميناً كهذا اليوم؟".

لم يحتمل شاول أن يذكر اسم داود، لذا سمّاه "ابن يسيّ". أراد دواغ الأدومي أن يُبرّر نفسه وزملاءه، إذ كان الكل خائفين لئلاً يفتك بهم شاول فألقى بالمسئولية على رئيس الكهنة، قائلاً: "قد رأيت ابن يسيّ آتياً إلى نوب إلى أخيمالك بن أخطوب، فسأل له من الرب وأعطاه زاداً، وسيف جليات الفلسطيني أعطاه إياه".



كان دواغ صادقاً فيما قاله، لكنه لم يقل الحقيقة كاملة، إذ لم يعرض الحوار الذي دار بين الكاهن أخيمالك وداود ليوضح حقيقة نية أخيمالك؛ على العكس صور أخيمالك كخائنٍ لشاول يتعمد مساندة عدوه داود.

استدعى شاول أخيمالك وجميع بيت أبيه الكهنة لكي ينكل بالجميع. تحدث شاول مع أخيمالك بأسلوب مهين، قائلاً: "اسمع يا ابن أخطوب...". مع أن الكاهن أظهر له كل احترام وتوقير، إذ أجابه: "هأنذا يا سيدي". فنّد أخيمالك الاتهام هكذا:

أ. لم ينكر أنه أعطاه خبزاً وسيفاً وسأل له من الله، لكنه فعل هذا من أجل أمانة داود له، وقرابته له كصهر الملك، ومركزه وكرامته في البلاط، إذ قال: "مَنْ مِنْ جَمِيعِ عِبِيدِكَ مِثْلُ دَاوُدِ أَمِينٌ وَصِهْرُ الْمَلِكِ وَصَاحِبُ سَرِّكَ وَمُكْرَمٌ فِي بَيْتِكَ؟" سؤال فيه دفاع عن نفسه ويتضمن أيضاً توبيخاً لشاول الذي اتسم بعدم الاستقرار يُصاحب ويُخاصم بلا تعقل.

ب. لم يكن على علم بما حدث بين شاول وداود لا في الأمور الصغيرة ولا الكبيرة.

لم يكن لدى شاول ما يُجيب به عليه، لكن كعادته يأخذ قراره المُتسرع كإجابة ظالمة دون استشارة أحد.

أصدر الحكم "موتاً تموت يا أخيمالك، أنت وكل بيت أبيك". دخل كخصمٍ وحكم بنفسه، وطلب من السُّعاة أن ينفذوا، فلم يقبلوا أن يمدّوا أيديهم إلى كهنة الرب، ليكونوا شهوداً على الظلم والعنف وإهانة خدام الرب.

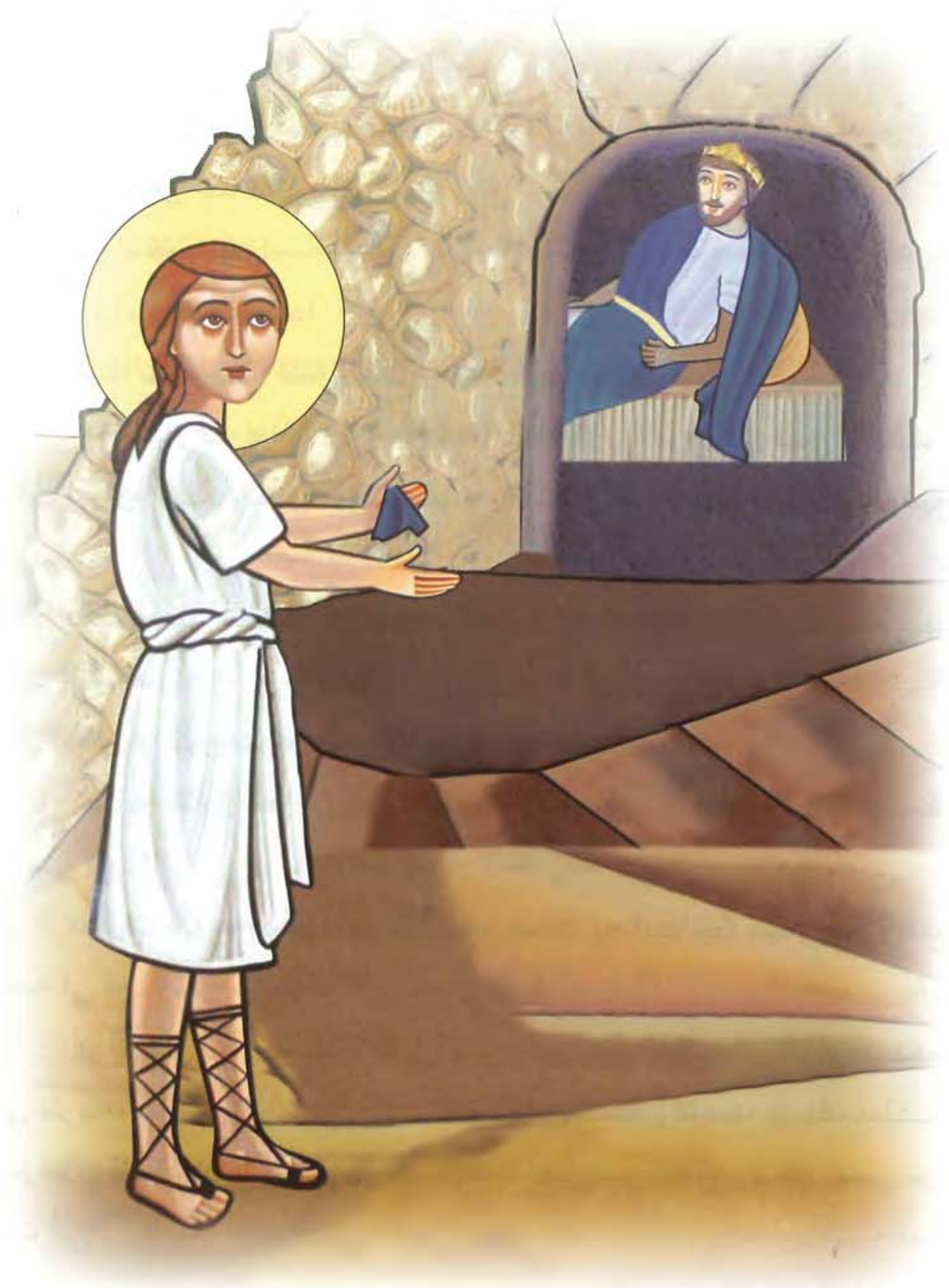
قام دواغ الأدومي الذي قدّم الاتهام بتنفيذ الأمر، وقُتل في ذلك اليوم خمسة وثمانين كاهناً، ثم ذهب إلى مدينتهم، نوب، ليقتل الرجال والنساء والأطفال والرُّضع حتى الحيوانات بحد السيف. صورة بشعة لوُثت تاريخ شاول واقشعرت لها كل الأسباط.

يبدو أن أبياتار بن أخيمالك لم يذهب مع أبيه وأقربائه إلى شاول إذ بقي
لحراسة الخيمة، وإذ سمع بما حدث هرب إلى داود قبل مجيء دواغ الأدومي.
أخبر أبياتار داود بما حدث، وكانت إجابة داود النبي: "أنا سببت الأذى لجميع
أنفس بيت أبيك؛ أقم معي؛ لا تخف؛ لأن الذي يطلب نفسي يطلب نفسك ولكنك
عندي محفوظ". دان داود نفسه، وحاول علاج الخطأ باحتضان أبياتار وحمائته،
فصار معه نبيّ (جاد) وكاهن.

١٠٢- داود يقطع طرف جبّة شاول

(١ صموئيل ٢٤)

هرب داود إلى حصون عين جدي. وعندما انتهى شاول من حملة الفلسطينيين على أرضه الخاصة، استأنف نشاطه بمطاردته المرأة لداود. انطلق إلى برية عين جدي ومعه ثلاثة آلاف رجلٍ مُنتخبين. انطلق إلى صخور الوعول، وهي صخور وعرة لا يقدر أحد على الوصول إليها إلا الوعول (التيوس الجبلية)، فقد أُصرّ أن يتحمّل ورجاله كل مشقة للخلاص من داود. دخل شاول كهفًا كبيرًا ليُغطّي رجله، وهو تعبير مُهدّب للقول "يتبرّز"، حيث كان داود ورجاله جلوسًا في أعماق الكهف. إذ كان الكهف مُظلمًا لم يرَ شيئًا فيه، أمّا داود ورجاله فكانوا في داخله، وقد اعتادوا الظلام، فرأوا شاول عند دخوله وعرفوه. أشار رجال داود عليه أن ينتقم من شاول وهو في الكهف بمفرده ليأخذ المملكة بالقوة، وأن هذه الفرصة هي من قبل الله. قالوا له: "هوذا اليوم الذي قال لك عنه الرب، هأنذا أدفع عدوك ليدك، فتفعل به ما يحسن في عينيك". رفض داود هذه المشورة، فإن الله لم يطلب منه أن يتعامل معه كعدو، وفضل أن يُعامله كصاحبه. انتظر داود ورجاله حتى يأخذ شاول رُكنًا في المغارة ليستريح وينام، عندئذ مدّ داود يده ليقطع طرف جبّة شاول. لكنه لم يحتمل هذا التصرف، إذ خشي أن يكون بهذا قد أساء إلى مسيح الرب، فصارت ضربات قلبه تتزايد. انتظر داود حتى يخرج شاول من الكهف ليخرج من بعده وفي تواضع نادى وراءه، قائلاً: "يا سيدي الملك!". ولما التفت إليه، خرّ داود على وجهه إلى الأرض وسجد.



يا للعجب! كان شاول شريراً ترك كل أعمال المملكة ليقتل داود، أما داود
فإنقذ حياته ويكرمه ويسجد له وهو غير مُستحق للإكرام.

يقول لشاول:

"وراء مَنْ خرج ملك إسرائيل؟!"

وراء مَنْ أنت مُطارِد؟!"

وراء كلب ميّت!

وراء بُرغوث واحد!

لماذا تسمع كلام الناس القائلين هوذا داود يطلب أذيتك؟!"

هوذا قد رأيت عيناك اليوم هذا كيف دفعك الربّ اليوم ليدي في الكهف،
وقيل لي أن أقتلك، ولكنني أشفقت عليك، وقلت لا أمدّ يدي إلى سيدي لأنه مسيح
الرب...
الرب...

اعلم وانظر أنه ليس في يدي شرّ ولا جُرم ولم أخطئ إليك، وأنت تصيد

نفسي لتأخذها...

يدي لا تكون عليك".

تصاغر شاول جداً في عيني نفسه، إذ يدعو داود ابنه، قائلاً: "أهذا صوتك

يا ابني داود؟!"

تفجرت دموعه وعلت صرخاته؛ لقد ضاقت به الدنيا جداً وشعر بأنه وضع

نفسه في فخّ، وليس من ينقذه!

أدرك شاول بأن الملك لا بد أن يخرج من يديه ليتسلّمه داود الذي ينجح

في طريقه، فقال: "والآن فإني علمت أنك تكون ملكاً، وتثبت بيدك مملكة

إسرائيل، فاحلف لي الآن بالرب أنك لا تقطع نسلي من بعدي ولا تبديد اسمي من

بيت أبي".

١٠٣- داود وأبجائيل الحكيمه

(١ صموئيل ٢٥)

إذ انتهت مراسيم جنازة صموئيل النبي نزل داود إلى بريّة فاران، وهى بريّة مُتَّسَعَة في جنوب اليهودية، تكاد تكون خالية من السكان. وجود داود ورجاله في المنطقة كان باعثاً للسلام والطمأنينة خاصة بالنسبة للرعاة، إذ كانوا يتعرّضون لهجمات العمالقة والفلسطينيين، بجانب هجمات الحيوانات المفترسة.

كان داود ورجاله أشبه بسورٍ يحمي المراعي هناك خاصةً مراعي نابال الذي كان غنيًا جدًّا، له ثلاثة آلاف من الغنم وألف من الماعز.

عبر رعاته عن دينهم لداود ورجاله بحمايتهم لهم، إذ قال أحدهم:

"الرجال مُحسنون إلينا جدًّا، فلم نُؤذَ ولا فُقدَ منا شيءٌ.

كل أيام تردُّدنا معهم ونحن في الحقل، كانوا سورًا لنا ليلاً ونهارًا كل الأيام التي كُنَّا معهم نرعى الغنم".

اسم "نabal" عبري معناه "جاهل". وكما قالت زوجته أبجائيل عنه لداود كي تصرف عنه غضبه: "لأن كاسمه هذا هو، نابال اسمه والحماسة عنده".

قيل عنه: "وأما الرَّجُل فكان قاسيًّا ورديء الأعمال".

سمع داود أن نابال يجرّ غنمه، وكان هذا الوقت يُحسبُ وقت فرحٍ وأكلٍ وشربٍ وعطاءٍ بسخاءٍ، لذا أرسل إليه داود يقول له:

"حييت وأنت سالمٌ، وبيتك سالمٌ، وكل مالك سالمٌ.

والآن قد سمعت أن عندك جزّازين.

حين كان رُعاتك معنا لم نُؤذهم، ولم يُفقد لهم شيءٌ كل الأيام التي كانوا

فيها في الكرمل.

اسأل غلمانك فيُخبروك.

فليجد الغلمان نعمةً في عينيك، لأننا قد جننا في يوم طيبٍ.

فأعطى ما تجود به يدك لعبيدك ولابنك داود".

لقد خدموا نابال، إذ حفظوا ما له من الوحوش واللصوص دون مقابل، ولم يرد داود أن يأخذ شيئاً بغير رضاه. لذا أرسل في هذه المناسبة يطلب ما تجود به يده، وقد طلب بأدبٍ ووداعةٍ كابن يتحدث مع أبيه.

طلب من رُسله ألا يزيدوا شيئاً عن كلامه، حتى لا يُخطئ واحد منهم بكلمة فظة، فتُسبب لداود.

قابل نابال هذا اللطف بغلاظة قلب وإساءة، إذ تجاهل السبب الذي لأجله يعيش داود طريداً، مُعللاً ذلك بأقصى الألفاظ، حاسباً إياه إنساناً مُتمرّداً على سيده الملك، فلا يستحق خيراً، لأنه خارج عن القانون.

كشف أسلوب إجابته عن طمعه، إذ يقول: "أأخذ خبزي ومائي وذبيحي الذي ذبحت لجازيٍّ وأعطيه لقوم لا أعلم من أين هم؟".

إذ سمع داود من غلمانه ما قال نابال أدرك كيف تحدّث باستخفاف مُحتقراً إياه، كما شعر أنه طمّاع، ظلم غلمان داود الذين قاموا بحراسته بأمانة وشجاعة. ثار داود وغضب، فطلب من رجاله أن ينقلد كل واحدٍ سيفه، وتقلد هو أيضاً سيفه، وخرج معه حوالي ٤٠٠ رجلاً وترك مائتين مع الأمتعة.

داود الذي اتّسم بضبط النفس والتواضع، الآن في لحظات ضعفه، كاد أن يرتكب جريمة، لو تمّت لأحزنت قلبه كل بقية أيام حياته، ولصارت عثرة لشعبه عندما يتولّى الحكم.

لقد عرف أحد الغلمان أن أبيجايل اتّسمت بالحكمة على خلاف رجلها نابال الأحمق، لذا جاء إليها يُخبرها بما حدث قائلاً:

"هوذا داود أرسل رُسلًا من البرية ليباركوا سيّدنا، فنثار عليهم.

والرجالُ مُحسنون إلينا جدًّا، فلم نُؤذ ولا فُقدَ منّا شيءٌ كلَّ أيام تردّدنا معهم

ونحن في الحقل.

كانوا سورًا لنا ليلاً ونهارًا ...

والآن اعلمي وأنظري ماذا تعملين،
لأن الشرَّ قد أُعِدَّ على سيِّدنا، وعلى أهل بيته،
وهو ابنُ لئيم لا يُمكن الكلامُ معه".

هذا الحديث الصريح الذي فيه يتحدَّث الغلامُ بأدبٍ واحتشامٍ لكن في
صراحة، يَصِف رَجُلها كابن لئيم يكشف عن جانبيين في حياة أبيجايل وهما: ثقة
الكل فيها، وفي حُسْن تدبيرها من جهة، وتقديرها لكل إنسانٍ من جهةٍ أخرى.
لذا لم يَخَفِ الغلامُ من دعوة رَجُلها كابن لئيم، إذ يَعْرِف أنها تجيد الاستماع،
وتسمع بحكمةٍ لكلِّ كلمةٍ في غير غطرسة أو عجرفة.

إذ سَمِعَت أبيجايل كلامَ الغلام، لم تحتد عليه، لأنه تدخل فيما لا يعنيه،
ولأنه دعا رَجُلها كابن لئيم. ولا ناقشت الأمر، إذ كان الوقتُ مُقَصِّراً والحاجة
ماسةً للعمل السريع بحكمة.

أخذتُ من الخيرات مائتي رغيف خبز، وزقي خمر، وخمسة خِرفان مُهيَّأة،
وخمسة كيلاتٍ من الفريك، ومائة عنقود من الزبيب، ومائتي قرص من التين ..
ووضعتها على الحمير، وطلبت من غلمانها أن يعبُرُوا قَدَّامها، ولم تُخبر نabal
رَجُلها بما فعلت.

كان داود في ثورته يتحدَّث مع رجاله، وقد أقسم: "هكذا يصنع الله لأعداء
داود وهكذا يزيد، إن أبقيت من كل ما له إلى ضوء الصباح شيئاً".

بحكمتها قدَّمتُ أبيجايل أمامها هديةً ماديةً من الخيرات، وقدَّمتُ تواضعاً،
إذ نزلت عن الحمار، وسَقَطَتْ أمام داود على وجهها، وسَجَدَتْ إلى الأرض عند
رجليه، كما قدَّمتُ جواباً لينا يَصْرِف الغضب.

بدأت هذه السيِّدة تعترف بخطئها أو ذنبها الذي لم ترتكبه بإرادتها، إنما
بكونها شريكة حياة رَجُلٍ أحمق يُخطئ، فيُسيء إلى البيت كله.

اعتذرت في رقة أنها لم ترَ غلمان داود لتعطيهم من خيرات الله لها. كما اتّسمت بالإيمان، فحسبت شاول مرفوضاً إذ دَعته "رَجُلًا" وليس "ملكًا"، بينما نظرت إلى داود كرئيس وملك في طريقه لاستلام العرش.

اتّسمت أيضًا بالحكمة ففي لطف ذكّرتُ داود بالآتي:

أ. لا يليق به مقاومة رَجُلٍ لئيم كنبال، فإن داود أسمى وأعظم من أن يمدَّ

يده إلى أمثال نبال.

ب. أرسلها الله كي لا ينتقم لنفسه، فهو رَجُلٌ ذو نفس كبيرة يعمل لحساب

الجماعة لا لحساب نفسه.

ج. قام شاول وحاربه، لكن الله حفظ نفسه كما في حزمة (صرة)، أما

أعداؤه، فيلقون كحجارة من وسط المقلاع، فلماذا الآن يدافع عن نفسه؟

د. أنه مهتمّ أن يُحارب حروب الرب، فلا يليق به أن يهتمّ بهذه الصغائر.

هـ. أنه سيستلم الملك على كل الشعب، فليعمل كملكٍ يهتمّ بشعبه، ولا

يعثرهم بالانتقام لنفسه.

و. أنه سيملك، لذا تطلب ألا ينساها عندما ينال هذه الكرامة.

كأنها تقول له إن عيون الكل تتطلّع إليه كملكٍ تنتظر منك إحساناً، فلا يليق

به أن ينشغل بغير هذا.

شعر داود النبي أن أبيجايل تحمل له رسالة إلهية مملوءة حكمة، فقال لها:

"مُباركُ الربُّ إلهُ إسرائيل الذي أرسلك هذا اليوم لاستقبالي... لقد سمعت لصوتك

ورفعت وجهك".

يا لتواضع داود. فقد سمع لها، ومدح حكمتها، وقَبِلَ مشورتها.

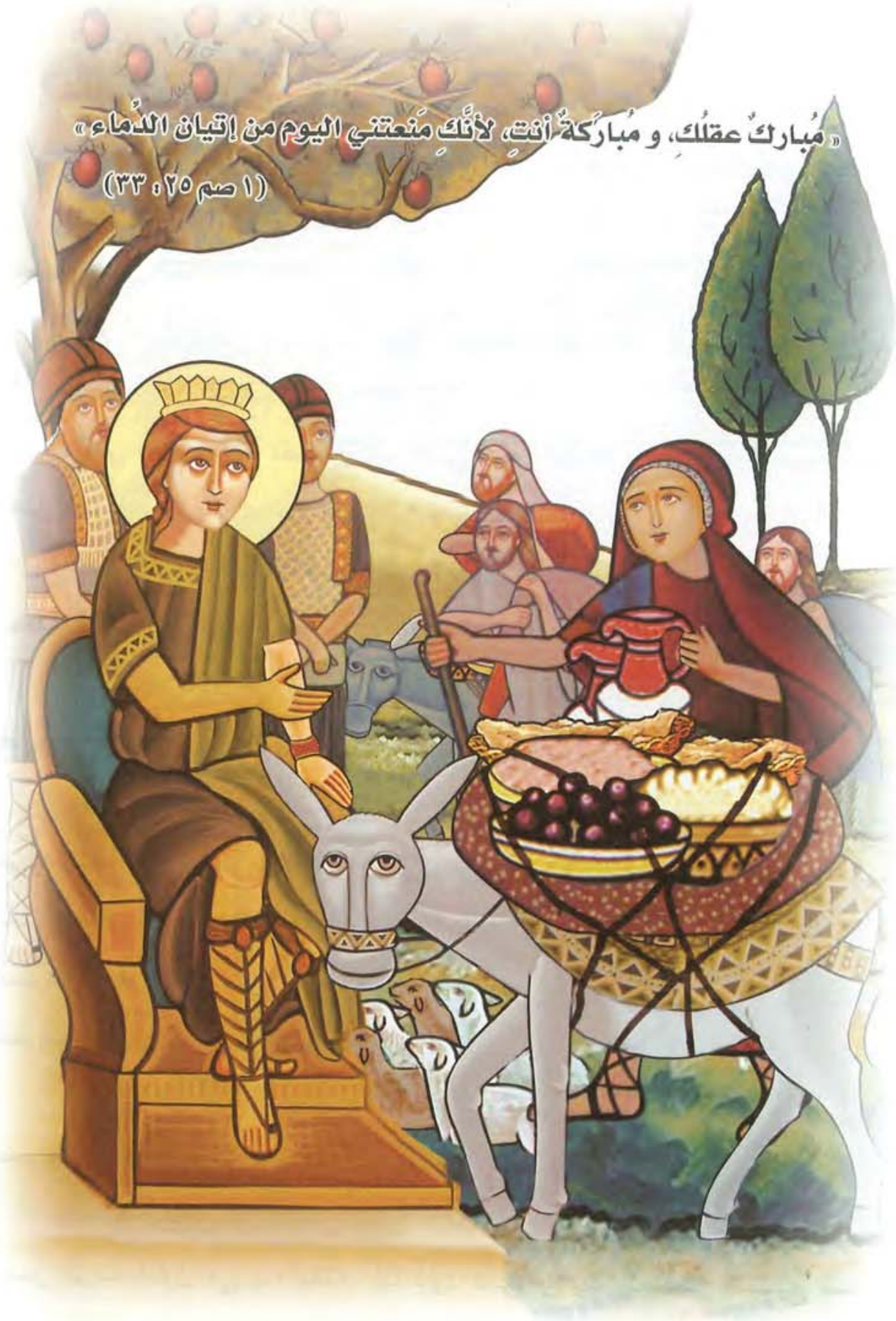
انتهى الأمر بموت نبال بعد حوالي عشرة أيام بسكتة قلبية، ربّما بسبب

الضييق الداخلي والكآبة.

ثم تزوّج داود أبيجايل.

« مُبَارِكُ عَقْلِكَ، وَ مُبَارَكَةٌ أَنْتِ، لِأَنَّكَ مَنَعْتَنِي الْيَوْمَ مِنْ إِتْيَانِ الدُّمَاءِ »

(١ صم ٢٥، ٢٣)



١٠٤- داود يرفض قتل شاوول

(١ صموئيل ٢٦)

لم يكفّ شاوول عن مُطاردة داود، بالرغم من سقوطه تحت يده، وقد عفا عنه، ودخل معه في عهدٍ، وداود لا يكفّ عن الصّبح تاركًا قضيّته في يد الله. للمرة الثانية جاء الزيفيون إلى شاوول للغدر بداود، إذ كان مُختفيًا في تل حخيلة مُقابل القفر.

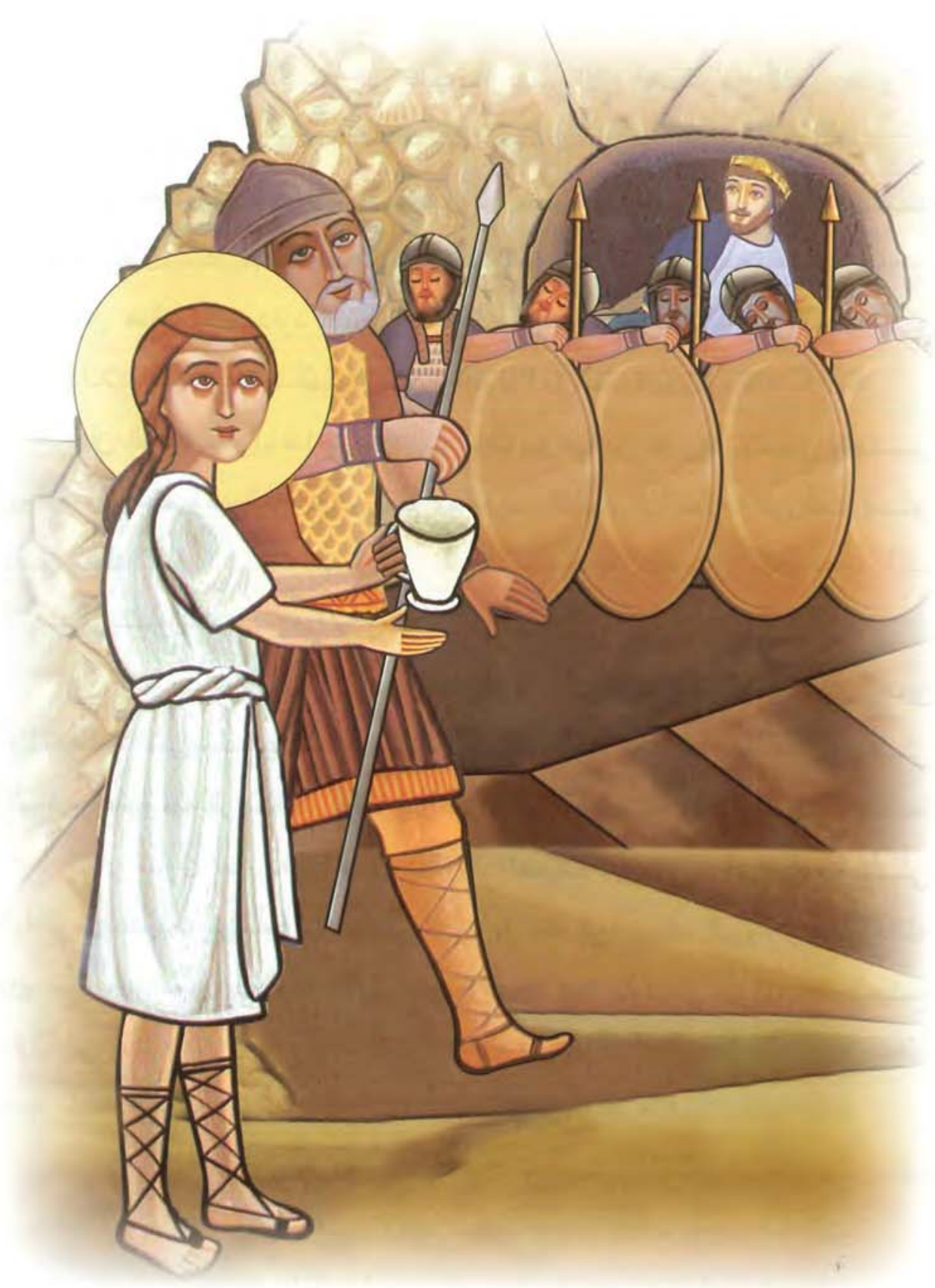
قام شاوول ونزل إلى بريّة "زيف"، ناسيًا ما قدّمه له داود من لطف حين كان بين يديه في الكهف، ولم يصنع به شرًا. نسي شاوول كيف تصاغر في عينيّ نفسه أمام كرم داود وتواضعه وأدبه، حتى صرخ وبكى طالبًا من داود أن يقطع معه عهدًا. الآن قد سحبه قلبه الشرير إلى الغدر كعادته، الأمر الذي لم يُصدّقه داود بسبب العهد الذي قطعاه معًا.

لم يهرب داود من البريّة بل أرسل جواسيس للتأكيد إن كان شاوول بالفعل قد جاء.

عندما تأكّد داود أن شاوول كسر العهد وجاء برجاله ليقتلوه، لم يخفّ، بل في شجاعة نادرة أخذ معه أبيشاي بن صروية وأخيمالك الحثي. نظر داود إلى المكان الذي نزل فيه شاوول، وراه وهو على تلّ، وإذ بشاوول وحرّاسه نائمين عند المتراس وهو حاجز من الحجارة أو التراب أو الخشب يختفي وراءه الجنود عند الحرب للحماية من ضربات العدو.

قال أبيشاي لخاله داود: "قد حبسَ الله اليوم عدوك في يدك؛ فدعني الآن أضربه بالرّمح إلى الأرض دفعةً واحدةً ولا أُنثي عليه".

حسب أبيشاي أن النعاس الذي حلّ بشاوول ورجاله هو بسماح إلهي لكي يحبس الرب شاوول في يده ليقتله. أمّا داود فأبى أن يمُدّ يده على مسيح الرب الكاسر العهد، المملوء حسدًا وبُغضًا، الطالب سفك دمه.



منع داود أبيشاي من أن يمدّ يده أيضاً عليه، قائلاً له: "حيّ هو الرب، إن الربّ سوف يضرّبُهُ، أو يأتي يومُهُ فيموت، أو ينزل إلى الحرب ويهلك. حاشا لي من قبل الرب أن أمدّ يدي إلى مسيح الرب. والآن فخذ الرّمح الذي عند رأسه وكوز الماء وتعال".

عبرَ داود إلى العبرِ، ووقف على تلّ حخيلة في مكان مُرتفع بالنسبة لموضع شاول، وكان بعيداً عنه إذ لم يَأتمنه.

من هناك نادى داود أبنيّر رئيس الجيش والحارس لشاول؛ ووبّخه في أدبٍ، قائلاً: "أما تُجيبُ يا أبنيّر؟! وكأنه يقول له: "أما يكفيك نومًا?!".

كان الوقت فجرًا، لذا انزعج أبنيّر ولم يعرف من هو هذا الذي يتجاسر ويوقظ الملك بصوته المُرتفع، ويتكلّم معه بهذه اللّهجة. لذا سأله: "من أنت الذي يُنادي الملك؟".

تأثّر شاول قائلاً: "أهذا صوتك يا ابني داود?!".

في أدب ووبّخه داود قائلاً: "إنه صوتي يا سيّدي الملك... لماذا سيّدي يسعى وراء عبده؟ لأنني ماذا عملتُ؟ وأيُّ شرٍّ بيدي؟... والآن لا يسقط دمي على الأرض أمام وجه الرب. لأن ملك إسرائيل قد خرج ليفتّش على بُرغوثٍ واحدٍ".
انهار شاول أمام داود، وقال له: "قد أخطأتُ؛ ارجع يا ابني داود، لأنني لا أسيء إليك بعد من أجل أن نفسي كانت كريمة في عينيك اليوم". ولكن كعادته كان يتأثر إلى حين، لذلك لم يَأتمنه داود؛ إنّما ذهب داود في طريقه، ورجع شاول إلى مكانه".

١٠٥- موت شاول وبنيه

(١ صموئيل ٣١)

باطلاً حاول شاول أن يقتل داود، وإذ ترك داود الأمر لله، سقط شاول وبنوه وحامل سلاحه في يومٍ واحدٍ دون أن تمتد يد داود بسوءٍ، ولا حمل قلبه ضغينة أو تشفيًا، بل يحمل له كل حُبٍّ، إذ حزن عليه جدًّا ورثى داود شاول ويوناثان بمرارةٍ، يمدحهما ويُمجِّدُهما.

قتل الفلسطينيين أبناء شاول الثلاثة: يوناثان وأبيناداب وملكيشوع.

وضع شاول في قلبه أنه كان لا بد من قتل داود حتى لا يغتصب المملكة بعد موته من ابنه يوناثان؛ وها هو يوناثان الجبار وأخواه يموتان أمام عيني شاول بينما حُفِّظَ داود بعيدًا ليستلم الملك.

طردَ شاول داود من وطنه، ولم يُدرك أنه بهذا حفظه بعيدًا، حتى يموت هو وبنوه لينال داود الملك من بعده.

ركّز الفلسطينيين ضرباتهم على الملك شاول، حتى متى سقط يسقط الجيش كله. ضربه الرُّمّة بالرُّمّاح فجُرح، وإذ شعَرَ بالخطر طلب من حامل سلاحه أن يقتله بالسيف حتى لا يطعنه الوثنيون ويُقبَّحونه.

ربما خشي أن يهزأوا به كما فعلوا بشمشون، إذ قلَعوا عينيّه وأوثقوه بسلاسل نحاس، وكان يَطحن في بيت السجن، كما جاءوا إلى بيت إلههم داجون ليلعب أمام ثلاثة آلاف من الرِّجال والنساء وهم يسخرون به.

خاف حامل السلاح جدًّا واختشى من سيّده، أخذ شاول السيف وسقط عليه. ولما رأى حامل السلاح ذلك سقط هو أيضًا على سلاحه ومات.

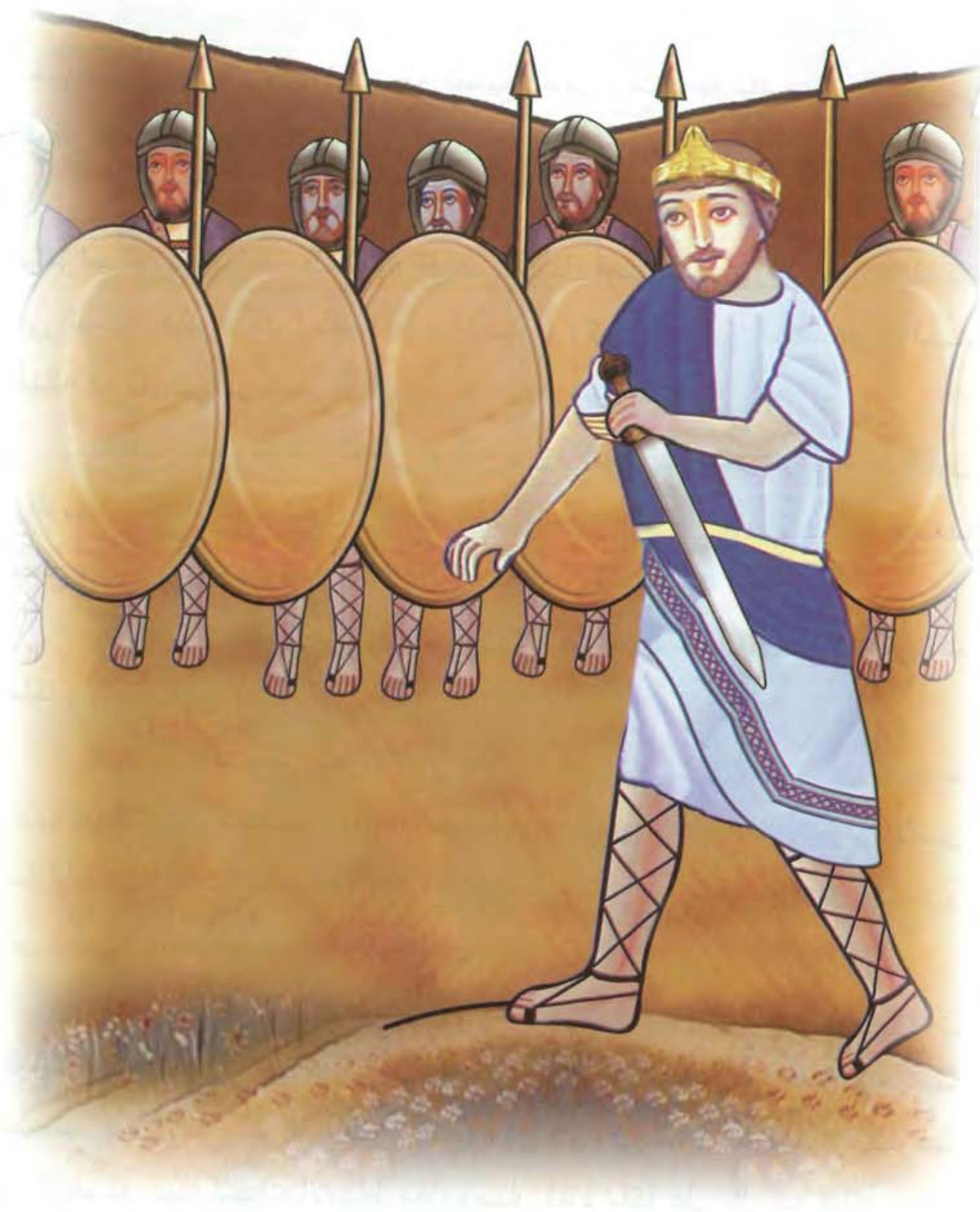
مات شاول وبنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله، أي حرسه الخاص، أما ابنه إيشبوشث العاجز عن العمل ورئيس جيشه أبنير فلم يموتا... الأمر الذي سبب هزيمة مُرّة لإسرائيل.

ترك الإسرائيليون الذين في عَبر الوادي وفي عَبر الأردن (أي شرقي الأردن) المُدن، فجاء الفلسطينيون وسكنوها.

جاء الفلسطينيون إلى أرض المعركة لسلب الثياب الثمينة والأسلحة وكل ذي قيمة التي للقتلى، فوجدوا شاول وبنيه ساقطين في جبل جَلْبوع، فقطعوا رأس شاول، ونزعوا سلاحه، وبعثوا رُسلًا إلى كل بلادهم يُبشرون بموته، ناسبين النُصرة لأصنامهم، لذا وضعوا سلاحه في بيت عشتاروث.

سمّر الفلسطينيون جسد شاول وبنيه على سور بيت شان، وهى مدينة بيسان الحالية وتبعد حوالي خمسة أميال غربي نهر الأردن.

رد أهل يابيش جلعاد الجميل لشاول الذي أنقذهم من يد ناحاش العموني، حين طلب منهم ناحاش أن يقطع معهم عهدًا ويستعبدهم بشرط تقوير كل عَيْن يُمنى لهم ليكون عارًا لهم. خلصهم شاول فشعروا بالدين نحوه. لم يقبلوا أن يتركوا جسده وأجساد بنيه مُعلّقة على سور بيت شان في مهانة، إنما قام كل ذي بأس وساروا الليل كله حتى جاءوا بالأجساد ودفنوها في يابيش، وصاموا سبعة أيام.



١٠٦- داود ملك يهوذا ثم ملك كل إسرائيل

(٢ صموئيل ٥ - ٦)

انحرف شاول الملك عن هدفه تمامًا، لكن الله لم ينس شعبه. اختار الله لهم شخصًا آخر، قلبه نقي، مُحِبًّا لله والناس، وشجاع. إنه داود الصبي الراعي. كان الله يُعَدُّ داود للعمل الملوكي الرَّعوي، عاش كراعٍ يهتم بالغنم، ويبذل نفسه من أجلها، فتدرب على محبة القطيع العاقل والشجاعة ليقف أمام الوحوش المُفترسة.

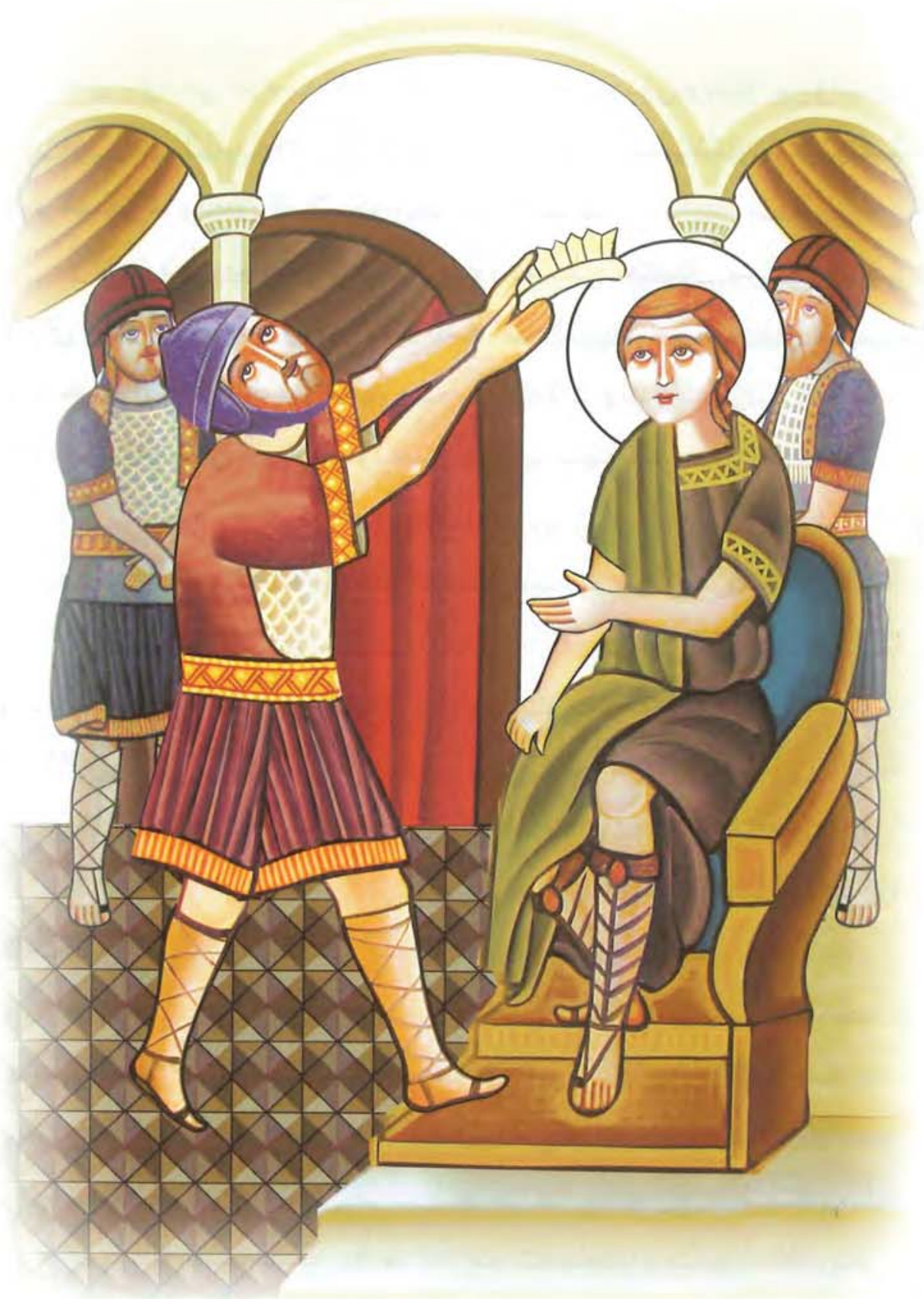
موهبته الموسيقية مع رقة مشاعره ألهمت قلبه بحُبِّ الله والتسبيح له بالمزامير. هذه الموهبة قدّمت له الفرصة ليدخل قصر شاول، ويرى بنفسه الفساد في القصر، فيكون حذرًا مُهتمًا بقداسة قصره، وكيف يتوب إن سقط هو أو أحد أبنائه أو العاملين في قصره.

نُصرتَه على جُلَيَات الجبار لم تُح من ذاكرة المُحاربين الإسرائيليين وقلوبهم. لذلك إذ مات شاول اتّجهت أنظار الشيوخ والقادة إلى داود. وفي حبرون مُسح ملكًا على يهوذا، فبدأ عمله الملوكي، بتدبير الله نفسه.

بالرغم من مسحه على يد صموئيل منذ صَبَوته، لم ينشغل مُطلقًا متى يُقام ملكًا ولا سعى إلى ذلك.

قام أبنير قائد جيش شاول بدورٍ خطير، فقد نادى بإيشبوسث الابن الوحيد الذي تبقى لشاول ملكًا على بقية الأسيباط. فوجد صراع بين المناصرين لابن شاول وأتباع داود. استمرّ هذا النزاع لمدة سبع سنوات ونصف، وكان مناصرو ابن شاول في ضعفٍ مُستمرّ.

أخيرًا أرسل أبنير إلى داود عارضًا تسليمه كل الأسيباط ليملك عليهم. في نفس الوقت اجتمع بشيوخ الأسيباط، وأوضح خطورة انقسام الشعب إلى مملكتين، مما يضعفهم أمام الأعداء. فرافقوا أبنير، وذهبوا إلى داود في حبرون، وأعلنوا خضوعهم وولاءهم له. بهذا اتّحدت الأسيباط معًا، وصار داود ملكًا على كل إسرائيل.



رأى داود الحاجة ماسة إلى مدينة حصينة تكون عاصمة للمملكة. فاختار
أورشليم التي كانت تتبع اليبوسيين الذين قاوموا الأمر، لكن في النهاية صارت
العاصمة.

كان داود في حرب دائمة، إذ هاجمه بنو عمون وبنو موآب وأدوم
وغيرهم، وكان الرب معه. بعد معارك طويلة هُزم الفلسطينيين، واستسلمت
الأمم الصغيرة، وتحقق السلام مع وحدة كل الأسباط.

أراد داود أن يُحضر التابوت إلى أورشليم في احتفالٍ ضخمٍ وضرب
الأبواق والموسيقى، كما رقصَ داود نفسه أمام التابوت. وُضع تابوت العهد في
وسط خيمة الاجتماع المُعدة لذلك. وقُدِّمتُ مُحْرقات وتقدّمات للرب. كما وُضع
نظام دقيق للعبادة في أورشليم، ودُعيتُ أورشليم مدينة الله.

١٠٧- داود النبي في حوار مع الله

(٢ صموئيل ٧)

سَكَنَ داود النبي والملك في بيته وأراحه الرب من جميع أعدائه. شَعَرَ بإحسانات الرب إليه، فأراد أن يبني له بيتاً عوضَ الخيمة.
قال الملك لناثان النبي: "انظرُ إني ساكن في بيت من أرز، وتابوت الله ساكن داخل الشَّقَق".

وافق ناثنان في البداية على طلب داود الخاص ببناء بيت للرب، إذ حَسَبَهُ طلباً صالحاً ولائقاً، فقال للملك: "اذهبْ افعل كل ما بقلبك، لأنَّ الرَّبَّ معك".
لكنه إذ استشار الرب كان كلام الرب في تلك الليلة إلى ناثنان:
"اذهبْ وقلْ لعبدي داود:

هكذا قال الرب أنت تبني لي بيتاً لسكنائي؟
لأنني لم أسكن في بيتٍ منذُ يومٍ أصعدتُ بني إسرائيل من مصرَ إلى هذا اليوم، بل كُنْتُ أسيرُ في خيمةٍ وفي مسكن.
في كل ما سرتُ مع جميع بني إسرائيل، هل تكلمتُ بكلمةٍ إلى أحد قضاة إسرائيل الذين أمرتهم أن يرعوا شعبي إسرائيل قائلاً لماذا لم تبنوا لي بيتاً من الأرز؟
والآن فهكذا تقول لعبدي داود هكذا قال رب الجنود أنا أخذتك من المرَبَض من وراء الغنم لتكونَ رئيساً على شعبي إسرائيل.

وكنْتُ معكَ حيثما توجهتَ، وقرضتُ جميع أعدائك من أمامك، وعملتُ لك اسماً عظيماً كاسم العُظماء الذين في الأرض.

وعيّنتُ مكاناً لشعبي إسرائيل، وغرسته، فسكن في مكانه ولا يضطرب بعد، ولا يعود بنو الإثم يُدللونه كما في الأول. ومُنذُ يومٍ أقمتُ فيه قضاةً على شعبي إسرائيل، وقد أرحتُك من جميع أعدائك. والربُّ يُخبرُك أن الربَّ يصنعُ لك بيتاً.
متى كملتُ أيامك واضطجعتَ مع آبائك، أقيمُ بعدك نسلَكَ الذي يخرجُ من أحشائك، وأثبتُ مملكته.

هو يبني بيتاً لاسمي، وأنا أُثبِتُ كُرْسِيَّ مملكته إلى الأبد.
أنا أكون له أباً، وهو يكون لي ابناً، إن تعوَّج أُودِبَهُ بقضيبِ الناس
وبضربات بني آدم.

ولكن رحمتي لا تُنزعُ منه كما نزعَتْها من شاول الذي أزلتُهُ من أمامك.
ويأمنُ بيتُك ومملكَتُك إلى الأبد أمامك. كُرْسِيُّكَ يكونُ ثابتاً إلى الأبد".
فحَسَبَ جميعَ هذا الكلام، وحَسَبَ كل هذه الرؤيا كَلَّمَ ناثان داود.
جلس داود غالباً على الأرض وأحنى رأسه أمام الرب ليشكره من أجل هذا
الوعد الذي أنعم به عليه قائلاً:

"مَنْ أنا يا سيِّدي الرَّبُّ؟ وما هو بيتي حتى أوصلتني إلى ههنا؟...
وبماذا يعود داود يُكَلِّمُكَ، وأنت قد عَرَفْتَ عبدك يا سيِّدي الرَّبُّ؟ فَمِنْ أَجْلِ
كلمتِكَ وحَسَبَ قلبِكَ فعلتَ هذه العظائم كلها لتُعرِّفَ عبدك.
لذلك قد عظمتَ أيُّها الرَّبُّ الإلهُ، لأنه ليس مثلكَ وليس إلهٌ غيرُكَ حَسَبَ
كلِّ ما سمعناه بأذاننا.

وأيةُ أُمَّةٍ على الأرض مثلُ شعبِكَ إسرائيلَ الذي سار الله ليفتديه لنفسه
شعباً، ويجعل له اسماً...
وثبَّتَ لنفسك شعبك إسرائيلَ، شعباً لنفسك إلى الأبد، وأنت ياربُّ صِرْتِ
لهم إلهًا.

والآن أيُّها الرَّبُّ الإلهُ أقمْ إلى الأبد الكلامَ الذي تكَلَّمْتَ به عن عبدك وعن
بيته وافعلْ كما نَطَقْتَ.
وليتعظَّم اسمُكَ إلى الأبد، فيقال ربُّ الجنود إلهٌ على إسرائيلَ. وليكن بيتُ
عبدك داود ثابتاً أمامك.

لأنك أنت ياربُّ الجنود إلهُ إسرائيلَ قد أعلنتَ لعبدك قائلاً: إنِّي أبني لك
بيتاً، لذلك وَجَدَ عبدُكَ في قلبه أن يُصَلِّيَ لك هذه الصلاة.

والآن يا سيّدي الربّ أنت هو الله وكلامك هو حقّ، وقد كلّمتَ عبدك بهذا
الخير.

فالآن ارتضِ وبارك بيتَ عبدك ليكون إلى الأبد أمامك، لأنك أنت يا سيّدي
الرب قد تكلمتَ. فليبارك بيتُ عبدك ببركتك إلى الأبد".



١٠٨ - داود يُحسن إلى مفيوشث بن يوناثان

(٢ صموئيل ٩)

عادة إذ يستريح الإنسان ويستقرّ، يحاول الإنسان أن ينسى الماضي بآلامه، ويتجاهل مشاعر الغير، أمّا داود النبي والملك صاحب القلب الكبير فنجاحه واستقراره دفعه إلى بحثه عن راحة الآخرين. لقد أراحه الله من جميع أعدائه، وبعد موت شاول ويوناثان بحوالي ١٥ سنة لم ينسَ عهده مع يوناثان، فبدأ يسأل إن كان قد بقيَ أحد من بيت شاول لكي يصنع معه إحساناً من أجل يوناثان. قال داود لرجال قصره: "هل يوجد بعد أحد قد بقيَ من بيت شاول، فأصنع معه معروفاً من أجل يوناثان؟ وكان لبيت شاول عبد اسمه صيبا، فاستدعوه إلى داود. وقال له الملك أنت صيبا؟ فقال: "عبدك".

فقال الملك: ألا يوجد بعد أحد لبيت شاول فأصنع معه إحسان الله؟

قال صيبا للملك: بعد ابن ليوناثان أعرج الرجلين.

قال له الملك: أين هو؟

قال صيبا للملك: هوذا هو في بيت ماكير بن عميئيل في لودبار.

أرسل داود وأخذه من بيت ماكير. خرّ مفيوشث على وجهه وسجد. قال له داود: "لا تخف، فإني لأعملنّ معك معروفاً من أجل يوناثان أبيك، وأردُّ لك كل حقول شاول أبيك، وأنت تأكلُ خبزاً على مائدتي دائماً".

سجد وقال: "من هو عبدك حتى تلتفتَ إلى كلبٍ ميّتٍ مثلي؟".

دعا الملك صيبا غلام شاول، وقال له:

"كلُّ ما كان لشاول ولكل بيته قد دفعته لابن سيّدك.

فتشتغلُ له في الأرض أنت وبنوك وعبيدك وتشتغلُ ليكون لابن سيّدك خبزاً ليأكل. ومفيوشث ابن سيّدك يأكلُ دائماً خبزاً على مائدتي، كواحد من بني الملك".

كان لصيبا خمسة عشر ابناً وعشرون عبداً. فقال صيبا للملك: "حسبَ كل

ما يأمرُ به سيّدِي الملك عبده كذلك يصنع عبدك".

كان لمفبوشث ابن صغير اسمه ميخا. وكان جميع ساكني بيت صيبا عبيدًا لمفبوشث. فسكن مفبوشث في أورشليم، لأنه كان يأكل دائمًا على مائدة الملك، وكان أعرج من رجليه كلتيهما.

داود في سخائه يرمز للسيد المسيح، الذي يدعونا إليه لنلتقي معه كأحباء؛ ينزع عنا الخوف، ويردّ إلينا ما فقدنا، كما وهبنا أن نجلس على مائدته السماوية، نتناول جسده ودمه المبذولين كسرّ خلاص وتمتّع بالحياة الأبدية.



١٠٩ - ضعفات داود الملك

(٢ صموئيل ١١ - ١٢)

قدّم لنا الكتاب المقدّس صورة واقعية لشخصية داود النبي والملك، الذي عاش بقلبٍ مُحباً لله والناس منذ صَبَوته، في نقاوة وطهارة، مُشتاقاً أن يخدم الله ويُمجّده في جدية وبغيرة مُتقدّة ناراً، وأن يبذل حياته من أجل الأمانة حتى في رعايته الخراف غير الناطقة. كافأه الله على هذه الحياة الجادة المقدّسة، واهباً له كل نجاح حتى تعظّم جدّاً، وكان رب الجنود معه.

في لحظة ضعف تهاون فسقط، لتظهر الطبيعة البشريّة بأعماق ضعفها في حياة داود العظيم. انهار هذا الجبار وانحدر بالتدرّج من خطيّة إلى أخرى. وكان يظنّ أنه قادر على إخفاء هذا الضعف، فإذا به ينفصح أمامنا جميعاً عبر الأجيال بعد أن نال تأديبات مرّة وحلّت به أحزان متوالية خلال كل بقية أيام حياته.

في لحظة ضعف ارتكب خطية خطيرة نتيجة تهاونه، إذ أخطأ مع زوجة أوريا الحثي أحد قادة جيشه الأماناء. هذا دفعه إلى سلسلة من الخطايا، فخطط أن يكون هذا القائد المُخلص في مقدّمة المعركة لكي يُقتل.

أرسل الله ناثان النبي لداود، روى له ناثان قصة سيّد غني لديه قطع كبير من الغنم. وإذ جاءه ضيف أراد أن يُعدّ له طعاماً، فأخذ نعجة إنسانٍ فقيرٍ جاره وذبحها له. ثار داود وقال بأن يقتل هذا الغني. عندئذ أشار إليه النبي بإصبعه، وقال له: "أنت هو الرّجل".

أدرك داود خطورة خطيئته، وفي تواضع أعلن توبته، قائلاً: "أخطأت إلى الرب وإلى صديقي". قال له ناثان: "الرّبّ نقل عنك خطيئتك. لا تموت لكنك تتال تأديباً". أراد الله أن يؤدّبه حتى لا يُكرّر هذا الخطأ، فتحوّلت أيام داود الأخيرة إلى مجموعة من الآلام والمتاعب.

مات الطفل الذي جاء من زواجه غير الشرعي هذا. وارتكب ابنه أمنون الخطأ مع ثامار أخته التي ليست من أمه، وقام أخوها أبشالوم بقتل أمنون.

« لَكَ وَحْدَكَ أَخْطَاتُ، وَالشَّرُّ قُدَّامَكَ صَنَعْتُ »
(مزمور ٥٠: ٤)



١١٠- أبشالوم بن داود

(٢ صموئيل ١٣ - ١٩)

من الأخطاء التي سقط فيها داود النبي أنه عندما صار ملكاً يبدو أنه أراد أن يتمثل بالملوك المحيطين به الذين كان من علامات عظمتهم أن يتزوجوا بكثيرات. فتزوج داود بفتاة جميلة تدعى معكة بنت تلماي ملك جشور. أنجب منها أبشالوم الذي كان جميلاً جداً، "لم يكن في كل إسرائيل رجل جميل وممدوح جداً كأبشالوم، من باطن قدمه حتى هامته، لم يكن فيه عيب". وكانت شخصيته جذابة جداً. عندما اغتصب أمنون أخته الجميلة تامار من أبيه دون أمه، لم يقم داود بتأديبه على هذا التصرف الخطير، ربما لأنه كان ابنه البكر المدلل. أراد أبشالوم الانتقام لأخته، فبات لمدة سنتين يترقب الفرصة لقتل أمنون. وإذ اجتمع كل أبناء داود للاحتفال بالعيد، قتل عبيد أبشالوم أمنون. ارتبك الجميع وهربوا. حزن داود على ابنه أمنون، وشقّ ثيابه. وإذ خشي أبشالوم من غضب أبيه هرب إلى أهل والدته بجشور، وبقي هناك ثلاث سنوات. توسط يوآب رئيس الجيش لدى داود، وأحضر أبشالوم إلى أورشليم، وطلب داود أن ينصرف أبشالوم إلى بيته دون أن يرى وجهه. لم يستطع أبشالوم أن يلتقي بأبيه لمدة سنتين، وأخيراً قبله داود والتقى به. استطاع أبشالوم بكلامه المعسول وجاذبية شخصيته أن يجتذب الكثيرين إليه. ذهب أبشالوم مع أصحابه إلى حبرون بدعوى أنه ذاهب للعبادة، وهناك قام بحركة تمرد على أبيه، وأعلن أنه ملك إسرائيل. أدرك داود خطورة الموقف، ولم يقبل أبشالوم بأقل من رأس داود، الذي هرب من أورشليم إلى جلعاد شرق نهر الأردن، وحزن كثيرون على هروبه. تجمع جيش حول داود، ولم يكن بضخامة جيش أبشالوم، لكن جيش داود قاوم أتباع أبشالوم بكل غيرة، فاضطرّ أن يهرب. دخل الجيشان في معركة أهلية رهيبة، وأوصى داود جيشه: "ترفقوا بالفتى أبشالوم".

مات في المعركة عشرون ألفاً، وانتشرت الجيوش في الغابة. وإذ شعر
أبشالوم بالهزيمة حاول الهروب وسط الغابة، فتعلق شعره الطويل بأحد فروع
شجرة بلوط ضخمة، وانطلق من تحته البغل، فصار أبشالوم مُعلقاً في الهواء.
لحق به يوأب وضربه بثلاثة سهام وأنزل جثمانه وألقاه في حفرة. وألقوا كمية
ضخمة من الحجارة عليه.



١١١- داود يبكي ابنه المتمرّد أبشالوم

(٢ صموئيل ١٨)

كان داود يُراقب أبواب المدينة، فرأى إنساناً يجري. قال في نفسه: "هوذا رسول قادم من المعركة".

اقترب الرَّجُل إلى داود، فسأله: "هل أبشالوم بخير؟

أجاب الرَّجُل: "ليمت كل أعدائك مثله!".

أخفى داود وجهه، وصرخ: "آه يا ابني أبشالوم! يا ليتني مُت عوضاً عنك!

يا ابني! يا ابني!".

سمع الجيش عن حُزن داود الشديد على ابنه أبشالوم. فتحوّلتِ النُّصرة

العظيمة إلى حُزن وكآبة للجيش كله.

تقدّم يوآب رئيس الجيش، وقال لداود:

"هذا الجيش أنقذ حياتك! أنت وأولادك ونساؤك في أمان.

إنك تتصرّف كمن يُحب من يُبغضك. فهل تكره الذين يحبونك؟

تكلم مع شعبك بلُطفٍ.

فإنني مُتأكد إن لم تفعل هذا، فستحلّ بك كارثة عظيمة!

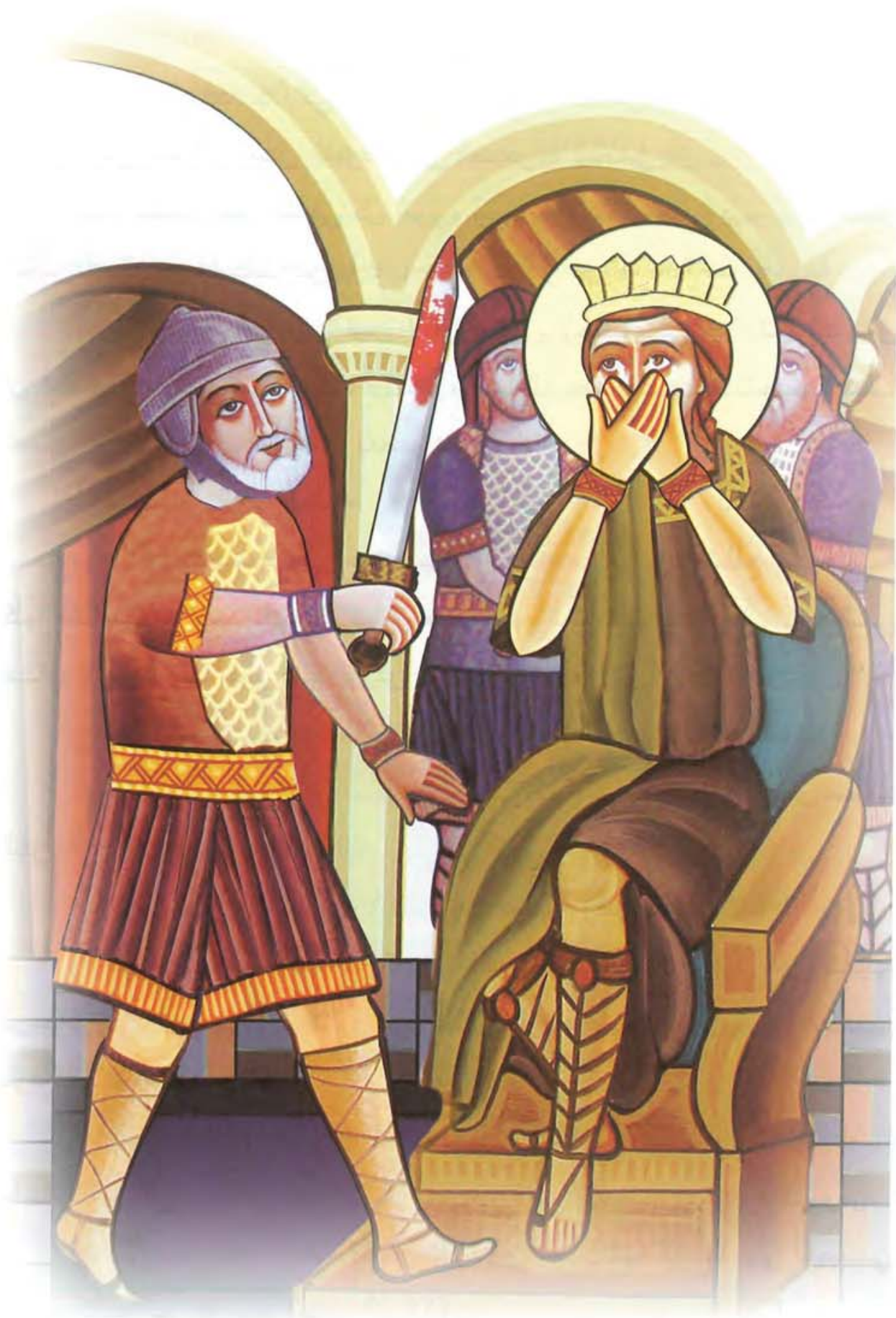
خرج داود يستقبل الجيش بكلمات رقيقة.

هذا هو الثمر المرّ لتعدّد الزوجات وتدليل الأبناء من جانب داود كأبٍ.

وأيضاً ثمر اعتماد أبشالوم على جمال جسده وجاذبية شخصيته، عوض

طلب حكمة الله ومشورته.

شخصيته الجذّابة عطية إلهية صالحة، لكن أبشالوم أساء استخدامها.



١١٢- اختيار موضع بناء بيت الرب

(صموئيل الثاني ٢٤، أخبار الأيام الأول ٢١)

اتَّسَعَتِ الْمَمْلَكَةُ جَدًّا فِي أَيَّامِ دَاوُدَ الْمَلِكِ، امْتَدَّتْ مِنْ نَهْرِ الْفُرَاتِ إِلَى حُدُودِ مِصْرَ، وَمِنْ الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ الْمَتَوَسِّطِ إِلَى الصَّحْرَاءِ الْعُظْمَى.

دَاوُدُ الْمُتَّكِلُ عَلَى اللَّهِ فِي كُلِّ أُمُورِهِ أَخْطَأَ حِينَ طَلَبَ مِنْ يُوآبَ رَئِيسِ الْجَيْشِ أَنْ يُحْصِيَ أَسْبَابَ إِسْرَائِيلَ.

غَضِبَ الرَّبُّ عَلَى دَاوُدَ لَيْسَ لِأَجْلِ قِيَامِهِ بِالْإِحْصَاءِ فِي حَدِّ ذَاتِهِ، فَقَدْ سَبَقَ أَنْ أَحْصَاهُمْ مُوسَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَوْ أَكْثَرَ، إِلَهْنَا إِلَهُ نِظَامٍ وَلَيْسَ إِلَهُ تَشْوِيشٍ. إِنَّمَا غَضِبَ الرَّبُّ لِلْأَسْبَابِ التَّالِيَةِ أَوْ بَعْضِهَا:

أ. لَمْ يَسْتَشِرْ الرَّبَّ كِعَادَتِهِ.

ب. بَدَأَ دَاوُدُ يَعْتَمِدُ عَلَى عِدَدِ رِجَالِهِ وَإِمْكَانِيَاتِهِ مَعَ أَنَّهُ لَوْ تَطَّلَعَ إِلَى حَيَاتِهِ كَلَّمَا مُنْذُ صَبَوْتِهِ لَوَجَدَ نَفْسَهُ قَدْ انْطَلَقَ مِنْ رِعَايَةِ الْغَنِيمَاتِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي لِأَبِيهِ إِلَى اسْتِلَامِ الْمَمْلَكَةِ كُلِّهَا بِقُوَّةِ إِلَهِيَّةٍ، وَلَيْسَ بِذِرَاعِهِ أَوْ ذِرَاعِ بَشَرٍ.

ج. رُبَّمَا قَصِدَ دَاوُدُ بِهَذَا الْإِحْصَاءِ إِثْرَةَ حُرُوبٍ جَدِيدَةٍ لِتَوْسِيعِ مَمْلَكَتِهِ.

د. لَعَلَّهُ أَرَادَ وَضْعَ جَزِيَّةٍ مَالِيَّةٍ ثَقِيلَةٍ عَلَى الشَّعْبِ لِحِسَابِهِ الْخَاصِّ أَوْ حِسَابِ

الْخَزَانَةِ وَلَيْسَ لِحِسَابِ خِيْمَةِ الْجَمَاعَةِ.

هـ. رُبَّمَا كَانَ الدَّافِعُ هُوَ الْإِعْلَانُ عَنِ عَظَمَتِهِ وَقُدْرَاتِهِ وَإِمْكَانِيَاتِهِ!

و. كَانَ الشَّعْبُ مُحْتَاجًا إِلَى تَأْدِيبٍ، فَاللَّهُ يَسْمَحُ أحيانًا بِخَطَأِ الرَّاعِي لِتَأْدِيبِ

الرَّعِيَّةِ، إِذْ يَقُولُ الْكِتَابُ: "وَعَادَ فَحْمَى غَضَبِ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ فَأَهَاجَ عَلَيْهِمُ

دَاوُدُ قَائِلًا امْضُ وَأُحْصِ...".

ز. أَصْدَرَ أَمْرًا أَنْ يُحْصَى الشَّعْبُ بِمَا فِي ذَلِكَ مَنْ هُمْ أَقَلُّ مِنْ ٢٠ عَامًا

مَا دَامَتْ هَيْئَتُهُمْ وَطَاقَاتُهُمْ تُنَاسِبُ الْحَرْبَ؛ هَذَا التَّصَرُّفُ ضِدَّ الشَّرِيعَةِ وَالنَّامُوسِ.

ح. لَمْ يَطْلُبْ دَاوُدُ نِصْفَ الشَّاقِلِ الَّذِي كَانَ يَجِبُ دَفْعُهُ لِلْخِيْمَةِ مَتَى أُحْصِيَ

الشَّعْبُ كَفَدِيَّةٍ عَنْ نَفُوسِهِمْ (خُر ٣٠: ١٢).

أراد الله أن يؤدّب داود، فسمح بمرضٍ يحلّ بالبلاد لمدة ثلاثة أيام، ومات سبعون ألفاً. وقف الملاك المهلك عند حقل أرنون ليُدَمِّرَ أورشليم. لكن الله أمره بالتوقّف، وطلب من داود أن يُقدِّم ذبيحة في حقل أرونة على سطح جبل المريّا، في الموضع الذي قدّم فيه إبراهيم ابنه إسحق ذبيحة. دعا داود الرب فاستجاب له، وأرسل ناراً التهمت الذبيحة.

قال داود: هذا هو الموضع الذي فيه بنى بيت الرب. هنا يُقام مذبح المُحرّقة.



١١٣ - الملك سليمان الحكيم

(١ ملوك ١ - ٣)

شاخ داود ولازم الفراش مريضاً، عاجزاً عن الحركة. لعلّ الحياة الشّاقة التي لحقت بـداود النبي والمتاعب التي حلت به جعلته في شيخوخة مُبكرة. فقد عانى الأمرين من الملك شاول الذي كرّس طاقاته وطاقات رجاله للتخلّص من داود. هذا وقد واجه صعوبات لا حصر لها بعد تولّيه العرش، خاصةً مشاكل أسرته، مثل اعتداء ابنه أمنون على أخته تامار، وتمرد ابنه أبشالوم.

كان من المتوقع أن يتسلّم أدونيا العرش، الابن الرابع لداود، إذ مات الأبناء الثلاثة الأكبر منه: آمون وأبشالوم وكيلاب. وبالفعل خطّط أدونيا لاستلام الملك، لكن ناثان النبي أطاح بالخطة.

كان ناثان يعلم بما وعد الله به لداود: "هوذا يولد لك ابنٌ يكونُ صاحبَ راحةٍ، وأريحُهُ من جميع أعدائه حوالينهُ، لأن اسمه يكونُ سليمان، فأجعلُ سلاماً وسكينةً في إسرائيل في أيّامه، هو يبني بيتاً لاسمي، وهو يكونُ لي ابناً وأنا لهُ أباً، وأثبتُّ كرسيَّ ملكه على إسرائيل إلى الأبد".

استغل أدونيا شيخوخة أبيه ومرضه، ونادى بأنه ملك عوضاً عن أبيه دون استئذانه، وكان يسنده في ذلك يواب رئيس الجيش وأبياتار الكاهن. أمّا ناثان النبي وصادوق الكاهن وجبابرة داود، فلم يكونوا في صفّ أدونيا.

لم يعرف داود ما فعله أدونيا حتى دخلت بثشبع والدة سليمان بناء على مشورة ناثان، وأخبرت الملك بما يحدث من أدونيا وذكرت الملك بحلفه بأن سليمان يملك من بعده، وعندئذ دخل ناثان وأخبر داود بما حدث.

للحال تحرك داود، وطلب من رجال دولته الذين كانوا بجانبه أن يمسح صادوق الكاهن وناثان النبي سليمان ملكاً، ويضربوا بالبوق، وينادوا به ملكاً! قاموا بذلك وتهلّل الشعب، قائلين: "ليحيا الملك سليمان".



تزوَّج سليمان ابنة فرعون، ليقوم تحالفاً مع مصر. وهكذا ارتبط سليمان بإحدى الدول العظمى في العالم في ذلك الحين. هذا أربك الفلسطينيين، إذ انتصرت مصر عليهم بقوة عظيمة قبل ذلك بقليل.

أحبَّ سليمان الرَّبَّ، وسلك في طريق أبيه داود. ذهب إلى جبَّعون إحدى المرتفعات وقَدَّم ألف مُحْرقة.

سُرَّ الرَّبُّ به جدًّا، وظهر له في حُلْمٍ بالليل، وقال له: "اسألْ ماذا أُعطيك". فقال له: "أعطِ عبدك قلبًا فهيمًا لأحْكُم على شعبك، وأُمَيِّز بين الخير والشرِّ، لأنه مَنْ يَقْدِر أن يحْكُم شعبك العظيم هذا".

سُرَّ اللهُ بهذه الطلبة، إذ لم يَطْلُب لنفسه طول العمر ولا الغنى ولا النُّصرة على الأعداء، بل طلب الحكمة، فوعده اللهُ بها مع الغنى والمجد. إلى اليوم يُعْتَبَر سليمان أحكم وأغنى إنسان، واتَّسم عصره بالمجد والسمو والشُّهرة.

حدث أن جاءتِه سيِّدتان تتوسلان إليه أن يحلَّ مُشكلتهما. واحدة تمسك طفلاً ميتاً، والأخرى طفلاً حيًّا.

ادَّعت الأولى أن الثانية مات ابنها، فاستبدلته بالابن الحيِّ. أمَّا الحاملة الطفل الحيِّ، فقالت إن هذا الكلام ليس له وجه من الحقيقة، وأن الطفل الذي في يدها هو ابنها.

استدعى سليمان جنديًّا، وأمره أن يقطع الطفل الحيِّ إلى شطرين، ويُعطي كلاً منهما نصفًا.

ركعتِ السيِّدة التي ابنها الحيِّ أمام الملك، وتوسَّلت أن يعطوا السيِّدة الأخرى الولد ولا يميِّتوه، أمَّا تلك التي ابنها ميِّت، فقالت: "لا يكون لي أو لك، اشطروه". بهذا كشف سليمان بحكمته عن الأم الحقيقية، وعن الأخرى الكاذبة.

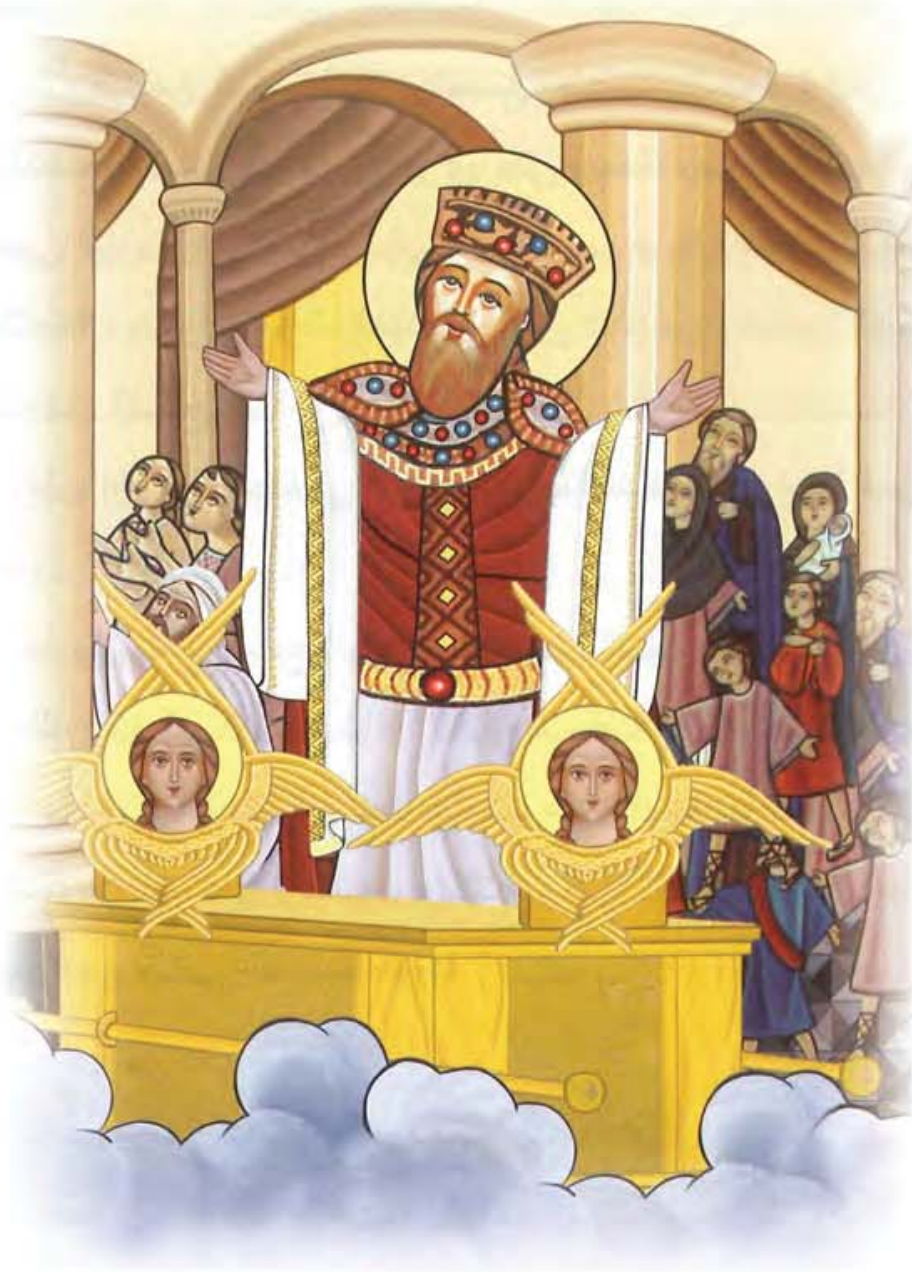
أمر الملك أن يعطوا الولد الحيِّ لأمه التي رفضت تقسيمه.

دُهِش الكل وخافوه، لأنهم رأوا حكمة الله فيه.

١١٤- سليمان باني هيكل الله

(١ ملوك ٤ - ٨)

بدأ شعب إسرائيل يشتهر بسبب حكمة سليمان بجانب معرفته العجيبة لأسرار الطبيعة. وأيضًا علاقاته الطيبة مع الأمم الأخرى والقريبة منه، وبسبب الغنى الذي فاض في الدولة. اختاره الله ليقوم بعملٍ عظيمٍ وفريدٍ، وهو بناء الهيكل.



لقد اشتهى أبوه داود أن يبنيه، لكن الله وعده أن ابنه يقوم بهذا العمل، ذلك لأن داود كان رجُل حرب، دخل في معارك كثيرة مع الأمم المُحيطة حتى استقرّ السلام.

أمّا سليمان فاتَّسم عصره بالسلام. لقد أعدَّ له أبوه داود الكثير من مواد البناء والخامات لبناء الهيكل وأثاثاته.

قام سليمان بهذا العمل بغيره مُتقدِّة وفرحٍ عظيمٍ. استمرَّ العمل لمدة سبع سنوات، واشتغل فيه الآلاف. جاءوا بالمواد الثمينة من بلاد بعيدة.

كانت الأواني من الذهب النقي والفضة وطُعِّمت بالحجارة الكريمة. أينما يتطَّع الإنسان في الهيكل يرى غنىً وجمالاً لمجد الله. إذ انتهى البناء أرسل سليمان إلى الشيوخ، ودعا كل الشعب للحضور إلى أورشليم، للاحتفال بدخول تابوت العهد إلى قُدس الأقداس وتدشين الهيكل. وقُدِّمت أعداد ضخمة من الذبائح.

فجأة أعلن الله عن مجده في الهيكل بطريقة ظاهرة، إذ امتلأ في الداخل بسحابة كثيفة.

وقف سليمان أمام المذبح، ورفع يديه نحو السماء، وبصوتٍ عالٍ سبَّح الله وصلَّى. بعد ذلك ركع إلى الأرض بوقارٍ شديدٍ، ثم وقف واتجه نحو الشعب وباركهم. استمر هذا الاحتفال لمدة أربعة عشر يوماً، عاد بعدها الملك وكل الشعب إلى بيوتهم شاكرين الله على رحمته وبركاته. وكان الكل يشعر بأن بناء الهيكل علامة عظيمة على سُكنى الله وسط شعبه.

١١٥- انحراف سليمان الحكيم

(١ ملوك ١١)

لعلّ من أمرّ الأحداث انحراف سليمان الذي نال الحكمة من فوق مع الغنى والكرامة، وقام ببناء الهيكل الذي كان يُعتبر أحد عجائب الدنيا.

سليمان الذي بدأ برعاية شعبه بالحُبّ، انشغل بقصره الخاص والمنشآت الضخمة، فأرهب شعبه بالضرائب وأعمال السخرة.

أيضاً تزوّج بكثيرات أجنبيّات. ولعلّه كان يهدف إلى كسب كل الأمم والقبائل، لكن هؤلاء النسوة جذبنه إلى عبادة آلهته الوثنية. كانت العادة بين الأمم أن يُقدّم الملك الضعيف للملك القوي إحدى بناته أو نسائه الجميلات زوجة له. بهذا يكون نوعاً من القربى، والشعور بالطمأنينة أن القوي لا يُفكر في الهجوم على الملك الضعيف واستعباده. هذه التقدّمة تُسمّى "تقدّمة السلام".

سمح الله بذلك، أولاً لأنه وإن كان قد اختاره لعملٍ مقدّسٍ، لكنه لم يلزمه بالحياة المقدّسة بغير إرادته. ومن جانب آخر لكي نكون حذرين من السقوط، مهما كانت خبرتنا. وأخيراً لنرى أنه مع خطورة هذه الخطيئة، إذ تاب قلبه الرب وجعله من رجال الإيمان، بل وكتب خبرته بإعلان الرّوح القدس، فسجّل لنا أسفاراً مقدّسة منها الأمثال والجامعة ونشيد الأناشيد وحكمة سليمان.

في سفر الأمثال، يُعلّمنا روح الله أن نتمتع بالحكمة الإلهية في سلوكنا على الأرض.

وفي سفر الجامعة، أدرك سليمان أن العالم باطل، لكنه هو الطريق للعبور إلى السماء ووطننا.

وفي سفر نشيد الأناشيد، اختبر سليمان سرّ الحُبّ العجيب بين السيّد المسيح وعروسه، التي هي الكنيسة كما كل نفس، أو كل مؤمنٍ حقيقيٍّ.

وفي سفر الحكمة، يُقدِّم لنا الحكمة بكونها السيِّد المسيح، ندخل في اتحاد
زيجي روجي سماوي، به نعيش كأناس الله الحكماء. كما يُعرِّفنا أن الله خلقنا
سادة أحراراً فيه، لا نستعبد أنفسنا لإبليس ولا لشهوات الجسد ولا لمحبة العالم
ولا لمحبة المجد الباطل ولا للخوف من المستقبل.



الفترة السابعة

انقسام ودمار

بعد موت سليمان الملك انقسمت المملكة، بسبب استماع ابنه رجبام لمشورة شباب مملوءين عُنفًا، ولم يُصغِ لمشورة الحكماء. انقسمت المملكة إلى مملكتين: مملكة يهوذا، عاصمتها أورشليم، تضم يهوذا وبنيامين، وتُدعى مملكة الجنوب. ومملكة إسرائيل، عاصمتها السامرة، تضم بقية الأسباط وتُسمى مملكة الشمال. كثيرًا ما حدث صراع بين المملكتين، وأحيانًا كانت إحداهما تتحالف مع أممٍ غريبة وثنية ضد أختها. لم يَقمُ ملك صالح في مملكة إسرائيل التي خلطت عبادة الله بعبادة الأوثان. في هذه الفترة وُجدَ أنبياءٌ عظماء نادوا بالتوبة والرجوع إلى الله، لكن كان نصيبهم الاضطهاد وأحيانًا القتل.

١١٦ - انقسام المملكة

(١ ملوك ١٢)

بعد موت سليمان ذهب ابنه رحبعام إلى شكيم، حيث اجتمع كل إسرائيل لتتويج الملك.

طلبوا من رحبعام، قائلين: "أبوك حملنا نيراً قاسياً. لتظهر حنوًّا، ونحن نكون خدامك المخلصين لك". لم يُصغِ رحبعام لمشورة الحكماء، فقال لهم: "إن كان أبي قد وضع عليكم نيراً ثقيلاً، فإن نيري سيكون أكثر ثقلاً".

إذ سمعوا هذه الإجابة أجابوه بسرعة، قائلين: "ليس لنا نصيب مع داود!". استطاع يرُبعام الذي كان على خلاف مع سليمان أن يصير ملكاً لهم. بهذا نشأت المملكة الشمالية التي تضم كل الأسباط ما عدا يهوذا وبنيامين.

خشي يرُبعام أن تميل قلوب شعبه إلى الهيكل في أورشليم، فبنى في بيت ايل ودان مقدسين، وأقام تمثالاً للثور في كل منهما.

كان جميع ملوك إسرائيل (المملكة الشمالية) أشراراً. وبعد فترة طويلة أقاموا تحالفاً مع سوريا، وسقط الاثنان تحت حكم آشور.

كانت آشور متى استولت على بلد تستخدم كل وسائل العنف والإذلال.

بالنسبة لإسرائيل قامت آشور بإجلاء الكثيرين من السامرة وإرسالهم إلى آشور، بينما بعثت بعض الغرباء إلى السامرة، حتى يفقد اليهود هويتهم ولغتهم وعبادتهم. بهذا كان السامريون، أي سكان السامرة عاصمة مملكة إسرائيل خليطاً بين اليهود والأمم الوثنيين في كل شيء. يؤمنون بأسفار موسى الخمسة دون سائر الأسفار. ويمزجون عبادة الله الحي بالعبادة الوثنية. وهذا سبب عداوة مرة بينهم وبين اليهود الباقين.

كانت مملكة يهوذا تفتخر بأن ملكها من نسل داود، وتحتفظ بأورشليم مدينة الله كعاصمة لها، وبها الهيكل. ووُجدَ بها ملوك صالحون وآخرون أشرار.

كان يليق بمملكة يهوذا أن تتعظ بما حدث مع مملكة إسرائيل، حيث سقطت تحت السبي الأشوري. لكن مملكة يهوذا سقطت في شرور كثيرة، مُعتمدة على أن الله لن يسمح بدمار مدينته وهيكله، وأنه لن يذلّ ملوكها لأنهم من نسل داود. كثيراً ما حذر الأنبياء ملوك وشعب مملكة يهوذا كما حذروا مملكة إسرائيل، لكنهم لم يسمعوا لهم، بل اضطهدوهم.

عندما صار نبوخذنصر إمبراطوراً لبابل صمّم أن يستولي على يهوذا ليُحطّم قوميّة اليهود تماماً وكل عبادتهم وتراثهم. وبالفعل تم سبي يهوذا وترحيل الأشراف والنُبلَاء والمهرة في الأعمال إلى السبي.

١١٧- أسرحدون وأليفانا

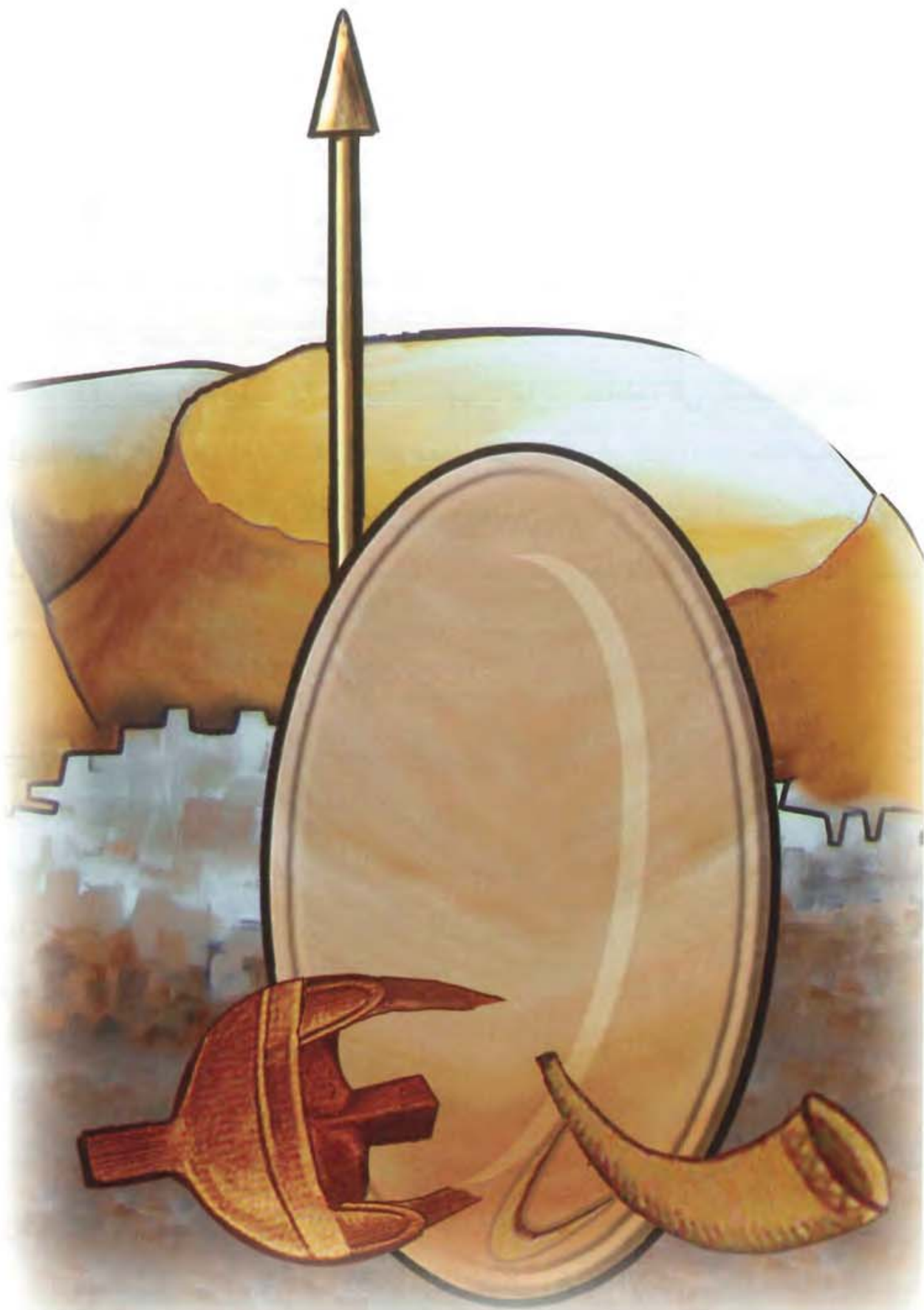
(يهوديت ١ - ٢)

وضع نبوخذنصر الملك الوثني في قلبه أن يحتلّ العالم كله في ذلك الحين. وكان يدعو نفسه "سيد الأرض كلها".

"نبوخذنصر" لقب دُعي به كثير من ملوك آشور، هنا يُقصد به أسرحدون بن سنحاريب. أمّا قائد جيشه هولوفرنيس (أليفانا)، فيقول: "من هو إله إلاّ نبوخذنصر؟ فهو الذي يُرسل قوّته ويبيدهم من وجه الأرض ولا يُنجيهم إلههم". كان عمل أليفانا الأول حين يحتلّ أمة أن يُدمّر كل المعابد لكي تتعبّد الأمم جميعها لنبوخذنصر وحده. بهذا كان نبوخذنصر رمزاً لإبليس الذي يريد أن يحتلّ عرش الله، وأليفانا رمزاً لضدّ المسيح الذي يعمل لحساب إبليس، فيقيمه إلهاً للبشريّة.

أغار أليفانا على بلاد كثيرة منها بلاد الماديين، ملكها أرفكشاد أو فرارتس، لينتقم لأسرحدون من أعداء أبيه اليهود الذين كانوا يُحبون أرفكشاد. أسرعّت الأمم تعلن خضوعها لأليفانا، قائلين: "إننا عبيد نبوخذنصر الملك العظيم، نحن وأبناؤنا بين يديك، فاعمل بنا كما يحسن في عينيك". وكانوا يستقبلونه بالرقص والدفوف، أمّا هو فكان يُدمّر معابدهم لكي يتعبّد الكل لنبوخذنصر وحده.

إذ سمع اليهود ما حدث خشوا من الاستسلام له، فيهدم الهيكل، ويلزمهم بعبادة الملك نبوخذنصر. نادى رئيس الكهنة ألياقيم (يواقيم) بمقاومة الغزاة لحماية مدينة الله وهيكله، بالرغم من عدم وجود أيّ وجه مقارنة بين إمكانيات أليفانا العسكرية الجبارة وإمكانيات اليهود الضعيفة.



١١٨- اجتماع مع القيادات العسكرية للأمم المُستسلمة

(يهوديت ٣)

دُهِشَ أليفانا لموقف اليهود، فعقد اجتماعاً في المعسكر مع القيادات العسكرية للأمم المُستسلمة عن السبب لماذا لم يَخْشِه اليهود كسائر الأمم. وكان من بينهم قائد جيش بني عمون يُدعى أحيور (معناها أخ النور)، أو أخيود ومعناها أخ اليهود، وكان شجاعاً.

قال أحيور لأليفانا إنه لن يغلب اليهود ما لم يسقطوا في الخطية فيتخلى إلههم عنهم، وروى له معاملات الله معهم عبر التاريخ. قدّم له عرضاً مُختصراً لتاريخ اليهود، مُحذراً إياه لئلا يلحق به وبجيشه عار، وأوضح أن إمكانياتهم في الحرب لا تتوقف على قدراتهم العسكرية، بل على علاقتهم بالله إلههم وطاعتهم له، وأنه لا علاج للأمر سوى عصيانهم لإلههم.

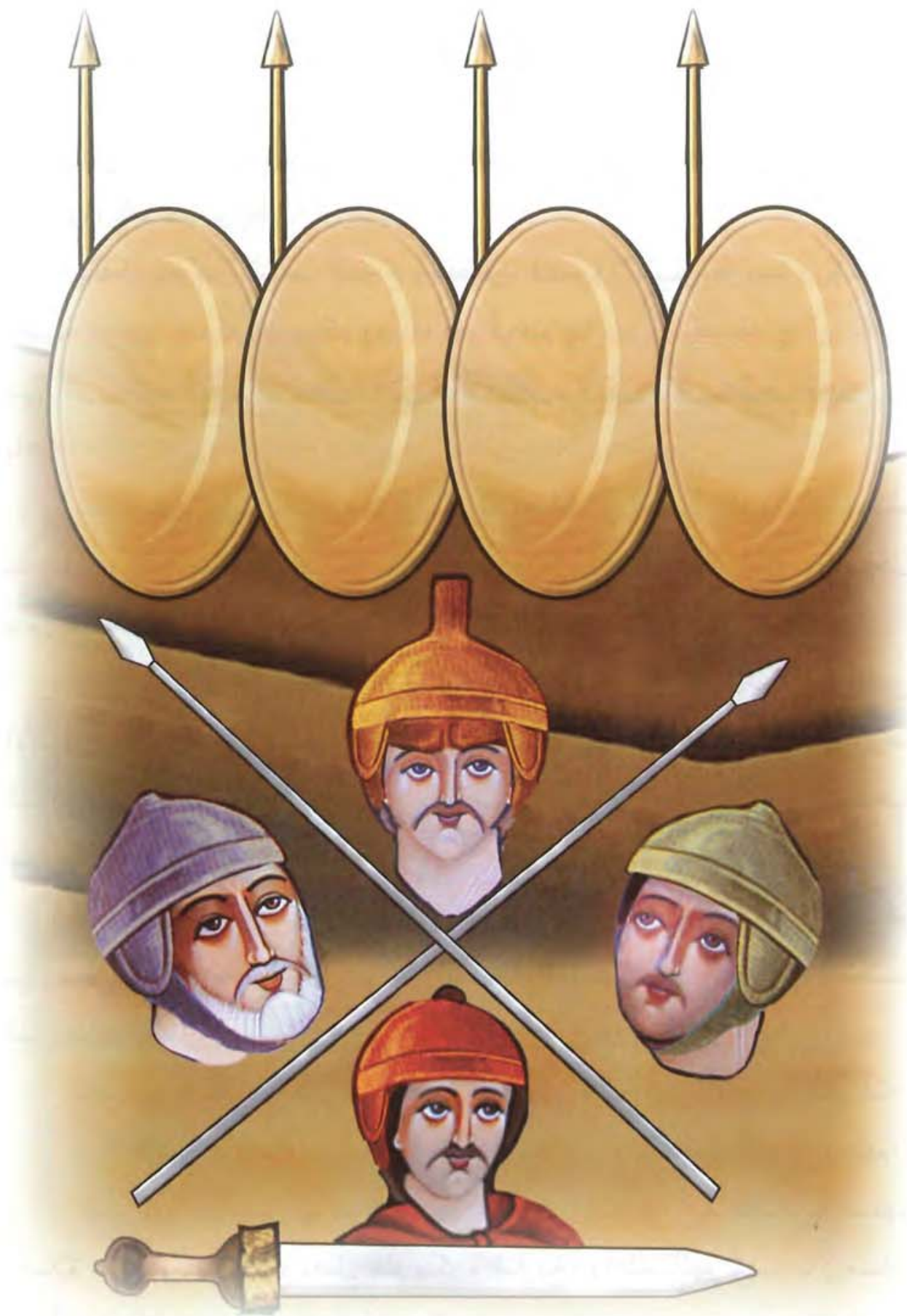
غضب أليفانا من أحيور، وبتهمكهم سخر به، إذ حسبه يظنّ في نفسه أنه نبيّ يتنبأ له ألا يُحاربهم، ودعاه مأجور اليهود، أي أجير مُرتزق، فلا يجوز أسره بل يلزم قتله.

طَلَبَ أليفانا من رجاله أن يمسكوه ويذهبوا به إلى الينابيع التي كانت أسفل بيت فلوى، ويربطوه ويتركوه هناك، لكي يستلمه اليهود، فيرى بعينه هزيمتهم وقتلهم وهو في وسطهم، وبعد ذلك يُقتل.

بالفعل جاءوا بأحيور إلى بيت فلوى، وأخذه اليهود إلى مدينة أورشليم. استضافه عزياً في بيته، وهو المُتقدّم بين قادة الشعب، وصنع له وليمة. روى أحيور لعزياً وللقادة حواراً مع أليفانا، ولعلّ يهوديت كانت تسمع له، وحسبت ذلك رسالة من قبل الله للعمل لإنقاذ الشعب.

كانت يهوديت امرأة يهودية جميلة الشكل وقوية الإيمان.

سجد الشعب لله، وصلّوا في انسحاق وطلبوا الخلاص.



١١٩- مُحاصَرة بيت فُلُوَي

(يهوديت ٧)

لم يكن مُمكنًا لأليفانا أن يقتحم مدينة أورشليم المُحصَّنة لأسباب جغرافية، فعسكر في بيت فُلُوَي، ويعني بيت البتولية، حيث ينابيع المياه، ليقطع المياه عن أورشليم، كما حاصر مدينة أورشليم.

بالفعل تعرَّض الشعب للجوع والعطش، فتذمَّروا على عَزَيَا ورؤساء المدينة قائلين: "ليحكُم الله بينكم وبيننا، فقد ألحقتم بنا ضررًا جسيمًا، إذ لم تُكَلِّموا بني أشور كلام سلام". وتذمَّروا على الله، قائلين: "والآن فليس لنا من مُعين، بل باعنا الله إلى أيديهم لنُصرعَ أمامهم في عطشٍ وهلاكٍ عظيمين".

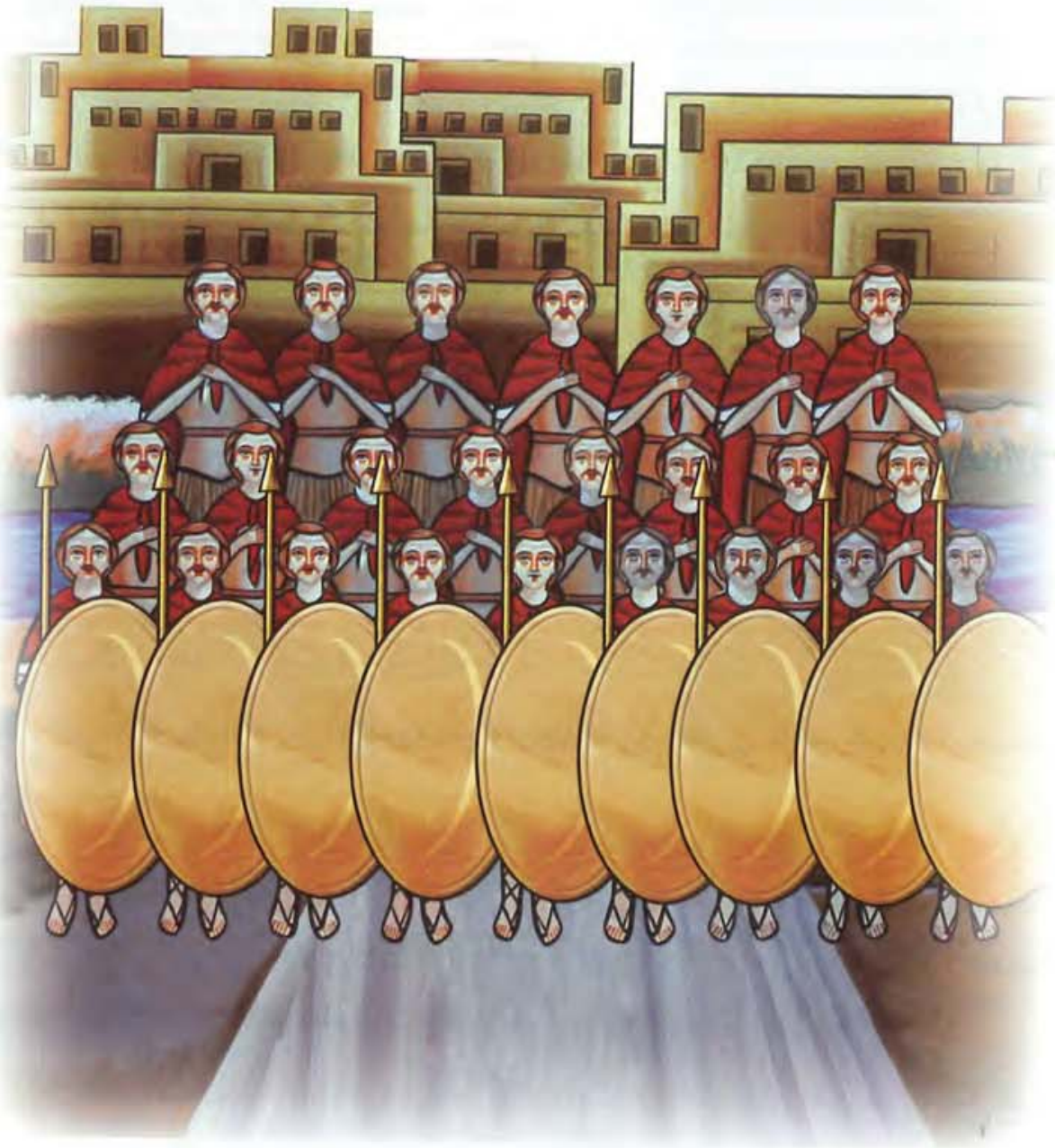
أخطأ عَزَيَا حيث حدَّد زمانًا مُعيَّنًا، خمسة أيام، لعمل الله وإلا يستسلم للأعداء، وذلك بسبب ضغط الشعب وثورته. ربما أراد عَزَيَا أن ينتظر حتى يحلَّ يوم السبت، فيقدِّم ذبائح وتقدِّمات لله لكي يُخلصهم.

سمعتُ يهوديت بأن عَزَيَا أقسم للشعب بتسليم المدينة بعد خمسة أيام إلى الأشوريين. فأرسلتُ وصيفتها الخاصة التي تقوم بتدبير شئون ممتلكاتها وأمورها المادية، ودعتُ شيوخ مدينتها ومن بينهم عَزَيَا، وواجهتهم بأن ما قالوه للشعب ليس صوابًا.

قالت لهم: "والآن فمنَ أنتم، حتى جرَّبتُم الله في هذا اليوم. وأقمتم أنفسكم في وسط البشر عوضَ الله؟... ما عدا ذلك كله، فلنشكر الرب إلهنا الذي يمتحننا كما امتحن آباءنا".

دفعتُ يهوديت التقيَّة القادة أن يحولوا التذمُّر إلى ذبائح شكرٍ لله صانع الخيرات. امتلأ الشيوخ سلامًا داخليًا وراحة صادقة، وطلب عَزَيَا منها أن تُصلي لأجلهم. أكَّدتُ لهم يهوديت أنها لم تستدعهم لتوبَّخهم وتنتقدهم، إنما لتطلب منهم الصلاة عنها، وأنها ستقوم بعملٍ هامٍ يذكره التاريخ، وأعلنت لهم أنها بالإيمان تَعَلَّم أن الله يُتمِّم الخلاص قبل التاريخ الذي حدَّده.

كانوا يتوقَّعون أن الله يُرسل أمطارًا عوض ينابيع المياه. أمَّا هي فطلبت صلواتهم عنها، ولم تكشف لهم عن خطَّتها، إنَّما اكتفت بالحديث معهم بالقدر الذي يُمكنها من الخروج من المدينة ودخولها دون أن يسألها حراس الأبواب، وطلبت السريَّة التامة، فلا يُفصحوا لأحدٍ عن دورها.



١٢٠- يهوديت في معسكر الجيش الأشوري

(يهوديت ١٠)

انطلقت يهوديت مع وصيفتها بالليل إلى معسكر الجيش الأشوري. فذهشوا لخروجهما إليهم دون خوفٍ، وطلبت منهم اللقاء مع أليفانا. أخبروه بما حدث، وتحدثوا معه عن جمالها الفائق. التقى بها ووجدتُ نعمةً في عينيه.

قالت له يهوديت إنها جاءت لتُخبره بأن تسليم المدينة قد اقترب أوانه تمامًا، وأنها ستُدبر له أمر تسليمها دون أن يفقد رجلاً واحداً من جيشه. وأنها تحتاج أن تأخذ تصريحاً بخروجها ودخولها من الخيمة التي تقيمان فيها إلى بيت فلوى لتمارسا التطهيرات حسب عادة ديانتها، فأعطى أمراً للمعسكر ألا يتعرّض لهما أحد.

كان القائد يشتهي اللقاء معها، أمّا هي فكانت تخرج بالليل وتعود لمدة ثلاثة أيام. وفي اليوم الرابع طلب منها القائد أن تقبل دعوته للوليمة مع كل قادة جيشه. وافقت على الدعوة، ففرح أليفانا جداً.

حضرت مع وصيفتها الوليمة، وبدأ أليفانا يشرب حتى سكر تماماً، فخرج القادة وتركوه معهما ليتصرف كما يحلو له.

فقد القائد وعيه. أمرت يهوديت وصيفتها الأمانة أن تبقى خارج المخدع، وتنتظر خروجها.

صلّت يهوديت، قائلة: "يارب، يا إله كل قوة، أنظر في هذه الساعة إلى أعمال يدي لرفع شأن أورشليم". ثم استلّت السيف (الخنجر) الذي على سريره، وبقوة ضربته مرتين فقطعت رأسه.

نزعت الناموسية التي فوق السرير، ولفّت بها الرأس حتى تؤكد أنه قُتل في عُقر داره، ووضعتها في جعبتها بيد وصيفتها.



كما ضرب الصبي داود رأس جليات الجبار بسيفه، ضربت يهوديت
الشابة الأرملة رأس أليفانا بسيفه، وكلاهما يشيران إلى عمل السيّد المسيح في
معركة الصليب. فقد ظنّ عدو الخير أنه قادر أن يتخلّص من السيّد المسيح
ويُحطّم مملكته بالصليب، فإذا بالصليب يُحطّم عدوّ الخير نفسه، وينزع عنه
سلطانه، ويشهر به. هكذا بالسيف الذي كان أليفانا يودّ أن يُحطّم به اسم الله
وشعبه قُطعتُ رأسه وفقد سلطانه، وصار في عارٍ وخزي.

خرجت يهوديت مع وصيفتها، وسارتا كما اعتادتتا في الليالي السابقة دون
أن يتعرّض لهما أحد، وبلغتا باب المدينة، فنادت يهوديت الحُرّاس وفتحوا لها.
أخبرت شيوخ المدينة ورئيس الكهنة وسبّحت الله على عمله معها، وكيف
أنجح الرب طريقها.

استلمت الأرملة الصغيرة مركز القيادة، فصارت خلال حياتها التقويّة
المُشيرة الناجحة للجيش، بل ولكل الشعب.

إذ رأى أحيور رأس أليفانا ارتعب جدًّا ومجّد الله وآمن بعمله وقدرته.
طلّبت يهوديت تعليق رأس أليفانا على قِمة أسوار المدينة، لكي يُدرك جيش
أليفانا بأن قائدهم قد قُتل!

بالفعل علّق الرأس على السور، وإذ ضرب بوق الحرب، دُهِش معسكر
الأشوريين، وطارقوا باب الخيمة التي فيها أليفانا فلم يُجب، وإذ فتحوا الباب
وجدوه قتيلاً منزوع الرأس فارتبكوا. اضطرب الجيش جدًّا، وهربوا من أمام
إسرائيل ولحقت بهم الهزيمة.

حوّلت يهوديت شعبها إلى جماعة شبه سماويّة، يتهلّلون لمدة ثلاثة أشهر
في عيدٍ لا ينقطع، وكأنهم قد عاشوا السماء عينها!

١٢١- يهوديت وحياء الصلاة والتسبيح

(يهوديت ٩، ١٣، ١٦)

كثيراً ما كانت يهوديت تُصلي وتُسبح الله، فقدّمت ثلاث صلوات: صلاة وسط الضيق، صلاة قبل العمل، وصلاة شكر.

الصلاة الأولى: أثناء الضيق وهي في مخدعها.

الصلاة الثانية: قبل بدء تنفيذ الخطة وهي في خيمة العدو.

الصلاة الثالثة: وهي تسبحة وشكر لله داخل المدينة وسط الشعب بعد

الانتصار.

قدّمت صلوات شخصية أينما وُجِدَتْ، وقدّمت صلوات وتسابيح جماعية مع الشعب! وعندما وُجِدَتْ في مكانٍ غريبٍ طلبت تصريحاً لها بالصلاة.

جاء في تسبحتها:

"أنشدوا لإلهي بالدُّفوف، رنّوا للربّ على الصنوج، انظموا له المزمور، والنشيد أشيدوا، وادعوا باسمه...

سأرنم لإلهي نشيداً جديداً.

ربّي، عظيم أنت، وممجّد، عجيب في القوّة، ولا يقوى عليك أحد."

تحوّلت الضيقة لمجد الله، وعود التذمّر قدّم الكل تسبحة شكر لله مُخلصهم.

بقي الشعب في بهجة عجيبة واحتفالات مُستمرة يحملون الغنائم من معسكر الآشوريين إلى مساكنهم مع تسبيح مُستمرّ وتهليل وتمجيد لله مُخلصهم، الآن انطلقوا في موكبٍ رائعٍ يتّجه نحو أورشليم ليقدّموا ذبائح الشكر والسلامة ويوفوا نذورهم وتقدماتهم.

قَدِّمَتْ يَهُودِيَّةُ اللَّهِ كُلَّ مَا أَعْطَاهَا الشَّعْبُ إِلَّا وَهِيَ أَمْتَعَةٌ أَلَيْفَانَا؛ إِذْ لَمْ تَذْهَبْ لِنَقْتَتِي غَنِيمَةً مَا، وَلَا أُرْسَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أَحَدًا يَحْمِلُ لَهَا شَيْئًا، لَكِنَّ الشَّعْبَ شَعَرَ أَنَّ مَنْ وَاجِبُهُ أَنْ يَحْمِلَ لَهَا أَمْتَعَةً هَذَا الْقَائِدُ الْمُكْسِرُ.

قَامَتْ بِدَوْرَهَا تُقَدِّمُ كُلَّ مَا سَلَّمَهُ إِلَيْهَا الشَّعْبُ، لِتُعْلَنَ أَنَّهُ لَا فَضْلَ لَهَا فِي النُّصْرَةِ، إِنَّمَا هُوَ عَمَلُ اللَّهِ نَفْسَهُ، وَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ الشُّكْرَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ.

أَرَادَتْ أَنْ تَوْضَعَ هَذِهِ الْغَنَائِمَ فِي الْهَيْكَلِ لِكَيْ تَذْكَرَ الْأَجْيَالُ الْقَادِمَةَ عَمَلُ اللَّهِ مَعَ شَعْبِهِ. هَذَا وَمِمَّا يَجْدُرُ بِالذِّكْرِ أَنَّ هَيْكَلَ أُورَشَلِيمَ كَانَ مُكَدَّسًا بِمِثْلِ هَذِهِ الْهَدَايَا وَالْغَنَائِمِ، مَا جَعَلَهُ مَطْمَعًا لِكُلِّ وَثْنِي وَطَامِعٍ.

كَانَ الْيَهُودُ يَقْرَأُونَ فِي عِيدِ الْحَانُوكَا (التَّجْدِيدِ) سَفْرَ يَهُودِيَّةٍ، وَفِي عِيدِ الْفِصْحِ سَفْرَ نَشِيدِ الْأَنْشِيدِ، وَفِي عِيدِ الْحِصَادِ سَفْرَ رَاعُوثَ، وَفِي عِيدِ الْمِظَالِ سَفْرَ الْجَامِعَةِ، وَفِي عِيدِ الْفُورِيمِ سَفْرَ أُسْتِيرَ، وَفِي ذِكْرِ خِرَابِ الْهَيْكَلِ مِرَاثِي إِرْمِيَا.

" سَبِّحُوا الرَّبَّ بِالْذُّفُوفِ، رَتِّمُوا لِلرَّبِّ عَلَى الصُّنُوجِ "
(يَهُودِيَّت ١٦ : ٢)



١٢٢- أخاب ملك إسرائيل وإيليا النبي

(١ ملوك ١٧ - ١٨)

أحبَّ أخاب ملك إسرائيل إيزابيل ابنة أثبعل ملك صيدون وتزوجها. كان أخاب من أشرِّ ملوك إسرائيل، وكانت إيزابيل امرأته وأبوها كاهنين للبعل.

كان أهل صيدون (الفينيقيون) رجال بحر ماهرين، كما كانوا ماهرين في البناء وفي كثير من الصناعات. كانوا يظنون أن الإله "البعل" يحميهم من العواصف أثناء إبحارهم، ويهبهم الأمطار للزراعة والشُّرب. لذلك كانوا يختارون الأماكن المرتفعة ذات المناظر الجميلة، فيبنون عليها معابد فاخرة

مُزخرفة لهذا الإله. وكانت النساء يُلقين أطفالهن في نيران المذابح كذبيحة له!

قالت الملكة إيزابيل: "عزيزي أخاب، لقد أحضرتُ معي عددًا قليلاً من الكهنة من صيدا ليعبدوا معي الإله بعل. وسنبنى له هيكلًا صغيرًا وجميلًا هنا بجوار القصر على قمة التلّ، فما رأيك؟! " أجاب أخاب وقد سحره جمالها وأناقته وملابسها الجميلة وجواهرها الثمينة: "حتمًا، كل ما تقولينه هو عين الصواب!".

قالت إيزابيل لكهنتها:

"عمَّنَا الأول والأخير هو أن نحطِّم عبادة إلههم تمامًا.

وإذ يتعبّد الملك أخاب معنا للبعل، فسيشترك الكثير من الشعب في عبادته

جنبًا إلى جنب مع عبادة إلههم.

أمّا القلّة التي ترفض ذلك، فسنقتلها ونستريح منها!".

حقّقت إيزابيل خطتها بكل مهارة؛ بنى أخاب مذبحًا للبعل في العاصمة

(السامرة)، حتى صارت أحد مراكز عبادة البعل الرئيسيّة، فكان الشعب يعبد

البعل وزوجته عشتاروت. وكانت الذبائح مُستمرة والنيران لم تُطفأ قطّ، يعمل

الكهنة وهم حُفاة، يرقصون ويُقبلون الصنم كجزء رئيسي من العبادة.

بدأت إيزابيل تنشر عبادة البعل بالقوّة الجبريّة.

هَدَمَتِ المَذَابِحَ، وَقَتَلَتْ كَثِيرِينَ خَاصَّةً الأَنْبِيَاءَ، حَتَّى لَا يَوجَدُ مَوْضِعٌ لِعِبَادَةِ
اللهِ، وَلَا صَوْتٌ يُبَكِّتُ ضَمِيرَ المَلِكِ وَرِجَالِهِ وَشَعْبِهِ، حَتَّى بَدَتْ مَمْلَكَةُ إِسْرَائِيلَ
مَمْلَكَةً وَثَنِيَّةً تَتَعَبَّدُ لِلْبَعْلِ.

فِي وَسْطِ هَذَا الجَوِّ الحَالِكِ الظُّلْمَةِ، بَعَثَ اللهُ بِنَبِيِّ عَجِيبٍ، إِيلِيَا التَّشْبِي، عَلَى
مَرْتَفَعَاتِ جَلْعَادَ، شَرْقَ نَهْرِ الأُرْدُنِّ. كَانَ يَعْيشُ فِي عَزْلَةٍ، وَكَانَتْ ثِيَابُهُ بِسِيطَةٍ،
عِبَارَةٌ عَنِ ثَوْبِ خَشْنٍ، وَقَدْ شَدَّهُ بِحِزَامٍ مِنَ الجِلْدِ. يَتَعَبَّدُ اللهُ وَيُفَكِّرُ فِيهِ، دَوْرَهُ فِي
الحَيَاةِ هُوَ الدِّفَاعُ عَنِ الإِيمَانِ بِاللهِ الحَقِيقِيِّ ضِدَّ عِبْدَةِ البَعْلِ مَهْمَا كَلَّفَهُ الثَّمَنَ.

لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ جَرِيئًا بَيْنَ مَلُوكِ إِسْرَائِيلَ فِي ارْتِكَابِ الخَطِيئَةِ مِثْلَ أَخَابَ، وَلَمْ
يَوجَدِ نَبِيٌّ جَرِيءٌ وَنَارِيٌّ مِثْلَ إِيلِيَا، الصَّوْتِ الصَّارِخِ الَّذِي يَشْهَدُ اللهُ.
أَرْسَلَ اللهُ إِيلِيَا النَّبِيَّ إِلَى السَّامِرَةِ لِيُوبِّخَ المَلِكَ أَخَابَ عَلَى شَرِّهِ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ
أَنْ يَكْفَرَ عَنِ عِبَادَةِ البَعْلِ، وَيَرْجِعَ إِلَى اللهُ بِالتَّوْبَةِ.

تَطَلَّعَ إِيلِيَا مِنْ بَعِيدٍ إِلَى بَوَابَةِ القَصْرِ الضَّخْمَةِ القَائِمَةِ عَلَى قِمَّةِ تَلٍّ عَظِيمٍ،
وَقَدْ أَحَاطَ بِهَا جُنْدٌ مُسَلَّحُونَ.

فَجَاءَتْ سَمْعَ أصْوَاتِ الأبْوَابِ الفُضِيَّةِ تُضْرَبُ، وَخَرَجَ مِنْ "البَوَابَةِ" مَوْكَبٌ
ضَخْمٌ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ يَرْتَدُونَ مَلَابِسَ نَاصِعَةٍ. إِنَّهُ مَوْكَبٌ كَهَنَةٌ وَكَاهِنَاتٌ البَعْلِ،
تَحْتَ قِيَادَةِ إِيزَابِيلِ المَلِكَةِ. فَقَدْ خَرَجَتْ تَتَقَدَّمُهُمْ بِثَوْبِهَا الأَرْجَوَانِيِّ والقَرْمِزِيِّ
الجَمِيلِ، وَقَدْ وَضَعَتْ طَوْقًا ذَهَبِيًّا عَلَى صَدْرِهَا يَحْمِلُ صُورَةَ إِنْسَانٍ يَجْلِسُ عَلَى
ثَوْرٍ، يَحْمِلُ حِزْمَةً مِنَ الصَّوَاعِقِ عَلَى رَأْسِهِ.

كَانَ المَوْكَبُ يَتَحَرَّكُ نَحْوَ هَيْكَلِ البَعْلِ القَرِيبِ مِنَ القَصْرِ، وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ
غَابَةُ مِنَ الأشْجَارِ.

أُصِيبَ إِيلِيَا النَّبِيُّ بِأَشْمُئِزَازٍ وَنَوْعٍ مِنَ الغَثِيَانِ. لَقَدْ تَوَقَّفَ يُفَكِّرُ، كَيْفَ يَقْدِرُ
أَنْ يَدْخُلَ القَصْرَ القَائِمَ عَلَى قِمَّةِ التَّلِّ لِكِي يُوَبِّخَ المَلِكَ عَلَى تَرْكِهِ عِبَادَةَ اللهُ الحَيِّ.
وَكَانَ إِيلِيَا مُطْمَئِنًّا أَنَّ اللهُ الَّذِي أَرْسَلَهُ يَقْدِرُ أَنْ يُحَقِّقَ بِهِ رِسَالَتَهُ.

إذ عَبَرَ الموكب، صعد إيليا إلى قمّةٍ دون أن يُلاحظ الجُنْد، إذ كانت كل أنظارهم مُتّجهة نحو الملكة ومنّ حولها. تسلَّل إيليا إلى الصالة المفتوحة وأسرع تجاه حُجرة العرش. كان إيليا حافي القدمين، سريع الحركة، بلغ الحجرة قبل أن يراه الملك.

تطلَّع إيليا إلى الملك، وصار صوته يدوي في كل أركان القصر المصنوع من الرخام والمُزيّن بالعاج والحجارة الكريمة: "حيّ هو الرب إله إسرائيل الذي وقفتُ أمامه، أنه لا يكون ظلّ ولا مطر في هذه السنين، إلّا عند قولي".

تحدّث إيليا إلى الملك علانيّة، لأن الشرّ قد بلغ إلى كل الشعب، وصارت الحاجة إلى صرخة قويّة لكي يرجع الكل إلى الله.

يؤكد إيليا النبي هنا إمكانيّة الصلاة، فإنّه يغلق أبواب السماء ثلاثة سنين ونصف، ولن تستطيع الآلهة الوثنيّة أن تفتحها، بل عندما يسمح الله بذلك: "عند قولي".

جاء في كثير من الكتابات اليهوديّة القديمة كالتلمود أنّه حدث حوار وتحدّ بين الملك وإيليا. تحدّى الملك إيليا بأن اللعنة التي أعلنها موسى عن الجفاف لن تتحقّق، مُعتمداً على آلهته. لذلك أكدّ إيليا إمكانيّة تحقيقها.

أعطى إيليا ظهره للملك، وأسرع إلى خارج القصر، بينما كان الملك في حالة ذهول. فقد احمرّ وجهه وثار، ثم قام من العرش، وصار يصرخ: "أيّها الحُرّاس، أيّها الحُرّاس، امسكوه!".

فوجئ الملك بانسحاب السُحب من السماء وتوقّف المطر تماماً. حلّ جفاف بالعاصمة وكل البلاد، فصار عناء شديد على الجميع.



١٢٣- الرَّجُلُ الَّذِي أَطْعَمَهُ الْغُرْبَانَ

(١ ملوك ١٧ : ١ - ٧)

عادت إيزابيل من هيكل البعل إلى القصر، فوجدت رجُلها في حيرة وارتباك. سألته عن السبب، فروى لها ما حدث مع إيليا. ارتجفت إيزابيل وهي تقول:

"إنه كالذئب يعيش وسط التلال، لكنه لن يفلت من يدي. إنني سأقتله. لا تخف يا أخاب، أنا أعلم أنه مُختفٍ وسط الصحراء بين الجبال والتلال، لكنني لن أهدأ حتى آتي إليك برأسه. أين يهرب مني؟ إنني ملكة قويّة!".

إذ عبَرَ إيليا نهر الأردن إلى جلعاد لم يكن مُمكنًا له أن يستقرّ في أيّة قرية، حتى لا يكتشف الجند مكانه.

قبيل الشروق بلغ إيليا إلى مجرى نهر صغير يُدعى كَرِيث، وكان جائعًا ومُرهبًا جدًّا. إنه لا يخشى العزلة ولا حياة الصحراء أو الجبال، فقد اعتاد عليها، لكنه من أين يأتي بطعامٍ يقات به والموضع معزول؟!

رفع إيليا النبي عينيه نحو السماء وصلى، قائلاً: "أشكرك يارب لأنك حفظتني حتى هذه اللحظة. أنا واثق أنك تعنتي بي. ثبتّ إيماني فيك!".

شرب إيليا من مياه المجرى، وسُرعان ما وجد الغربان تحوم حوله، وكأنها جاءت تُحييه على أمانته في خدمة الله خالق الكل. اقتربت بعض الغربان إليه جدًّا، وقد أمسك أحدها بخبزة وآخر بقطعة لحم مطهية. فبسط إيليا يده وتقبّل الطعام من الغربان بابتسامة لطيفة.

قضى إيليا النبي أيامًا سعيدة يشعر فيها أن الله قد أرسل له الغربان كأصدقاء له، تنزع عنه الشعور بالعزلة، وتقدّم له طعامًا كل يوم.

استيقظ إيليا على صوت هواء شديد جدًّا، فخرج من مغارته ليُراقب الجو، لكن سرعان ما حدثت عاصفة رملية، ولم يسقط مطر.

كان الفلاحون في حُزنٍ شديدٍ، فقد حُرِموا من الزراعة بسبب ما حلَّ بالبلاد من جفاف، حتى الأشجار الخضراء بدأت تجفّ، وتساقطت أوراقها، وضعت الحيوانات للغاية. الكل يحتاج إلى ماء، ولكن بلا جدوى، إذ توقفت الأمطار تمامًا.



١٢٤- أرملة فقيرة في صرفة

(١ ملوك ١٧)

صار إيليا يُراقب مجرى النهر "كْرِيث"، فقد كانت مياهه تتبخّر كل يوم بسبب شدة حرارة الشمس، وكان المجرى يجفّ، حتى حيوانات البرية بالكاد تجد ماءً لترتوي.

جفّ النهر تمامًا، فصرخ إيليا إلى الله يسأله: "ماذا أفعل يارب؟".

طلب الله من إيليا أن يترك الموضع ويرحل نحو الشمال الغربي ليجد أرملة فقيرة عند قرية صرفة التي لصيّدون سوف تعوله. لم يسأل إيليا النبي كيف يمكن لأرملة فقيرة وسط هذا الجفاف أن تعوله، لكنه بإيمان اتّجه نحو قرية صرفة.

سار إيليا النبي حتى وصل إلى باب المدينة، وقد شعر بالتعب والجوع والعطش.

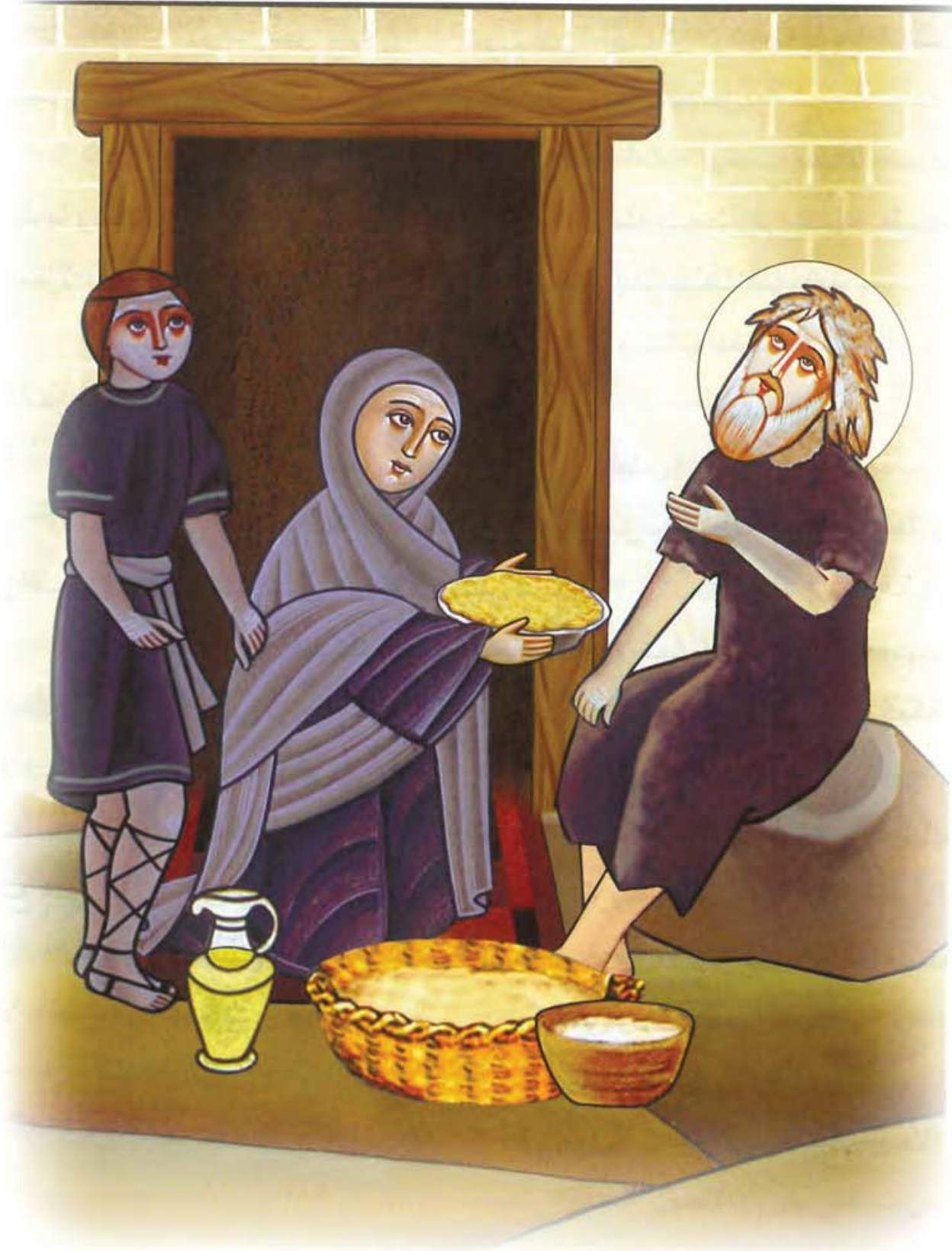
رأى إيليا الأرملة الفقيرة التي كان يبحث عنها، وكانت تقش عيدانًا لتشعل بها نارًا تطبخ عليها.

سألها النبي: "أرجوك، أتستطيعين أن تعطيني قليل ماءٍ لأشرب؟" تطلّعت إليه الأرملة، وقد لاحظ النبي على وجهها أنها جائعة. إذ تحرّكت الأرملة نحو الباب قال لها إيليا: "أرجوك، عندما تحضرين ماء، أتستطيعين أن تقدّمي لي كسرة خبز؟!".

صمّمت المرأة إلى لحظات طويلة، ثم قالت له:

"إنني أعرف أنك خادم الله الحقيقي، وأنا أودّ أن أساعدك.

حيّ هو الرب، إنه ليس عندي خبز، لكن عندي ملء كفّ من الدقيق في الكوار وقليل من الزيت في الكوز، وهأنذا أقش عودين لآتي وأعمل كعكة لي ولابني، لنأكلها ثم نموت".



فقال لها إيليا: "لا تخافي، اعلمي لي منها كعكة صغيرة أولاً، واخرجي بها إليّ، ثم اعلمي لكِ ولابنك. لأنه هكذا يقول الله: إن كوار الدقيق لا يفرغ، وكوز الزيت لا ينقص إلى اليوم الذي يُعطي الرب مطراً على الأرض".

اتّجهت الأرملة نحو باب المدينة دون أن تتطرق بكلمة. تبعها إيليا النبي وسار معها في حواري المدينة حتى بلغ منزلها الصغير الضيق.

دخل إيليا من باب المنزل الخشبي حيث وجد أمامه درجات سلم صعد عليها ودخل الحجرة التي في أعلى المنزل. أمّا الأرملة فذهبت إلى فناء خلف المنزل، وأوقدت ناراً بالقش الذي جمعته، ووضعت إناءً خزفيّاً على النار.

دخلت المنزل لتضع جزءاً من الدقيق في إناء وتسكب بعضاً من الزيت لتعجن الكعكة، ثم قامت بطهيها.

وفي صمتٍ قدّمت الكعكة مع كوب ماء إلى إيليا.

أحنى النبي رأسه وشكر الأرملة الغريبة الجنس، ثم تطلّع إليها فوجدها قد وقفت في مكانها كأنها تنتظر أن يفعل النبي شيئاً.

سألها إيليا النبي: "لماذا لم تصنعي كعكة لكِ ولابنك؟! وكانت إجابتها عملية، إذ انطلقت إلى كوار الدقيق وكوز الزيت لتأخذ كل ما بهما وتصنع كعكة. فأخذت ما يكفي الكعكة وبقي في الكوار دقيقاً وفي الكوز زيتاً.

إذ طهت الكعكة عادت إلى النبي تقول له: "إنك رجلٌ الله، وأنا أومن بإلهك مع إنني غريبة الجنس. فإنه قد بارأك في الدقيق والزيت".

أجابها إيليا النبي: "حيُّ هو الرب، إن كوار الدقيق لا يفرغ، وكوز الزيت لا ينقص إلى اليوم الذي يُعطي الرب مطراً على وجه الأرض".

١٢٥- إقامة ابن الأرملة

(١ ملوك ١٧)

تمتعت هذه الأرملة بأول معجزة وردت في الكتاب المقدس عن مباركة الطعام بفيض، كما تمتعت أيضاً بأن تعول العظيم في الأنبياء إيليا، الأمر الذي يشتهيهِ المؤمنون حتى هذه اللحظة. لكن فجأة مرض ابنها، واشتد مرضه جداً حتى لم تبق فيه نسمة.

لم تستطع أن تبلغ إيليا عن مرضه وهو في العلية، بل تحدثت معه بعد أن مات ابنها في حضنها.

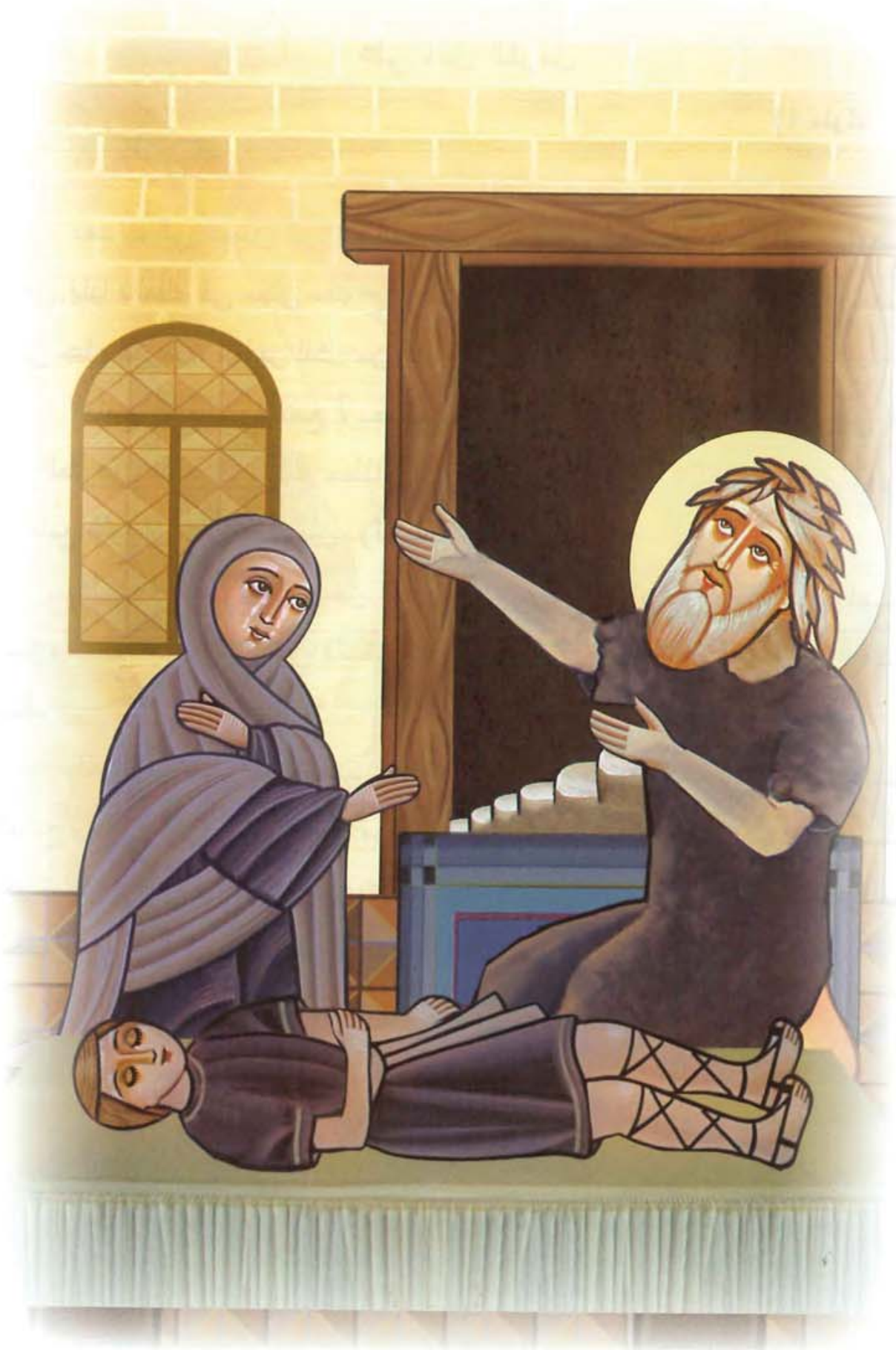
إذ تعلمت أن السماء تُغلق بالنسبة للأرض المخطئة، خشيت أن تكون قد أخطأت في حق الله وفي حق نبيه. خافت لئلا يكون هلاك ابنها بسبب خطية ارتكبتها. لذلك قالت لإيليا: "ما لي ولك يا رجل الله، هل جئت إلي لتذكير إثمي وإماتة ابني؟".

تحرك قلب إيليا، وفي إيمان طلب من الله أن يرد إليه نفسه. إنه أول نبي طلب بجرأة ودالة لدى الله أن ترجع نفس إنسان ميت إلى جسده. إذ قال لها: أعطيني ابنك، وأخذه من حضنها، وصعد به إلى العلية التي كان مقيماً بها، وأضجعه على سريرته. وصرخ إلى الرب، وقال: "أيها الرب إلهي، ألياً إلى الأرملة التي أنا نازلٌ عندها قد أسأت بإماتتك ابنها؟".

فتمدد على الولد ثلاث مرات، وصرخ إلى الرب، وقال يارب إلهي لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه.

انحنى ثلاث مرات، مظهرًا سرّ الثالوث. فالثالوث كله ردّ لابن الأرملة الأممية الحياة. هذا يتحقق في سرّ العمد، حيث يُغطس الإنسان في الماء ثلاث مرات لكي يقوم بالإنسان الجديد.

سمع الرب لصوت إيليا، فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش.
أخذ إيليا الولد، ونزل به من العُلَيَّة إلى البيت ودفعه لأمه، وقال إيليا:
"انظري ابنك حي". فقالت المرأة لإيليا: "الآن علمت أنك رجل الله، وأن كلام
الرب في فمك حق".



١٢٦- لقاء إيليا النبي ومعه كل الشعب

على جبل الكرمل

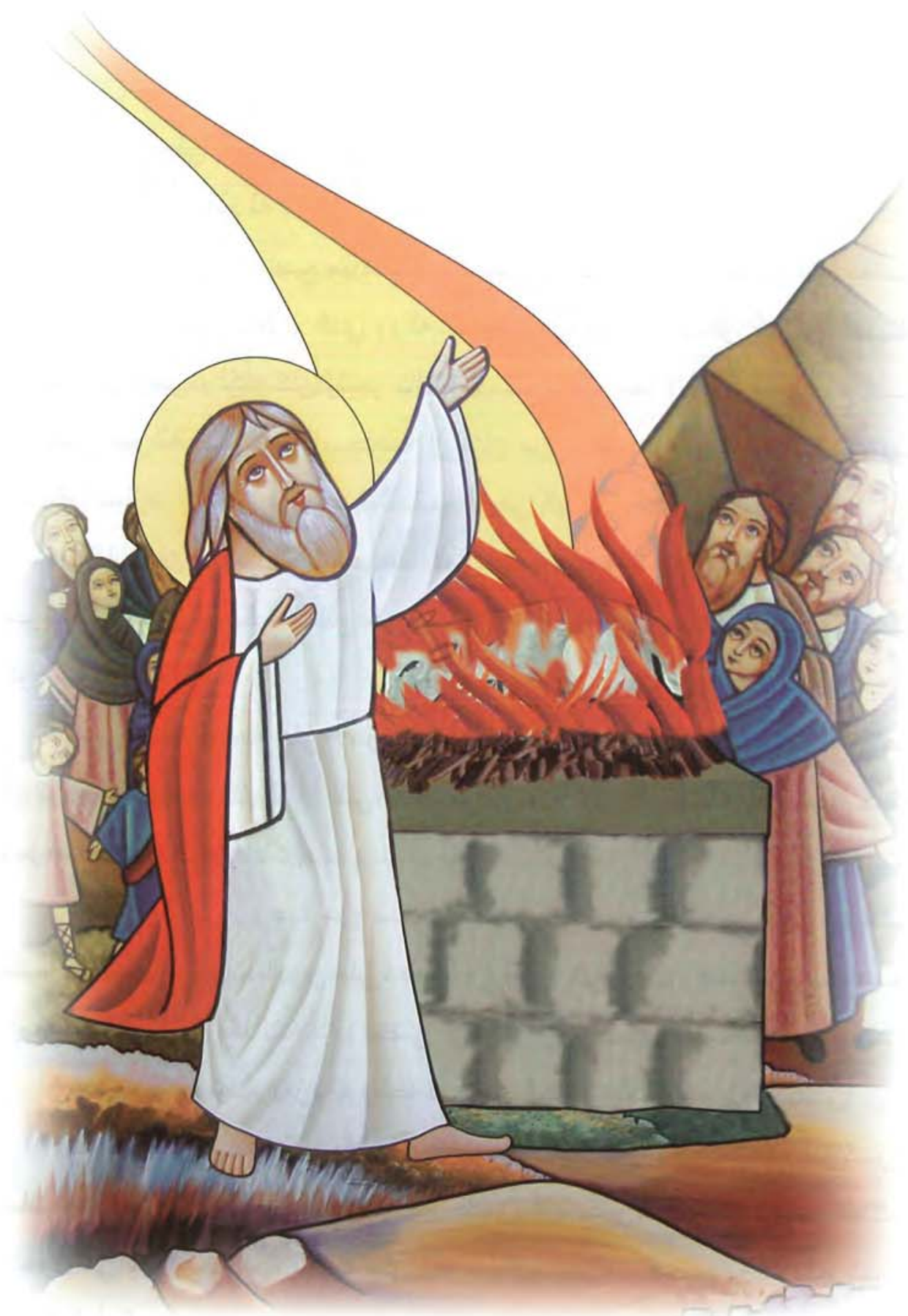
(١ ملوك ١٨)

بعد حوالي عامين أمر الله إيليا النبي أن يلتقي مع أخاب الملك. وبالفعل التقى إيليا بالملك في مكانٍ مفتوحٍ، وطلب منه أن يدعو كل الشعب للقاء معه على جبل الكرمل، ليُظهر للكل من هو الإله الحقيقي.

اجتمع الشعب واجتمع أربعمئة وخمسون كاهناً للبعل مُقابل إيليا. بنى كل من الطرفين مذبحاً، ووُضع حطباً على المذبح لكل منهما، وذبح كل منهما ثوراً، ووُضع الثوران على المذبحين، ولم يأت أحد بنار.

بدأ كهنة البعل يطلبون من البعل أن يرسل ناراً للذبيحة، فلم يُستجب لهم. صاروا يصرخون إليه دون فائدة. صار إيليا يحثهم على الصراخ لعل البعل نائمٌ.

طلب إيليا النبي أن تُسكب كمية مياه كثيرة على الذبيحة وتنساب على المذبح وحوله حتى لا يشك أحد من وجود نارٍ مخفية. وإذ رفع قلبه وصلّى بغيرة، نزلت نار في الحال التهمت الذبيحة والحطب، بل وحتى المذبح المبني من الحجارة. صرخ كل الشعب: "الرب هو الله. إنه الإله القدير الأبدي!".



١٢٧- قتل وورث!

(١ ملوك ٢١)

كان أخاب ملك إسرائيل مشغولاً بقصوره وحدائقه، فاشتهى أن يفتي كرم نابوت اليزرعيلي الملاصق لقصره الشتوي في يزرعيل. كان مُستعداً أن يدفع الثمن لنابوت أو يُقدّم له كرمًا آخر عوضاً عنه.

رفض نابوت أن يبيع ميراث آبائه. كان نابوت إسرائيلياً يخاف الله، يعتز بميراث آبائه، حتى بالكرم الذي ورثه. لم يكن في قلب نابوت أن يُهين الملك أو يخالف أوامره، لكنه كان يشعر بالالتزام بتنفيذ الشريعة الإلهية التي تمنع بيع الشخص ميراثه لآخر نهائياً، خاصة إن كان من سبط آخر. وإن باعه لسبب أو آخر يسترد الأرض في السنة السابعة أو في اليوبيل.

هذا وكان نابوت يعلم انحراف الملك إلى عبادة الأوثان، فلم يرد أن يُدنس ميراث آبائه بأن يُقيم فيه الملك أصناماً وثنية. رفضه للبيع قائم على طاعته للوصية الإلهية.

ألقى أخاب بنفسه على السرير، وأعطى وجهه للحائط، ربّما لأنه لا يريد أن يرى أحد وجهه كئيباً، أو لكي لا يُعطي فرصة لأحد أن يسأله عن سبب كآبته ومرضه. وامتنع عن الأكل.

سألت إيزابيل زوجها عن سبب كآبته وامتناعه عن الطعام. فأخبرها بما حدث بينه وبين نابوت اليزرعيلي، دون أن يشير إلى سبب رفضه البيع، وهو "الوصية الإلهية"، ربّما لأنه كان يخشى أن يشير إلى الله في حديثه معها. تحت مظهر تقديم تعزية وراحة لزوجها الحزين غدت كبرياءه.

لقد حسبت في تصرفه هذا وفي كآبته وامتناعه عن الطعام إهانة لمركزه كملكٍ صاحب سلطان، يأمر وينهي، فإن الأمر أقل بكثير من أن يُفكر فيه الملك. الدخول في حوار مع أحد العامة مثل نابوت، في نظرها، فيه مهانة له ولعرشه وتاجه الملوكي.

إنه لا يليق به أن يُحاوَر ويبيع ويشترى، إنما يأمر فيُطاع.

هكذا أعطت للملك درسًا في التشامخ والعجرفة واستغلال السُلطة. أخبرته أنها وهى الملكة ستُقدِّم له الكرم بلا تعبٍ وبدون مُقابلٍ.

بعثت الملكة برسالة إلى الشيوخ والرؤساء الذين في يزرعيل على بعد حوالي ٧ أميال، مختومةً باسم الملك أخاب.

كتبت رسالتها إليهم تطلب فيها تدبير شهادة زور ضدَّ نابوت والحكم عليه بالموت، دون أن تُقدِّم السبب لفعل هذا.

لم تُرسل شهود زورٍ من قبلها، بل طُلبت من القضاة أن يبحثوا هم عن شهود زورٍ، ثم يصدروا الحُكم وهم عارفون أنه يقوم على شهادة كاذبة.

طلبت إيزابيل الشريرة أن يُنادي القضاة بصومٍ، كأن الأمر خطير للغاية ويتطلب تضرُّعًا وتذللًا أمام الله. لم يكن هذا الصوم من قبل الله للتوبة والندامة والرجوع إليه، وإنما من قبل كاهنة وثن شريرة لكي تغلف شرُّها بغلاف مُخادع.

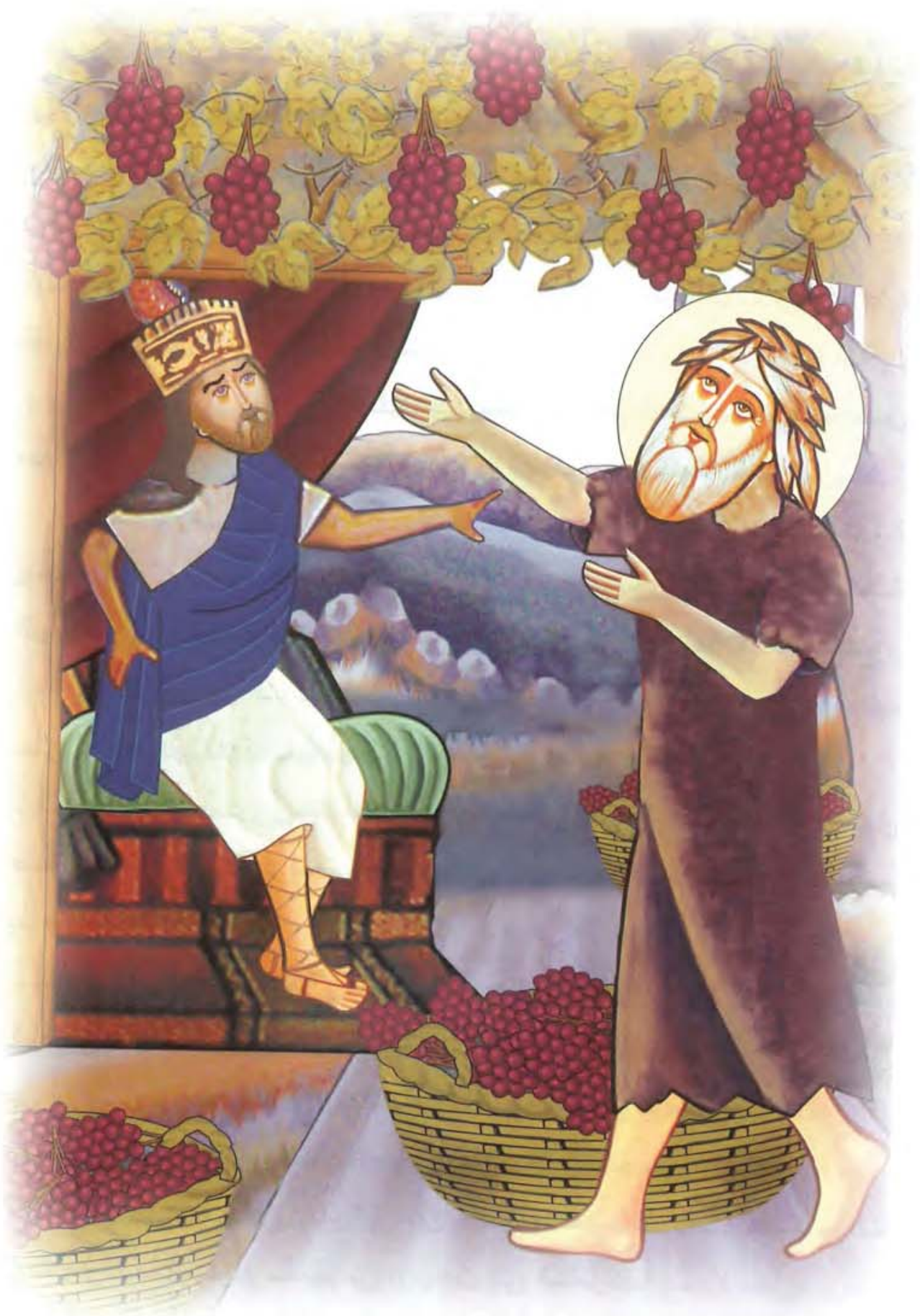
خطَّطت إيزابيل الشريرة لقتله. اتَّهمته كاهنة البعل بأنه مُجدِّف على اسم الله وعلى الملك، كأن قاتلة الأنبياء مُهتمةً باسم الله.

هذا ما كان يمكن أن يتمَّ لولا معرفتها التامة أنَّ القضاة أناس فاقدي الضمير، بلا أمانة ولا كرامة. كتبت بأسلوب يُفهم منه تأكدها التام من طاعتهم لها على حساب الحقِّ.

تمَّت خطة إيزابيل بدقَّة وهى في قصرها لم ترَ شيئًا، بينما الله ضابط الكل والمُحامي عن المظلومين كان يُراقب كل الأحداث. إنه يسمح أحيانًا ولكن إلى حين أن يكون لإبليس سلطان، فيبثَّ شرُّه ظانًا أنه قادر أن يُسيطر.

خطَّطت إيزابيل وأحكمت الخطة، وقام المُنافقون بتنفيذها.

أرسل الشيوخ يُبشِّرون إيزابيل بأن خطَّتها قد تمَّت بكل دقَّة، فقد مات نابوت وأولاده. أرسلوا رسالتهم من يزرعيل إلى السامرة.



في شيءٍ من المرح انطلقت إيزابل تخبر أخاب بأن نابوت ليس بموجود بعد، بل هو ميّت، وتسأله أن يقوم ويملك الكرم.

لم يكن من حقّ الملك أن يرث كرم نابوت. لكن حسب التقليد كانت ممتلكات الخائنين للملك متى قُتلوا يرثها الملك.

كان من المتوقع أن يُرسل الملك أحد رجاله ليستلم الكرم، لكن إذ كان مُتهللاً بما حدث نزل بنفسه إلى الكرم لكي يرثه.

في اليوم التالي أرسل الله إيلياً النبي إلى الملك المُشترك في جريمة القتل لكي يرث. لم يتمتع بالكرم أكثر من ساعات قليلة، قبل أن يضع خطته لتجميل الكرم كان القضاء الإلهي قد صدر ضده.

لاحظ أخاب على وجه إيلياً علامات الغضب والثورة، وأدرك أن الله بعثه ليُقدّم رسالة مُرّة. لهذا حسبه عدوّه، فقال له: "هل وجدنتي يا عدوّي؟"، لقد ظنّ الملك أنه توجد عداوة شخصيّة بينه وبين النبي، لكن إيلياً النبي أوضح له أنه هو عدوّ نفسه، إذ باعها للشرّ في عيني الرب.

جعلت الخطيّة من الملك إنساناً جباناً، كمن يهرب من مواجهة الحقّ، لذا في رُعبٍ قال لإيلياً: "هل وجدنتي يا عدوّي؟" أجابه: "قد وجدتك"، فإنك لن تقدر أن تهرب من عيني الله ولا من يده... لقد أرسلني إليك. هكذا قال الرب: هل قتلت وورثت أيضاً؟ في المكان الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس الكلاب دمك أنت أيضاً".

إذ سمع أخاب الحكم الإلهي على فم إيلياً النبي قدّم توبة مؤقتة؛ مزق ثيابه، ولبس المسوح وصام، وكان يسير حافي القدمين في صمت.

قال الله في رحمته الفائقة لإيلياً النبي: "هل رأيت كيف اتضع أخابُ أمامي؟! فمن أجل أنه قد اتضع أمامي، لا أجلب الشرّ في أيامه، بل في أيام ابنه أجلب الشرّ على بيته".

فيما بعد جاءت رسالة من "ياهو" الذي مَلَكَ على إسرائيل بعد ذلك إلى رؤساء يزرعيل الشيوخ يقول لهم فيها: "إن كنتم لي وسمعتم لقولي، فخذوا رؤوس الرِّجال بني سيِّدكم (أخآب) وتعالوا إليّ في نحو هذا الوقت غدا إلى يزرعيل". هكذا قتل الشيوخ أولاد أخآب السبعين، ووضعوا رؤوسهم في سلال، وأرسلوها إلى يزرعيل. بالكيل الذي كآلت به إيزابيل كُيِّل لها به، ومن ذات الكأس التي ملأتها شربت.

١٢٨- مركبة نارية تحمل إيليا إلى السماء

(٢ ملوك ٢)

شخصية إيليا النبي فريدة، وردت أحداث حياته في الكتاب المقدس غالباً ما تحمل عنصر المفاجأة، فظنّ بعض مُعلّمي اليهود أنه ملاك كان يظهر فجأة في شكل بشريّ ثم يختفي.

ظهر في التاريخ فجأة، ولا نعرف شيئاً عن أسرته. وصعد في المركبة النارية فجأة. وظهر مع السيّد المسيح فجأة في تجليّه. كما كانت تحركاته جميعها تحمل ذات العنصر، مثل لقائه مع أخاب الملك لإيقاف المطر، ومع ملاك يُطعمه .. الخ.

دعاه بعضهم "طائر السماء"، يطير في العالم لتحقيق رسائل سماوية. وجاء في التقليد اليهودي أنه لم يمُت، وإنما لا يزال يجول في الأرض، وإنه سيظهر ليقدّم المسيّا، ويساعد في الخلاص النهائي للبشريّة. عندما اقتربت الساعات الأخيرة من حياة إيليا النبي، دعاه الرب ليرتفع. أرسل إليه مركبة سماوية بهيّة، نزلت إليه خصيصاً، لتحمله إلى السماء. لم يرغب إيليا أن يحتفل به أحد من بني البشر قبل إصعاده. وفي تواضعه قال لتلميذه أليشع وهما في الجلجال: "امكث هنا، لأنّ الرّب قد أرسلني إلى بيت إيل". فقال أليشع: "حيّ هو الرّب، وحيّة هي نفسك، إنّي لا أتركك". ونزلا إلى بيت إيل.

خرج بنو الأنبياء الذين في بيت إيل إلى أليشع، وقالوا له: "أتعلم أنه اليوم يأخذ الربّ سيّدك من على رأسك؟".

أجاب: "نعم، إنّي أعلم فاصمتوا".

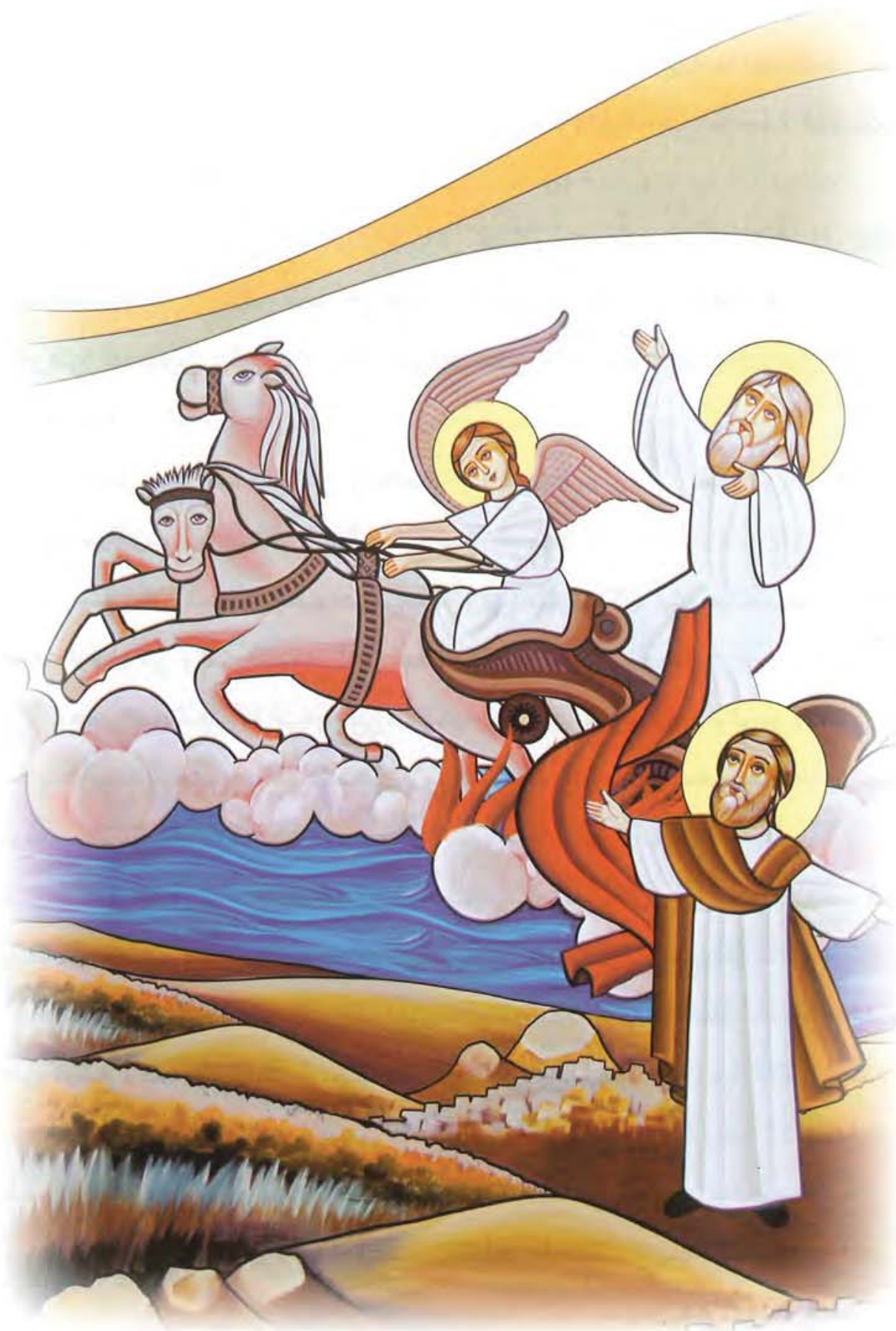
ثمّ قال له إيليا: "يا أليشع، امكث هنا، لأن الرب قد أرسلني إلى أريحا". فقال: "حيّ هو الرّب، وحيّة هي نفسك، إنّي لا أتركك". وأتيا إلى أريحا.

حاول إيليا أن يُخفي أمر إصعاده عن تلميذه دون أن يكذب، فأخبره بأن
الرَّبَّ أرسله إلى بيت إيل وإلى أريحا وإلى الأردن. وهو في هذا لم يكذب، إنما
فقط أخفى أمر إصعاده، حتى لا يراه حين يركب مركبة نارية.
أصرَّ التلميذ ألا يفارق مُعَلِّمه، ليقنتي منه الغنى الروحي.
كشف الله القدوس السرَّ لتلميذه ولجوقة الأنبياء. فاحتفل به الأنبياء على
الأرض، واستقبلته الطغمت السماوية بفرحٍ عظيمٍ في السماء!
انطلق إيليا وأليشع إلى بيت إيل ثم إلى أريحا وبعد ذلك إلى الأردن. ذهب
خمسون رجلاً من بني الأنبياء، ووقفوا قبالتهم من بعيدٍ. ووقف كلاهما بجانب
الأردن.

كان يجب أن يعبرا نهر الأردن، لم يجدا صعوبة أن يعبرا في طريق
جديدة في نهر الأردن!
أخذ إيليا رداءه ولفَّهُ وضرب الماء، فانفلق إلى هنا وهناك، فعبرا كلاهما
في اليابس.

أراد إيليا كأبٍ مُحبٍّ أن يُقدِّم كل ما يستطيع لتلميذه، فسأله ماذا يصنع له
قبل أن يصعد. وفي حكمة لم يطلب التلميذ أمراً مادياً، بل أن ينال ضعفين من
روح إيليا. وكأنه يقول لمُعَلِّمه: "إنني ضعيف للغاية، احتاج إلى سندٍ مُضاعف".
لم يَطْلُب ذلك عن كبرياء كمن يستحق ذلك، ولا طَلَبَه عن محبة المجد
الباطل، لكنه طلبه بإيمان لشعوره بضعفه وحاجته إلى قوَّة مُضاعفة مع شعوره
بانحدار الشعب المُستمر في الفساد.

في دالَّة الحُبِّ حسب أليشع نفسه الابن البكر، له حق ميراث الضعف، وفي
جراة طلب أن يتمتَّع بروحين من إيليا.
وقد جاء عدد المعجزات التي سُجِّلت لأليشع في الكتاب المُقدَّس ضعف
العدد الذي سُجِّل لإيليا تقريباً.



لم يغضب إيليا النبي من هذا الطلب، بل تهللت أعماقه، وإن كان قد أدرك أنه ليس في سلطانه أن يُقدّم شيئاً، لكنه فرح أن يُكمّل تلميذه رسالته بروح القوة. كقائد ناجح لم يستخف بتلميذه، بل طلب من الله أن يهبه ما هو أعظم ممّا يناله هو، لتكون الكنيسة في المستقبل أكثر قوة، وقادرة على مواجهة التحديات بروح النصر والغلبة.

قال له إيليا النبي: "صعبت السؤال. فإن رأيتني أُوخذَ منك يكون لك كذلك، وإلا فلا يكون. إنّ الأمر ليس في يدي، بل في يد إلهي. إن وهبك أن تراني عند مفارقتي لك يكون ذلك لك". وكأنه يقول: "لتكن لا إرادتي، بل إرادة أبي الذي في السمّوات!".

بالفعل فيما هُما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نارٍ وخيلٍ من نارٍ فصلت بينهما، ورأى سيده مُطلقاً في المركبة نحو السماء.

صار هذا المنظر مطبوعاً في قلبه وفي ذاكرته كل أيام حياته. به تقوى إيمانه ليقول في وقت الشدة: "الذين معنا أكثر من الذين معهم".

صرخ أليشع: "يا أبي يا أبي، مركبة إسرائيل وفرسانها!" ولم يره بعد. فأمسك ثيابه، ومزّقها قطعتين، ورفع رداء إيليا الذي سقط عنه، ورجع ووقف على شاطئ الأردن.

أخذ رداء إيليا الذي سقط عنه، وضرب الماء، وقال: "أين هو الربُّ إله إيليا؟" ثم ضرب الماء أيضاً فانفلق إلى هنا وهناك، فعبر أليشع.

لما رآه بنو الأنبياء الذين في أريحا قبالتة، قالوا: قد "استقرت روح إيليا على أليشع". فجاءوا للقاءه وسجدوا له إلى الأرض.

١٢٩- فيض زيت أرملة

(٢ ملوك ٤)

أُصيب أحد الأنبياء بمرضٍ، فأنفقَ كلَّ ما لديه واستدان من مُرابي (إنسان يستغل أخاه المحتاج فيُعطيهِ قرصًا بفائدة مُبالغ فيها)، ثم مات.

طالب المُرابي الأرملة بإيفاء الدين، وإذ لم تستطع هَدَّها بأن يأخذ ابنيها عبدَيْن له. إذ كان يجوز للفقراء والمُدينين أن يبيعوا أنفسهم أو أولادهم عبيدًا لسداد ديونهم، وكثيرًا ما كان الشعب يطلب من الأغنياء الترفُّق بهم كإخوة لهم، وكانت الشريعة تُطالبهم بعدم استغلال ظروف الفقراء، لكن هذا الدائن لم يحفظ الشريعة. استجدت الأرملة باليشع النبي، وكان أمامه أحد أمرين، إمَّا أن يفي عنها الدين، أو يسأل المُرابي أن يُمهِّلها.

لم يكن لدى أليشع مالًا يفي به الدين، كما لم يكن لدى المُرابي قلب رحيم ينصت لحديث النبي وطلبته. فقد أغلق الطمع قلبه، وحرَّمته قسوة القلب من قبول النصيحة، ومُمارسة الحُبِّ والرحمة.

كان من الأسهل على أليشع أن يتعامل مع "دُهنة الزيت"، لتملأ بقوة الرب كل الأوعية التي استعارتها من الجيران عن أن يتعامل مع قلب المُرابي وفكره. قال أليشع للأرملة: "ماذا أصنع لك؟ أخبريني ماذا لك في البيت؟".

كان أليشع النبي غنيًا، وأغنى من ملوك زمانه، أمَّا غناه فمن نوع فريد. ثروته في الله القريب منه. لهذا لم يُقدِّم النبي شيئًا ماديًا للأرملة، سواء من عنده أو ممَّن حوله. لكنه أصرَّ أن يسألها ماذا لديها، لكي يُبارك ما لديها، وتسدَّد ديون زوجها، وتُنقذ أبناءها الأيتام.

قالت: "ليس لجاريتك شيء في البيت إلا دُهنة زيت".

قال: "اذهبي استعيري لنفسك أوعية من خارج، من عند جميع جيرانك، أوعية فارغة. لا تقللي. ثم ادخلي وأغلقي الباب على نفسك وعلى بنيك، وصبي في جميع هذه الأوعية، وما امتلأ انقلبه".

أدخلت الأرملة إلى بيتها أنية فارغة من السوق ومن الجيران، لتملأها بالزيت. هكذا تدخل الكنيسة أناساً من كل الأمم والشعوب إلى العضوية الكنسية، فتمتلئ قلوبهم بزيت نعمة الله!

طلب منها أن تدخل بيتها مع ولديها وتغلق الباب عليهم، فتمتلئ الأواني الفارغة بالزيت. إنها صورة رائعة لكنيسة السيّد المسيح التي تقدّم أسرار الله الغنيّة في داخلها بزيت نعمته.

كان بنوها يُقدّمون لها الأوعية وهي تصب. ولما امتلأت الأوعية، قالت لابنيها: "قدّمًا لي أيضًا وعاء". فقالا لها: "لا يوجد بعد وعاء". فوقف الزيت. أشركت المرأة ابنيها في العمل حيث كانا يُقدّمان لها الأواني الفارغة، وهي تسكب من دُهنة الزيت لكي تكون لها خبرة عملية بعمل الله المُشبع لاحتياجاتنا. أكّد النبي بعمله هذا أن الله قادر أن يُشبع احتياجات المؤمنين حتى المادية. كانت المرأة حكيمة وتقية، فإنه إذ امتلأت الأواني لم تتصرف في الحال من نفسها، بل بتواضع سألت النبي عمّا فعله، فقال لها: "أذهبي بيعي الزيت، وأوفي دينك، وعيشي أنتِ وبنوكِ بما بقي".

من هو هذا المرّابي الذي كان يودّ أن يستعبد أبناء البشر إلاّ إبليس.



١٣٠- إقامة ابن الشونمية

(٢ ملوك ٤)

كثيراً ما كان أليشع النبي يمرّ على شونم، لأنها على طريقه من الكرمل إلى مُدن الجليل وإلى مدارس الأنبياء في الجبال وبيت إيل وغيرها. وكان في شونم امرأة عظيمة، كلما عبَرَ أليشع يميل إلى بيتها ليأكل خُبزاً.

قالت لرجلها: قد علمتُ أنه رجلُ الله مُقدّس الذي يمرّ علينا دائماً. فلنعمل عُليّة صغيرة، ونضع له هناك سريراً ومائدة وكرسيّاً ومنارة، حتى إذا جاء إلينا يميل إليها. وكان أليشع كريماً يودّ أن يرُدَّ لكلّ مَنْ يعمل له خيراً خدمة يحتاج إليها. في ذات يومٍ جاء إلى هناك، فقال لجيحزي غلامه: "ادعُ هذه الشونمية".

فدعاها ووقفتُ أمامه. قال له: "قلْ لها: هوذا قد انزعجتِ بسببنا كل هذا الانزعاج، فماذا يُصنع لك؟ هل لك ما يتكلّم به إلى الملك أو إلى رئيس الجيش؟". قالت المرأة: "أنا ساكنة في وسط شعبي"، أي أنا إنسانة من عامّة الشعب ولستُ في مستوى هؤلاء الكبار .. هكذا كانت متواضعة ..!

سأل أليشع تلميذه: "إنها لم تطلب شيئاً، فماذا يُصنع لها؟".

سأل جيحزي النبي لا أن يخدمها لدى الملك أو لدى أحد رجال الدولة العظماء، بل لدى الله نفسه، إله المُستحيات، القادر وحده أن يهبها ابناً، فقال: "إنه ليس لها ابنٌ، ورجلها قد شاخ".

قال أليشع: "ادعها". دعاها، فوقفتُ عند الباب. قال: "في هذا الميعاد في السنة القادمة تحتضنين ابناً". فقالت: "لا يا سيّدي رجلُ الله! لا تكذب على جاريتك" .. فقد استكثرت على نفسها هذه العطيّة العظيمة ..!

حَبَلَتِ المرأةُ ووُلِدَتِ ابناً في ذات الميعاد كما قال لها أليشع.

كَبِرَ الولدُ، وفي ذات يومٍ خرج إلى أبيه إلى الحصادين. وقال لأبيه: "رأسي، رأسي". فقال الأب للغلام: "احمله إلى أمه". فحملةُ وأتى به إلى أمه، فجلس على ركبتيها إلى الظهر ومات.

صعدت وأضجعتُه على سرير رَجُلِ الله وأغلقتُ عليه وخرجتُ. ونادتُ رَجُلَهَا، وقالتُ: "أرسلُ لي واحداً من الغلمان وإحدى الأُتن، فأجري إلى رَجُلِ الله وأرجع".

قال: "لماذا تذهبين إليه اليوم؟ لا رأسُ شهرٍ ولا سبتٌ". فقالتُ: "سلامٌ". وشدتُ على الأتان، وقالتُ لُغلامها: "سُقْ وسِرْ ولا تتعوقْ لأجلي في الرُكُوب، إن لم أقل لك".

انطلقتُ حتَّى جاءتُ إلى رَجُلِ الله إلى جبل الكرمل. فلما رآها رَجُلُ الله من بعيدٍ، قال لجيحيزي غلامه: "هُذا تلك الشونميَّةُ. أركض الآن للقاءها وقُل لها: أسلامٌ لك؟ أسلامٌ لزوجك؟ أسلامٌ للولد؟" فقالتُ: "سلامٌ". فلما جاءتُ إلى رَجُلِ الله إلى الجبل أمسكتُ رجليه.

تقدَّم جيحيزي ليدفعها، فقال رَجُلُ الله: "دعها، لأنَّ نفسها مرَّةٌ فيها، والرَّبُّ كتم الأمر عني ولم يُخبرني".

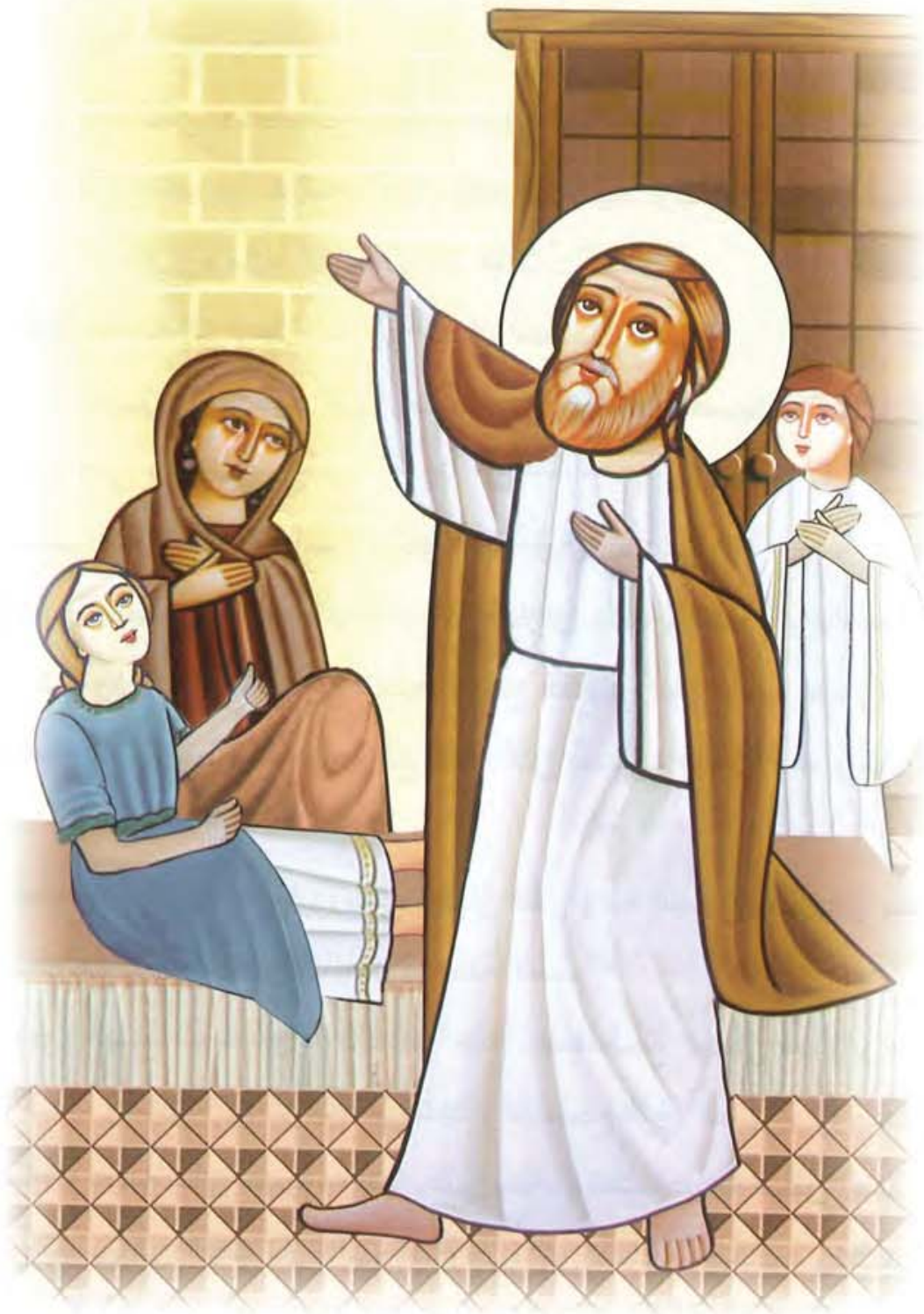
قالتُ: "هل طلبتُ ابناً من سيدي؟ ألم أقل لا تخدعني؟".

قال لجيحيزي: "أشدُّ حقويك وخذ عُكَّازي بيدك وانطلق، وإذا صادفت أحداً فلا تباركه، وإن باركك أحدٌ فلا تجبه. وضع عُكَّازي على وجه الصَّبِيِّ". أصرتُ أن ينطلق معها أليشع نفسه لكي يُصلي، فيعمل الله، ويُقيم ابنها من الموت.

جاز جيحيزي قدامهما ووضع العُكَّاز على وجه الصَّبِيِّ، فلم يكن صوتٌ ولا مُصغٍ. فرجع للقاءه وأخبره قائلاً: "لم ينتبه الصَّبِيُّ".

دخل أليشع البيت، وإذا بالصبي ميتٌ ومُضطجعٌ على سريره. فدخل وأغلق الباب وصلى إلى الرب. ثمَّ صعدَ واضطجعَ فوق الصَّبِيِّ، ووضع فمَهُ على فمِهِ، وعينيه على عينيه، ويديه على يديه، وتمدَّد عليه، فسخن جسدُ الولد. ثمَّ عاد وتمشَّى في البيت تارةً إلى هنا وتارةً إلى هناك، وصعدَ وتمدَّد عليه فعطسَ الصَّبِيُّ سبعَ مرَّاتٍ ثمَّ فتح الصَّبِيُّ عينيه.

دعا جيحزي وقال: "أدعُ هذه الشونمية"، فدعاها.
ولما دخلتُ إليه قال: "احملي ابنك". فأنت وسقطتُ على رجليه وسجدتُ
إلى الأرض، ثم حملتُ ابنها وخرجتُ. ورجعَ أليشعُ إلى الجلجال.



١٣١- في القدر موت يا رجل الله

(٢ ملوك ٤)

رَجَعَ أَلِيشَع إِلَى الْجَلْجَالِ، وَكَانَ جُوعٌ فِي الْأَرْضِ، وَكَانَ بَنُو الْأَنْبِيَاءِ جُلُوسًا أَمَامَهُ.

فَقَالَ لِعَلَامِهِ: "ضَعِ الْقَدْرَ الْكَبِيرَةَ، وَاسْلُقْ سَلِيقَةً لِبَنِي الْأَنْبِيَاءِ."

وَخَرَجَ وَاحِدًا إِلَى الْحَقْلِ لِيَلْتَقِطَ بُقُولًا، فَوَجَدَ يَقْطِينًا بَرِيًّا، وَهُوَ نَبَاتٌ سَامٌ. فَالْتَقَطَ مِنْهُ مَلءَ ثُوبِهِ، وَأَتَى وَقَطَعَهُ فِي قَدْرِ السَّلِيقَةِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا. وَصَبُّوا لِلْقَوْمِ لِيَأْكُلُوا، وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ مِنَ السَّلِيقَةِ.

صَرَخُوا وَقَالُوا: "فِي الْقَدْرِ مَوْتُ يَا رَجُلَ اللَّهِ"، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَأْكُلُوا.

قَالَ: "هَاتُوا دَقِيقًا"، فَالْقَاهُ فِي الْقَدْرِ، وَقَالَ صُبُّوا لِلْقَوْمِ فَيَأْكُلُوا.

أَظْهَرَ بَنُو الْأَنْبِيَاءِ إِيمَانَهُمْ بِالرَّبِّ وَبِنَبِيِّهِ، فَأَكَلُوا مِمَّا كَانَ قَبْلًا سَامًا، وَذَلِكَ حَسَبَ قَوْلِ النَّبِيِّ دُونَ أَيِّ شَكٍّ أَوْ خَوْفٍ.

فَكَانَهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ رَدِيءٌ فِي الْقَدْرِ.

هَذَا الدَّقِيقُ يَرْمِزُ إِلَى جَسَدِ الرَّبِّ يَسُوعَ الَّذِي صَارَ خُبْزَ الْحَيَاةِ، مِنْ يَأْكُلِهِ يَتِمَّتَعُ بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ عِوَضَ الْمَوْتِ (يُو ٦: ٥٣).

وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَعْلَ شَلِيشَةَ وَأَحْضَرَ لِرَجُلِ اللَّهِ خُبْزَ بَاكُورَةٍ عَشْرِينَ رَغِيفًا مِنْ شَعِيرٍ، وَسَوِيقًا فِي جِرَابِهِ.

فَقَالَ أَلِيشَعُ: "أَعْطِ الشَّعْبَ لِيَأْكُلُوا".

فَقَالَ خَادِمُهُ: "مَاذَا، هَلْ أَجْعَلُ هَذَا أَمَامَ مِئَةِ رَجُلٍ؟".

قَالَ رَجُلُ اللَّهِ: "أَعْطِ الشَّعْبَ فَيَأْكُلُوا، لِأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: يَأْكُلُونَ وَيَقْضُلُ

عَنْهُمْ". فَجَعَلَ أَمَامَهُمْ فَأَكَلُوا، وَفَضَلَ عَنْهُمْ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ.

هذا هو عمل الخادم الحقيقي، بل وكل مسيحي، ألاّ يمدّ يده كمُحتاجٍ، بل
يمدّها ليعطي بسخاء، فيشبع مَنْ هم حوله ويفيض عنهم.



١٣٢- الاستحمام سبع مرات في نهر الأردن

(٢ ملوك ٥)

كان نَعْمَانُ قائداً للجيش السوري، وكان عظيمًا وشجاعًا. ذهب إلى الحرب وعاد إلى بلده بموكبٍ عظيمٍ. قد قيّد جيشه الآلاف من الأسرى الذين يحملون على ظهورهم ذهبًا وفضة وقمحًا ومحاصيل أخرى، وكانوا يسحبون الجمال والأتن والحملان مع حيوانات أخرى.

جاء العُظماء وكل الشعب يستقبلون القائد البطل، وهُم يصرخون: "ليحييا القائد العظيم نَعْمَانُ! يا لك من شجاع! يا لك من قوي وعظيم!".

جاء إليه الملك بمركبته الملوكية ليُحيي البطل الشجاع وجنوده، يُرحّب بهم بعودتهم إلى وطنهم غالبين. صرخ الملك وسط الجماهير: "إننا فخورون بك، وبرجالك العُظماء! لقد جلبت لبلادك مجدًا عظيمًا!".

كان نَعْمَانُ فخورًا جدًّا، لكنه إذ رأى البعض يحملقون في جلده المضروب بالبرص، صار في كآبة. لاحظ أن كثيرين لا يريدون أن يلمسوه، إذ كانوا يخشون العدوى منه.

عاد نَعْمَانُ إلى بيته حزينًا للغاية.

عندما هاجم السوريون اليهود، أخذ نَعْمَانُ بعض الأسرى، من بينهم فتاة صارت تخدم في بيته، وتهتم بزوجته.

صارت في أرض غريبة بلا أب ولا أم ولا أخ أو أخت. ليس من قريب يُشبع عواطفها ولا من كاهن يسند نفسيته ويُصلي لأجلها. ليس من كتاب مُقدّس بين أيديها. فقدت حرّيتها وإنسانيتها يتحكّم الغير في مصير حياتها.

لاحظت الفتاة نَعْمَانُ مُصابًا بالبرص، الأمر الذي يُسبّب إحباطًا لأسرته كلها، فاشتاقت أن تصنع شيئًا تعين به الأسرة، وتشهد لعمل الله أمام قائد الجيش الغريب.

قالت الفتاة لسيدتها: "كنت أودّ لو كان سيدي يعيش في إسرائيل؛ فإنه يوجد هناك نبي، رَجُلُ الله، يُدعى أليشع، يستطيع أن يُصلي لأجله، فيشفيه الله في الحال".

كان أليشع يعيش في أرض يحسب السوريون أهلها أعداء لهم، ولم يكن بالأمر السهل أن يقبل القائد البطل أن يذهب إليهم بمذلةٍ يطلب الشفاء، وفي نفس الوقت كان يشق أن يُشفى بأية وسيلة".

أخبرت السيدة رَجُلها، وبدوره أخبر ملك سوريا.

إذ سمع ملك سوريا عن النبي، قال لنعمان: "تستطيع أن تذهب إليه؛ إنني أرسل خطابًا إلى ملك إسرائيل؛ ثم أعطاه الخطاب، جاء فيه: "أرجوك أن تشفي الرَّجُل من البرص!".

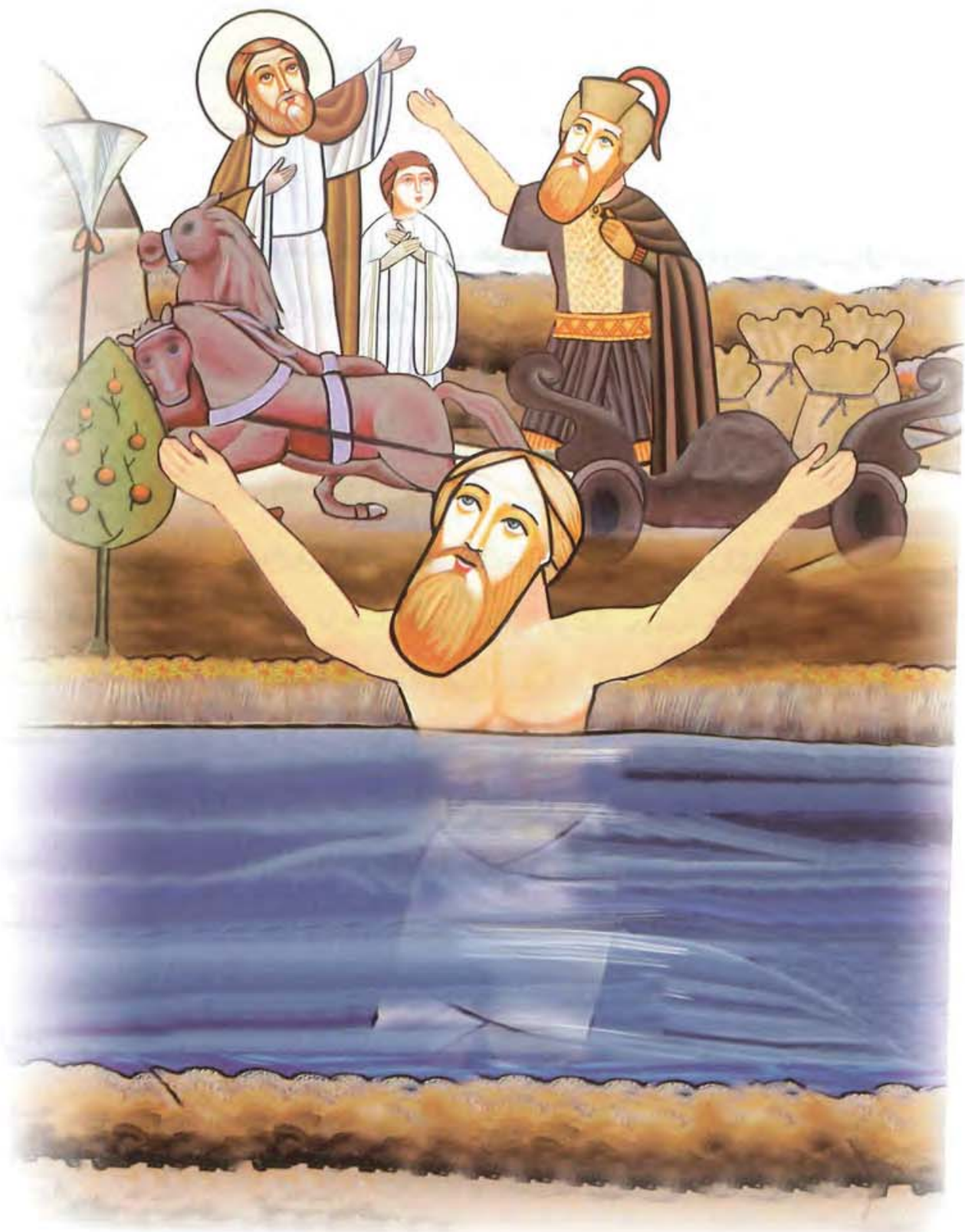
أسرع نعمان إلى السامرة يحمل الرسالة الملوكية، وقد أخذ معه ذهبًا وفضة وثيابًا جديدة.

جاء نعمان إلى حضرة الملك في إسرائيل، وإذ قرأ الملك الرسالة اضطرب جدًّا، قائلاً: "ما هذا؟ ألعلي أنا هو الله الذي له القوة ليهب الحياة وينتزعها، حتى يُرسل لي هذا الرَّجُل أن أشفي إنسانًا من البرص؟! بلى، إنها مصيدة. إنه يودّ أن يدخل معي في معركة، إن لم أشفِ قائده يأتي ويُحاربني".

إذ سمع أليشع بالأمر، بعث رسالة إلى الملك: "ليأت هذا الرَّجُل إليّ، فسيعرف أنه يوجد نبي الله في إسرائيل".

ذهب نعمان إلى بيت أليشع بموكبه العظيم من الخدم وأتباعه. وكانت ضربات قلبه تتزايد جدًّا. كان يقول في نفسه: "هيا يا رَجُلُ الله، اخرج سريعًا وصلّ، واشفني اليوم".

توقّع أن يأتي إليه النبي ويحييه، لكن أليشع أرسل خادمًا ليحيي هذا الرَّجُل العظيم القادم من سوريا. قائلاً له: "اذهب واغتسل في نهر الأردن سبع مرّات، فتُشفى".



أصيب نَعْمَانُ بحالة إْحْبَاطٍ، وقال في نفسه: "كنت أظنّ أنه يخرج إليّ، ويقف ويدعو بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِي، ويضع يده عليّ ويشفيني. لماذا أذهب إلى نهرهم، الأردن؟ هل يُقَارَنُ هذا النهر المملوء طيناً بأنهارنا؟ إنني لم أقطع هذه الرحلة الطويلة جدًّا لأستحم اليوم!".

انطلق نَعْمَانُ راجعًا وهو في حالة ثورة. لكن أحد خدامه قال له: "أرجو أن تُنفِذَ ما قاله لك النبي. فلو أنه سألك أمرًا صعبًا، بلا شك كنت تطيعه دون تردّد، أليس كذلك؟".

أدرك نَعْمَانُ أن خادمه هذا على حقّ، فاتّجه نحو الأردن، ونزل فيه. غَطَسَ مرّةً ثمَّ صعد إلى الشاطئ. تطلّع إلى جسده فلم يجد تغييرًا. قال في نفسه: "الأجرب للمرّة الثانية"، ثم غَطَسَ للمرّة الثانية وسَبَحَ. تكرر الأمر حتى المرّة السادسة، ولم يطرأ أيّ تغيير. قال: "هل الاستحمام مرّة أخرى يشفي جسدي؟ سأجرب!".

ألقي نَعْمَانُ بنفسه في النهر للمرّة السابعة، ثم قفز إلى الشاطئ، وإذا به يجد نفسه قد برأ تمامًا من برصه الذي اختفى، وعاد جسمه كطفلٍ صغيرٍ. عاد نَعْمَانُ إلى أليشع النبي، ووقف أمامه في تواضعٍ، يقول له: "الآن علّمت أنه لا يوجد في الأرض كلّها إلهٌ مثل إلهك".

حاول نَعْمَانُ أن يُقدّمَ هديّةً لأليشع النبي، لكن النبي رفض. عاد نَعْمَانُ فرحًا إلى الملك وإلى زوجته والفتاة الصغيرة الأسيرة، وكان يُسبِّحُ الله ويشكره. دخلت الفتاة إلى حجرتها وركعتُ تشكر الله.

ما حدث مع نَعْمَانُ حدث معنا، حيث اغتسلنا من برص الخطيّة، وصرنا أبناء الله في المعمودية.

١٣٣ - الحديد يعوم

(٢ ملوك ٦)

قال بنو الأنبياء لأليشع: "هوذا الموضع الذي نحن مُقيمون فيه أمامك ضيق علينا. فلنذهب إلى الأردن، ونأخذ من هناك كل واحدٍ خشبةً، ونعمل لأنفسنا هناك موضعًا لنقيم فيه".

قال: "اذهبوا".

هنا يظهر أليشع كأبٍ حنون، يلجأ بنو الأنبياء إليه في كل كبيرةٍ وصغيرةٍ. النبي الذي يحترمه الملوك والقواد لا ينسى الاهتمام بتلاميذه حتى في الأمور الصغيرة.

قال واحد: "أقبلُ واذهبُ مع عبيدك". فقال: "إني أذهب".

عندما ضاق بهم الموضع سألوهُ أن يذهبوا إلى الأردن ليقطعوا خشبًا، ويصنعوا منه لأنفسهم أماكن للإقامة. وعندما وافقهم طلبوا منه أن يرافقهم فلم يمتنع.

انطلق معهم، ولمّا وصلوا إلى الأردن قطعوا خشبًا. وإذ كان واحدٌ يقطع خشبة وقع الحديد الذي كان يقطع به في الماء، فصرخ وقال: "آه يا سيدي، لأنه مُستعار".

قال رَجُلٌ الله: "أين سقط؟" أراه الموضع، فقطع عودًا وألقاه هناك، فطفا الحديد.

فقال: "ارفعه لنفسك" فمدَّ يدهُ وأخذهُ.

هذه الأعجوبة ترمز لخلصنا بالصليب، فإذا تتسلَّل الخطيئة إلى حياتنا تجعلنا مثل هذه الرأس الساقطة في أعماق النهر. وذلك كما حدث مع فرعون وجنوده إذ قيل: "غاصوا كالرصاص في مياه غامرة".

والآن إذ أثقلت الخطية نفوسنا، وغاصت بنا إلى الأعماق، لن ترتفع إلا
بالخشبة، أي بصليب ربنا يسوع المسيح !



١٣٤- حرب مع آرام

(٢ ملوك ٦)

حارب ملك آرام (سوريا) إسرائيل، وتآمر مع عبيده قائلاً: في المكان الفلاني تكون محطتي.

أرسل رَجُلُ الله أليشع إلى ملك إسرائيل يقول: "احذر من أن تعبرَ بهذا الموضع، لأن الأراميين حَالُونَ هُنَاكَ". فأرسل ملك إسرائيل إلى الموضع الذي قال له عنه رَجُلُ الله وحذره منه وتحفظ هناك لا مرة ولا مرتين. فاضطرب قلب ملك آرام من هذا الأمر، ودعا عبيده وقال لهم: "أما تُخبرونني مَنْ مِنَّا هو جاسوس لملك إسرائيل؟".

قال واحد من عبيده: "ليس هكذا يا سيدي الملك. ولكن أليشع النبي الذي في إسرائيل، يُخبر ملك إسرائيل بالأمور التي تتكلم بها في مخدع مضجعك". قال: "اذهبوا وانظروا أين هو، فأرسلوا وأخذوه. فأخبر، وقيل له: "هوذا في دوثنان".

أرسل ملك آرام إلى هناك خيلاً ومركبات وجيشاً ثقيلاً، وجاءوا ليلاً وأحاطوا بالمدينة. فبكر خادم رَجُلِ الله وقام وخرج، وإذا جيشٌ مُحيط بالمدينة وخيل ومركبات.

قال الخادم لأليشع: "آه يا سيدي ماذا نعمل؟".

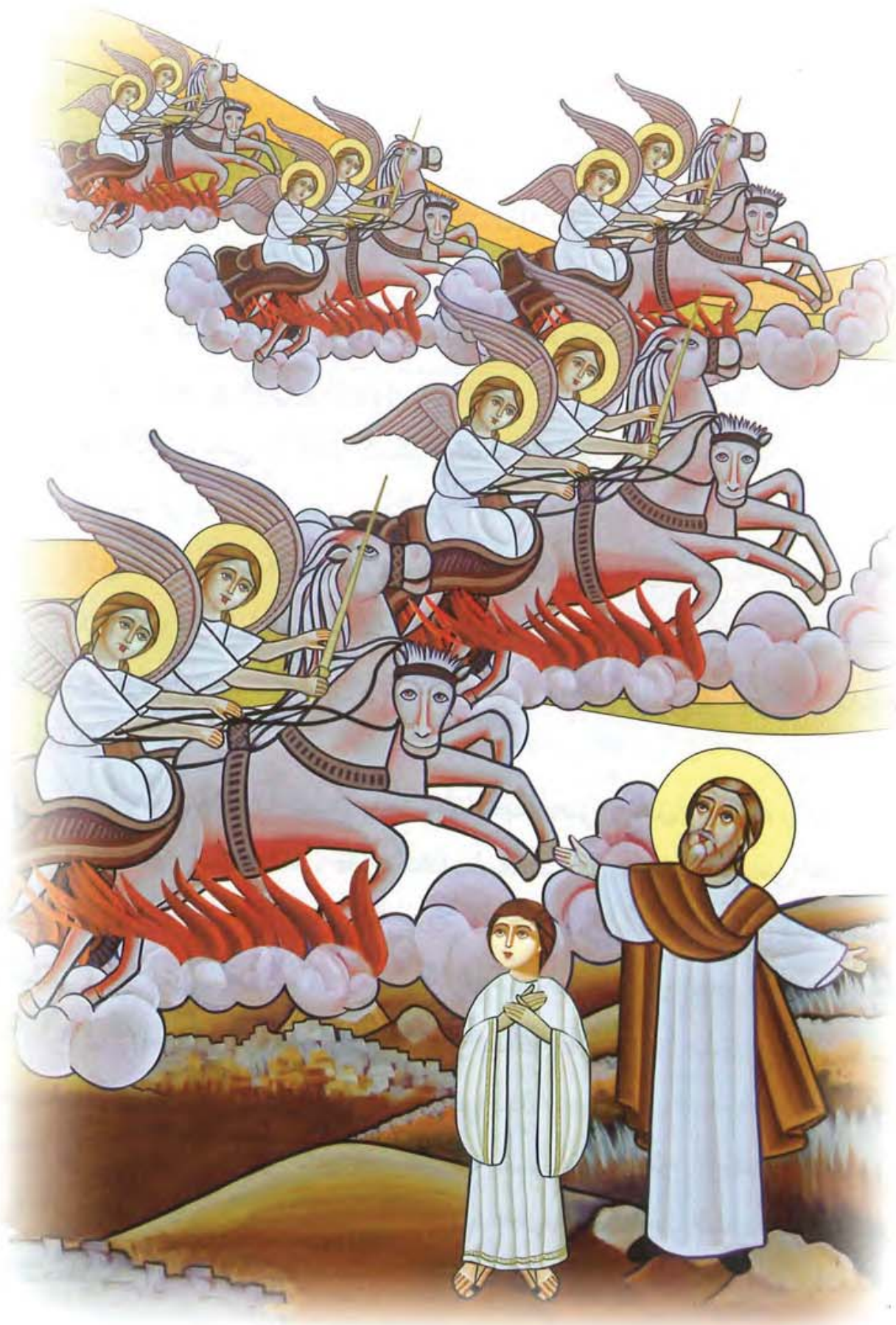
أجاب أليشع: "لا تخف، لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم". صلى أليشع وقال: "يارب، افتح عينيهِ فيبصر". ففتح الرب عيني الغلام فأبصر، وإذا الجبلُ مملوءٌ خيلاً ومركبات نار حول أليشع. ولما نزلوا إليه صلى أليشع إلى الرب، وقال: "اضرب هؤلاء الأمم بالعمى"، فضربهم بالعمى كقول أليشع.

قال لهم أليشع: "ليست هذه هي الطريق، ولا هذه هي المدينة. اتبعوني فأسير بكم إلى الرَّجُلِ الذي تفتشون عليه".

سار بهم إلى السامرة. فلما دخلوها، قال أليشع: "ياربّ افتح أعين هؤلاء فيبصروا". ففتّح الربُّ أعينهم، فأبصروا وإذا هم في وسط السامرة. استطاع رجل واحد أن يطرد صفوف العساكر ويحبسها بدون سيفٍ وبدون سلاح.

عرفوا أيضًا أنه الرجل الذي كانوا يُفتشون عليه، فخافوا واضطربوا، كيف لم يعرفوه في الطريق.

قال ملك إسرائيل لأليشع لما رآهم: هل أضرب؟ هل أضربُ يا أبي؟ رآهم الملك وتحرك مثل الجبار ليقتلهم، كأنما هو الذي انتصر وجلبهم وسجنهم. أراد أن يرفع يده ويبيدهم، أما رجلٌ الله فمنعه من اقتراف الشرّ. قال للملك: "لا تضرب". إنما تضربُ الذين سبيتهم بسيفك وبقوسك. ضع خبزًا وماء أمامهم، فياكلوا ويشربوا، ثم ينطلقوا إلى سيدهم". أعد لهم ملك إسرائيل وليمةً عظيمةً، فأكلوا وشربوا، ثم أطلقهم، فانطلقوا إلى سيدهم ولم تعد أيضًا جيوش أرام تدخلُ أرض إسرائيل. مجدّ أليشع النبي الله قائد المعركة، وكشف عمّا في قلبه من حنوٍّ، ورفض أن تمتد يد لتقتل جيشاً أعزل لا حول له ولا قوة. عوض قتل رجال الجيش أمرَ بتقديم طعامٍ لهم، حتى يصنع سلاماً بين البلدين.



١٣٥- يونان النبي

(يونان)

الله يُحبّ كلّ البشريّة. يريدهم أن يتعرّفوا على حُبّه ويحبّوه. عندما تطلّع إلى مدينة نينوى، عاصمة آشور (في العراق)، وهى مدينة وثنيّة قديمة، حزن، لأنّ شرّ شعبها كان عظيماً جداً.

أمر الله إنساناً يدعى يونان أن يذهب إليهم ويُنادي بينهم بالتوبة، ويحذّرهم من هذا الشرّ العظيم الذي يرتكبونه.

"قلّ للشعب إنني لا أحبّ كذبكم وغشكم وقتلكم.

قلّ لهم أن يُغيّروا أسلوب حياتهم.

إنني أحبّهم وأريدهم أن يكونوا قديسين كما أنا قدوس".

لم يُردّ يونان أن يُبشّر مدينة وثنيّة. قال في نفسه: "لا يمكنني أن أُضَيّع وقتي مع غرباء، إنهم لا يحبون ربّي، وهم ليسوا أصدقائي. إنها ليست مسؤوليتي أن أنقذهم".

ربّما علّم يونان أنه عندما يتّجه للأمم فهذا يعني رفض الله لليهود!...

لم يُردّ أن يُغضب الله، ففكّر هكذا: "سأذهب إلى حيث لا يجدني الله. إنه يطلّب مني أن أذهب إلى نينوى من جهة الشمال الشرقي، فأنا أذهب إلى ترشيش (بأسبانيا) في الغرب". لذلك أسرع ونزل إلى يافا على ساحل البحر.

نزل يونان إلى جوف السفينة، وكان مُستغرقاً في نوم عميق، إذ كان في

تعبٍ شديدٍ بسبب سيره إلى شاطئ البحر في يافا.

في الحال هبّت ريحٌ شديدة، وصارت تشتدّ أكثر فأكثر. ارتفعت الأمواج

جدّاً من كلّ جوانب السفينة. صارت العاصفة عنيفة، فصارت السفينة في خطرٍ

أن تتحطّم.

قال أحد البحارة: "حلت هذه العاصفة، لأن أحد ركاب السفينة صنع شرًّا،
وعلينا أن نبحث عنه!".

خاف البحارة جدًّا، ودعا كل واحدٍ منهم إلهه لينقذ السفينة. ألقوا بالأمّعة
حتى تصير السفينة خفيفة الحمل، ولكن هذا كله كان بلا جدوى. فقد تعالت
الأمواج بالأكثر، وصارت تلتطم جوانب السفينة. حلَّ بالبحارة حالة إحباط.
إذ وجدوا يونان نائمًا، أيقظوه وسألوه:

"مالك نائمًا؟ قم اصرخ لإلهك.

مَنْ أنت؟

ومن أين أتيت؟

هل أنتَ هو الذي سببتَ هذه العاصفة؟

هل أرسل إلهك هذه العاصفة علينا بسبب تصرُّفك؟".

أظهر يونان نوعًا من الشجاعة، إذ أخبر الملاحين أنه هارب من وجه إلهه.
أجاب يونان: "أنا عبراني، هارب من الله خالق السماء والأرض. الآن قد

عرفتُ إنني لا أقدر أن أختفي منه.

إنني أعرف أن ربي أرسل الرياح والأمواج العنيفة.

اطرحوني في البحر إن أردتم أن تسكنوا هذه العاصفة!".

استمرت العاصفة بكل عنفها، وأخيرًا قرّر البحارة أن يلقوا قرعة ليعرفوا

بسبب من كان هذا النوء العظيم. وقعت القرعة على يونان.

أدرك يونان أن ما حدث كان بسبب عصيانه أمر الله. فلكي ينقذ حياة كل

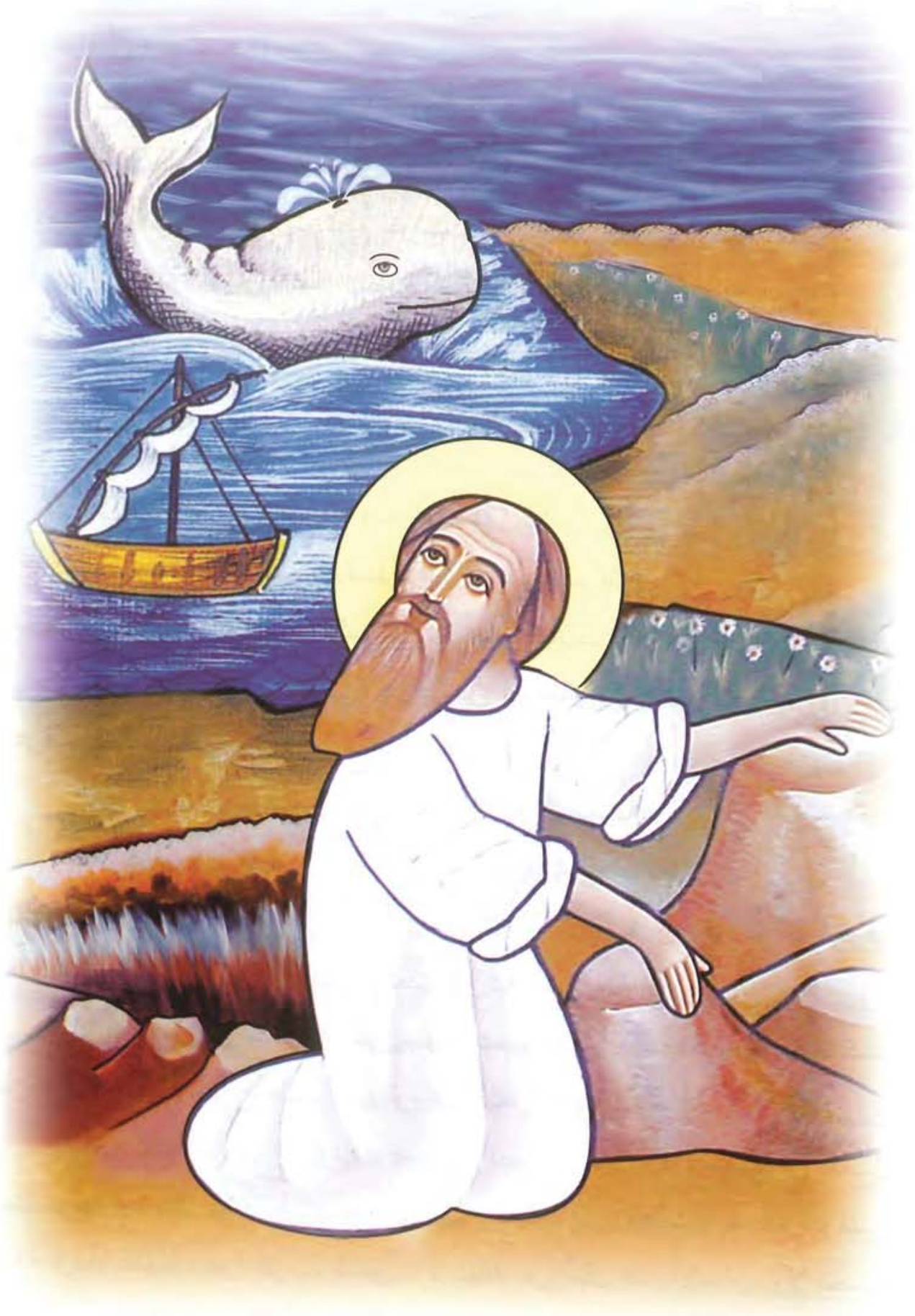
مَنْ في المركب، اقترح عليهم أن يلقوه في البحر، فتهداً العاصفة.

خاف البحارة من إله يونان. صرخوا بصوتٍ عالٍ: "لا نستطيع أن نفعل

هذا". وحاولوا بكل مشقّة أن يرجعوا لإنقاذ السفينة، لكن العاصفة صارت في

حالة أرداد، عندئذ دعوا الرب، قائلين: "لا نهلك من أجل هذا الإنسان، ولا تحسبنا

مسئولين عن حياته، بسبب ما سنفعله به. أنت يارب فعلت هذا".



حاول البحارة العودة إلى الشاطئ، فلم يستطيعوا، أخيراً اضطرّوا أن يلقوه في البحر، إذ أخبرهم أنه هارب من وجه الله. للحال هداً البحر، وسارت السفينة في هدوء.

سَجَدَ الرَّجَالُ وَصَلُّوا إِلَى اللَّهِ رَبِّنا.

إِذْ غَطَسَ يُونانَ تَحْتَ الْأَمْواجِ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَتَنَفَّسَ. لَكِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ لَهُ حَوْتَاً لِيُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ. عَامَ الْحَوْتِ وَفَتَحَ فَمَّهُ الْكَبِيرَ وَابْتَلَعَ يُونانَ. وَبَدَخُولَهُ جَوْفَ الْحَوْتِ لَمْ يَسْمَحِ اللَّهُ لِيُونانَ أَنْ يَغْرُقَ. وَقَدْ بَقِيَ دَاخِلَهُ لِمُدَّةِ ثَلَاثَةِ أَيامٍ وَثَلَاثِ لَيالٍ، وَهناك قَدَّمَ تَسْبِحةً جَمِيلَةً لِلَّهِ، وَشَعَرَ كَمَنْ هُوَ فِي السَّماءِ. بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيامٍ قَذَفَهُ الْحَوْتُ عَلَى أَرْضِ يابِسَةٍ.

فِي جَوْفِ الْحَوْتِ تَهَلَّلَ قَلْبُ يُونانَ، إِذْ رَأَى نَفْسَهُ كَمَنْ أَحاطَ بِهِ بَحْرُ مَالِحٍ يَبْتَلَعُهُ، لَكِنَّ اللَّهَ حَوَّلَهُ إِلَى نَهْرٍ عَذْبٍ يَرِوِيهِ بِمِياهِ حَلِوَةٍ.

بِغَيْرِ إِرادَةٍ تارَةً يَرْتَفِعُ الْحَوْتُ إِلَى سَطْحِ الْماءِ، وَإِذْ يَفْتَحُ فَمَّهُ يَتَسَمَّ يُونانَ الْهواءَ؛ وَتارَةً يَنْزِلُ إِلَى الْأَعْماقِ، وَيَكُونُ كَمَنْ فِي قَبْرِ حالكِ الظلامِ!

فِي هَذَا كَلَهُ رَأى يُونانَ عِنايَةَ اللَّهِ بِهِ، كَمَنْ أَقامَهُ مِنَ الْأَمْواتِ، وَوَهَبَهُ الْخِلاصَ. رَأى الْهَيْكَلَ الْمُقَدَّسَ السَّماويَ وَهُوَ بَعْدَ فِي جَوْفِ الْحَوْتِ. لَمْ يَنْمِ يُونانَ طَوالِ الثَلَاثَةِ أَيامٍ، لَكِنَّهُ لَمْ يَقلُقَ، لِأَنَّهُ شَعَرَ نَفْسَهُ مَحْمولاً عَلَى أذْرَعِ اللَّهِ الْأَبديَّةِ. عَوِضَ الصِراخِ صارَ يُسَبِّحُ اللَّهَ.

تَكَلَّمَ اللَّهُ فِي قَلْبِ يُونانَ الْهاربِ مِنْ وَجْهِهِ:

"لَتَعْرِفُ يا يُونانَ إِنَّهُ لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَهْرَبَ أَوْ يَخْتَفِيَ عَنِّي.

وَلَتَعْرِفُ يا يُونانَ إِنِّي مُحِبٌّ لِكُلِّ الْبَشْريَّةِ.

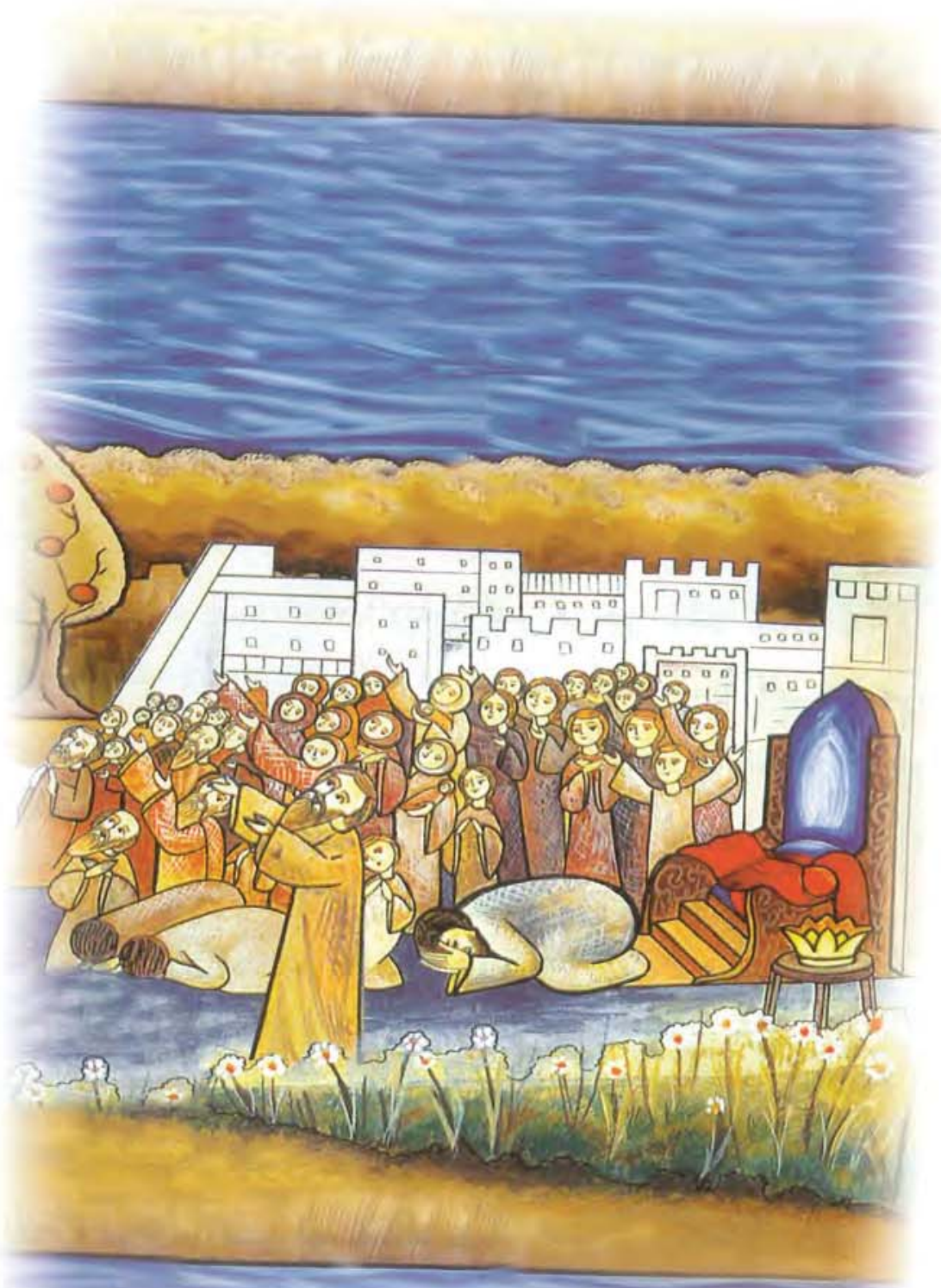
فِبالنِّسْبَةِ لِكَ أَهْلِ نِينوى غُرباءَ، لَكِنَّهُمْ شَعْبِي أَيْضاً.

يَلْزِمُكَ أَنْ تُقَدِّمَ كَلِمَتِي لَهُمْ كَمَا أَمَرْتُكَ.

فإنِّي سَأَنْزِلُ إِلَى الْعالَمِ وَأَصِيرُ إنساناً، وَأَموتُ عَنِ كُلِّ الْبَشْريَّةِ.

إِنِّي أَفْتَحُ أَبْوابَ كَنِيسَتِي أَمامَ كُلِّ الْأُمَّمِ وَالشَّعْوبِ وَالْألسنةِ."

قدّم الله ليونان فرصة ثانية ليُطيعه ويذهب إلى نينوى. لقد أرسل الله
الحيوت نحو البرّ، وأمره أن يقذفه من جوفه إلى الأرض الجافة.
عرف يونان ماذا يجب أن يفعل، وانطلق إلى نينوى دون تردّد.



وفي نينوى قال يونان للشعب: " الله سيُخرَّب نينوى بسبب شرّها".

تحقق الشعب أن يونان نبي عظيم، وأدركوا أن الله يتحدث معهم خلاله.

أخبر الشعب الملك بما يقوله يونان، فأمرهم الملك أن يُصلّوا إلى الله طالبين غفران خطاياهم. ولكي يُظهر الملك جديته في طلب مراحم الله، خلع عنه ثوبه الملوكي، ولبس رداءً بالياً. وجلس الملك على الرماد، وصلى إلى الله. ونادى بصوم، قائلاً: "لا يأكل أحد ولا يشرب، ولا يذُق طعاماً ما. وليرجع كل واحد عن طرقه الرديئة ويطلب الله. لعلّ الله يصرف غضبه عنا فنخلص".

آمن شعب نينوى بالله واستمعوا إلى ملكهم. صاموا وبكوا وتركوا طرقهم الشريرة، قائلين: "من يعرف؟ الله يصرف غضبه عنا إن كنا نرجع إلى البر". طلبوا من الله أن يغفر لهم، ويخلص مدينتهم. إذ رأى الله شعب نينوى تائبين عن أفعالهم الشريرة وطالبيين المغفرة لم يهلك المدينة.

أخبر الله يونان أنه لن يهلك المدينة، فلم يسرّ يونان بقول الله. لقد ظنّ أن الشعب سيسخر به، ويحسبون أنه ليس نبياً صادقاً. حزن يونان على نفسه، وترك المدينة. جلس خارج المدينة ينظر ماذا يحدث.

كان الجو حاراً جداً. فبنى يونان لنفسه مأوى من العصي ليستظل مُحتمياً من حرارة الشمس. وبينما كان يونان مُستظلاً أعدّ الله له شجرة صغيرة تُسمى يقطينة، نمت وغطت يونان، فكان يونان سعيداً بها، إذ أعطت جواً رطباً وجميلاً. ثم أعدّ الله دودة، فوجد يونان أوراق اليقطينة تتساقط بسرعة شديدة، فقال في نفسه: "ما هذا؟ لقد فقدت الظلّ الذي أحتمي فيه!" بدأ يتطلع في الساق فرأى ثقباً، وأدرك أن دودة قد سببت هذا كله.

أرسل الله ريحاً شرقية حارة تهبّ، فصار يونان في جوّ ساخن جداً. حزن يونان وطلب أن يموت.

قال الله ليونان: "هل اغتظت بالصواب من أجل اليقطينة؟" فقال: "اغتظت

بالصواب حتى الموت".

فقال الرب: "أنت شفقتَ على اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا ربَّيتها، التي بنت ليلة كانت، وبنت ليلة هلكتْ.

أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة، التي يوجد فيها أكثر من مائة وعشرين ألفاً من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم وبهائم كثيرة؟ ماذا تظنّ بالنسبة لمشاعري من نحو شعب نينوى؟

أتظن أنني أطلب موتهم؟

أيُّ إنسان أنت؟ أتحزن على يقطينة، ولا تحزن على مدينة بأكملها؟ انظر، كم هم سعداء؟ لماذا أنت عابس؟

الملائكة تفرح بخاطئ واحد يتوب، وأنت بواسطتك خلصت مدينة

بأكملها!".

تَحَقِّقْ يونان أن الله بارٌّ. إنه مُحِبٌّ لكلِّ البشر.

سيأتي رب المجد يسوع إلى العالم كما جاء يونان إلى نينوى. وسيبسط

يديه ليجمع شعبه من كل الأمم.

١٣٦- جمره نار في قلب إشعيا النبي

(إشعيا ١ - ٢)

قبل مجيء السيد المسيح بأكثر من سبعمائة عام وُلِدَ إشعيا من الأسرة الملكية في دولة يهوذا، وكان واحداً من أعظم الأنبياء.

كان إشعيا إنساناً تقيّاً مُحَبِّباً لله ولشعبه كما للهيكل ولأورشليم مدينة الله، وكان حزيناً بسبب الشر الذي كان يرتكبه الملك وعائلته، بل وحتى الكهنة والعاملون في الهيكل، وأيضاً الشعب.

عاش منذ طفولته في جوٍّ يبدو كثيباً جداً، لكنه في نفس الوقت كان يشعر أنه أسعد إنسان على وجه الأرض، وربما عبّر التاريخ. فمن أين جاءت سعادته وفرح قلبه؟

منذ شبابه كان يسمع أن كل العالم زاغ عن معرفة الله وعباد الأوثان. تُصارع الأمم على السلطنة، وتُمارس العنف. ليس من يعبد الله سوى شعب يهوذا، وليس من مدينة مثل أورشليم مدينة الله التي بها أقدس مكان، وهو الهيكل. لكن في نفس الوقت يتطلّع إلى القصر الملكي، من الملك حتى أصغر العاملين فيه، وإلى الهيكل من رئيس الكهنة إلى أبسط العمال، وإلى الشعب بكل طبقاته، الكل زاغوا عن الرب وسلكوا في الشرّ.

كان في قلبه جمره نار لا يقدر أحد أن يُطفئها. فكان يُصلي قائلاً:

"إلهي، هل يوجد من يشتاق إلى حضنك، ويترجى الشركة مع السمائيين؟

هل خلقت البشرية لكي تهلك؟".

في جلسة هادئة أشرق عليه نورٌ قويٌّ، فتهلّلت نفسه جداً.

سَجَدَ إشعيا أمام الله، الذي بدأ يتكلّم معه كصديقٍ له، يُحدّثه عن خطته من

جهة شعب الله كما من جهة الأمم.

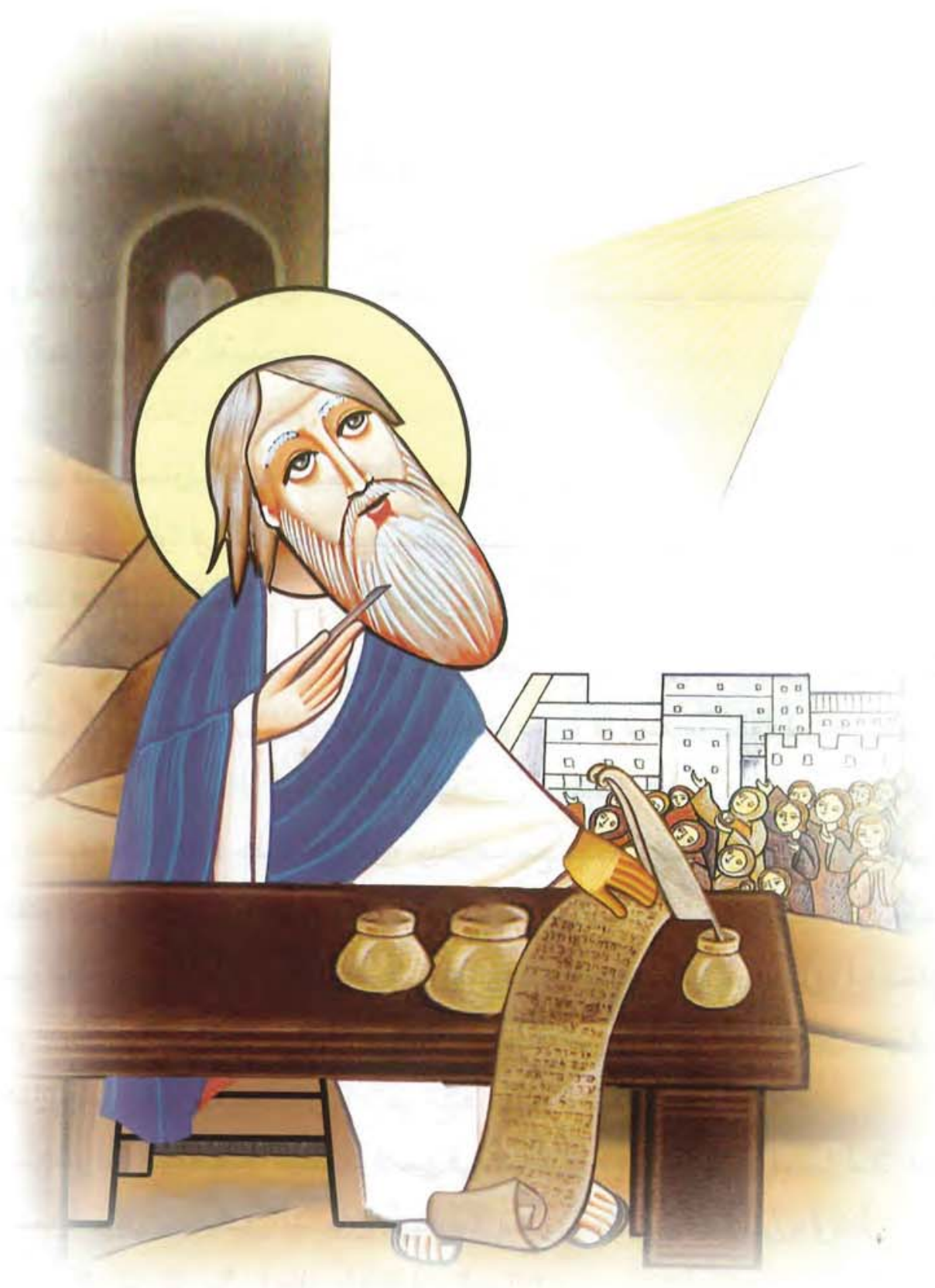
سَمِعَ صوتَ الله يقول له في حُزْنٍ عن مملكة يهوذا: "ويل للأمة الخاطئة... تركوا الرب، استهانوا بقُدُوس إسرائيل... كُلُّ الرأس مريضٌ، وكُلُّ القلب سقيمٌ، من أسفل القَدَم إلى الرأس ليس فيه صحَّةٌ... كيف صارت أورشليم مدينة زانية؟!".

انهمرتِ الدموع من عيني إشعياء، وانسحق قلبه فيه، وتساءل: "وما هو الحلُّ؟ مَنْ يَقْدِر أن يُغَيِّر القلوب؟ مَنْ يَقْدِر أن ينزع الفساد من أقدس مدينة في العالم؟!".

ضاقتُ نفسه جدًّا، لكن بهاء مجد الله ملاً أعماقه بالفرح. تحدّث معه الرب ليقول له: "لا تخف يا إشعياء، إني أحبُّ كل البشريّة. إني أكشف لك ما أنا فاعله ليس مع يهوذا فقط، بل ومع كل البشريّة. إني أنزل في آخر الأيام وأصير إنسانًا، وأصلب من أجل العالم، أُقدِّم نفسي ذبيحة وأحمل خطايا البشريّة.

"ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتًا في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم. وتسير شعوب كثيرة، ويقولون: هلمّ نصعد إلى جبل الرب".

رأى إشعياء خطة الله للخلاص، وظهر له صليب رب المجد يسوع، يجتذب نفوس الكثيرين من كل الأمم. أدرك إشعياء قوّة الصليب. إنه يُبدد الحُزن ويحوّله إلى فرح. يملأ النفس رجاءً، فترى في وسطها نورًا سماويًا يُبدد الظلمة.



١٣٧- هأنذا أرسلني إشعيا في داخل الهيكل

(إشعيا ٦)

حديث الله مع إشعيا ملاً قلبه بالرّجاء، فكانت أحلام يقظته هي تحقيق هذا الوعد الإلهي؛ أن تصعد الشعوب والأمم إلى جبل الرب، وتدخل أورشليم العليا، وتتمتع بالهيكل السماوي. آمن إشعيا أن الله مُحَبُّ البشر حتماً يُحَقِّق هذه الخطة الإلهية، فهو إله المُستحيلات.

كلّما دخل القصر والتقى بأحد رجال الدولة عاد إلى حجرته يصرخ: تُرَى متى تُحَقِّق يارب خطّتك؟ أخبرني كيف يتم ذلك. وإن التقى بأحد الكهنة أو اللاويين أو أفراد الشعب، يعود إلى حجرته يسأل: إلهي متى أرى كل البشر معك في السماء؟

كان إشعيا يُصارع في صلواته، ويصرخ قلبه إلى الله، وإذا به يرى نفسه داخل الهيكل. لم يرَ رئيس الكهنة ولا اللاويين ولا أحداً من العاملين في الهيكل، إنما رأى نوراً بهياً لا يمكن التطلّع إليه.

سَقَطَ إشعيا على الأرض، وبخوفٍ مع بهجةٍ داخليةٍ رفع رأسه ليرى القدوس جالساً على عرشٍ بمجدٍ عجيبٍ، يبدو أنه لم يستطع أن يُرَكِّزَ عَيْنَيْهِ عليه من عظمة بهائه، بل ولم يعرفَ ماذا يدعوهُ، هل يدعوهُ الله، أم القدير، أم الخالق، أم الديان أم القدوس؟ دعاه "السيد" لأن كل الألقاب لا تكفي للتعبير عن حقيقة الله كما ينبغي.

رأى أذنيه تملأ الهيكل، فسمع في قلبه: "لا تخف يا إشعيا، أنا أملأ هيكل السماء. وكل السمائيين يشتهون أن يروا البشرية معهم يُسَبِّحُونِي. أودّ أن تكون أنت وكل إخوتك مثل أعظم طغمة في السماء!".

نظر إشعيا طغمة السرافيم ذوي الستة أجنحة، واشتهى أن يكون كل البشر مثلهم. رأى كل واحدٍ منهم يُغَطِّي وجهه بجناحين من عظمة بهاء الله، وجناحين يُغَطِّي رجليه، ويطير بجناحين. سمع النبي السرافيم يُسَبِّحون الله بغير انقطاع وبلا ملل، قائلين: "قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ ربُّ الجنود، السماء والأرض مملوءتان من مجدك".

سمع صوت تهليلهم يملأ الهيكل، والسحاب يرتفع ويملاً كل الهيكل. يا لها من صورة مُبهِجة للغاية! أدرك أن القدوس هو وحده القادر أن يُقَدِّس الخطاة! تهلَّل قلبه، واهتزَّ كل كيانه، كيف سُمِحَ له أن يرى هذا المنظر. سجد إشعيا أمام الرب الإله، وصرخ قائلاً: "ويلٌ لي إني هلكت لأنني إنسان نجس الشفتين، وساكن وسط شعب نجس الشفتين!"، للحال طار أحد السرافيم وأمسك جمرَةً نار من على المذبح بملقَطٍ ومَسَّ بها شفتي النبي قائلاً. وسمع النبي الرب يقول له: "يا إشعيا، هوذا قد تطهَّرت شفتاك، وقد كُفِّرَ عن خطاياك!".

فرح إشعيا جدًّا بحضرة الرب وبتطهير شفتيه بل وكل جسده وروحه، واشتاق أن يرى البشر هذا المنظر، ويتمتع الكل بالطهارة والنقاوة بتناولهم جسد ربنا يسوع، الجمرة الحقيقية التي تطهَّر القلب. إنها جمرة جسد السيِّد المسيح ودمه، نتناولهما فنتمتع بمغفرة الخطايا كوعده الصادق. اشتاق إشعيا أن يتمتع كل إنسان بما ناله. للحال سمع صوت السيِّد قائلاً: "من أرسلُ؟ ومن يذهب لأجلنا؟"، قال: "هأنذا أرسلني". تقدَّم للخدمة، فأقامه الرب نبياً له.

في ذلك الوقت كانت مملكة يهوذا غنيَّة جدًّا، لكن بالتصاقها بالأمم الوثنيَّة فُتِحَ الباب لدخول الأوثان إليها. لذلك طَلَبَ الله من إشعيا أن يُحذِّرها، مُنادياً بالتوبة. كان يوبِّخ الحُكَّام والأغنياء على عبادتهم الأوثان مع الوثنيين وممارسة عادات شريرة، وعلى أنانيتهم.

تحالفت مملكة يهوذا مع آشور ولم تتكل على الله، لذلك أعلن لهم إشعياء النبي أن يهوذا ستسقط في السبي، ولكن البقية المقدسة ستعود من السبي وتبني أورشليم من جديد.

وسط هذه الظروف القاسية وتحذيراته بحزم، فتح أبواب الرجاء:

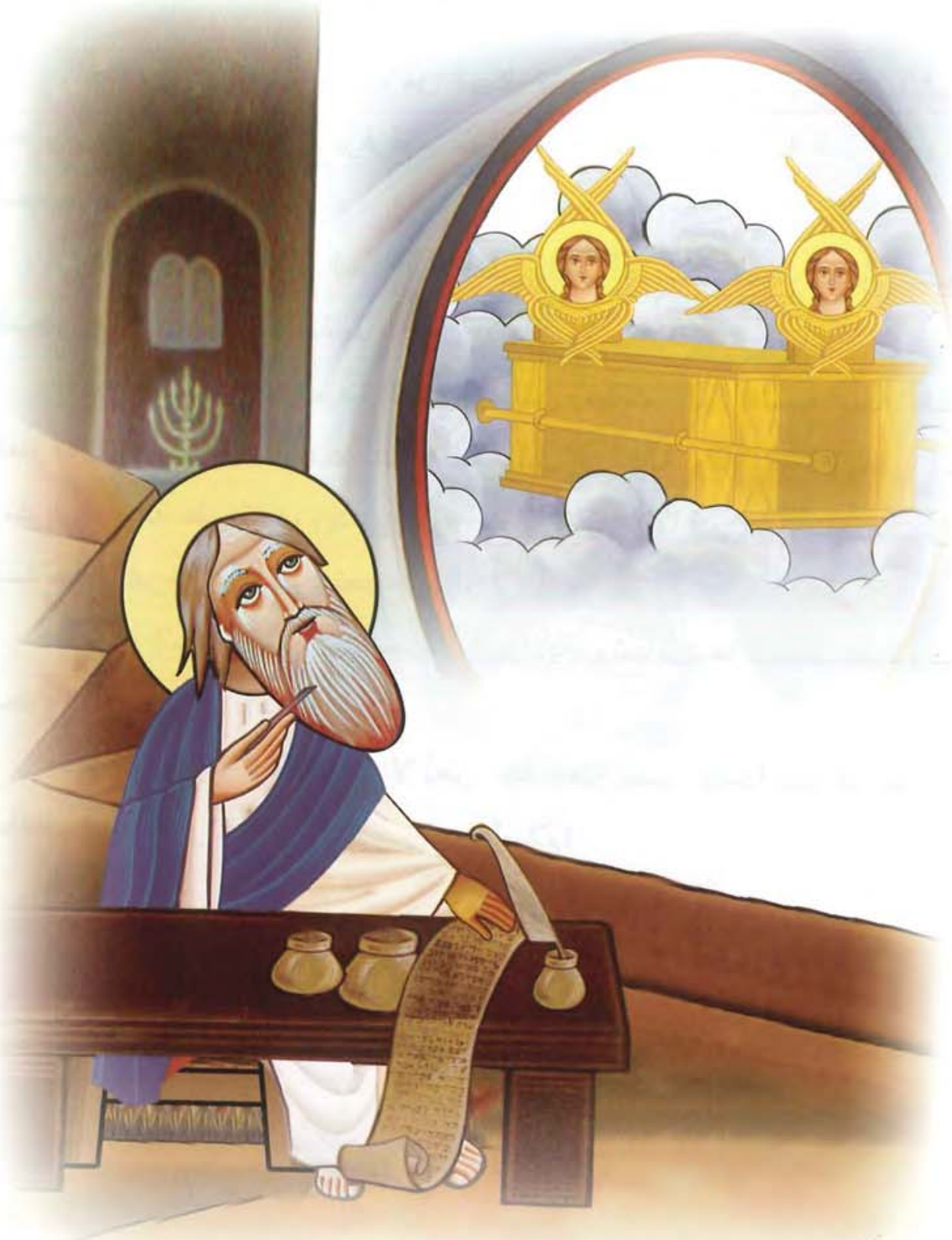
أولاً: أخبرهم بوضوح عن مجيء المسيح يسوع مُخلص العالم.

ثانياً: أكد قبول الأمم بالإيمان بالمسيح المُخلص.

ثالثاً: تنبأ عن هروب العائلة المقدسة إلى مصر، وبناء مذبح للرب فيها،

كما قال: "مبارك شعبي مصر".

"قُدُوسٌ، قُدُوسٌ، قُدُوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مَلَأَ كُلَّ الْأَرْضِ"
(إش ٦: ٣)



١٣٨- جولة في داخل مذود

(إشعيا ٧، ٩)

انطلق روح الرب بإشعيا من الهيكل بمجده العجيب، حيث العرش الإلهي العالي والمُرتفع، والسرافيم يرفرفون حوله بفرحٍ عجيبٍ ليدخل به إلى مذود بسيط في بيت لحم.

رأى أعظم أعجوبة، السيد نفسه أخلى ذاته وأخذ شكل العبد. الخالق غير المحدود يُشارك البشرية حياتهم.

سمع إشعيا هذا الصوت السماوي: "لكن يُعطيكم السيد نفسه آيةً. ها العذراءُ تحبلُ وتلدُ ابناً، وتدعو اسمه "عمانويل" ... لأنه يُولدُ لنا ولدًا ونُعطي ابناً وتكون الرياسةُ على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إليها قديراً أباً أبدياً رئيسَ السلام ... غيرُ ربِّ الجنود تصنعُ هذا".

صمّت إشعيا النبي عند سماعه هذه الآية. وتساءل: ما ارتباط غيرة رب

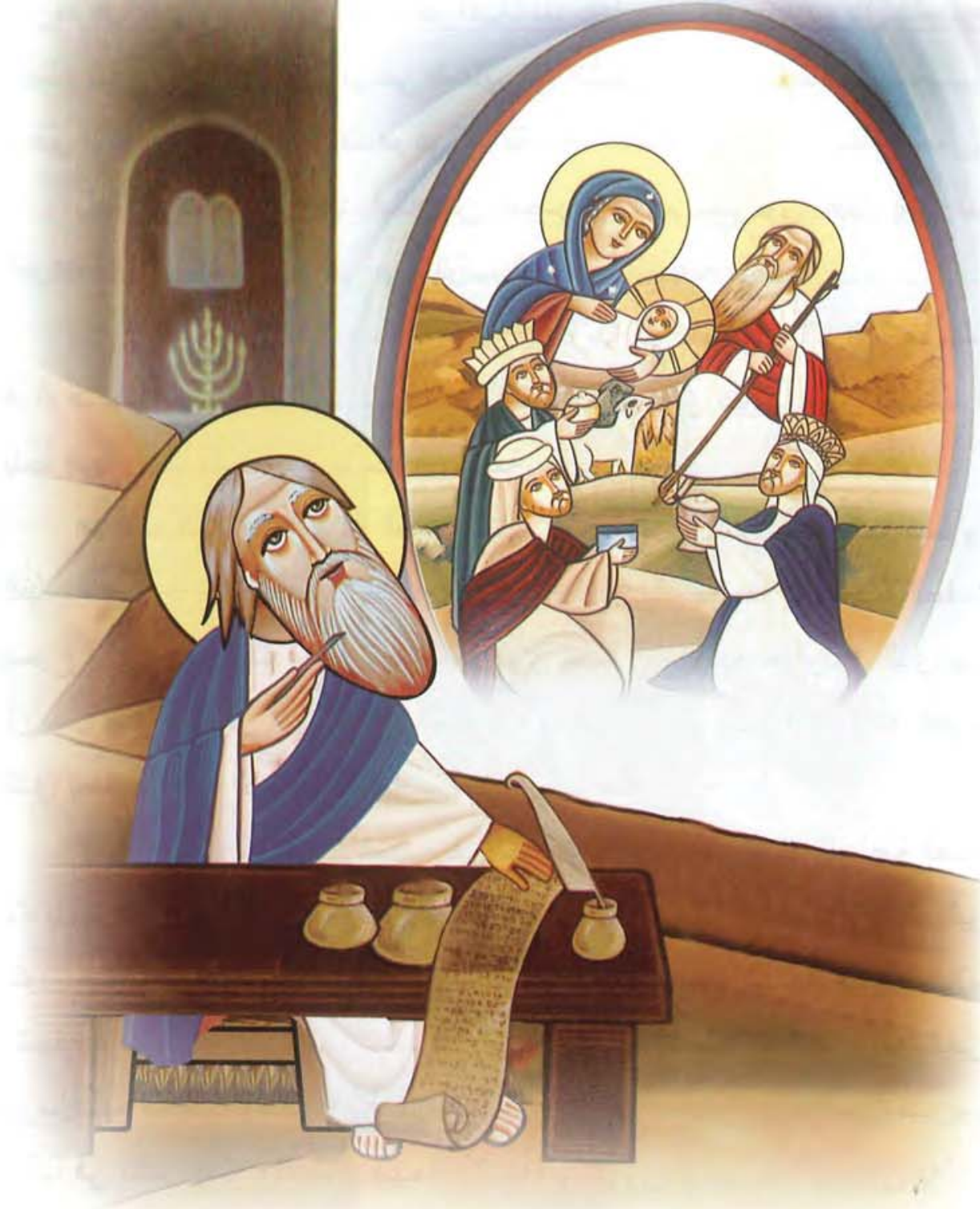
الجنود بهذه الآية؟

حقاً إنها غيرته وحبّه الذي لا يُعبّر عنه جعله يصير إنساناً يشاركنا حتى

الطعام، وهو القدير العجيب الأبدي رئيس السلام!

"ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل"

(إش ٧: ١٤)



١٣٩- جولة في أرض الفراعنة

(إشعيا ٢، ١٩)

رأى إشعيا النبي كل الأمم تجري إلى بيت الرب السماوي، فتساءل في فكره: هل من بين القادمين أبناء الفراعنة؟ لقد تقسى قلب فرعون، وأذلّ شعب الله قديماً. لقد سبق فأرسل الله موسى العظيم في الأنبياء، وأخرج شعبه من مصر، وعبرَ بهم البحر الأحمر، وقادهم في البرية.

استلم إشعيا من تقليد آباءه عن المصريين أنهم مملوءون عنفاً. إنهم أبناء الفراعنة! فهل لهم نصيب في بيت الرب السماوي مع بقية الأمم؟

كم كانت دهشة إشعيا حين انطلق به الرب إلى حوالي ٧٣٠ سنة مقدّماً، فرآه قد جاء إلى العالم، وإذ صار طفلاً خصّ مصر دون غيرها من البلاد أن يلجأ إليها راكباً سحابة منيرة خفيفة سريعة.

ما هذه السحابة الجميلة المنيرة؟ إنها القديسة مريم التي حلّ عليها الروح القدس، وأعدّها ليتجسّد كلمة الله من جسمها وفي أحشائها! ها هي مع الطفل يسوع والقديس يوسف النجار، يسرعون إلى مصر من وجه هيرودس الذي يريد أن يقتل يسوع. ترى هل مخلص العالم كله يخاف من هيرودس؟ لا، لكنه القُدوس الذي يُعلّم البشريّة ألاّ تقف أمام الشرّ، بل تهرب منه.

وماذا يفعل ربنا يسوع المسيح في مصر؟ هل ينتقم من أبناء الفراعنة القساة؟ لا، بل ترتجف أوثان مصر من وجهه، ويذوب قلب مصر داخلها. في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر، وعمود للرب عند تخمها. فيكون علامة وشهادة لرب الجنود في أرض مصر. لأنهم يصرخون إلى الرب بسبب المضايقين، فيُرسل لهم مخلصاً ومُحاميّاً يُنقذهم. فيُعرف الرب في مصر، ويعرف المصريون الرب في ذلك اليوم، ويُقدّمون ذبيحةً وتقديماً، وينذرون للرب نذراً ويوفون به.

كيف يكون للرب مذبح في أرض مصر؟ ألم يمنع الرب إقامة مذبح خارج أورشليم؟ نعم، لكنه ليس مذبح العهد القديم، بل العهد الجديد! وأية ذبيحة؟ ألم

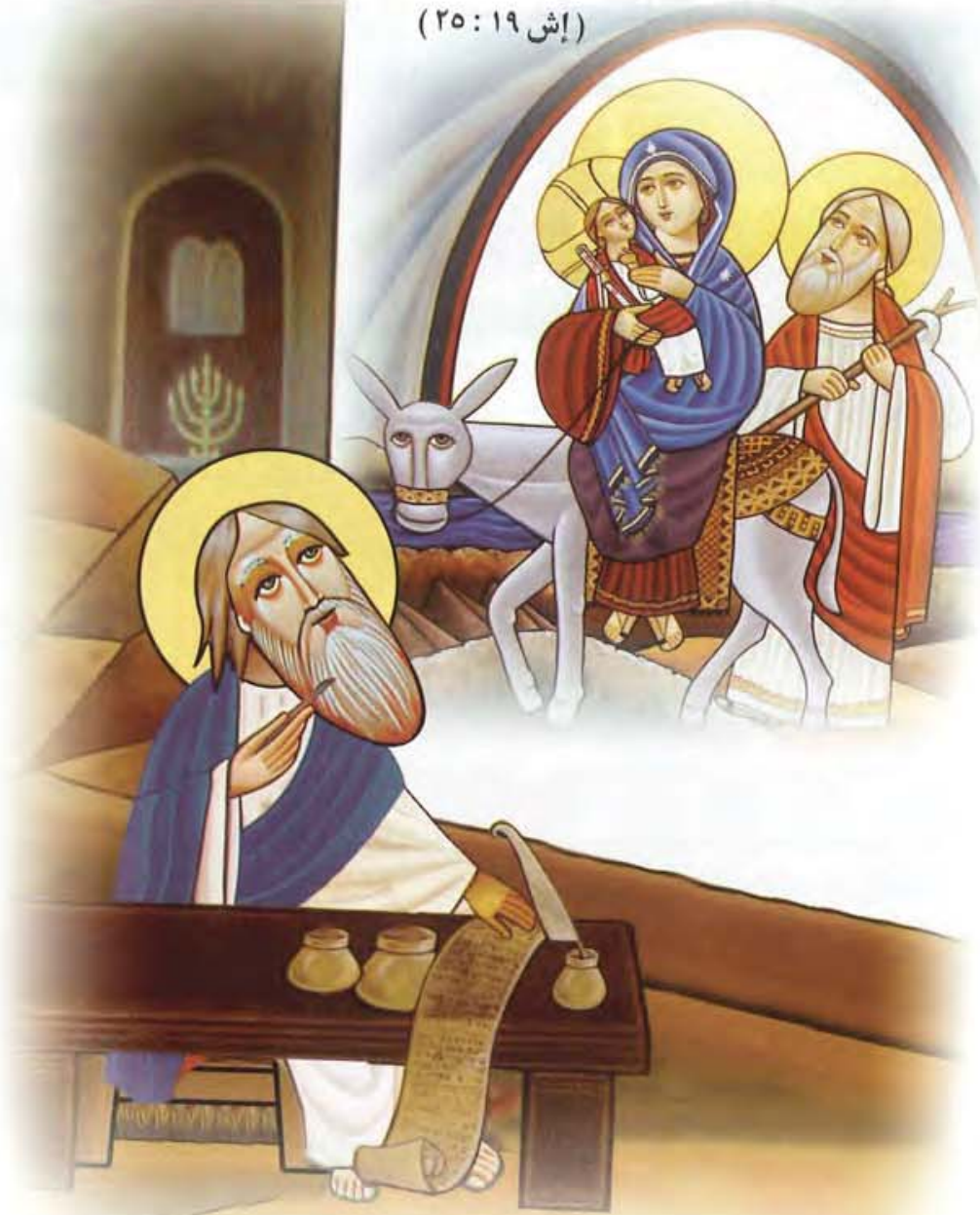
يمنع الربّ تقديم ذبائح خارج أورشليم؟ نعم، لكنها ذبيحة الافخارستيا، جسد الربّ
ودمه المبذولان على الصليب!

يا لُحْبَ الله لكلّ البشريّة، حتى مصر يُقيم فيها مذبَحًا له؟ نعم. لقد سمع
إشعيا النبي رب الجنود يُبارك قائلاً: "مُباركٌ شعبي مصر".

يا لها من جولة مُفرحة، تهلّل قلب إشعيا بحُبّ الله لكلّ البشريّة، إنّه يحبّ
حتى مصر التي سبقت فاستعبدت شعبه القديم!

"مُباركٌ شعبي مصر"

(إش ١٩: ٢٥)



١٤٠- جولة على الجبال المقدسة

(إشعيا ٥٢)

في إحدى الجولات التي كان فيها رُوح الرَّبِّ في صحبته، رأى إشعيا النبي أورشليم أشبه بسيِّدة حزينة، ترتدي ثيابًا مُمزَّقة وذنسة، مُكسرة القلب ومُرَّة النَّفس، في خمولٍ كأنها نائمة!

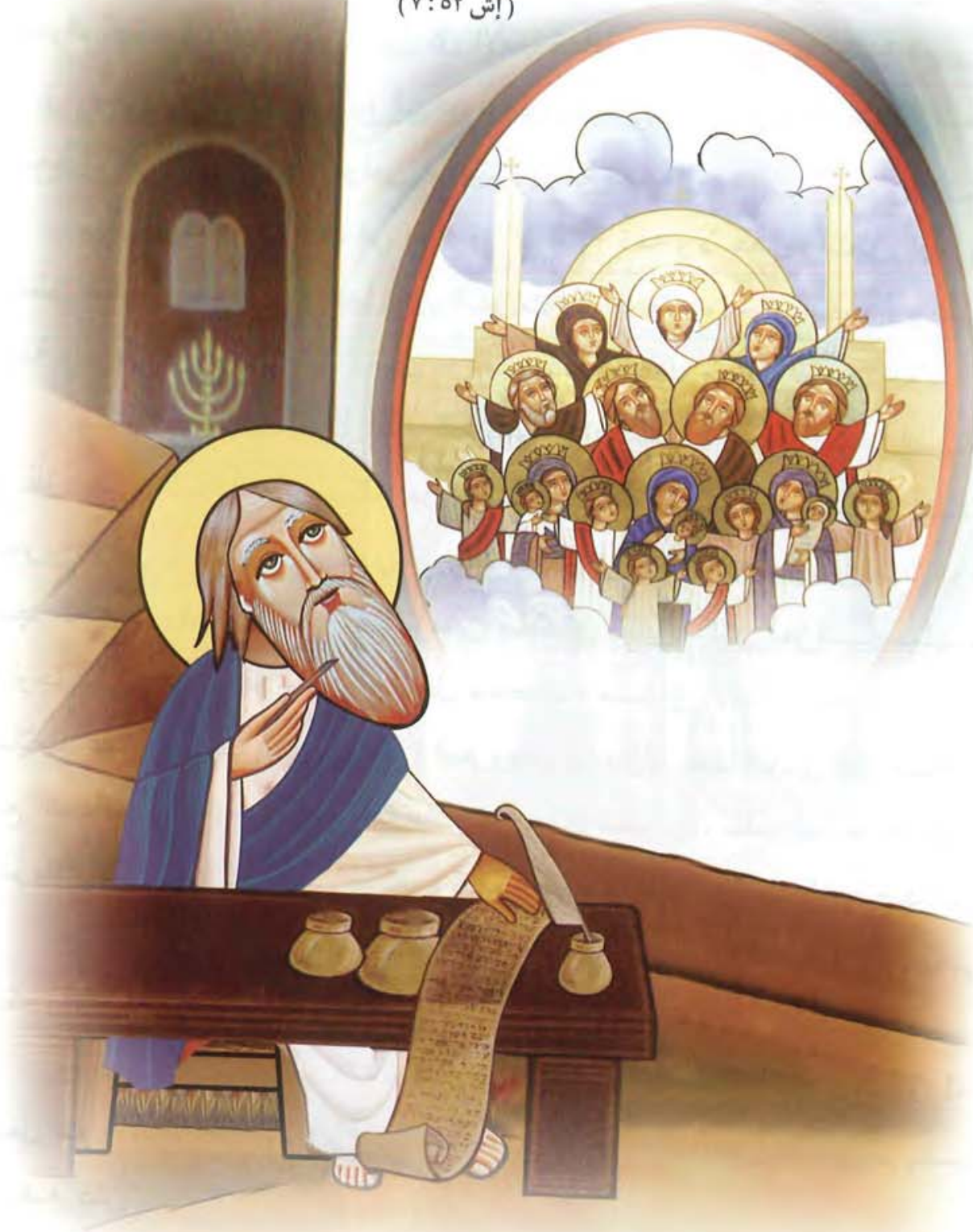
بدأت الدموع تتسلَّل من عيني إشعيا، فسمع الرَّبُّ يُناديها: "استيقظي، استيقظي، البسي عزِّك يا صهيون. البسي ثياب جَمالك يا أورشليم".

فوجئ إشعيا بجموع لا تُعدَّ جاءت من المشارق ومن المغارب ومن الشمال والجنوب، تصعد كما على الجبال، لا لتدخل أورشليم الأَرْضِيَّة، بل تصعد إلى أورشليم السماوية. وسمع صوتًا عذبًا يُغني ويُرَتِّل: "ما أجمل على الجبال قدمي المُبشِّر المُخبر بالسَّلام، المُبشِّر بالخير، المُخبر بالخلاص، القائل لصهيون قد ملك إلَهُك".

أدرك إشعيا أنها جولة تتحقَّق بعد أكثر من ٧٣٠ سنة حين يُرسل السيِّد المسيح تلاميذه ورُسله إلى كل العالم، ليقيم ملكوته في قلوب البشر؛ فيملك ملك الملوك في داخلنا.

" ما أجملَ على الجبالِ قَدَمي المُبَشِّرِ، المُخْبِرِ بالسَّلامِ "

(إش ٥٢: ٧)



١٤١- جولة على جبل الجلجثة

(إشعياء ٥٣)

بعد أن تمتع إشعياء بالجولة السابقة على الجبال المقدسة، وفرح بأن ملك الملوك يُقيم ملكوته في القلوب بين كل الأمم، تساءل في قلبه: "ما هذا السرّ العجيب؟" حمّله روح الربّ وقاده إلى جولة جديدة على جبل الجلجثة. صرخ إشعياء متعجبًا: "من صدّق خبرنا؟ ولمن استعلت ذراع الربّ؟".

رأى المصلوب، فقال في مرارة: "لا صورة له ولا جمال، فننظر إليه، ولا منظر فنشتهيه. مُحْتَقَرٌ ومخدولٌ من الناس، رجُلٌ أوجاع ومُختَبِرُ الحزن، وكُمُستَرٌّ عنه وجوهنا (وكان وجوهنا تخجل من مشاهدة منظره)، مُحْتَقَرٌ فلم نعتدّ به".

ماذا رأى إشعياء؟ رأى ملك الملوك، خالق السماء والأرض صار إنسانًا، وعُلّق على خشبة الصليب، كله جراحات. يسخر به اليهود، يضربه جندي بحربة. ويهرب تلاميذه ويختفون. لم يعدّ يحتمل أن يراه! لكن سرعان ما أدرك مجد الصليب وقوته، فسمع كل المؤمنين يُسبّحون قائلين: "لكن أحراننا حملها، وأوجاعنا تحملها. وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه (التأديب الذي كان من المفروض أن ينزل علينا فيؤدّي إلى سلامنا مع الله حمّله عليه)، وبحبّره (علامات جراحاته) شفينا ... ظلّم، أمّا هو فتذلّ، ولم يفتح فاه. كشاةٍ تُساق إلى الذبح، وكنعجة صامته أمام جازيها، فلم يفتح فاه".

صمت إشعياء أمام هذه التسبحة، إذ علم أنه مُخلّص العالم، مات لكي يحيي البشرية.

وماذا بعد الصليب؟ حمل الروح إشعياء ليرى دفن السيّد المسيح، وقيل له: "جعل مع الأشرار قبره، ومع غنيّ عند موته، على أنه لم يعمل ظلّمًا، ولم يكن في فمه غشّ".

رأى السيّد المسيح مصلوبًا بين لصين، ويدفنه الغني يوسف الرامي ومعه نيقوديموس في قبرٍ يحرسه حراس أشرار. تهلّل إشعياء حين رأى السيّد المسيح

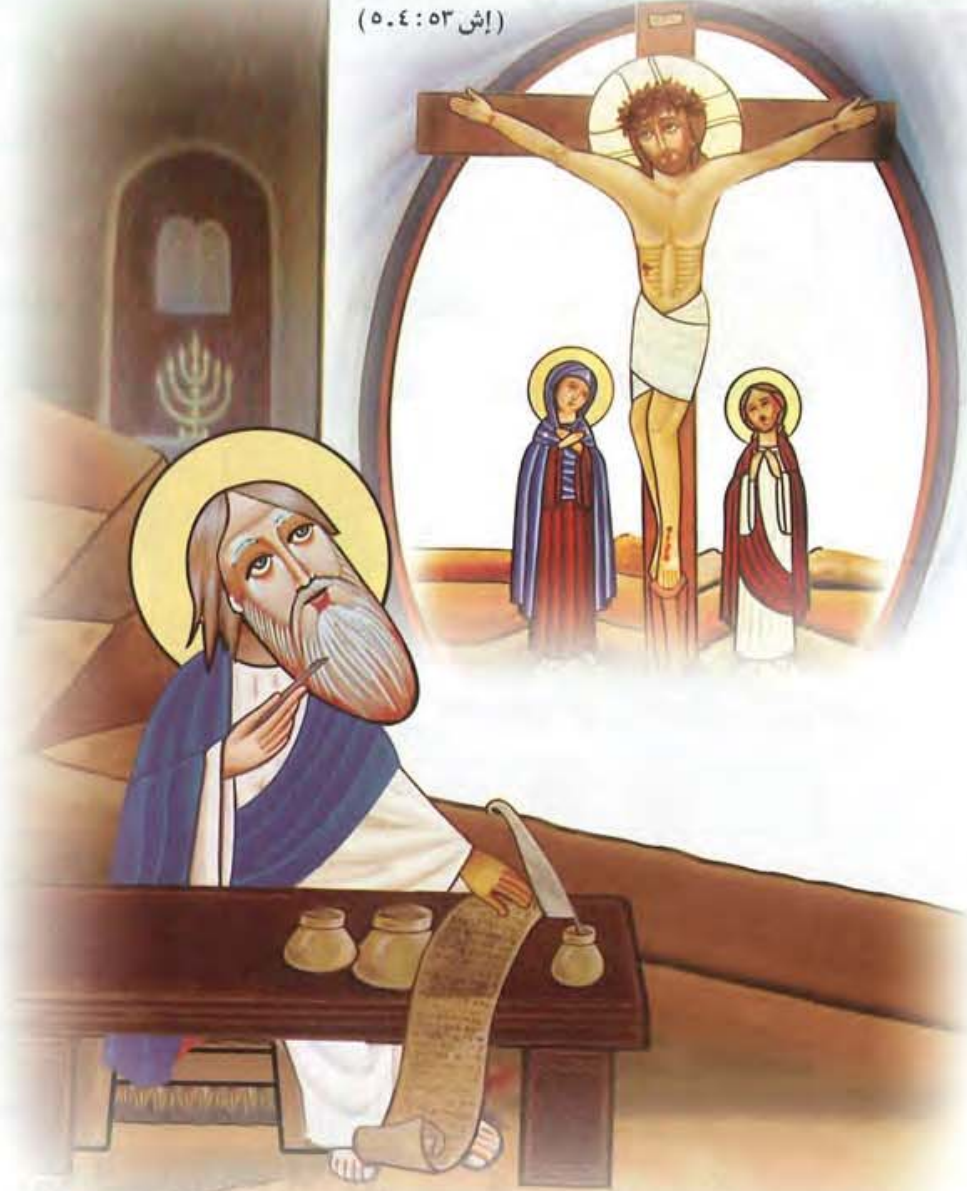
قد أكمل الفداء، وحمل الذين ماتوا قبلاً من الجحيم، ودخل بهم إلى الفردوس، وفرح بهم الأب: "أما الربُّ (الأب) فسُرَّ بأن يسحقَهُ بالحَزَن. إن جعل نفسه ذبيحةً إثمًا".
قدّم ربنا يسوع نفسه ذبيحة فريدة عن الأجيال كلها. "حمل خطيئة كثيرين، وشفّعَ في المُذنبين".

طوباك يا إشعياء! فقد رأيتَ ميلاد السيّد المسيح من عذراء، وصلبه ودفنه وقيامته قبل مجيئه بسبعة قرون! آمنتَ به، بينما لم يقبله الكثير من اليهود عندما جاء!

"لكن أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحمّلها.

وهو مجروحٌ لأجل معاصينا، مسحوقٌ لأجل آثامنا"

(إش ٥٣: ٤-٥)



١٤٢- جولة مُفرحة في كنيسة العهد الجديد

(إشعيا ٥٤، ٦٠)

رأينا كيف عَبَّرَ رُوحَ الرَّبِّ بِإِشْعِيَاءَ فِي جَوْلَةِ الصَّلِيبِ الَّتِي بَدَأَتْ بِمَنْظَرِ الأُمِّ، وَانْتَهَتْ بِرُؤْيَا المَسِيحِ يَسُوعَ الَّذِي يَشْفَعُ بِدَمِهِ أَمَامَ الآبِ، فَيَدْخُلُ بِالمُؤْمِنِينَ إِلَى المَجْدِ الأَبَدِيِّ. الآنَ يَدْخُلُ بِهِ إِلَى جَوْلَةِ مُفْرِحَةٍ فِي كَنِيسَةِ العَهْدِ الجَدِيدِ الَّتِي تُصَوِّرُ أَيْقُونََةَ لِلسَّمَاءِ.

رَأَى إِشْعِيَاءُ الأُمَّمَ الَّتِي كَانَتْ كَامرَأَةً عَاقِرٌ لَمْ تَلِدْ، لِأَنَّهَا لَمْ تَتَعَبَّدْ لِهَيْئَةِ الحَقِيقِيِّ، وَلَا كَانَتْ بَيْنَهَا أَنْبِيَاءٌ، وَلَا دَخَلَتْ فِي عَهْدٍ مَعَ الرَّبِّ. الآنَ تَسْمَعُ صَوْتَ الرَّبِّ يَقُولُ: "لُحِيظَةٌ تَرَكْتُكَ، وَبِمَرَاحِمٍ عَظِيمَةٍ سَأَجْمَعُكَ".

صَارَ لَهَا ثَمَرُ الرُّوحِ القُدُسِ المُفْرِحِ كَأَنَّهُ أَوْلَادٌ كَثِيرُونَ لِلكَنِيسَةِ، فَقِيلَ لَهَا:

"تَرَنَّمِي أَيَّتُهَا العَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ،

أَشِيدِي بِالتَّرَنُّمِ أَيَّتُهَا الَّتِي لَمْ تَمَخُضْ،

لِأَنَّ بَنِي المُسْتَوْحِشَةِ (بِلا رَجُلٍ وَلَا بَيْتٍ وَلَا أَوْلَادٍ)، أَكْثَرُ مِنْ بَنِي ذَاتِ

البَعْلِ (الْمُتَزَوِّجَةِ بِرَجُلٍ).

لِأَنَّ رَجُلَكَ هُوَ صَانِعُكَ، رَبُّ الجُنُودِ اسْمُهُ، وَوَلِيُّكَ (المُعْتَنِي بِكَ) قُدُّوسٌ

إِسْرَائِيلَ، إِلَهَ كُلِّ الأَرْضِ يُدْعَى".

رَأَى إِشْعِيَاءُ رَبَّ المَجْدِ يَسُوعَ المَسِيحِ، نُورَ العَالَمِ، أَقَامَ كَنِيسَتَهُ مَمْلُوءَةً

نُورًا سَمَاوِيًّا. سَمِعَ النَّبِيَّ الأَغْنِيَّةَ التَّالِيَةَ:

"قَوْمِي اسْتَنْبِرِي، لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورُكَ،

وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكَ.

لِأَنَّهَا هِيَ الظُّلْمَةُ تُغَطِّي الأَرْضَ ...

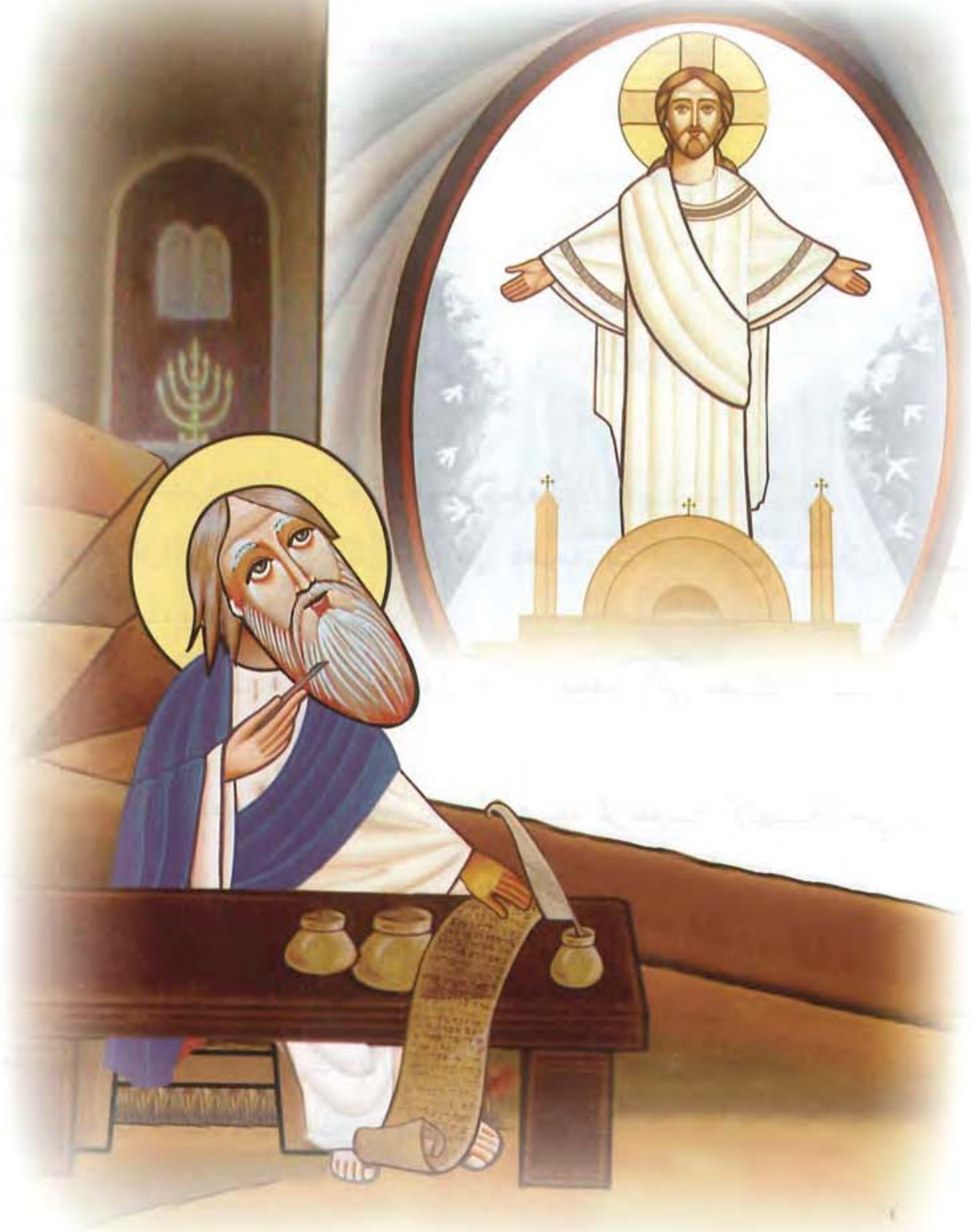
فَتَسِيرُ الأُمَّمُ فِي نُورِكَ، وَالمُلُوكُ فِي ضِيَاءِ إِشْرَاقِكَ".

يَا لِبَهْجَةِ إِشْعِيَاءَ، إِذْ رَأَى المُؤْمِنِينَ قَدْ صَارُوا مُلُوكًا، مَمْلُوءِينَ نُورًا فِي

قُلُوبِهِمْ، يَسِيرُونَ نَحْوَ السَّمَاءِ فِي نُورِ كَنِيسَةِ المَسِيحِ!

"قومي استنيري، لأنه قد جاء نورك، ومجد الرب أشرق عليك"

(إش ٦٠: ١)



١٤٣- لقاء مُمتع مع مسيح الكنيسة

(إشعياء ٤٠ - ٤٤)

نختم جولتنا مع إشعياء النبي بلقائه مع مسيح الكنيسة. حاول إشعياء أن يصف لنا ما رآه في المسيح بكونه مصدر فرح البشرية كلها. رآه عاملاً في شعبه يملأهم بالرجاء المفرح، قائلاً: "عزّوا، عزّوا شعبي يقول إلهكم. طيبوا قلب أورشليم، ونادوا بأن جهادها قد كمل، إن إثمها قد عُفي عنه".

رأى القديس يوحنا المعمدان يُهيئ له الطريق:
"صوتُ صارخٍ في البرية، أعدّوا طريقَ الربِّ؛
قوموا في القفر سبيلاً لإلهنا ...
فيعلنُ مجدُ الربِّ، ويراهُ كلُّ بشرٍ جميعاً، لأنَّ فَمَ الربِّ تكلمَ".

رآه الراعي الصالح، "كراعٍ يرعى قطيعه". بذراعه يجمع الحُمَْلان، وفي حضنه يحميها، ويقود المُرَضِّعات".

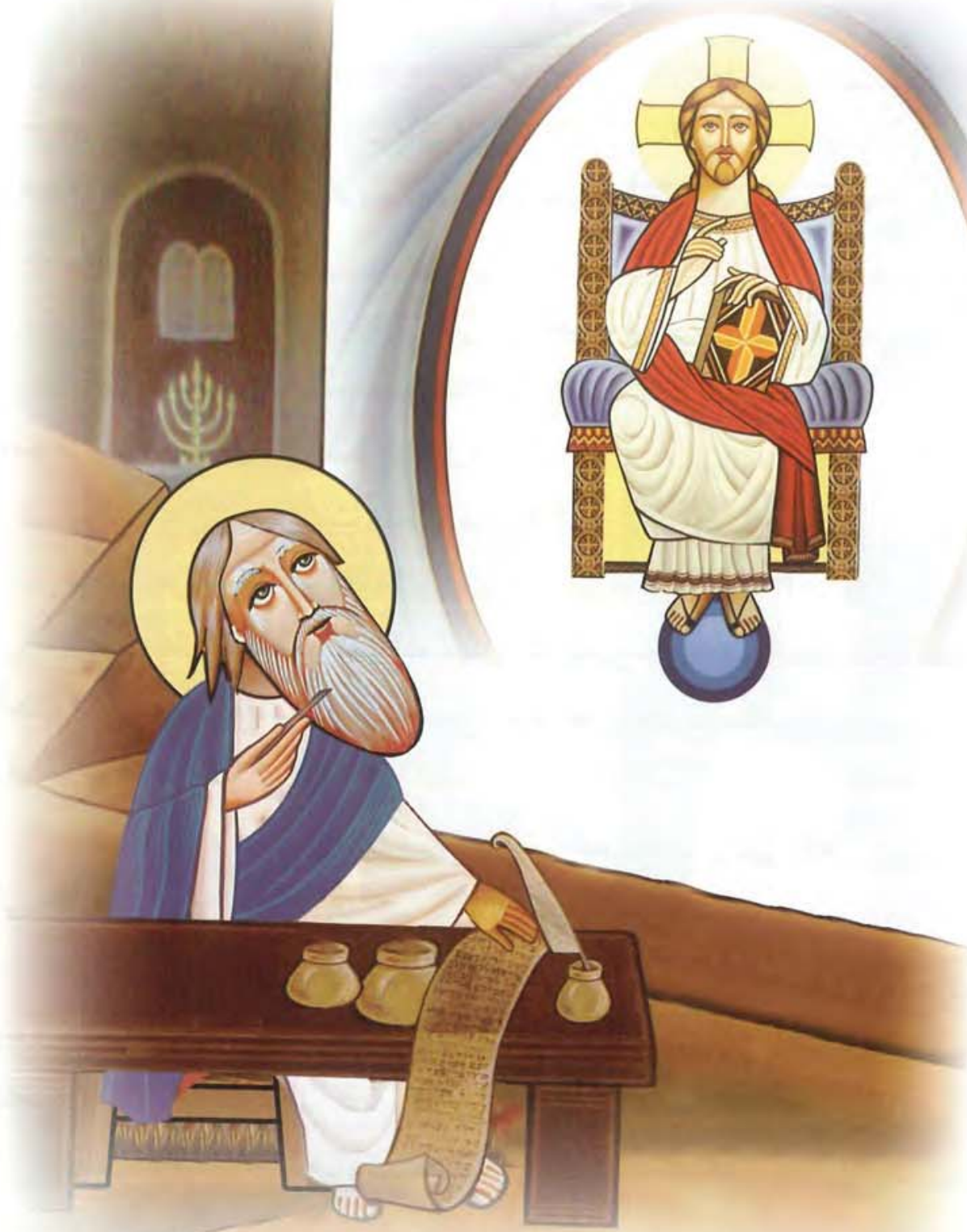
رآه قادمًا لأجل كل إنسانٍ، يقول له: "لا تخفْ لأني معك... قد أيدتُك وأعنتُك وعضدتُك بيمينِ برِّي".

يبدو أن البعض صرخ: "مَنْ يستحق هذه الرعاية الإلهية العجيبة؟"، وجاءت الإجابة:

"قصبَةٌ مرضوضةٌ لا يقصِفُ، وفتيلةٌ مُدخَّنةٌ لا يُطفئُ".
"لا تخفْ لأني فديتُك. دعوتُك بِاسمِكَ. أنت لي. إذا اجتزتَ في المياه فأنا معك، وفي الأنهار لا تغمرُك. إذا مشيتَ في النار فلا تُلذِّغُ، واللَّهيب لا يُحرقُك".
"أنا أنا الربُّ، وليس غيري مُخلصٌ!".

" لا تَخَفْ لَأني فديتك. دعوتك بِاسمك. أنت لي "

(إش ٤٣ : ١)



١٤٤ - فتى يفوق والده الملك

حزقيّا الملك

(٢ ملوك ١٦، ٢ أخبار الأيام ٢٨ - ٢٩)

كثيراً ما كان الفتى حزقيّا يجلس في حجرته الخاصة في جناح أبناء الملك، وتتسلّل الدموع من عينيه. كان يئن في أعماقه، إذ علم أن أخاه الأكبر، وهو رضيع، قدّمه أبوه آحاز ملك يهوذا ذبيحة ومُحرقة للآلهة.

كان يسأل نفسه:

"هل الآلهة قُساة حتى تحرم أخي من الحياة، وتحرمني أنا منه؟

كيف سلّمه والدي وهو مُتهلّل لكاهن الأصنام كي يُلقيه على التمثال

المعدني المحمّر بالنيران وسط الطبول؟

ألم يسمع أبي صرخات ابنه الرضيع؟

وماذا عن موقف أُمي منه؟".

كان يدهش كيف خرب والده هيكَل الله الحيّ الذي بناه الملك سليمان

الحكيم، وأطفأ السرج، ومنع تقديم ذبائح، وها هو يتعبّد للأصنام التي بلا حياة،

وقد امتلأ القصر الملكي بها.

كان يحزن وهو يرى والده يصعد على المرتفعات وعلى التلال وينطلق

إلى الأشجار ليُقدّم ذبائح للأصنام.

سمع حزقيّا عن والده أنه صار في ضيقة عظيمة، لأن رصين ملك أرام

(سوريا) وفقّح ملك إسرائيل قد تحالفا معاً منذ أيام جده يوثام. وبعد موت يوثام

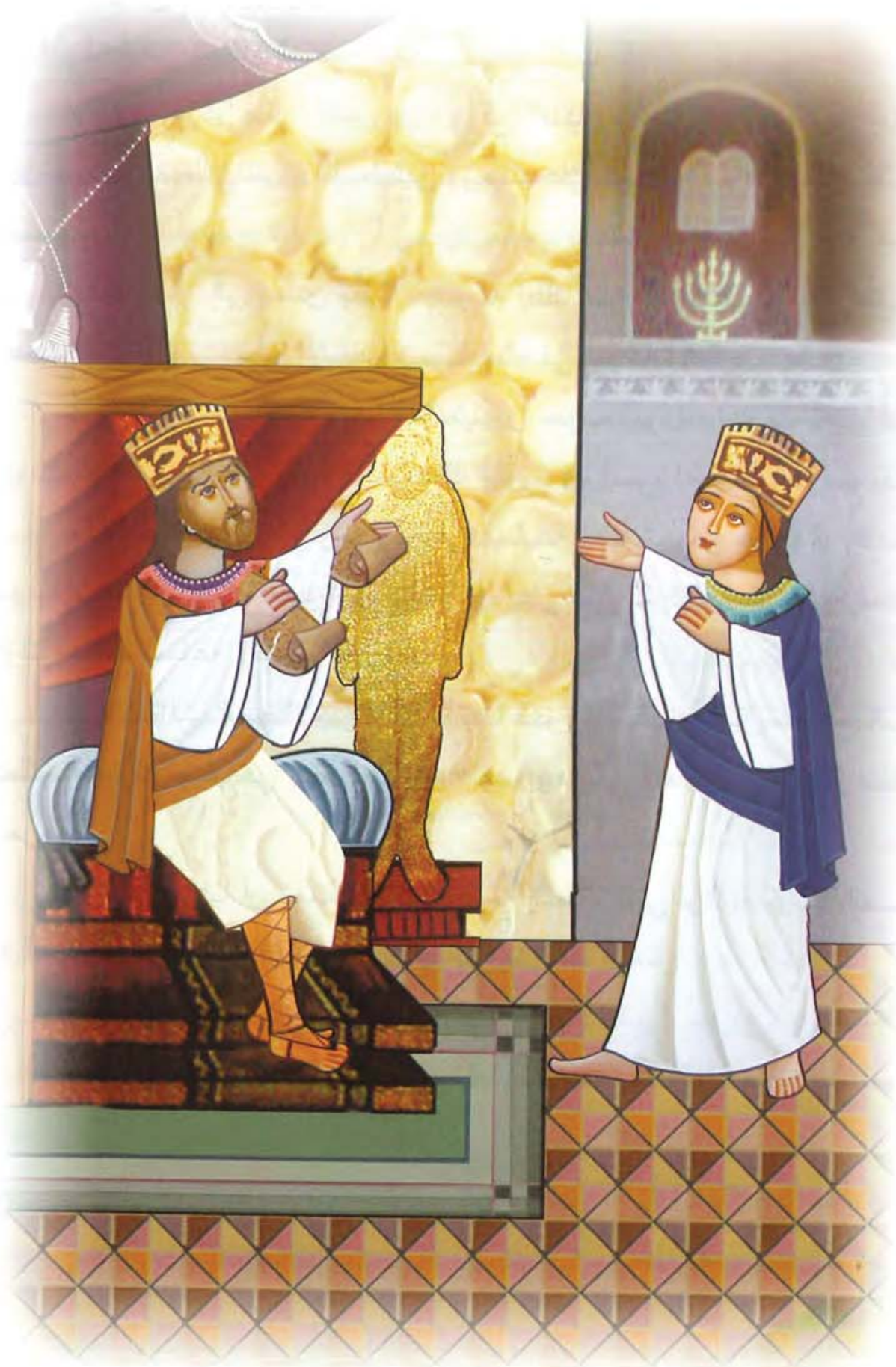
حاصر الملكان أورشليم.

أرسل الرب نبيّه إشعياء ليسند آحاز، قائلاً له: "لا تخف، ولا يضعف

قلبك!... لا تلجأ إلى ملك أشور تطلب معونته".

طلب منه إشعياء النبي ألا يتكل على قوات أجنبية بشرية، بل يطلب معونة

الرب.



لم يسمع آحاز لصوت إشعياء، إنما استتجد بتغلث فلاسر ملك آشور، بعد أن قدّم له أواني الهيكل المقدّسة الثمينة وذخائر القصر.

بالفعل تحرّك جيش الآشوريين، ورفع الملكان الآخران الحصار عن أورشليم. هاجم ملك آشور الفلسطينيين وزحف على السامرة، ثم استولى على دمشق عاصمة أرام.

ذهب آحاز إلى دمشق يُعلنُ خضوعه لملك آشور الغالب أرام. وهناك أُعجب بمذبح الوثن، وأمر أن يصنع مذبح مثله في أورشليم.

في أواخر حكم آحاز اقتحم الفلسطينيون جنوب يهوذا، وضرب بنو أدوم يهوذا، فطلب النجدة من تغلث فلاسر ملك آشور، فلم يسمع له بل بالأكثر ضايقه. مات آحاز سنة ٧٢١ ق.م وهو في السادسة والثلاثين من عمره. وكان حزقيّا مرّ النفس بسبب فساد أبيه، وإصراره على مقاومة العبادة لله ونشر العبادة الوثنيّة وعدم سماعه لإشعياء النبي.

في السنوات السبع الأخيرة لحكم أبيه، عجز أبوه عن ممارسة أعماله كملك. فاشترك حزقيّا في الحكم عام ٧٢٨ ق.م وهو في الخامسة والعشرين من عمره.

كان يلذّ لحزقيّا أن يسمع عمّا كان يقوله إشعياء النبي لوالده، وربما التقى به النبي وكان يسمع له، فأراد بحقّ أن يُصلح ما أفسده أبوه.

١٤٥ - ملك صالح لأبٍ فاسدٍ وشريرٍ

(٢ ملوك ١٨، ٢ أخبار الأيام ٢٩ - ٣٠)

بدأ حَزَقِيَّا الملكَ التَّقِيَّ حكمه بالإصلاح الديني والسياسي، مُتَّكِلًا عَلَى اللَّهِ مُعِينَهُ. فَمَا كَانَ يَشْغَلُ قَلْبَهُ مُنْذُ تَوَلَّىهُ الْعَرْشَ هُوَ أَنْ يَخْدُمَ الرَّبَّ، مُكْرَسًا قَلْبَهُ وَحَيَاتِهِ لِلَّهِ.

مِنَ الْجَانِبِ السِّيَاسِيِّ لَمْ يَكُنْ حَزَقِيَّا مُسْتَعِدًّا لِتَمَلُّقِ مَلِكِ أَشُورٍ أَوْ مَجَارَاتِهِ دِينِيًّا أَوْ سِيَاسِيًّا كَمَا فَعَلَ وَالِدُهُ.

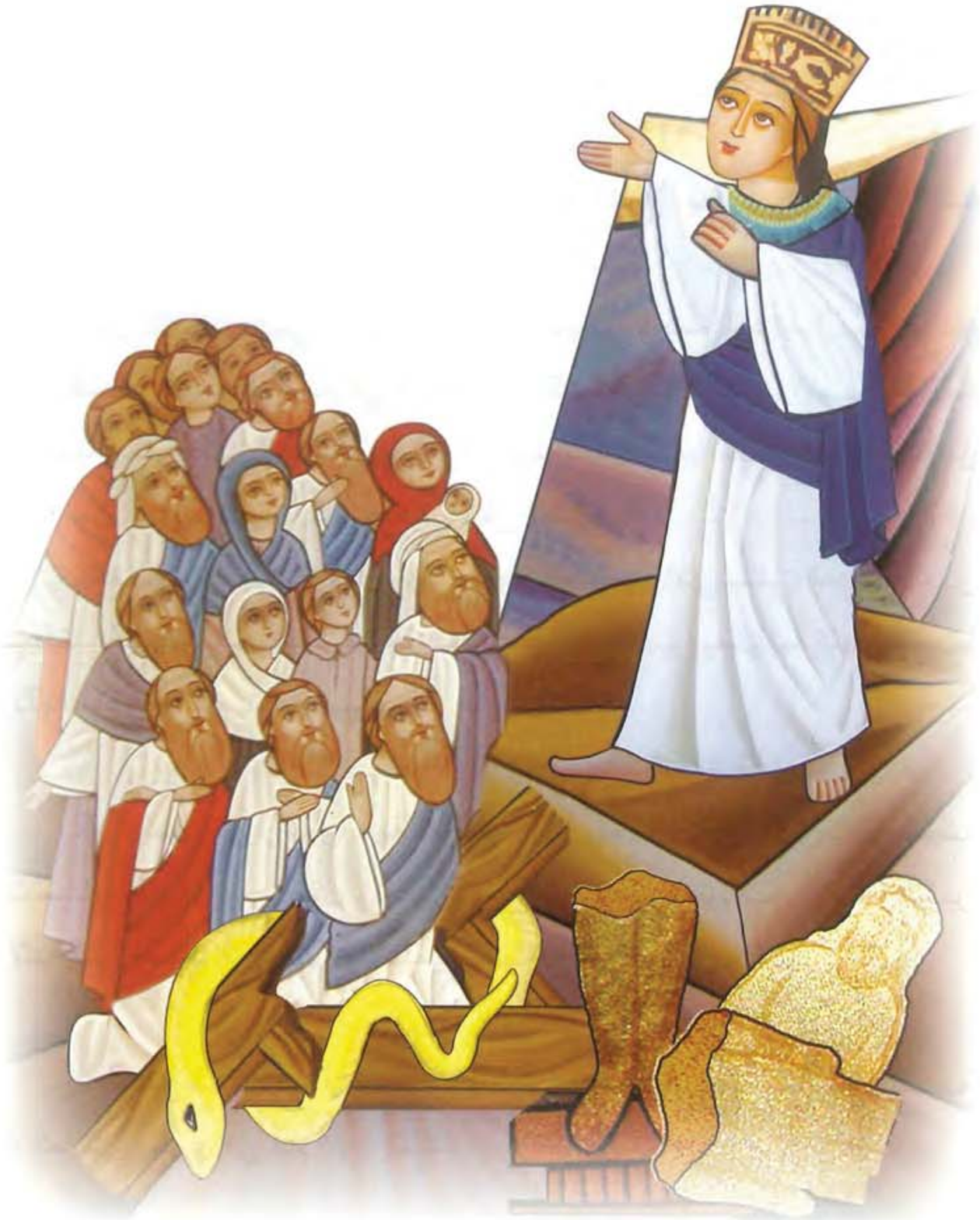
وَمِنَ الْجَانِبِ الدِّينِيِّ، أزال حَزَقِيَّا المُرْتَفَعَاتِ، وَحَطَّم التَّمَاثِيلَ. وَإِذْ كَانَ وَالِدُهُ قَدْ نَشَرَ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، خَشِيَ حَزَقِيَّا أَنْ يَعْبُدَ الْيَهُودَ الْحَيَّةَ النَّحَاسِيَّةَ، الَّتِي طَلَبَ الرَّبُّ مِنْ مُوسَى أَنْ يَصْنَعَهَا وَيَرْفَعَهَا لِشِفَاءِ كُلِّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهَا مِمَّنْ لَدَغْتَهُمُ الْحَيَّاتُ كَمَا جَاءَ فِي سَفَرِ الْعَدَدِ.

فَمَعَ اعْتِرَازَهُ بِهَا بِكَوْنِهَا رَمْزًا لِصَلِيبِ الْمُخْلِصِ الَّذِي يَشْفِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْ لَدَغَاتِ إِبْلِيسَ، إِذْ انْحَرَفَ النَّاسُ عَنِ هَذَا الْمَفْهُومِ وَصَارُوا يَعْبُدُونَهَا كَالِهٍ وَسَطِ الْأَلْهَةِ الْأَصْنَامِ، قَامَ بِتَحْطِيمِهَا.

كَانَ يَشْعُرُ بِمَرَارَةٍ مِنْ جِهَةِ مَا فَعَلَهُ وَالِدُهُ بِالْهَيْكَلِ، سِوَاءِ تَخْرِيْبِهِ أَوْ تَدْنِيْسِهِ بِالْأَصْنَامِ، فَقَامَ بِتَرْمِيمِ الْهَيْكَلِ وَتَطْهِيرِهِ مِنْ كُلِّ مَا يَمُتُّ لِلوثنِيَّةِ بِصَلَةِ. كَمَا طَهَّرَ الْآنِيَةَ الَّتِي نَجَّسَهَا أَبُوهُ، لِكَيْ يَسْتَعْمِدَهَا الْكَهَنَةُ وَاللَّاوِيُونَ فِي خِدْمَتِهِمْ.

أَعَادَ فَتْحَ الْهَيْكَلِ فِي أُورُشَلِيمَ مَعَ تَنْظِيمِ الْخِدْمَاتِ الرُّوحِيَّةِ، خَاصَّةً التَّسْبِيْحَ لِلَّهِ كَمَا كَانَ يَجْرِي فِي أَيَّامِ دَاوُدَ الْمَلِكِ.

لأول مرّة منذ أيام سليمان أقيم عيد الفصح في أورشليم لا ليهودا فقط،
وإنّما دعا إليه اليهود الذين في إسرائيل، وكان فرحٌ عظيمٌ.



١٤٦- صراع مع آشور

(٢ ملوك ١٨ - ١٩؛ ٢ أخبار ٣٢؛ إشعياء ٣٦ - ٣٧).

في السنة الرابعة من حكم حزقيّا، أي في سنة ٧٢٤ ق.م.، حاصر شلمنصر السامرة، وفي سنة ٧٢٢م أكمل سرجون الثاني هذا العمل وسبى العشرة الأسباط التي لمملكة إسرائيل إلى آشور.

طمع الآشوريون في الاستيلاء على يهوذا كما استولوا على إسرائيل، وقاموا بعدة غزوات متكررة.

أرسل سرجون ملك آشور ابنه سنحاريب قائداً لجيوشه، لإخضاع مردوخ بلادان ملك بابل الذي تمرّد على آشور، ثم تحوّل سنحاريب إلى الغرب لإخضاع فينيقية وسائر مراكز المقاومة على ساحل البحر الأبيض المتوسط، واستطاع أن يفتخر بأنه فتح ستاً وأربعين مدينة.

أرسل حزقيّا إلى ملك آشور يعتذر له، ويقول: "قد أخطأت، ارجع عني، ومهما جعلت عليّ أفعله"، وبالفعل فرض عليه جزية ثلاث مئة وزنة من الفضة وثلاثين من الذهب دفعها حزقيّا من بيت الرب ومن خزائن بيت الملك.

لكن سنحاريب خان العهد وعاد فأرسل جيشاً ليقتحم أورشليم. وقد جاء تاريخ آشور يؤكد ذلك، فقد حسب حزقيّا كعصفور في قفص لم يكن قادراً على الخروج من أورشليم، وأنه دفع الجزية كما سقط ٢٠٠,٠٠٠ شخصاً من شعبه أسرى.

أرسل ملك آشور مُمثليه من بينهم ربشاقى لإرهاب حزقيّا وشعبه. وقف ربشاقى، ونادى بصوتٍ عظيمٍ باللغة اليهودية، حتى يسمع الشعب ويثور على حزقيّا الملك، وقال:

"اسمعوا كلام الملك العظيم، ملك آشور.

هكذا يقول الملك. لا يخذعكم حزقيّا، لأنه لا يقدر أن ينقذكم.

ولا يجعلكم حزقيًا تتكلمون على الرب، قائلاً: إنقاذاً يُنقذنا الرب. لا تُدفع هذه المدينة إلى يد ملك آشور.

لا تسمعوا لحزقيًا.

لأنه هكذا يقول ملك آشور. اعدوا معي صلحًا، واخرجوا إليّ، وكلوا كل واحدٍ من جفنته، وكل واحدٍ من تينته، واشربوا كل واحدٍ ماء بئره. حتى آتي وأخذكم إلى أرضٍ مثل أرضكم، أرض حنطةٍ وخبزٍ وكروم.

لا يغرركم حزقيًا، قائلاً: الرب ينقذنا.

هل أنقذت آلهة الأمم كلُّ واحدٍ أرضه من يد ملك آشور؟!".

إذ سمع الكاهن وغيره من القادة ذلك، ذهبوا إلى حزقيًا وثيابهم ممزقة، وأخبروه بكلام ربشاقى.

لما سمع الملك ذلك، مزق ثيابه وتغطى بمسح، ودخل بيت الرب. وأرسل إلى إشعيا يستجد به من ذلك الذي يُعير الله رب الجنود.

قال إشعيا لهم:

"هكذا تقولون لسيدكم، هكذا يقول الرب لا تخف بسبب الكلام الذي سمعته الذي جدف عليّ به غلمان ملك آشور.

هأنذا أجعله يسمع خبراً، فيرجع إلى أرضه، وأسقطه بالسيف في أرضه".

بالفعل بعد قليل سمع ربشاقى أن بابل قد ثارت ضد آشور، فتخلى عن

حصار لخيخ، وارتحل دون أن يغزو أورشليم.

بارتحال الآشوريين عن فلسطين أرسلت الأمم المجاورة تهانيها إلى حزقيًا

مع هدايا وفيرة، وبدأت فترة ازدهار اقتصادي لم تتمتع بها مملكة يهوذا منذ أمدٍ

بعيدٍ.



١٤٧- أزيد على أيامك خمس عشرة سنة

(٢ ملوك ٢٠)

أُصِيبَ حَزَقِيَّا الْمَلِكُ بِمَرَضٍ لِلْمَوْتِ. فَجَاءَ إِلَيْهِ إِشْعِيَاءُ النَّبِيُّ، وَقَالَ لَهُ:
"هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ أَوْصِ بَيْنَكَ، لِأَنَّكَ تَمُوتُ وَلَا تَعِيشُ."
فِي تَوَاضِعٍ وَانْسِحَاقِ قَلْبٍ، وَجَّهَ حَزَقِيَّا وَجْهَهُ إِلَى الْحَائِطِ، وَبَكَى بُكَاءً
عَظِيمًا، وَصَلَّى إِلَى اللَّهِ. فِي الطَّرِيقِ تَكَلَّمَ الرَّبُّ مَعَ إِشْعِيَاءَ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَرْجِعَ
إِلَى الْمَلِكِ، وَيَقُولَ لَهُ: "هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ دَاوُدَ أَبِيكَ: قَدْ سَمِعْتُ صَلَاتَكَ. قَدْ
رَأَيْتُ دُمُوعَكَ. هَآنَذَا أَشْفِيكَ. فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ تَصْعَدُ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ. وَأَزِيدُ عَلَى
أَيَّامِكَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَأُنْقِذَكَ مِنْ يَدِ مَلِكِ أَشُورَ مَعَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ، وَأُحَامِي عَنْ
هَذِهِ الْمَدِينَةِ مِنْ أَجْلِ نَفْسِي، وَمِنْ أَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِي."



١٤٨ - سقوط في الكبرياء

(٢ ملوك ٢٠)

أرسل برودخ بلادان ملك بابل إلى حزقيًا ملك يهوذا رسائل وهدايا لتهنئته على شفائه من مرضه.

كان وراء هذا يريد أن يضمه إليه في التحالف السري الذي يجريه ملك بابل مع بعض البلاد ضد آشور.

للأسف سقط حزقيًا التقى المتواضع في الكبرياء، فبسط إمكانياته وقدراته وأسلحته أمام سُفراء بابل ليفتخر بها.

كان ثمرة هذا الكبرياء أن إشعياء النبي جاء إلى الملك ودخل معه في

الحوار التالي:

- ماذا قال لك هؤلاء الرجال؟ ومن أين جاءوا إليك؟

- جاءوا من أرض بعيدة، من بابل.

- ماذا رأوا في بيتك؟

- رأوا كل ما في بيتي. ليس في خزائني شيء لم أرهم إياه.

- اسمع قول الرب:

هوذا تأتي أيام يُحْمَلُ فيها كلُّ ما في بيتك، وما ذخره أبائك إلى هذا اليوم

إلى بابل.

لا يُترَك شيءٌ يقول الربُّ.

ويؤخذ من بنيك الذين يخرجون منك، الذين تلذُّهم، فيكونون خصباناً في

قصر ملك بابل.

- جيّدٌ هو قول الرب الذي تكلمت به.

أفقد هذا الوعيد جوّ البهجة الذي أشاعه شفاء حزقيًا.

١٤٩ - هلاك سنحاريب وجيشه

(٢ ملوك ١٩؛ إشعياء ٣٧)

بعد نحو عشر سنوات، أي في سنة ٦٨٩ ق.م استطاع سنحاريب أن يدمر بابل، وينهي ثوراتها المتكررة.

سمع سنحاريب بأن ترهاقة ملك كوش يحاول أن يعبر الصحراء العربية إلى مصر سنة ٦٨٨ ق.م.

بعث سنحاريب إلى حزقيّا يطلب منه التسليم. صعد حزقيّا إلى بيت الرب، ونشر الرسائل التي أرسلها سنحاريب أمام الرب، وطلب من الله أن ينقذه. بعث إليه إشعياء رسالة جاء فيها:

"هكذا قال الرب عن ملك آشور، لا يدخل هذه المدينة، ولا يرمي هناك سهمًا، ولا يتقدم عليها بترس، ولا يُقيم عليها مترسةً. في الطريق الذي جاء فيه يرجع....".



في تلك الليلة خرج ملاك الرب وضرب من جيش آشور مئة وخمسة وثمانين ألفاً. وفي الصباح باكراً إذا بهم جثث ميّنة.

انصرف سنحاريب في خيبة أمل إلى نينوى. دخل إلى بيت نسروخ إلهه، واغتاله هناك ابناه أدرمّك وشراصر كما تنبأ إشعياء قبل ذلك بعشرين عاماً.

وإذ أكمل حزقيّا الخمسة عشر عاماً التي أضافها الله إلى عمره مات في سلام.

١٥٠- يوشيا ملك يهوذا والنبي القروي

(أخبار الأيام الثاني ٣٤ - ٣٥)

حدثت في أورشليم أمور مُرعبة، فقد أقام الملك تمثالاً للإله مولك في وادي ابن هنوم، خارج أسوار المدينة. كان ذراعا التمثال النحاسي مبسوطين لتقديم ذبائح بشرية في قسوة. إذ كان الكهنة والكاهنات يوقدون ناراً تحتها حتى يتوهجا جداً، فتأتي الأم برضيعها وتلقي به على الذراعين. ولكي لا يسمع أحد صرخات الرضيع وهو يحترق، كان الكهنة الوثنيون يضربون على الطبول، وينشدون الأغاني بأصوات مُرتفعة.

عندما صار يوشيا ملكاً على يهوذا اشتاق أن يتخلص من كل التماثيل الوثنية.

سَمِعَ إرميا النبي الصغير القروي يصرخ في أورشليم ويقول:

"هذه الآلهة الغريبة الباطلة صنعها الأمم، وهي لا تسمع ولا تتكلم ولا

تتحرك.

حطّموها وتخلصوا منها، فإنه لا نفع لها، وتعجز عن أن تؤذيكم.

ارجعوا إلى الله الحي، وأصلحوا بيته المقدس الذي أفسدتموه".

إذ سمعه الملك أحبه جداً، وأحب كلماته. وأمر يوشيا الملك حلقيا رئيس

الكهنة أن يهتم بإصلاح الهيكل.

بدأ العمل في جدية، وانشغل المعماريون والبناءون والنجارون في إصلاح

الهيكل وترميمه.

قال أحدهم وهو يرفع بيده درجاً (مخطوطة) قديماً من وسط الأنقاض:

"انظروا! ما هذا؟!".

نفض الرجل التراب عن الدرج، وقدمه لحلقيا رئيس الكهنة الذي قرأه،

وأسرع نحو شافان كاتب الملك يُقدّم له الدرج، ويقول له: "قد وجدنا سفر الشريعة

مخفياً في بيت الرب".



أخذ شافان الدَّرَجَ وفتحهُ، وبدأ يقرأ فيه، عندئذ قال: "يجب علينا أن نُقدِّمه للملك".

جاء شافان الكاتب إلى يوشيا الملك، وقال له: "لقد أعطاني حلقيا هذا الدَّرَجَ". قال له الملك: "اقرأ بصوت عالٍ".

بدأ شافان يقرأ بصوت عالٍ للملك الشرائع المذكورة في الدَّرَجِ، وجلس يوشيا صامتًا، ينصت باهتمامٍ شديدٍ.

"تحبُّ الربَّ إلهك من كل قلبك وكل نفسك وكل قدرتك.

الله لا يحابي الوجوه، يهتم بالأيتام ويحب الغرباء.

وأنت يليق بك أن تحبَّ الغرباء أيضًا، إذ كنت غريبًا في مصر. لا تحابي أحدًا.

عندما تجمع حصادك تأكد أنك تترك بعض الحبوب في الحقل، وبعض

الزيتون على الأغصان، وعناقيد عنب على الكرمة حتى يأكل الفقير".

بدأ يوشيا يرتعب حتى قفز من فوق عرشه؛ وخلع تاجه، ومزق ثيابه

الملوكية، وهو يقول: "حتمًا الله غاضب علينا، إذ لا يوجد في يهوذا من يُنفذ وصايا هذا السفر".

وقف يوشيا بجوار عمود، ووعده الله أن يحفظ وصاياه المكتوبة في هذا

السفر. وصرخ الشعب كله: "آمين".

أصدر الملك أوامره بهدم كل المذابح الوثنية فورًا، وسحق تمثال مولاك. بهذا

تحول وادي ابن هنوم إلى مقلب قمامة. كما أصدر أمره أن يُحتفل بعيد الفصح

العظيم في أورشليم الذي لم يُحتفل به منذ سنوات طويلة، كما قرأ الملك السفر.

فرح الشعب جدًّا، وبدأوا يطيعون الأوامر، لكن سرعان ما رجعوا إلى

طرقهم الشريرة القديمة. وكان إرميا النبي يلاحظ هذا كله. فكان في البداية مُتهللاً

لتوبة الشعب ورجوعهم إلى الله، لكنه عاد فحزن جدًّا لما وجدهم لا يحبّون الله

ولا يطيعون وصاياه.

١٥١- دعوة إرميا النبي

(إرميا ١)

وُلِدَ إرميا في قرية عناثوث التي تبعد حوالي ثلاثة أميال شمال شرق
أورشليم، في أرض بنيامين. كان ينتسب إلى عائلة كهنوتية، فكان يحب الهيكل
جداً، وكان منذ صباه يحزن على انشغال الناس باللّهو عوض العبادة لله.

في هدوء القرية كان إرميا يختلي بالله كصديقٍ شخصيٍّ له. كثيراً ما كان
يصعد على سطح بيته ليرى البرية القاحلة القائمة على حافة قريته، وينظر من
بعيد ليرى وحشاً مفترساً. وسط هذا الجوّ الممتزج بين أمان القرية ورُعب
الصحراء، كان إرميا يطلب حماية الله لشعبه، وخلص الكل من الفساد.

كان حزينا على شرّ عائلته، لأنها تقدّم ذبائح خارج أورشليم (الهيكل)،
الأمر الذي كانت الشريعة تمنعه. اتهمته أسرته أنه خائن لبلده، وهاج عليه الملك
ورجال قصره.

دعاه الرب للخدمة قائلاً: "قبلما صورّتك في البطن عرفتك، وقبلما خرجت
من الرحم قدّستك، جعلتك نبياً للشعوب"، وإذ شعر بثقل الدعوة مع صغر سنّه
وقلة خبرته اعتذر، قائلاً: "أنا ولد، لا أعرف أن أتكلّم، وإن تكلمت فليس من
يُصغي إليّ". لكن الرب طمأنه أنه يُعطيه كلمة عند افتتاح فمه. قال له: "جعلتك
نبياً لكل شعوب". لأنه تنبأ أيضاً عن مجيء المسيح مُخلص العالم كله.

أجابه الله: "لا تخف يا إرميا، فإنني أكون معك، وأسير معك، وأعطيك
كلمتي في فمك، وأرعاك بنفسي!" شعر إرميا بقوة إلهية تمسّ شفّتيه، وبفرح وفي
ثقة داخلية قال: "لقد لمس الله فمي".

قال له الله: "ماذا ترى يا إرميا؟".

- ياربّ إنني أرى قضيب لوز، ندعوها شجرة حارسة، لأنها تزهر قبل كل
الأشجار، فنحسبها تعلن عن حلول فصل الربيع.

- أنا أيضًا كالشجرة الحارسة يا إرميا، أنا أحرس كلمتي، وأجعلها تزهر وتثمر في القلوب. أنا معك لأنفذك.

ترك إرميا قريته الصغيرة وذهب إلى أورشليم. سمع يوشيا الملك إرميا أنه يقف في الميادين العامة ويتحدث مع الشعب ضد الآلهة الباطلة وعبادة موالك. فأصدر أمرًا بهدم كل المذابح الوثنية وكل مذبح خارج أورشليم، حتى لا تُقدم ذبيحة خارج الهيكل.

أعلن الله لإرميا ألا يرجع إلى قريته عناثوث، إذ قال له: "لقد حطم رجال الملك المذبح الذي في عناثوث. وقد عرفتُ أسرتك أنك أنت السبب في ذلك. إنهم ثائرون جدًا عليك، ويطلبون قتلك، بدلاً من أن يرجعوا إليّ، فأرحمهم وأغفر لهم. لا تذهب إليهم، ولا تخف منهم، إني أكون معك".

أجاب إرميا: "نعم يارب، أنا أعلم أنك معي!".

حذر إرميا شعب الله بسقوط أورشليم وخراب الهيكل وسلب كل غنى المدينة. فكان الكل يضحك عليه، قائلين إنهم سمعوا هذا منذ سنوات كثيرة ولم يحدث شيء. كان الكل يظنون أنه لن يستطيع أحد أن يقتحم أورشليم ولا أن يلمس الهيكل، فسلكوا في الشرّ والفساد حتى زاد فسادهم عمّا كانت مملكة إسرائيل تفعله قبل سببها بواسطة أشور.

كثيرًا ما كان يشتكي إرميا لله، أنه لا يوجد أحد يسمع له، فكان الرب يُعزّيه ويُقدّم له رسائل مُستمرة ونبوءات لتحذير الشعب ممّا سيحلّ به.

كان كل ما يشغل قلب إرميا النبي أن يدفع الشعب للتوبة لا بالكلام فحسب، وإنما بدموعه المرّة وحبّه الشديد لهم.

تحالف الملك مع مصر ضد نبوخذنصر، فصار إرميا يصرخ أن طريق النصرة ليس التحالف مع مصر، بل التوبة والرجوع إلى الله. وإذ لم يسمعوا له بل قاوموه بكل قوّة، أخبرهم أن بابل ستسبي يهوذا دون جدوى.



١٥٢- جدران قلبي توجعني!

(إرميا ٤)

في عام ٦١٢ ق.م سقطت نينوى عاصمة آشور، الدولة العظيمة التي سادت العالم كله حوالي ثلاث مئة عام، وظنّ اليهود أنهم لن يكونوا بعد في خطرٍ ما دامت آشور قد انهارت. أمّا إرميا النبي فحذّرهم أن بابل ستسببهم بسبب خطاياهم، فاستهزأ الكل به، لأن بابل كانت دُوَيْلَة صغيرة في ذلك الوقت، وحسبوا كلماته تشاؤمية تُحطّم نفسيّة الشعب والجيش.

وفي سنة ٦٠٩ ق.م أراد نَحُو فرعون مصر أن يحتلّ أرض الفُرات. تصدّى له في الطريق يوشيا الذي قُتِلَ، وأقام فرعون يهوآحاز ابن يوشيا ملكًا. خلعهُ نحو بعد ثلاثة شهور، ثم أقام أخاه يهوياقيم ملكًا عوضًا عنه.

بعد أربع سنوات (٦٠٥ ق.م) تغلّب نبوخذنصر ملك بابل على نَحُو فرعون مصر، وتحوّل ولاء يهوياقيم لمصر إلى ولاء لبابل. لكن كان الملك والقادة والشعب في صراعٍ داخليٍّ، هل يساندون مصر لحمايتهم من بابل أم العكس.

طلّب إرميا من الشعب الاستسلام في يدي بابل ليس خنوعًا، وإنما كعقوبة بسبب خطاياهم التي علاجها ليس الالتجاء إلى فرعون، بل إلى الله.

صرخ الشعب: "تريد أن نتحرّر من نير بابل". أمسك إرميا النبي إناءً فخارياً ضخماً وثقيلاً، وألقى به أرضاً أمام الشعب، فتحطّم تمامًا. ثم قال لهم: "مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يُصْلِحَهُ؟ هكذا سينكسر يهوذا كالإناء المكسور، ولا يَقْدِرُ فرعون أن يُصْلِحَهُ بل الله".

ثار الكهنة وكل القيادات على إرميا، وحسبوه عميلاً لبابل، وخائناً لوطنه. ضربه فشحور الكاهن، وجعله في المقطرة، مُقَيِّدًا بسلاسلٍ في يديه ورجليه، كمُجرِم. وكان كل مَنْ يَرَاهُ يَسْخَرُ به.



لم يكن إرميا يشتهي مذلة شعبه، لكنه لم يتوقف عن التنبؤ بأن الكاهن وأهل بيته والشعب سيُقادون أسرى إلى بابل في مذلة.

كانت النيران مُلتهبة في قلبه لأجل ما سيحلّ بشعبه وأرضه وبيت الرب، وبالأكثر بسبب هلاك الكل في يوم الرب العظيم.

كم كان إرميا حزيناً حين سمع الله يطلب أن يطوف الشعب في شوارع مدينة الله أورشليم ليفتسوا لعلهم يجدون إنساناً واحداً باراً فيصيح عنهم.

كان إرميا في مرارة يقول: "أحشائي! أحشائي! توجعني جدران قلبي. يئن في قلبي. لا أستطيع السكوت".

بقي إرميا في شجاعة ومرارة يحذر الشعب ممّا سيحلّ بهم، لكن لم يسمع له أحد، بل منعه الكهنة والقيادات الدينية من الدخول إلى بيت الرب والحديث مع الشعب، فحزن جداً.

١٥٣- الكلمات التي لم تقدر النيران أن تحرقها!

(إرميا ٣٦)

جلس الملك يهوياقيم أمام موقد النار يستدفئ، وإذا بأحد رجاله يحمل دَرَجًا. سأله الملك: "ما هذا؟".

أجاب الرَّجُل: "إنه دَرَج، أخذته من باروخ كاتب إرميا النبي. لقد منعنا إرميا من الاقتراب إلى الهيكل، لكنه أرسل كاتبه يحمل هذا الدَرَج، وقرأه أمام الشعب في يوم الصوم. ولئلا يحدث شغب تركناه، لكننا أخذنا منه الدَرَج".
سأل الملك: "وماذا في الدَرَج؟".

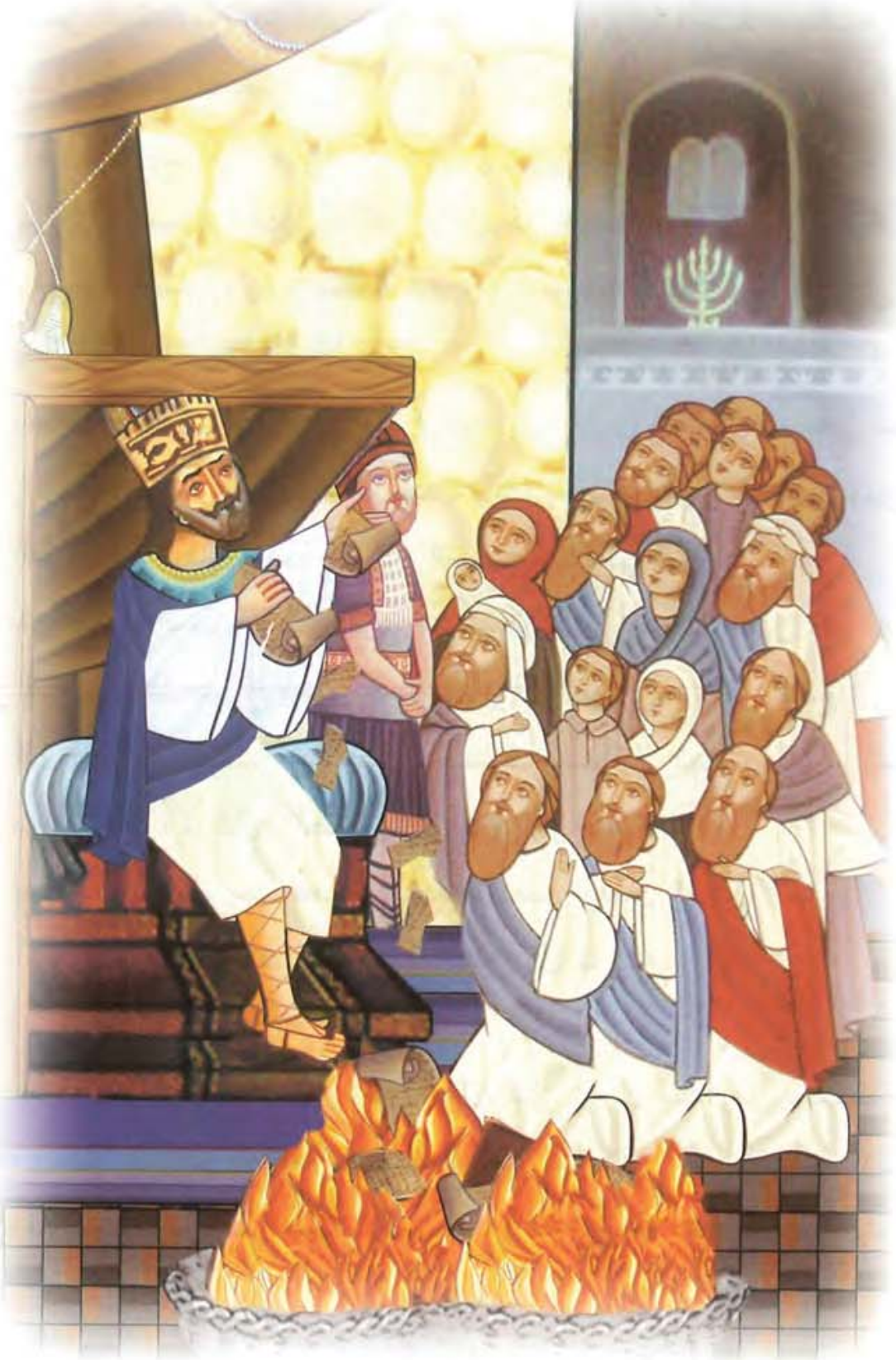
أجاب الرَّجُل: "ماذا تتوقع من إرميا الذي يهوى المشاكل، ويبغي تحطيم نفسية القيادات العسكرية والدينية والشعب كله! إنه يتنبأ بأن بابل يسبي يهوذا! لقد حوى الدَرَج كل ما قاله إرميا منذ أيام الملك يوشيا حتى اليوم".

في غضبٍ سحب الملك الدَرَج من يد الرَّجُل، وأمسك بسكين ليُمزِّقه ويُلقى به في النار، عندئذٍ صرخ بعض الحاضرين في نفس واحد: "لا تصنع أيها الملك هكذا، لئلا يحل بنا غضب الله". أما هو فضحك بسخريةٍ وتهكُّمٍ ومزَّق الدَرَج، وألقى به في النار، ثم قال: "أحضروا إرميا وباروخ حالاً!".

بحثوا عنهما فلم يجدوهما، إذ أخفاهما بعض رجال الملك الأتقياء.
أعلن إرميا تأديب الله لشعبه، وقد تحقَّق كل ما قاله.

حاول يهوياقيم القيام بثورة ضد بابل، لكن أرسل ملك بابل جيشًا لقمع الثورة، ومات يهوياقيم بطريقة غامضة، وصار يهوياكين ابنه ملكًا لمدة ثلاثة شهور، ثم أخذه نبوخذنصر ملك بابل أسيرًا، وأقام عوضًا عنه أخاه صدقيا.

هكذا إن كان يهويأقيم قد أحرَق الدَّرَج لكنه لم يستطع أن يمنع تحقيق كل ما ورد فيه. وها هي الكلمات باقية في الكتاب المقدس إلى اليوم.



١٥٤ - النبي السجين

(إرميا ٣٧ - ٣٨)

كان صدقيًا في صراع بين رغبته في الظهور بالخضوع لسيّده ملك بابل لئلا يكون مصيره كمصير يهوياكين، وبين إظهار روح الوطنية أمام الشعب بمضاداته لملك بابل المُستعمر وطلب معونة فرعون المقاوم لبابل.

أرسل الملك سرًّا إلى إرميا يطلب مشورته، قائلاً له: "إن جيش فرعون قادم لمُساندتنا ضد نبوخذنصر. إنها فرصة للخلاص من الاستعمار البابلي".

أجابه إرميا: "لا، فإن جيش فرعون سيرجع إلى مصر، وسيهاجم البابليون أورشليم، ويستولون عليها ويحرقونها. اسمع يا صدقيًا لمشورتي قبل فوات الأوان، سلّم المدينة وأنقذنا، ولا تتكل على جيش فرعون". كما طلب منه إرميا التوبة عن شرّه. أمّا صدقيًا فخاف أن يُجاهر بما قاله له إرميا النبي.

إذ تحرك جيش مصر تجاه فلسطين، فكّ البابليون حصارهم لأورشليم لمحاربة المصريين. وهرب إرميا من أورشليم ليذهب إلى قريته، لكن حارس الباب أمسك به وحسبه خائنًا لوطنه، يهرب من أورشليم ليلتقي بالبابليين ويُشجّعهم على استلام البلد. ضُرب إرميا، وأُلقي في السجن أيّامًا كثيرة، وتُرك جائعًا!

أرسل إليه صدقيًا سرًّا يسأله: "هل توجد كلمة من قبل الرب؟".

أجاب إرميا: "الله دائمًا مُستعد أن يتكلّم معنا، إنّما أنت لا تريد أن تسمع له وتطيعه. هوذا يقول لك يا صدقيًا إنك ستسقط في يد البابليين".

تطلّع الذين كانوا مع الملك كل واحدٍ نحو الآخر وهم مندهشون كيف تجاسر هذا السجين أن ينطق بمثل هذه الكلمات أمام الملك. وإذ رأى إرميا نظراتهم، عاتب الملك بكل شجاعة: "ما هي خطيّي إليك وإلى عبيدك وإلى هذا الشعب حتى جعلتموني في بيت السجن؟ أين هم أنبياءك الكذبة الذين يقولون إنه

لا يأتي ملك بابل عليكم؟ الآن اسمع أيها الملك، لا تردني إلى بيت يونانان الكاتب لئلا يقتلني".

ارتعب الملك أمام النبي السجين، وخشي لئلا يُعاقبه الله، فأمر أن يوضع إرميا في حجرة أفضل في السجن وتُقدّم له خُبزة كل يوم حتى ينفذ الخبر من المدينة.

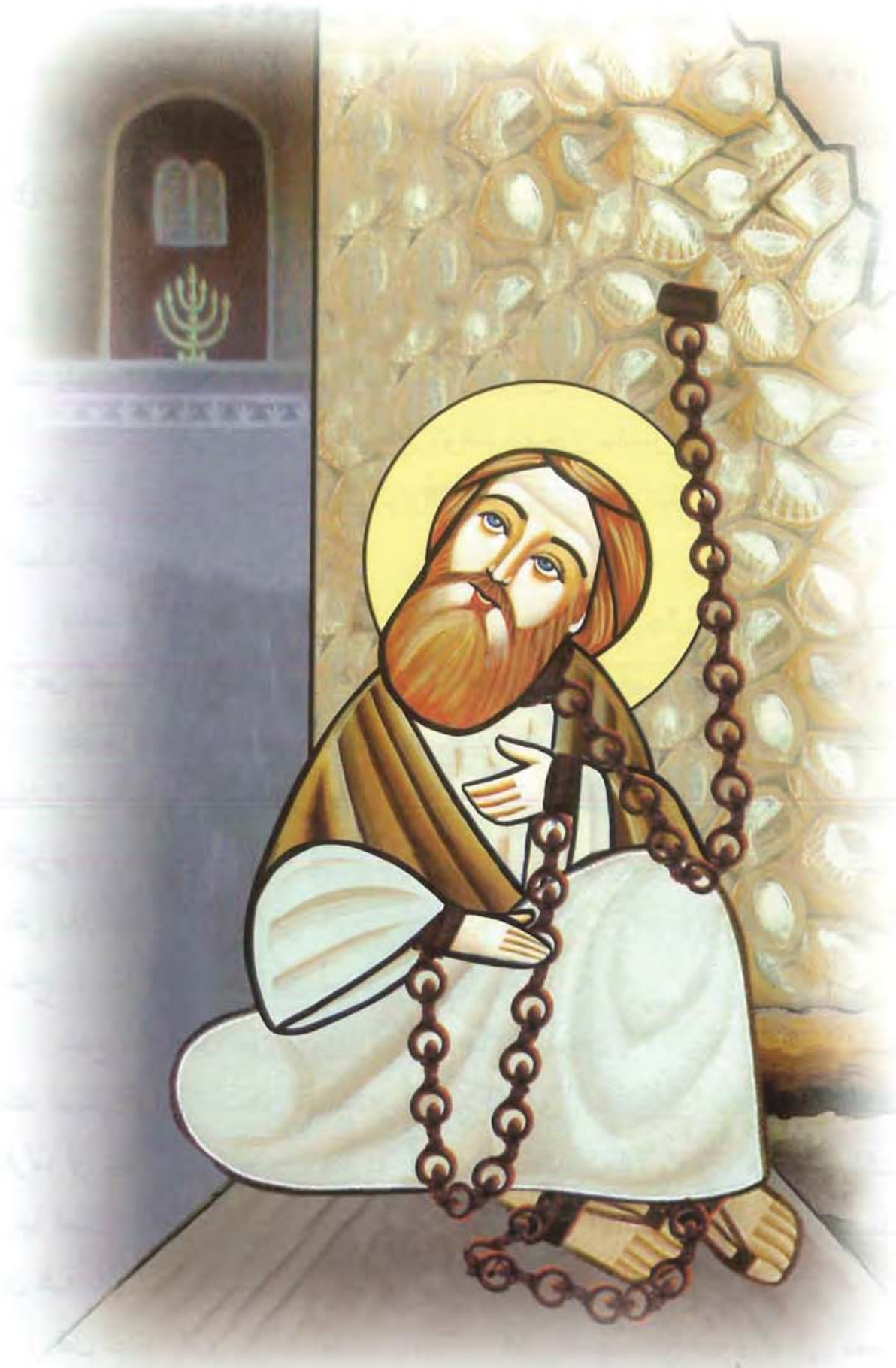
سمع الرؤساء كلمات إرميا في السجن التي فيها يُطالب الشعب كله بالخضوع لبابل، فقالوا للملك: "ليقتل هذا الرَّجُل، لأنه يُضعف أيادي رجال الحرب الباقين في هذه المدينة، وأيادي كل الشعب. إنه لا يتكلم لسلام الشعب بل لشره".

قال لهم الملك: "ها هو بين أيديكم، افعلوا به ما شئتم".
ألقوا إرميا في جُبٍّ داخل السجن، فغاص في الوحل، وترك فيه ليموت جوعاً.

لكن أحد عبيد الملك أثيوبي سمع عما حدث مع إرميا، فأسرع إلى الملك يقول: "إنها قسوة! إنه لشرّ عظيم أن يُترك هذا الرَّجُل الشجاع في الجُبِّ يموت بلا ذنب، إنه رجُل الله يتكلم بصراحة ولا يخاف الموت!".

أجاب الملك: "حسناً، خذ معك ثلاثين رجلاً، واسحبوه من الجُبِّ".
انطلق الأثيوبي ومعه الرجال إلى المخزن، وأخذوا من هناك ثياباً رثة، ودلّوها إلى إرميا إلى الجُبِّ بحبال. وضع إرميا الثياب تحت إبطيه، وجذبوه بالحبال، وبقي في السجن حتى تحققت كلماته، وسقطت أورشليم في يد نبوخذنصر في عام ٥٨٧ ق.م.

جاءه صدقياً الملك للمرّة الأخيرة وطلب منه المشورة، ولم يُغيّر النبي حديثه. فسأله الملك أن يبقى هذا الأمر سراً، لأنه كان يخاف من رؤساء قصره.



١٥٥- سقوط أورشليم في يد البابليين

(إرميا ٣٩، ٥٢)

كان إرميا حزيناً في السجن، إذ رأى مُقَدِّمًا ما سيحدث ببلده وشعبه، بينما الكل يعيشون في طرقهم الشريرة؛ ليس مَنْ يسمع لتحذيراته، ولا مَنْ يطلب التوبة. حقاً كان الملك يحترمه جدًّا، والرؤساء يخشونه، والرب أنقذه من الموت في الجُبِّ وأرسل له رَجُلًا أثيوبيًّا غريب الجنس يشفع فيه وينقذه. لكن بقي أمر واحد يُلهبُ قلبه بالنيران، وهو شوقه نحو خلاص كل الشعب.

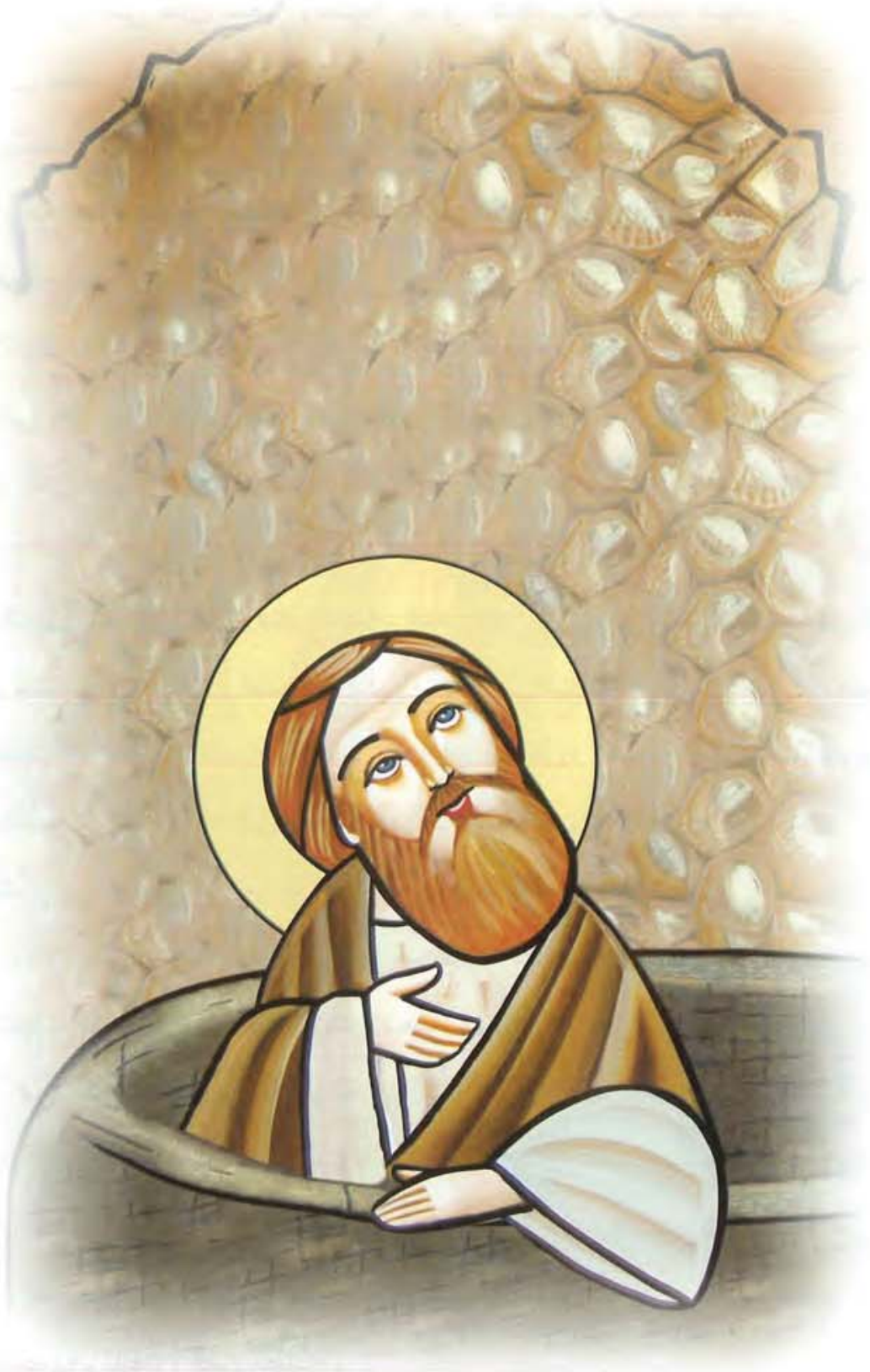
بينما كان إرميا في السجن في الوقت المُعَيَّن حاصرتُ بابل أورشليم وبعد ثمانية عشر شهرًا انهارت أورشليم وقُتِلَ عدد كبير من الفقراء، وأخذ العظماء والنبلاء إلى بابل في مذلة.

سقطتُ أورشليم في يد البابليين، وهرب صدقيًا ورجال الحرب، وخرجوا ليلاً من المدينة في طريق حديقة الملك. وسعى الجيش البابلي وراءهم، ولحقوا بهم. جاءوا بأبناء الملك وقتلوهم أمام عينيَّه، ثم فقأوا عيني الملك، وقيدوه بسلاسل نحاس، واقتادوه إلى بابل. أشعل البابليون النيران في قصر الملك وبيوت الأشراف، وتحولت المدينة إلى دُخانٍ كثيفٍ، وحطّموا أسوار المدينة. وخرج جيش بابل يحمل كل ما في خزائن أورشليم من ذهبٍ وفضةٍ وحجارةٍ كريمةٍ وعاجٍ... كما اقتادوا كثيرين أسرى إلى بابل.

سمع ملك بابل عن إرميا ونبواته وما عاناه، فظنَّ أنه يفعل ذلك لأجله، لذلك أصدر أوامره بحُسن معاملته. أُعطي له حقّ الخيار بين الذهاب إلى بابل مُكرِّمًا أو البقاء في أرضه؛ وقَدِّمَ له رئيس الشرطة طعامًا وهديةً ثم أطلقه. لكن إرميا فضّل البقاء وسط الشعب المسكين، ليشاركهم آلامهم، هؤلاء الذين أحبّهم بكل قلبه بالرغم من مقاومتهم المُستمرة له.

قُتِلَ جدليا الذي أقامه البابليون واليًّا، وفكّر الشعب في الهروب إلى مصر. حاول إرميا أن يُثنيهم عن عزمهم لكنهم أصروا على رأيهم، بل وحملوه قسرًا هو

وكاتبه الصديق الحميم باروخ، وهناك نطق بنبواته الختامية في مصر. ولم
يحتمل الشعب توبيخاته لهم وصراحته معهم، وعوض أن يُقدّموا توبة لله
فيرحمهم، رجموا نبيّه إرميا بالحجارة ليخلصوا منه!



١٥٦- مراتٍ في كهف إرميا

(مراتي إرميا)

صارت أورشليم في خرابٍ وهُدِمَ الهيكل، وانطلق إرميا إلى كهفٍ بجوار أورشليم يبكي على حال شعبه ومدينة الله وهيكله، دُعيَ حاليًا كهف إرميا. كان يصرخ إلى الله في مراتٍ سجّلها، يُعبّر فيها عن مرارة نفسه من أجل ما حلّ بشعبه. لقد عاش أربعين سنة يُحذّرهم ولم يسمعوا له، بل ضايقوه وأهانوه. مع هذا عندما تحقّقت نبوّاته لم يكفّ عن الصراخ إلى الله من أجلهم والحديث معهم.

كشف عن محبّته لهم، وعن مرارة الخطيّة وثمرها المُدمر، وفتح باب الرجاء في مراحم الله متى تابوا ورجعوا إليه.

لم يكن دمار أورشليم بالنسبة لإرميا النبي هو مُجرد خسارة لعاصمة حصينة رائعة، كانت تُحسب بارعة الجَمال، بكونها مدينة الله، تحتضن الهيكل الفريد، فتمثّل حضور الله وسط شعبه. إنما شعر بأن هذا الدمار يُشير إلى مفارقة مجد الله للمدينة والهيكل والشعب، وفي رجاءٍ يترقّب الخلاص الإلهي المجيد. كانت الصدمة بالنسبة له أكثر من أن تُحتمل، فصرخ متوجّعًا، وبكى، ونادى بالصلاة والرجوع إلى الله بالتوبة العمليّة.

أكد إرميا النبي في مراثيه بروح النبوة العودة من السبي، فإن الله يودّ نجاح أولاده وعزّهم ومجدهم حتى في لحظات التأديب عينها.

يكشف النبي في كل مرثاة عن نعمة إلهية:

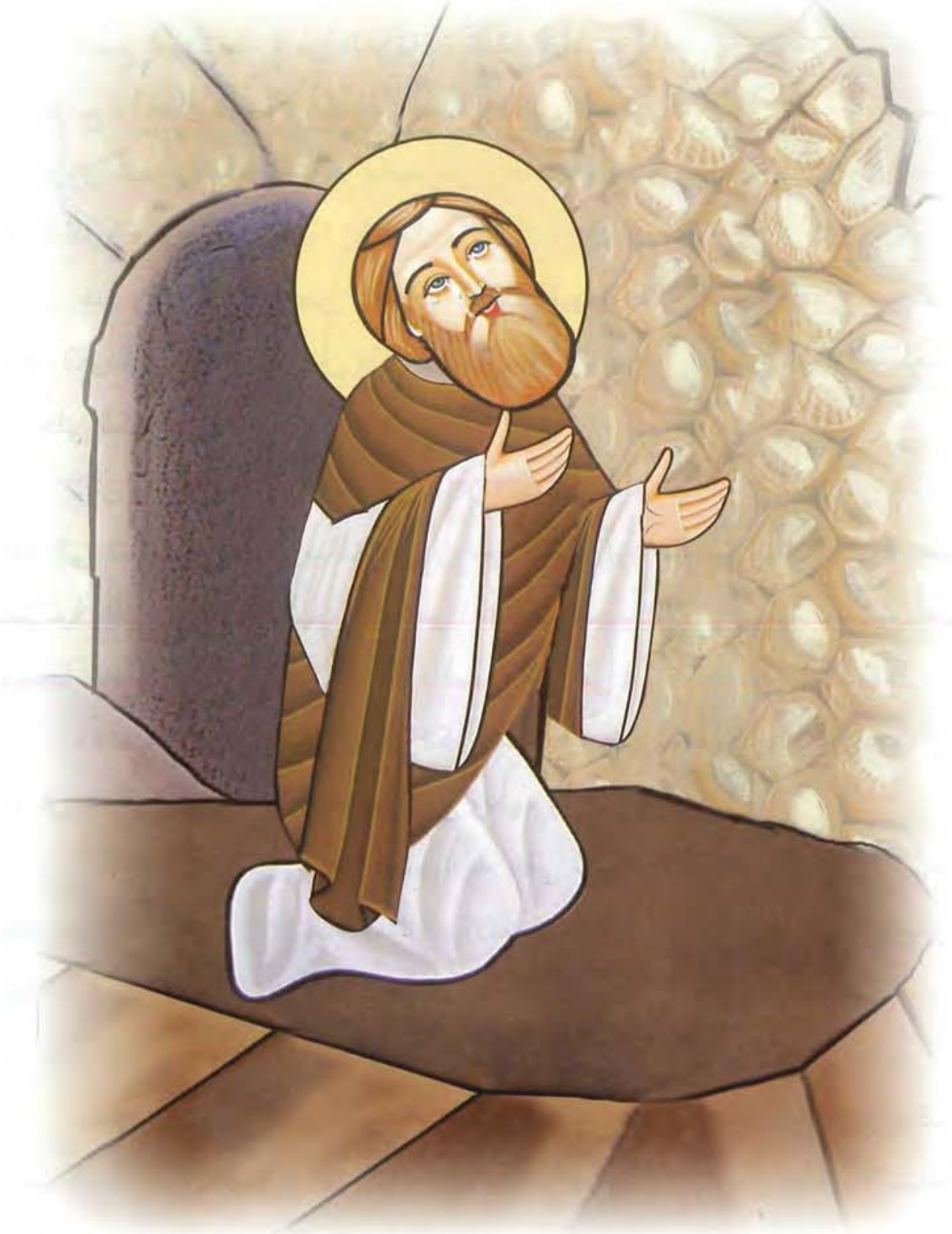
أ. في المرثاة الأولى يقول النبي: "بارٌّ هو الربُّ، لأنّي قد عصيتُ أمره".

ب. في المرثاة الثانية يكشف الله له بأن السبي سينتهي بعد سبعين عامًا.

ج. في المرثاة الثالثة يقول: "مراحمه لا تزول. هي جديدةٌ في كل

صباح... نصيبي هو الرب قالتُ نفسي، من أجل ذلك أرجوه. طيّبٌ هو الرب للذين يترجّونه، للنفس التي تطلبه".

د. في المرثاة الرابعة يُعلن: "قَدْ تَمَّ إِثْمُكَ يَا بِنْتَ صَهْيُونَ.
هـ. في المرثاة الخامسة يقول: "أَنْتَ يَا رَبُّ إِلَى الْأَبَدِ تَجْلِسُ. كُرْسِيِّكَ إِلَى
دَوْرٍ فَدَوْرٍ".



١٥٧- حزقيال النبي

(حزقيال)

خلال السبي الذي دام ٧٠ عامًا ظهر أناس أتقياء في أرض السبي، وأيضًا أنبياء يحثونهم على التوبة والالتصاق بالله.

تمنَّع اليهود بنوعٍ من الحرية، وأُعطيت لهم أراضٍ لزراعتها، وقاموا بمشاريع وأعمال فنيّة، ومنهم من اغتنى. كان البعض قد استقرّ نفسيًا للوضع، وآخرون شعروا بالغربة وحرمانهم من وطنهم، خاصة الذهاب إلى مدينة الله أورشليم وهيكل الله، وأيضًا الاحتفال بالأعياد وتقديم ذبائح.

هذا وقد تسلّلت بعض العادات الوثنيّة إليهم. عانى البعض بنوعٍ من اليأس نحو العودة إلى بلادهم بعد أن طال بهم الزمن. فالنجاح الخارجي لم يُنزِع التعب الداخلي للكثيرين.

كان حزقيال النبي كاهنًا ابن كاهنٍ، لكنه لم يُمارس عمله الكهنوتي قط، بل أخذ إلى السبي، وكانت رسالته هي أن سرّ آلام اليهود هو من عمل أياديهم. فقد تمرّدوا على رعاية الله لهم، وتجاهلوا أعماله العجيبة التي أقامت منهم أمةً وشعبًا خاصًا به. لم يدركوا أن فترة السبي إنما هي فترة تأديب وتنقية لهم.

ذات يومٍ إذ كان حزقيال في مكان مفتوح وحده شاهد رؤيا فريدة، رأى عرش الله في بهاءٍ عجيب، فسقط على وجهه إلى الأرض.

أعلن حزقيال النبي عن غضب الله على شعبه بسبب خطاياهم، أمّا الأنبياء الكذبة فكانوا يكرزون بالحياة المدلّلة والانغماس في الشهوات، ودفعوا الشعب إلى العبادة الوثنية. أعلن لهم حزقيال أيضًا أنه شاهد مجد الله يُفارق الهيكل، وأن أورشليم أوشكت على السقوط. لم يُصدِّقه الشعب، إنما صدّقوا الأنبياء الكذبة.

ما قاله حزقيال النبي تحقّق، لكن النبي فتح أمامهم باب الرجاء في هيكل العهد الجديد. لعلّ حزقيال كان مُشتاقًا وهو في السبي إلى خدمة الهيكل ككاهنٍ، فكشف له الله عن خدمة الهيكل السماوي.



١٥٨- عرش في السماء

(حزقيال ١ - ٢)

كم كانت سعادة حزقيال وهو يُرافق والده الكاهن عندما كان يأتي دوره للخدمة في الهيكل. يشعر كأن أبواب السماء قد انفتحت أمامه. كما كان يشعر كأن الأيام تجري ببُطءٍ شديدٍ، إذ كان يترقّب أن يبلغ الثلاثين من عمره ليُمارس العمل الكهنوتي مثل والده.

كانت سعادته لا يُعبّر عنها وهو يقرأ في أسفار موسى وبقية أسفار العهد القديم، ويدرس النبوات. تارة يرفع قلبه إلى الله يشكره ويُسبّحه من أجل مراحمه في كل الأجيال نحو شعبه، وتارة تتسلّل الدموع من عينيه وهو يتوقّع تأديب الرب لشعبه، وتحذيره لهم وتهديده لهم بالسبي.

عاصر حزقيال السبي وأُقتيد مع بعض الشبان إلى بابل بعد أن انهارت أورشليم أمام عينيه، ورأى بنفسه كيف قُتل الكثيرون من الشعب والقادة، وحاول البعض حتى الملك الهروب، فقبضوا عليه وقتلوا بنيه قدامه ثم فقاوا عينيه، وتهدّم الهيكل، وسلبت أواني المذبح ليحملها البابليون إلى مخازن الملك الوثني لاستخدامها في الأعياد الوثنية.

ضاعت أحلام حزقيال واشتياقاته، وفقد كل رجاء له أن يُمارس عمل الكهنوت، ويُقدّم ذبيحة للرب عن الشعب، إذ لا يجوز تقديمها إلا في الهيكل بأورشليم.

سقط حزقيال على الأرض حين رأى مجد الرب على مركبته السماوية وحوله السرافيم كأعظم الطغمت السماوية. وسمع صوت الرب يقول له: "يا ابن آدم، قم على قدميك فأتكلم معك".

قال له الرب: "لا تحزن يا حزقيال لأنك حرمت من الهيكل، فلا ترى المذبح وتابوت العهد والمنارة الذهبية ومائدة خبز الوجوه. إنني أريك السماء تتحرك لأجل شعبي، بل ولأجل كل البشرية. لا تضطرب، لأنك لا تُمارس عمل

الكهنوت، فإني أقيمك نبياً، وأكشف لك أسرارى. لن يمنعك السبي من الخدمة،
ولا يقدر إنسان أن يرعبك. تكلم ولا تخف، فإني أؤدب وأغفر".



١٥٩- تصرفات غريبة ورؤى غريبة

(حزقيال ٤ - ٥)

مارس حزقيال النبي تصرفات تبدو غريبة، لأن الشعب لم يسمع لتحذير الرب له على لسان موسى منذ أكثر من سبعة قرون، ولا تحذيراته على لسان إشعيا منذ قرن، ولا تلك التي نطق بها إرميا لمدة أربعين سنة قبل حدوث السبي.

صمَّ الملك والكهنة والشعب على التهاون، لذلك حدّثهم الرب عن طريق حزقيال بتصرفات غريبة.

أولاً جاء حزقيال بلبنة (قالب طوب)، ووضعها أمام الشعب، وبدأ يرسم عليها مدينة أورشليم، ويحيطها بـبُرج، ثم يحاصرها بصاجٍ من حديد، ليرى الكل الحصار المرّ الذي يحلّ بها، والدّمار الذي يلحق بها.

اتكأ بعد ذلك حزقيال على جنبه اليسار لمدة ثلاثمائة وتسعين يوماً، ثم عاد فاتكأ على جنبه اليمين.

بالإتكاء على جنبه اليسار أشار إلى ما سبّته الخطية في حياة مملكة إسرائيل، والأتكاء على الجنب اليمين ما سبّته في مملكة يهوذا. أمسك حزقيال سكيناً وحلّق شعراً رأسه ولحيته، ثم قسم الشعر إلى ثلاثة أقسام.

قام بحرق الثلث الأول، وتقطيع الثلث الثاني بالسيف، وتذرية الثلث الأخير في الهواء.

هذا ما حدث في أورشليم، فقد احترقت المدينة بالنار، وقُتِل البعض بالسيف، وأقتيد البعض إلى أماكن بعيدة في السبي البابلي.

هذا ما فعلته الخطية بمدينة الله وشعبه. لكن الله يؤدّب، ثم يعود فيرحم حين نرجع إليه.



١٦٠- مجدُ الرب يُفارق الهيكل

(١ ملوك ٨؛ حزقيال ١٠: ١٨ - ٢٢)

كان حزقيال النبي كمن يُصارع في نفسه، كلما تذكر ما سيحل بشعب الله ومدينته وهيكله، مع عدم تصديق الكل لتحذيرات الرب، تمتلئ نفسه مرارة. وكلما رفع قلبه إلى السماء ليرى خطة الله تتهلل أعماقه.

في الفترات الأخيرة قبل حلول السبي البابلي كان حزقيال يتطلع إلى الهيكل والدموع تجري من عينيه. يذكر يوم اجتمع سليمان الملك بكبار القيادات لتدشين الهيكل. وكيف أدخل تابوت العهد إلى الهيكل، وقُدِّمت آلاف الذبائح. فجأة نزلت السحابة التي كانت تُظلل شعب إسرائيل في البرية، ومَلأت الهيكل في مجدٍ عجيب. كانت كل القلوب ترقص، والملائكة تحتفل مع الشعب بسكنى الله في وسطهم.

كان حزقيال يشتهي لو كان في أيام سليمان، ورأى مجد الرب في الهيكل. وسط هذه الأحلام السعيدة، فوجئ حزقيال بمجد الرب ينطلق من قُدس الأقداس، ويخرج إلى القُدس، ثم ينسحب من الهيكل ليقف إلى عتبة الباب. صرخ قلب حزقيال: إلى أين أنت ذاهب يارب؟ ولماذا يُفارق الكاروبيم عرشك الإلهي، قُدس الأقداس؟

في صمت رفع الكاروبيم أجنحتهم، وصعدوا عن الأرض أمام عينيه. كأن قلبه قد خُطف معهم، والدموع تتهمر من بصيرته الداخلية.

تُرى هل تترك بيتك إلى الأبد؟

هل يُدعى المبنى هيكل الرب، وقد فارقتَه؟

هل تُدعى أورشليم بعد مدينة الله؟

لم يترك الله حزقيال هكذا، لكن وسط هذا الحزن الشديد أمسك بيده، وفتح عن عينيه، الأمر الذي لم يتمتع به آخرون. قدّم له كمًّا من الرؤى حولت قلبه إلى فردوس مُفرح.



١٦١- طفلة أممية تصير ملكة سماوية

(حزقيال ١٦)

كان الله أمسك بيد حزقيال، وانطلق به إلى حوالي ٦٢٠ سنة قادمة، فشهد حزقيال منظرًا مثيرًا للغاية. طفلة حديثة الولادة لم تقطع سُرَّتَها، مُلقاة في وسط الحقل في التراب، عارية، لم يغسلها أحد من دم الولادة، يعبر عليها الناس، ولا يفكر أحد أن ينظر إليها.

- ربّي، مَنْ هي هذه الطفلة المسكينة؟

- إنها طفلة، أمّها من بني حثّ، ووالدها من الأموريين.

- ألا يوجد أحد يرقّ قلبه لهذه الطفلة المسكينة؟

- إني أنا كلمة الله، الابن الوحيد الجنس، أنزل إليها.

- أنترك السماء، وتنزل إليها؟

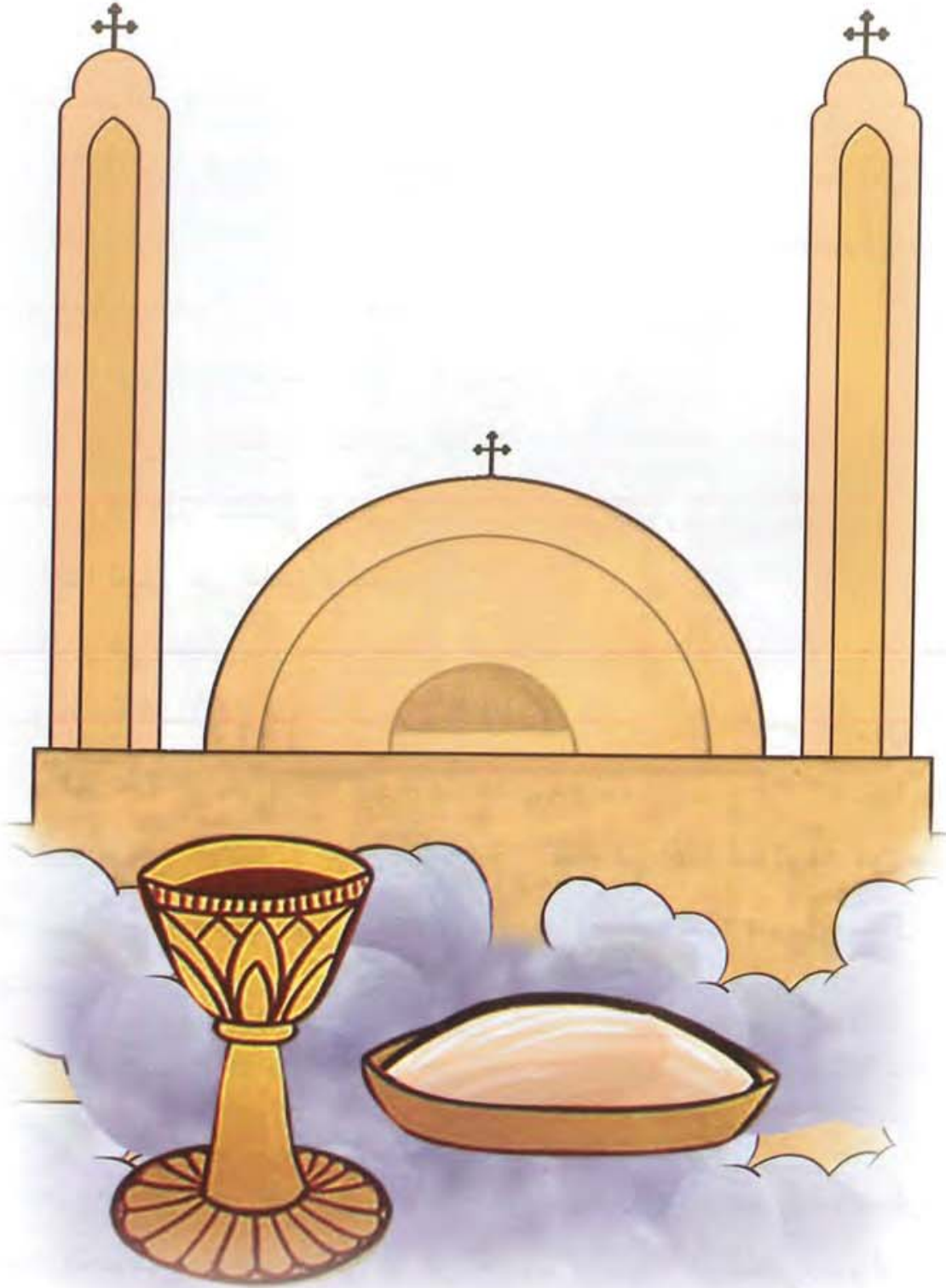
- زمنها زمن الحب، أصير لأجلها إنسانًا، وأنحني إلى التراب، لأحملها بين ذراعيّ.

- أغسلها بماء المعمودية، فتصير ابنة الله الأب، وأمسحها بزيت الميرون، فيسكن رُوح القدس فيها، وأستُر عليها فتصير بارّة. أصلبُ من أجلها، فأنزِع عنها خطاياها وأهبها صورتي. أهبها ثوبًا ملوكيًا وأزينا بحليّ ثمار رُوح القدس، وأقدّس كل حواسها وعواطفها. وأضع تاجًا سماويًا جميلًا على رأسها، فتنتهي الملائكة أن تراها، وتدهش لجمالها، وتتعجب كيف تلك التي كانت وسط التراب تجلس كملكة عن يميني!

- أعطيتها جسدي ودمي لتأكل وتشرب، فتصير أيقونة حيّة لي.

- تطلّع حزقيال إلى السيّد الرب، وقد توجه نحو الطفلة، وهو يقول لها: "جملتِ جدًّا جدًّا، فصلحتِ لمملكة. فخرج لك اسم في الأمم لجمالِك، لأنه كان كاملاً ببهائي الذي جعلته عليك".

- اِشْتَهَى حَزَقِيَالُ أَنْ يَرَى هَذَا الْيَوْمَ، يَوْمَ مَجِيءِ الرَّبِّ إِلَى أَرْضِنَا لِئُصَلَّبَ
وَيَمُوتَ وَيُدْفَنَ وَيَقُومَ، فَيُقِيمَ مِنَ الْأُمَّمِ الْفَاسِدَةِ كَنِيسَةً مُقَدَّسَةً، عَرُوسًا
سَمَاوِيَّةً، مَلَكَةً بَهِيَّةً.



١٦٢- الراعي الصالح!

(حزقيال ٣٤)

لم يَعد يُفارق فكر حزقيال النبي منظر الطفلة التي كانت مُلقاة في التراب،
وقد تجمّلت وتقدّست ونمت في ربنا يسوع.

ربما تساءل: ومن هو هذا الذي يقيم الطفلة من المذبلة، ويرفعها إلى
أشرف السمائيين، كعروس سماوية.

كان قلبه لا يتوقّف عن التهليل، وإن كانت دموعه أيضاً تتسلّل في حُزنٍ
على رُعاة إسرائيل الذين لم يسندوا الشعب للرجوع إلى الله مُخلصهم، بل في
أنانية وطمع يطلبون الأمور الزمنية.

سمع حزقيال الصوت الإلهي يقول له:

"يا ابن آدم تنبأ على رُعاة إسرائيل،

تنبأ وقلّ لهم: تشنّنت غنمي، ولم يكن من يسأل، ولا من يُفتش.

هأنذا أسأل عن غنمي وأفتقدها.

أنا أراعي غنمي وأربضها، يقول السيّد الربُّ.

وأطلب الضالّ، وأستردّ المطرود، وأجبر الكسير، وأعصب الجريح.

وأقيم عليها راعياً واحداً فيرعاها عبدي داود".

بقوله: "عبدي داود" لا يعني قيامة داود الملك من الأموات ليملك من جديد،

إنما ظهور السيّد المسيح، ابن الله الذي صار عبداً ليملك علينا من خلال حُبّه

وتواضعه. إنه ربنا يسوع ملك الملوك، ابن داود.

اطمأن قلب حزقيال، إذ سمع عن مجيء الراعي الصالح الذي يبذل نفسه

عن الخراف.

يعتزّ هذا الراعي السماوي بأن يجعلهم "شعبه"، ويكون هو إلههم يسكن في

وسطهم ويتحدّ بهم. "فيعلمون أنني أنا الربُّ إلههم معهم، وهم شعبي... وأنتم يا

غنمي، غنم مرعائي، أناس أنتم. أنا إلهكم يقول السيّد الربُّ". هذا هو ختام عطاياه

كلها، إنه يتقدّم إلهاً لهم وهم غنمه، شعبه، يعتز بهم وهم يعتزّون به. لهذا سمع القديس يوحنا الحبيب وصفاً للسماء هكذا: "هوذا مسكنُ الله مع الناس، وهو سيسكنُ معَهُم، وهم يكونون له شعباً، والله نفسهُ يكون معهم إلهاً لهم".

"هأنذا أسألُ عن غنمي وافتقدُها .. أنا أرعى غنمي وأربضها "

(حز ٣٤: ١١-١٥)



١٦٣- بقعة مملوءة عظامًا جافة!

(حزقيال ٣٧)

في الرؤيا السابقة شاهد حزقيال الخطاة أشبه بطفلة مُلقاة بدمها في حقل، ليس من يسأل عنها، أو حتى يتطلع إليها، حتى نزل إليها المُخلص الذي يرفعها إلى السماء في مجدٍ أبديٍّ. الآن يرى حزقيال يد الرب تمسك به وتخرج معه كما من مسكنه، وتنزل به إلى بقعة ملآنة عظامًا.

دُهِش حزقيال، فقد صار وكأنه في مدافنٍ لا تضمُّ كثرة من القبور، بل صارت كلها مقبرة تضمُّ الآلاف من عظام الموتى.

تطلع إليه الرب، وقال له: "يا ابن آدم، أتخيا هذا العظام الجافة؟".

خشي حزقيال أن يقول للخالق: "كيف يكون ذلك؟"، أو "لم أرَ من قبل عظامًا صارت حيّة"، لذلك أجاب: "يا سيّد الرب أنت تعلم".

قال له الرب: "ردّدْ معي: أيتها العظامُ اليابسة، اسمعي كلمة الرب".

صمتَ الرب قليلاً، ثم أمر العظام: "هأنذا أُدخلُ فيكم روحًا فتحيون...".

فوجئ حزقيال بالعظام الجافة ترتعش، ثم تقترب من بعضها لتجتمع كل عظام لإنسان واحد معًا. فصارت هياكل عظمية، وبدأت تكتسي بالعصب واللحم والجلد..

عادت الأرواح إلى الأجساد، ليشترك الجسد مع الروح في المجد السماوي.

قام الأموات في موكبٍ عظيمٍ مُفرحٍ، كجيشٍ عظيمٍ جدًّا جدًّا، ينطلق إلى

السماء، ويُشارك السمائيين حياتهم السماوية.

صمت حزقيال وهو يتأمل هذا الجيش العظيم، وإذا به يسمع صوت الرب

يقول: "هأنذا أفتحُ قبوركم، وأصعدكم من قبوركم يا شعبي".

قال حزقيال في داخله: "إنه يتحدث معي كما مع كل الشعب".

فرح جدًّا، قائلاً: يا لُحُبَّ الله وقدرته! إنه يفتح قبوري الداخلي، ويُقيم نفسي،

ويجعلني كجيشٍ عظيمٍ جدًّا. إنه يُكرّر تعبير: "يا شعبي"... إنه يفرح بأن ينسبنا

إليه.



١٦٤- مجيء العريس الملك واهب القيامة

(حزقيال ٤٤)

تساءل حزقيال في نفسه: "مَنْ هو هذا الذي يأتي ليرفع الطفلة الملقاة في الحقل إلى السماء بعد أن يغسلها من دمها، ويُرَيِّنُها، ويسكب بهاءه عليها؟ مَنْ هو هذا القادر أن يجمع العظام معاً، ويسترد الجسد وجوده في بهاءٍ ومجدٍ؟".

أمسك الرب بيد حزقيال، ودخل به إلى هيكل مقدس يفوق بما لا يُقَارَن هيكل سليمان. إنه هيكل جديد سماوي مُتَّجِه نحو الشرق، يُشْرِق فيه شمس البرّ. وقف حزقيال عند الباب الخارجي، إذ وجده مُغْلَقاً، لا يَقْدِر أحد أن يدخله. سأل حزقيال الرب: "مَنْ يَقْدِر أن يدخل من هذا الباب؟ ولماذا هو مُغْلَق؟". أجابه الرب: هذا الباب يكون مُغْلَقاً لا يُفْتَح، ولا يدخله إنسان، لأن الرب إله إسرائيل دخل منه، فيكون مُغْلَقاً. الرئيس هو يجلس فيه، ليأكل خبزاً أمام الرب".

ذُهِل حزقيال إذ رأى مجد الرب قد ملأ بيت الرب، فخرّ على وجهه. أدرك حزقيال أن الرئيس هنا هو كلمة الله الذي يتجسّد ويصير إنساناً، يُولد من القديسة العذراء البتول، وتبقى بتولاً حتى بعد ولادته.

جاء ربنا يسوع، فملأ السماء، بيت الرب، بمجده في حياة المؤمنين به الداخلية، إذ سكب بهاءه عليهم. هو وحده رئيس الكهنة السماوي الذي جاء ليرفع الطفلة الملقاة في الحقل إلى السماء بعد أن يغسلها من دمها ويُرَيِّنُها ويسكب بهاءه عليها. هو وحده القيامة، القادر أن يجمع العظام معاً، ويرُد للجسد وجوده في بهاءٍ ومجدٍ.

تهلّت نفس حزقيال، ولم يَعد يحزن، لأنه لم يُمارس عمله الكهنوتي، وأنه لا يعود يرى أورشليم وهيكل سليمان. فقد رأى أورشليم العُليا، وقد انفتحت أبوابها ليدخل رب المجد بمؤمنيه إلى حضن الآب.



١٦٥- دانيال النبي ورفقاؤه

(دانيال ١، ٢)

في عام ٦٠٥ قبل ميلاد السيّد المسيح هاجم نبوخذنصر ملك بابل (العراق)، مدينة أورشليم. حاصر المدينة واستولى عليها. ترك الملك الفقراء في المدينة يكدّون في فقرٍ شديدٍ، وأسَرَ كثيرين، وأخذهم معه إلى بابل.

استولى الملك على ٥٤٠٠ قطعة ذهبية وفضية من الأواني المقدّسة التي كانت في هيكل الله، ووضعها في هيكل إله وثني ببابل.

دعا الملك رئيس بيته أشفنز، وقال له:

"بعض هؤلاء الفتیان الأسرى أمراء وأشرف من إسرائيل.

اختر من بينهم من هم وُسَماء وأذكىاء، وليقيموا في القصر.

ليدرسوا لغة الكلدانيين وحكمتهم، فيتأهلون للوقوف أمامي.

ليأكلوا من أطيب مائدتي وخمري، ولتأت بهم إليّ بعد ثلاث سنوات".

أطاع أشفنز الأمر، واختار من بين الفتیان دانيال وأصدقاؤه الثلاثة: حننيا

وميشائيل وعزريا.

وضع لهم برنامج مُكثّف لتدريبهم في قصر الملك نبوخذنصر؛ وأُعطيتُ

لهم أسماء كلدانية لينزَع عنهم روحهم الوطنيّة الأصليّة، وينتموا للإمبراطورية البابليّة.

وضع دانيال وأصدقاؤه في ذهنهم ألاّ يتجنّسوا بأطيب الملك، ولا بخمر

مشروبه، الذي يوتى به إلى مائدة الملك من هيكل الأوثان كتقدّمات للآلهة

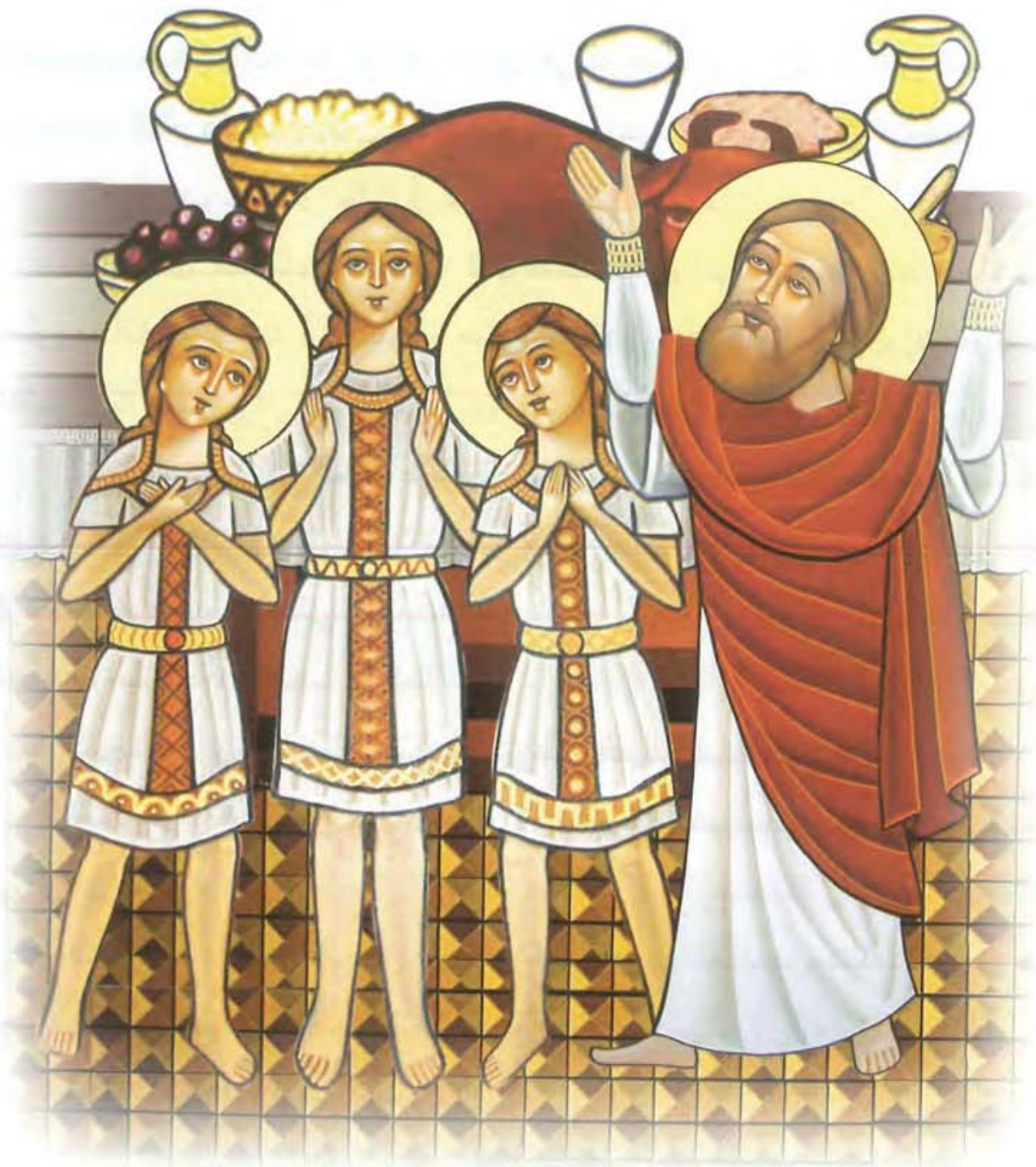
الكاذبة. عاشوا على البقول والخضروات، وأعطاهم الرب نعمة وحكمة.

صارت وجوه الفتیان بهيئة ومُشرّقة، وكانوا أكثر قوّة ونضارة من الذين

يأكلون من أطيب الملك.

كما منحهم الله مهارة ومعرفة في الأدب والفلسفة.

بجانب هذا وهب الله دانيال قُدرة على تفسير الأحلام.



عندما امتثلوا أمام الملك بعد ثلاث سنوات من التدريب سرَّ بهم جدًّا. وإذ حاورهم أُعجب بهم، واختارهم ليقوا في قصره، إذ لم يجد مثلهم في كل المملكة. لم يقف أمامهم أي سؤال أو مشكلة إلا وكان لديهم الإجابة بكل حكمة. خلال حكمته وشعبيته، صار دانيال أعظم شخصٍ في القصر الملكي، مُكرِّمًا من الجميع.

كان هذا الأمر له أهميته في ذلك الحين، فقد كان لكل مملكة مدارسها الخاصة بالعرافة والحكمة. لم يكن دانيال في عداد هؤلاء، ربّما، لأن الحكماء وأصحاب المعرفة الذين حول الملك استبعدوه خشية أن يكشف عن ضعفهم. إذ رأى نبوخذنصر حُلْمًا أزعجه جدًّا، قام مُنزعجًا.

طلب كل الحكماء وأصحاب العرافة، فحضروا وسألوه عن الحُلْم لكي يُفسِّروه. أمّا هو فطلب أن يخبروه هم بالحلم الذي رآه مع تفسيره، وإلا تعرَّضوا للقتل.

بدأ الملك في قتل الحكماء بالفعل، ولكن دانيال طلب مُهلةً، صام وصلى فيها، فأعلن له الله كل شيء، فدخل إلى الملك وتكلّم معه بكل صراحةٍ. أخبره أن الرّب نفسه هو يرشده إلى الحلم، أخبره بالحلم وبتفسيره، وأظهر له معناه بكل شجاعةٍ وصراحةٍ، فأعجب به الملك.

كان دانيال رجُل عمل. وبخ ملوكًا على العبادة الباطلة. لقد عمل وصلى من أجل شعبه، لأن كثيرين منهم ضلّوا عن طريق الحق في أرض السبي.

فتح أبواب الرّجاء في التمتع بأورشليم الجديدة المجيدة، وتحدّث عن موعد مجيء المسيح الأول، كما حدّثنا عن مجيئه الأخير. مات دانيال في أرض السبي.

١٦٦- الثلاثة فتية في أتون النار

(دانيال ٣)

تواضع نبوخذنصر الملك إلى حين أمام دانيال النبي، لكن سرعان ما ثار فيه حُب المجد الباطل والكبرياء، فصنع تمثالاً من ذهب، طوله ستون ذراعاً وعرضه ست أذرع، ونصبه في بقعة دُورا في ولاية بابل. ثم أرسل ليجمع المرازبة (حكام الولايات) والشحن (مديري الشرطة) والولاية والقضاة وأمناء الخزانة والفقهاء والمفتين وكل رجال الدولة الرسميين للولايات ليأتوا لتدشين التمثال والتعبّد له.

نادى مُنادٍ بشدة قد أمرتم أيها الشعوب والأمم والألسنة، عندما تسمعون صوت القرن والناي والعود والرّباب والسّنطير والمزمار وكل أنواع العزف، أن تخروا وتسجدوا لتمثال الذهب. ومن لا يخرّ ويسجد يُلقى في وسط أتون نار مُتقدّة".

استخدم نبوخذنصر كل وسيلة لكي يتعبّد الكل لتمثاله. استخدم الجيش مع العظماء يتقدّمون الصفوف لكي يُرهب عامة الشعب، كما استخدم كل أنواع الموسيقى في ذلك الحين لإثارة المشاعر.

هكذا في كل جيل يستخدم عدوّ الخير كل وسيلة ليسحبنا إلى التعبّد له بوسيلة أو أخرى، أو ينحرف بالبشر نحو طريق الخطية، واعتبار الحياة المُقدّسة حياة عصيان على المجتمع.

سجّدت الشعوب للتمثال، سواء كان للبعل أو للملك أو لإله آخر، بناء على أمر الملك، الذي هدّد لا بالموت فحسب بل وبالتعذيب، حيث يُلقى العصاة في أتون نار.

حينئذ تقدّم رجال كلدانيون واشتكوا على اليهود، وقالوا للملك:

"عش أيها الملك إلى الأبد.

أنت أيها الملك قد أصدرتَ أمراً بأن كل إنسانٍ يسمع صوت العزف يخِرُّ
ويسجُدُ لتمثال الذهب. ومن لا يخِرُّ ويسجُدُ يلقى في وسط أتون نارٍ مُتقدّة.
يوجد رجالٌ يهودٌ، الذين وكلّتهم على أعمال ولاية بابل شدرخ ومشيخ
وعبدنغو، لم يجعلوا لك أيها الملك اعتباراً.

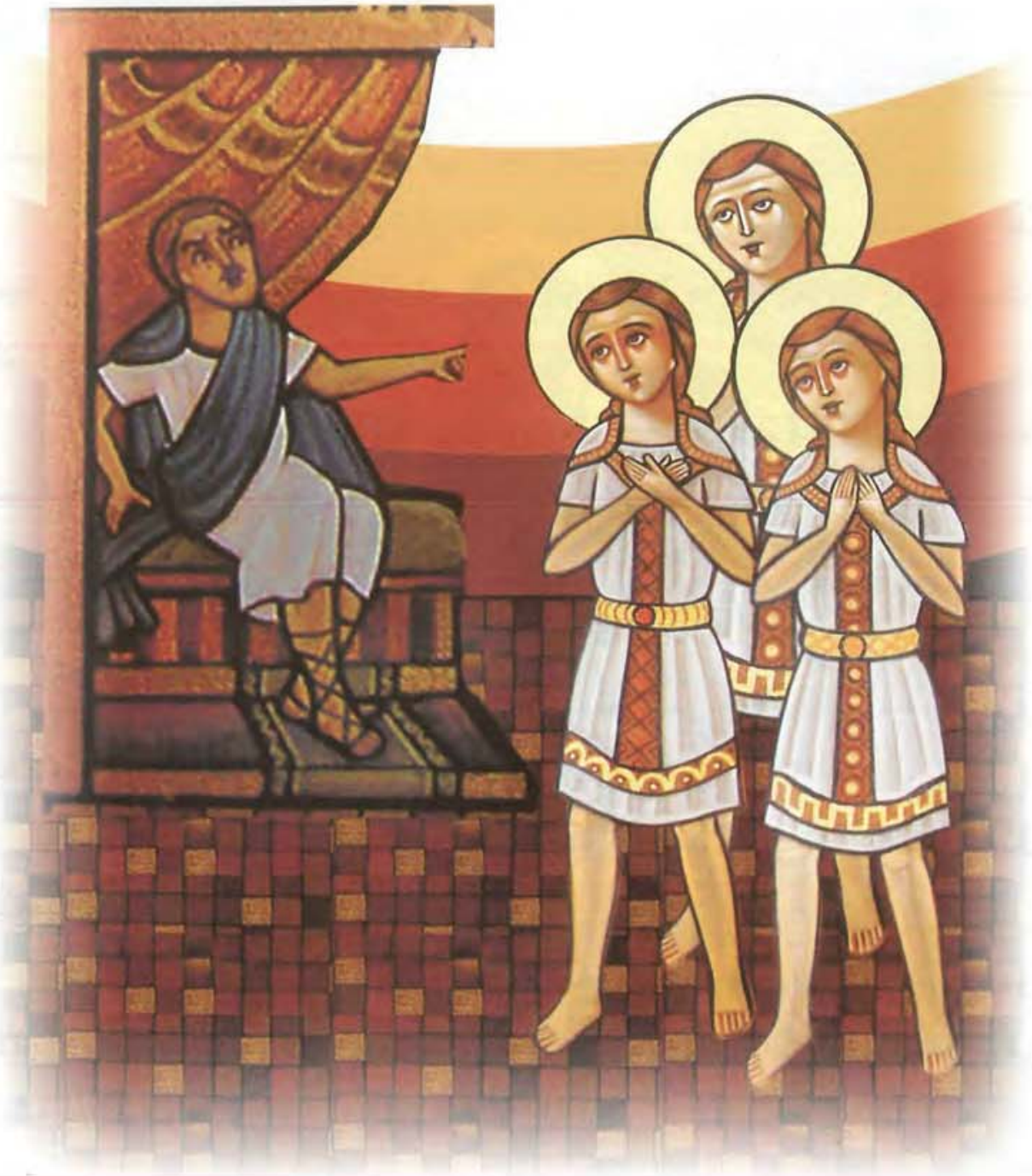
لا يعبدون آلهتك، ولا يسجدون لتمثال الذهب الذي نصبتَ".
تحدّث الأشرار مع الملك بتملقٍ ورياءٍ، ناسبين للفتية الأمناء الأتقياء
البحود والعصيان للملك وأوامره، أمّا الفتیان فتعلّموا أنه ينبغي أن يُطاع الله أكثر
من الناس.

حينئذٍ أمر نبوخذنصر بغضبٍ وغيظٍ بإحضارهم، فأتوا بهؤلاء الرجال قدام
الملك.

قال لهم نبوخذنصر: "تعمداً يا شدرخ وميشخ وعبدنغو لا تعبدون آلهتي،
ولا تسجدون لتمثال الذهب الذي نصبتَ. فإن كنتم الآن مُستعدّين عندما تسمعون
صوت العزف أن تخرؤوا وتسجدوا للتمثال الذي عملته، وإن لم تسجدوا تلقون في
وسط أتون النار المُتقدّة. ومن هو الإله الذي يُنقذكم من يدي؟".

ليس شيء يُثير أصحاب السلاطين مثل الشعور بأن سلطانهم مُحترق. إنهم
يطلبون طاعة الكلّ لأوامرهم حتى وإن كانت غير عادلة.

إذ هدأ قليلاً أعطاهم فرصة أخيرة لإنقاذ حياتهم، إن سجدوا للتمثال مرّة
واحدة! ما يشغله ليس السجود للتمثال أم عدمه، بل تحديهم لسلطانهم، لهذا سخر
بالههم، وأنه لا يقدر أن يخلصهم من يده.



كان يمكن للفتية أن يجدوا لهم أعذاراً يُبرِّرون بها السجود للتمثال منها:

أ. كانوا صغاراً في السن، ومسيبين.

ب. كانوا تحت سلطان ملكٍ عنيف.

ج. كان الملك صاحب سلطان مُطلق، خاصةً عليهم كأسرى حرب.

د. قُدِّمتْ كُلُّ أنواع الموسيقى للتأثير عليهم.

هـ. دخل الملك نفسه الذي وهبهم النعم التي يعيشون فيها في القصر معهم

في الحوار، وصار يُهدِّدهم.

و. كانوا في أرض غريبة، مُعرِّضين بسهولة للاتهام. وفي الغربة ما أسهل

تطبيق المثل القائل: "حينما تكون في روما اصنع ما يفعله الرومان".

ز. عبَدَ سُلُفاؤُهم في أورشليم وكل يهوذا وإسرائيل الأوثان، حتى في داخل

هيكل الرب عينه، بدون ضغط خارجي، بينما أصرَّ هؤلاء الغرباء ألاَّ يسجدوا

لتمثالٍ في أرض غريبة.

ح. برفضهم السجود للأوثان يفقدون كل فرصة للقيام بأي دور للعمل

لحساب شعبهم.

أما هم فأجابوه، قائلين:

"يا نبوخذنصر لا يلزمنا أن نجيبك عن هذا الأمر.

هوذا يوجد إلهنا الذي نعبدُه يستطيع أن يُنجِّينا من أتون النار المُتقدِّة، وأن

يُنقذنا من يدك أيُّها الملك.

وإلاَّ فليكن معلوماً لك أيُّها الملك، إننا لا نعبدُ آلهتك ولا نسجد لتمثال

الذهب الذي نصبته".

حينئذ امتلأ نبوخذنصر غيظاً، وتغيَّر منظرُ وجهه عليهم، وأمرَ بأن يُحموا

الأتون سبعة أضعاف أكثر مما كان مُعتاداً أن يُحمَى. وأمر جبابرة القوة في

جيشه بأن يوتقوهم ويلقوهم في أتون النار المُتقدِّة.



ثم أوثق هؤلاء الرِّجَال في سَراويلهم وأقمصتَهم وأرديتهم ولباسهم وألقوا في وسط أتون النار المُتَّقِدة.

وإذ كانت كلمة الملك شديدة والأتون قد حُمِّيَ جدًّا، قتل لهيب النار الرِّجَال الذين رفعوهم، وسقط هؤلاء الثلاثة الرِّجَال موتقين في وسط أتون النار المُتَّقِدة. فكانوا يتمشون في وسط اللهب مُسَبِّحين الله ومباركين الرب.

وقف عزريا (عبدنغو) في وسط النار، وصلى هكذا، وقال:

"مبارك أنت أيها الربَّ إله آبائنا وحميد، واسمك مُمَجَّد إلى الدهور.

لأنك عادل في جميع ما صنعتَ، وأعمالك كلها صدق، وطرقك استقامة

وجميع أحكامك حق.

وقد أجريتَ أحكام حق في جميع ما جلبتَ علينا، وعلى مدينة آبائنا

المقدسة أورشليم، لأنك بالحق والحكم جلبت جميع ذلك لأجل خطايانا.

إذ قد أخطأنا وأثمنا مرتدين عنك وأجرمنا في كل شيء...!

إننا نتبعك الآن بكل قلوبنا ونتقيك ونبتغي وجهك.

فلا تُخزنا، بل عاملنا بحسب رأفتك وكثرة رحمتك".

ولم يزل خدام الملك الذين ألقوهم يوقدون الأتون، فارتفع اللهب فوق

الأتون تسعًا وأربعين ذراعًا. وانتشر وأحرق الذين صادفهم حول الأتون من

الكلدانيين.

نزل ملاك الرب إلى داخل الأتون، وجعل وسط الأتون نسيمات ذات ندى

تهب، فلم تمسهم النار البتة ولم تُسيء إليهم ولم تزعجهم. حينئذ سبح الثلاثة بفم

واحدٍ ومجدوا وباركوا الله في الأتون قائلين:

"مبارك أنت أيها الربَّ إله آبائنا وحميدٌ ورفيع إلى الدهور،

ومبارك اسم مجدك القدوس ومُرتفع إلى الدهور...!

باركي الربَّ يا جميع أعمال الربَّ، سبِّحيه وارفعيه إلى الدهور.

باركوا الربَّ يا ملائكة الربَّ، سبِّحوه وارفعوه إلى الدهور...!

باركوا الربَّ يا بني البشر، سبِّحوه وارفعوه إلى الدهور ...

اعترفوا للربِّ، لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته".

تجد الكنيسة مسرّتها في التسبيح بهذه التسبحة كل يوم، في الهوس الثالث.
حينئذ تحيّر نبوخذنصر وقام مُسرِعاً، وقال لمُشيريه: "ألم نلقِ ثلاثة رجال

مُوتقين في وسط النار؟".

أجابوا: "صحيح أيها الملك".

قال الملك: "ها أنا ناظرٌ أربعة رجالٍ مطولين يتمشّون في وسط النار،

وليس بهم ضررٌ، ومنظر الرابع شبيهٌ بابن الآلهة".

ثم اقترب نبوخذنصر إلى باب الأتون المُتقد، وقال: "يا شدرخ وميشخ

وعبدنغو، يا عبيدَ الله العليّ، اخرجوا وتعالوا"، فخرجوا من وسطِ النار.

اجتمع رجال الدولة، ورأوا هؤلاء الرّجال الذين لم تكن للنار قوّة على

أجسامهم، وشعرةٌ من رؤوسهم لم تحترق، وسرّأويلهم لم تتغيّر، ورائحة النار لم

تأت عليهم.

قال نبوخذنصر:

"تبارك إله شدرخ وميشخ وعبدنغو الذي أرسل ملاكهُ،

وأنقذ عبيدَهُ الذين اتكلوا عليه،

وغيّروا كلمة الملك،

وأسلموا أجسادهم لكيلا يعبدوا أو يسجدوا لإله غير إلههم.

فمنيّ قد صدر أمرٌ بأنّ كلّ شعبٍ وأمةٍ ولسان يتكلّمون بالسوء على إله

شدرخ وميشخ وعبدنغو يصيرون إرباً إرباً، وتصير بُيوتهم مزبلةً، إذ ليس إله

آخر يستطيع أن يُنجي هكذا".

حينئذ قدّم الملك شدرخ وميشخ وعبدنغو في ولاية بابل.

١٦٧- بيلشاصر الملك واليد السرية

(دانيال ٥)

تولّى بيلشاصر الملك، هذا الذي لم يكن ينشغل بشيءٍ إلاّ بالملذّات والحفلات، وقد استغنى عن مُشيرى أبيه الحكماء.

صنع بيلشاصر وليمة عظيمة، واستخدم للشرب الأواني المقدّسة الذهبية والفضية التي لبيت الرب، وكان الحاضرون حوالي الألف يسخرون ويستهزئون. فجأة حلّ الرعب بالملك، وتغيّرت هيئته، وتسمّر كل الحاضرين في أماكنهم كأنهم حجارة جامدة.

صرخ الملك:

"فتشوا لي عن السّحرة والحكماء.

من يقرأ ما قد كتبتّه اليد السرية على مكلّس (بياض) الحائط أمامي ويخبرني بمعناه، يلبس الأرجوان، وقلادة من ذهبٍ في عنقه، ويتسلّط ثالثاً في المملكة بعدي أنا والملكة".

أخبرته الملكة الأم عن دانيال صديق أبيه، فإنه بروح إلهه يُفسّر الأحلام والأقوال الغريبة.

أستدعي دانيال، وقرأ ما قد كتب على الحائط: "منا منا ثقيل وفرسين". وهذا تفسير الكلام:

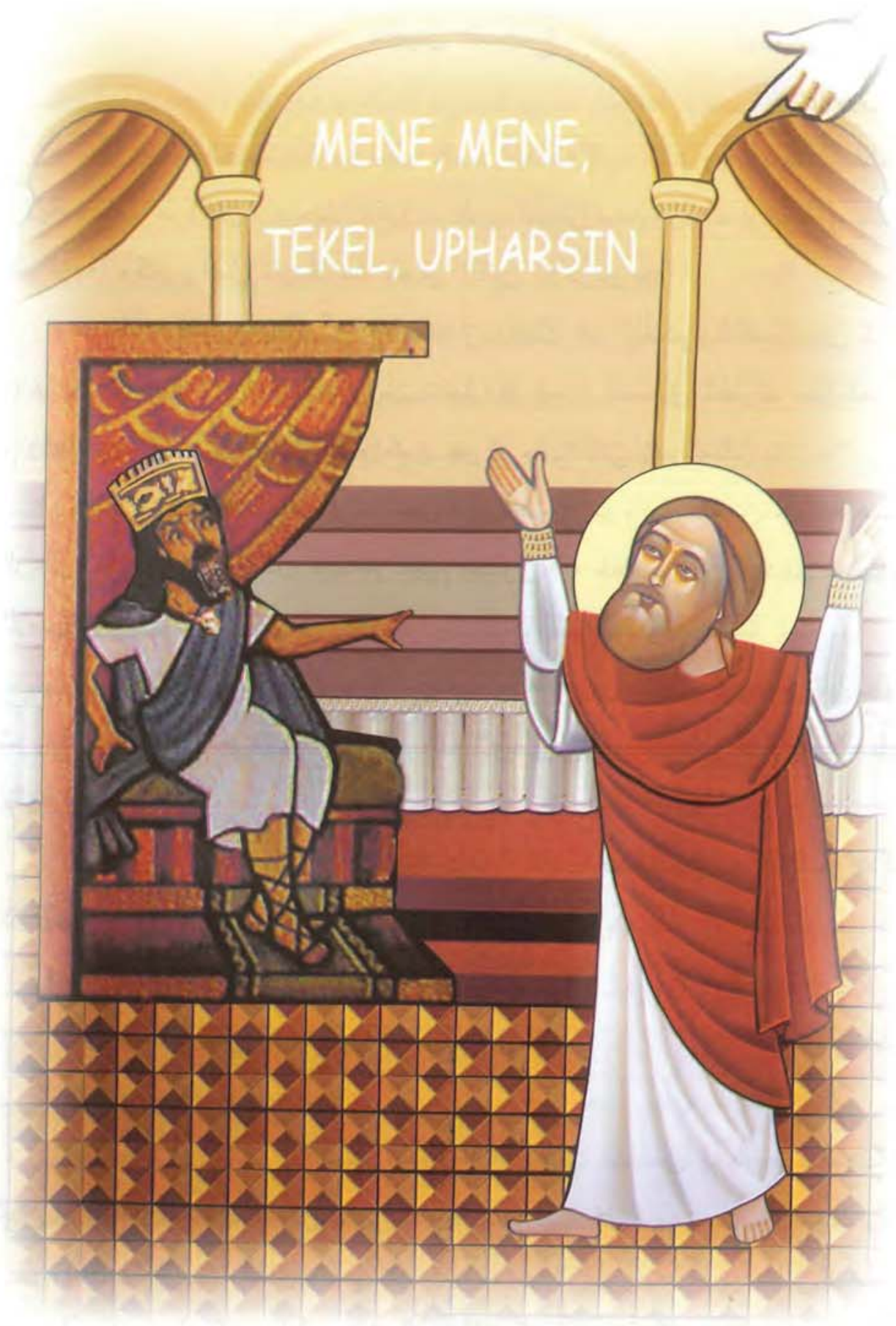
"منا: أحصى الله ملكوتك وأنهاة.

ثقل: وزنت بالموازن فوجدت ناقصاً.

فرس: فسّمت مملكتك وأعطيت لمادي وفارس".

حينئذ أمر بيلشاصر أن يلبسوا دانيال الأرجوان وقلادة من ذهبٍ في عنقه، وينادوا عليه أنه يكون مُتسلّطاً ثالثاً في المملكة.

في تلك الليلة قتل بيلشاصر ملك الكلدانيين. فأخذ الملكة داريوس المادي وهو ابن اثنتين وستين سنة.



١٦٨- جُبَّ أسود أم فردوس!؟

دانيال الشجاع

(دانيال ٦)

غيّر الملك الجديد حكومة بابل؛ فقسّم المملكة إلى ١٢٠ ولاية، وعيّن لكل ولاية حاكمًا "مرزبان"، واختار دانيال واثنين آخرين معه وزراء (رؤساء) على المرآزبة. وكان دانيال ناجحًا جدًا يفوق الاثنين الآخرين جدًا.

في فترة قصيرة جدًا أدرك الملك أن دانيال هو الأحكم والأفضل بين كل مشيريه. شعر الوزيران الآخران أن دانيال قد صار الصديق المقرب جدًا للملك، وتوقعا أنه سيقام رئيسًا عليهما، ويكون هو الرجل الثاني بعد الملك.

امتلاً الوزراء والحكام والعاملون في القصر غيرة وحسدًا من جهة هذا الرجل المسبّي، وبذلوا كلّ جهودهم لعلّهم يجدون فيه خطأ من جهة تدبير شئون الإمبراطورية.

قال أحدهم: "الطريق الوحيد للخلاص منه هو أن نبحث عن خطأ من جهة شريعة إلهه الذي يتعبّد له بكلّ أمانة. أنتم تعلمون جيّدًا أنه يدخل حجرته ويصليّ لإلهه ثلاث مرات يوميًا".

استصوبوا الفكرة، وصرخ أحدهم قائلاً: "لقد وجدنا الخطّة، فلنُسرِع إذاً لتحقيقها!" وأسرعوا لعلّهم يجدون الملك.

قالوا للملك:

"أيّها العظيم داريوس، لتحيًا فخامتكم إلى الأبد!

نحن نعلم كم أنت عظيم؟

لقد اتفقنا أن يصدر فخامتكم مرسومًا ألاّ يطلب أحد من إله أو من إنسان شيئًا بل يطلب منكم.

ومن يكسر هذا القانون يُلقى في جُبِّ الأسود.

ليُصدر عظمتكم هذا المرسوم الذي لا يمكن أن يتغيّر!".

فَكَرَّ الْمَلِكُ فِي نَفْسِهِ قَائِلًا: "إِنِّي بِالنَّسَبَةِ لَشَعْبِي صَالِحٌ كَالِه"، وَفِي غِبَاوَةٍ وَقَعَ عَلَى الْمَنْشُورِ.

عَلِمَ دَانِيَالٌ عَنِ الْمَنْشُورِ الَّذِي أصدَرَهُ الْمَلِكُ وَوَقَعَ عَلَيْهِ. ذَهَبَ دَانِيَالٌ إِلَى بَيْتِهِ حَيْثُ تَوْجَدُ فِيهِ عُلْيَةٌ نَوَافِذُهَا تَطُلُّ تَجَاهَ أُورُشَلِيمَ الْمُحَطَّمَةَ. وَكَعَادَتِهِ رَكَعَ هُنَاكَ، وَالنَّوَافِذَ مَفْتُوحَةً، وَصَلَّى إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ فِي الْيَوْمِ. إِذْ رَاقِبَهُ الْأَعْدَاءُ وَوَجَدُوهُ يُصَلِّي لَمْ يُضَيِّعُوا الْوَقْتَ، بَلْ ظَهَرُوا أَمَامَ الْمَلِكِ، وَطَلَبُوا تَطْبِيقَ الْقَانُونِ عَلَى أَحَدِ الْمَسِيْبِيِّينَ الْقَادِمِينَ مِنْ يَهُودَا.

"أَيَّ رَجُلٍ هَذَا؟"، سَأَلَ دَارِيُوسُ؛ وَإِذْ سَمِعَ أَنَّهُ دَانِيَالٌ اغْتَمَّ جَدًّا. "أَه، دَانِيَالٌ!" قَالَ الْمَلِكُ: "إِنَّهُ رَجُلٌ صَالِحٌ، دَانِيَالٌ لَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا رَدِيئًا قَطًّا". أَجَابَ الرَّجَالُ: "لَكِنْ كَمَا تَعَلَّمَ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُ لَا يُمْكِنُ تَغْيِيرُ قَانُونِ أصدَرْتَهُ، إِنَّمَا يَلْزَمُ طَاعَتَهُ".

لَمْ يَجِدِ الْمَلِكُ طَرِيقًا مَا يُنْقِذُ بِهِ دَانِيَالًا. أُسْتَدْعِيَ دَانِيَالٌ حَيْثُ تَحَدَّثَ مَعَهُ الْمَلِكُ بِحُزْنٍ، قَائِلًا: "آسَفٌ. إِنِّي أَرَى أَنِّي قَدْ وَقَعْتُ فِي فِخٍّ، لَكِنِّي لَا أُسْتَطِيعُ تَغْيِيرَ الْقَانُونِ الَّذِي أصدَرْتَهُ. اللَّهُ الَّذِي تَخْدُمُهُ أَنْتَ بِكُلِّ أَمَانَةٍ هُوَ يُخَلِّصُكَ الْآنَ".

انطَلَقَ جُنْدُ الْمَلِكِ بِدَانِيَالٍ إِلَى جُبِّ الْأَسْوَدِ. وَوُضِعَ حَجْرٌ عَلَى مَدْخَلِ الْجُبِّ، وَخْتِمَةُ الْمَلِكِ الْحَزِينِ بِخَاتَمِهِ الْمَلُوكِيِّ. عَادَ الْمَلِكُ إِلَى قَصْرِهِ كَسِيرِ الْقَلْبِ.

لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَأْكُلَ، وَلَا سَمِحَ لِلْمُوسِيقِيِّينَ أَنْ يَعزَفُوا أَمَامَهُ، وَقَضَى اللَّيْلَةَ بِلَا نَوْمٍ، وَكَانَ يَقُولُ: "دَانِيَالٌ صَدِيقِي الْحَمِيمِ، لَمْ يَصْنَعْ إِلَّا كُلَّ مَا هُوَ لِخَيْرٍ مَمْلَكَتِي".

كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ هُوَ أَسْعَدَ أَيَّامِ أَعْدَاءِ دَانِيَالٍ؛ كَانَتْ بِهِجَتِهِمْ فَوْقَ كُلِّ تَصَوُّرٍ. فَقَدْ نَجَحَتْ خَطَّتُهُمْ. لَقَدْ ذَهَبَ دَانِيَالٌ بِلَا رَجْعَةٍ، كَانَتْ الْفُرْصَةُ سَانِحَةً لَهُمْ لِإِقَامَةِ حِفْلِ كَبِيرٍ، وَقَدْ أَمْضَوْا اللَّيْلَةَ كُلَّهَا يَسْخَرُونَ مِنْ دَانِيَالٍ وَبِالطَّرِيقَةِ الَّتِي بِهَا تَمزَّقُ جِسْمَهُ إِلَى أَجْزَاءٍ، مُتَصَوِّرِينَ كَيْفَ افْتَرَسَتْهُ الْأَسْوَدُ الْجَائِعَةُ. إِنَّهُمْ لَنْ يَعُودُوا بَعْدَ يَوَاجِهُونَ مَا يَنَالُهُ دَانِيَالٌ مِنْ نَجَاحٍ وَحِظْوَةٍ عِنْدَ الْمَلِكِ.

إذ أنزلَ دانيال إلى جُبِّ الأسود، رفع قلبه إلى السماء وصرخ إلى الله طالباً النجدة، فنزل ملاك إلى الجُبِّ، وسدَّ أفواه الأسود الجائعة.

وإذ اقترب دانيال جدًّا من الأسود وجدَّهم ينتظرونه في هدوءٍ شديدٍ، وكانهم أصدقاء مُخلصون يتمتَّعون بصحبته العذبة.

عوض أن يصير طعاماً للأسود الجائعة، شعر دانيال كأنه قد أرسل إلى الفردوس ليقضي أبهج أيام حياته. صارت الأسود تسير حوله مُحنِيَّة، تلحس يديه وقدميه، وكان يحتضنها كأصدقاء له، ممَّا جَلَبَ له الدَّفء الليل كله.

قضى دانيال هذه الليلة مع الملاك والأسود، وتحوَّل الجُبُّ إلى موضع لتسبيح الله.

شعر دانيال كأن كل الخليقة تُسبِّح الله إلهه، فترنَّم بالمزمور ١٤٨:

"هللويا. سبِّحوا الرَّبَّ من السماوات... سبِّحوه يا جميع ملائكته... سبِّحيه أيتها الشمس والقمر. سبِّحيه يا جميع كواكب النور.

سبِّح الرّبَّ من الأرض يا أيتها التنانين... الوحوش وكل البهائم... الأحداث والعداري أيضاً الشيوخ مع الفتیان، لیسبِّحوا اسم الرّبِّ لأنه قد تعالی اسمه وحده".

في الصباح المُبكر جدًّا، عندما بدأ الضوء يظهر، أسرع داريوس إلى الجُبِّ، وبقلبٍ مُثقلٍ وصوتٍ مملوء حُزناً صرخ، قائلاً: "يا دانيال، عبدُ الله الحي! هل إلهك الذي تعبده دائماً قدر أن يُنجِّيك من الأسود؟!".

كم كانت سعادة الملك عندما سمع إجابة دانيال المملوءة فرحاً ونُصرةً من وراء الصخرة.

"أيتها الملك عشْ إلى الأبد.

إلهي أرسل ملاكهُ وسدَّ أفواه الأسود، فلم تضُرَّني،

لأنني وُجدتُ بريئاً قُدَّامَهُ وقُدَّامَكَ أيضاً أيُّها الملك لم أفعل ذنباً".

بفرح مع شكر الله أمر الملك الحُرَّاس أن يفكوا الختوم ويُحرِّروا دانيال.



أصدر الملك أوامره بالقبض على كل الرجال الذين اتهموا دانيال، وإلقاءهم مع نسائهم وأبنائهم في جُبِّ الأسود.

قبل وصولهم إلى أسفل الجُبِّ، بطشت بهم الأسود، وسحقت كل عظامهم. عندئذٍ كتب داريوس مرسومًا جديدًا أرسله إلى كل الشعوب والأمم والأسنة الساكنين في الأرض كلها، جاء فيه:
"ليكثر سلامكم.

من قلبي صدر أمرٌ بأنه في كل سلطان مملكتي يرتعدون ويخافون قدام إله دانيال...

هو يُنجي ويُنقذ، ويعملُ الآياتِ والعجائبَ في السماوات وفي الأرض.
هو الذي نجى دانيال من يدِ الأسود".
وأقام الملك احتفالاً لتكريم دانيال، الرَّجُل الذي آمن بالله إلهه الذي يُخلص من الأسود، ويحوّل الجُبَّ إلى فردوس مُفرح!

١٦٩- سوسنة العفيفة ودانيال الحكيم

(دانيال ١٣)

كان في بابل رجلٌ غنيٌّ جدًّا اسمه يوياقيم، تزوجَ بامرأةٍ اسمها سوسنة ابنة حلقيا، جميلةً جدًّا وتتقى الرب. وكان اليهود يجتمعون في بيتهما.
وكان قد أُقيم شيخان للقضاء في تلك السنة كمُدبّرَي الشعب، يجتمعان في دار يوياقيم مع كل ذي دعوى.

متى انصرف الشعب عند الظهر كانت سوسنة تدخل وتتمشى في حديقة رَجُلها، فكان الشيخان ينظرانها كل يوم. وكانا كلاهما شغوفين بها، ولم يُكاشف أحدهما الآخر بما في فكره، لأنهما كانا يخجلان أن يُخبرا بشهواتهما. في ذات يومٍ قال أحدهما للآخر: "سأنصرف إلى بيتي، فإنها ساعة الغذاء". فخرجا وافترقا ثم عادا والتقيا معًا في الحديقة. فسأل الواحد الآخر عن سبب رجوعه، فاعترفا بهواهما، حينئذٍ اتفقا معًا على وقتٍ يمكنهما فيه أن يخلوا بها وحدهما.

وكان في أحد الأيام بينما هما مترقبان اليوم الموافق، أنها دخلت مثل كل يومٍ داخل البستان ومعها جاريتان فقط، وأرادت أن تغتسل في الحديقة، لأن الجو كان حارًّا، ولم يكن هناك أحدٌ إلا الشيخان وهما مُختبئان يتأملانها.

قالت للجاريتين: "انتياني بذهن، وأغلقا أبواب الحديقة لأغتسل"، ففعلتا كما أمرتُهُما، وأغلقتا أبواب الحديقة، وخرجتا من أبواب السرِّ لتأتيا بما أمرتُهُما به. ولم تعلمَا أن الشيخين مُختبئان هناك.

لمَّا خرجت الجاريتان، قام الشيخان وهجما عليها، وقالا لها: "هوذا أبواب الحديقة مُغلقة، ولا يرانا أحدٌ. ونحن شغوفان بهواك، فوافقينا وكوني معنا. وإلا فنشهد عليك أنه كان معك شابٌ، ولذلك صرّفت الجاريتين عنك".

تتهدّت سوسنة، وقالت: "لقد ضاق بي الأمرُ من كلِّ جهةٍ. فإني إن فعلتُ هذا فهو لي موتٌ. وإن لم أفعل، فلا أنجو من أيديكما. ولكن خيرٌ لي أن لا أفعل ثم أقع في أيديكما، من أن أخطأ أمام الرب".

وصرخت سُوسَنَّةُ بصوتٍ عظيمٍ، فصرخَ الشَّيْخَانُ عليها، وأسرعَ أحدهما وفتحَ أبوابَ الحديقةِ، فلمَّا سَمِعَ أهلُ البيتِ الصُّرَاخَ في الحديقةِ، وثبوا إليها للوقتِ ليرَوْا ما وَقَعَ لها. ولمَّا تكلمَ الشَّيْخَانُ بكلامهما، خجلَ العبيدُ جدًّا، لأنه لن يُقلَّ قطُّ مثلُ هذا القولِ على سُوسَنَّةِ.

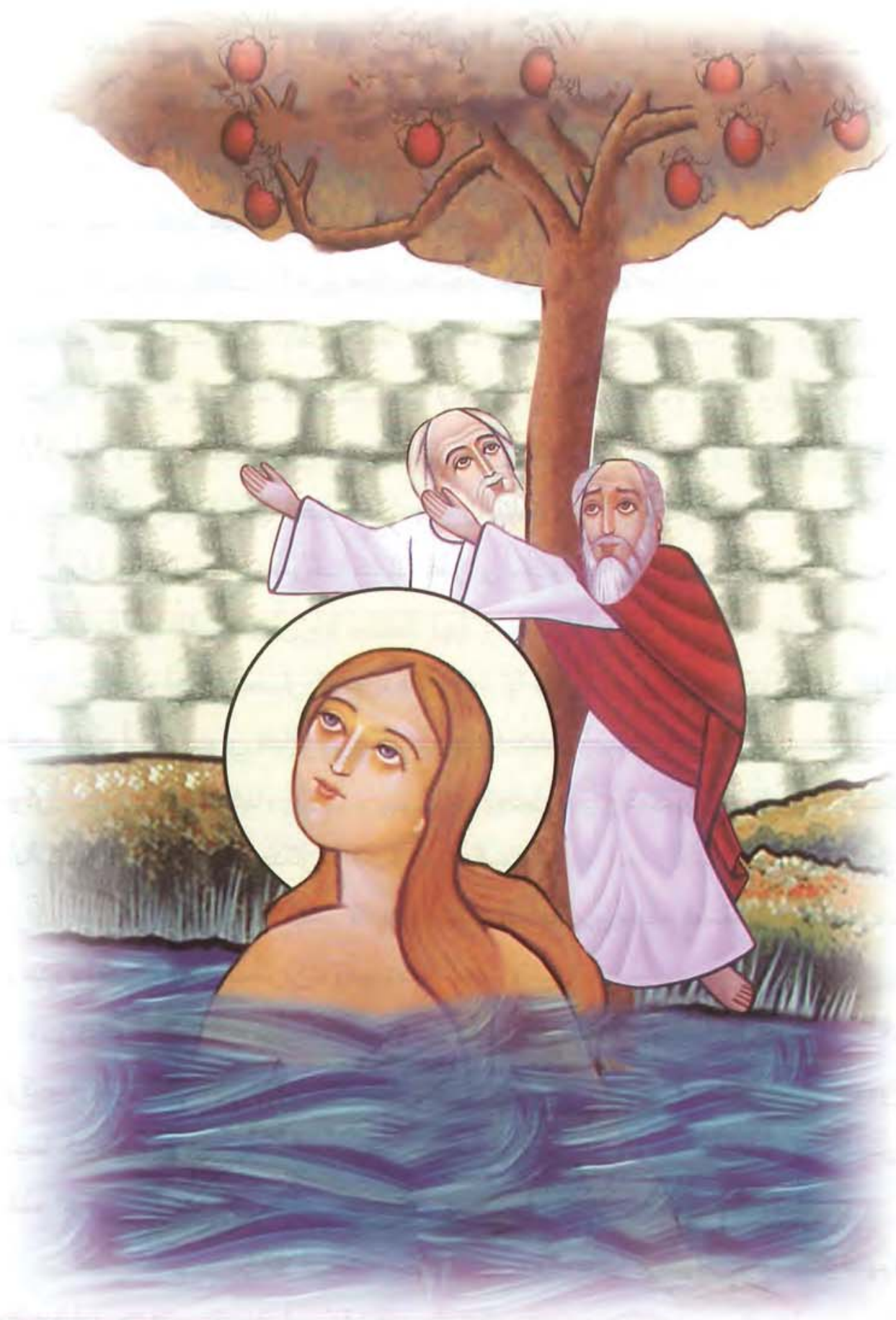
في الغدِ عندما اجتمعَ الشعبُ إلى يويَاقِيمَ، أتى الشَّيْخَانُ مُضْمِرِينَ نِيَّةَ أَثِيمَةٍ على سُوسَنَّةِ لِيُهْلِكَاهَا، وقالَا أمامَ الشعبِ: "أرسلوا إلى سُوسَنَّةِ بنتِ حلقِيَا التي هي امرأَةُ يويَاقِيمَ"، فأرسلوا.

أَتَتْ سُوسَنَّةُ هي ووالداها وبنوها وجميعَ ذوي قرَابَتِها، وكانت سُوسَنَّةُ جميلةَ المنظرِ وحسنةَ جدًّا، فأمرَ هذانِ الشَّيْخَانُ أنَ تَكشِفَ رأسَها، لأنَ رأسَها كانت مُغطَاةً ليشبعا من جَمالِها. وكانَ أهلُها وجميعَ الذين ينظرونها يبكون. فقامَ الشَّيْخَانُ في وسطِ الشعبِ، ووضعَ أيديهُما على رأسِها، فرفعتَ نظرَها إلى السماءِ وهي باكيةٌ، لأنَ قلبَها كانَ مُتَكَلِّمًا على الله.

قالَ الشَّيْخَانُ: "إننا كُنَّا نتمشَى في الحديقةِ وحدنا، فإذا بهذه قد دخلتِ ومعهما جاريتان، ثم صرَفَتِ الجاريتينِ، وأغلقتِ أبوابَ الحديقةِ. فأتاها شابٌّ كانَ مُختبئًا في الحديقةِ، ووقعَ عليها. وكُنَّا نحنُ مُختبئِينَ في زاويةٍ من الحديقةِ، فلمَّا رأينا الإثمَ أسرعنا إليهما، ورأيناهما مُتعانقينِ، أمَّا ذاكَ فلمَ نستطعُ أنَ نَمسِكِه، لأنه كانَ أقوى مِنَّا، فَفَتَحَ الأبوابَ وهربَ، وأمَّا هذه فقَبضنا عليها وسألناها عنَ الشابِ، فأبَتَ أنَ تُخبرنا. هذا ما نشهدُ به".

صدَّقهما المجمعَ لأنهما شيخانِ وقاضيانِ في الشعبِ، وحكموا عليها بالموتِ. صرَّختِ سُوسَنَّةُ بصوتٍ عظيمٍ وقالت: "أيُّها الإلهُ الأزليُّ العارفُ الخفايا، العالمُ بكلِّ شيءٍ قبلَ أنَ يكونَ. إنك تعلمُ أيُّها الربُّ أنهما شهدا عليَّ بالزُّورِ، وها أنا أموتُ ولم أصنعَ شيئًا ممَّا افتريا عليَّ به هذان".

استجابَ الربُّ لصوتِها. وإذ كانت تُساقُ إلى الموتِ، نبَّهَ اللهُ روحًا مُقدَّسًا لشابٍ حدثٍ اسمه دانيال. فصرخَ بصوتٍ عظيمٍ: "أنا بريءٌ من دمِ هذه المرأة".



التفت إليه الشعب كله، وقالوا: "ما هذا الكلام الذي قلته؟!".

وقف في وسطهم وقال: "أهكذا أنتم أغبياء يا بني إسرائيل، ما فحصتم وما عرفتم الحق، وقضيتم على بنت إسرائيل. لكن ارجعوا إلى القضاء، فإن هذين إنما شهدا عليها بالزور". فأسرع الشعب كله ورجع. فقال له الشيخان: "هلم اجلس بيننا وأدنا فقد أتاك الله المشيخة".

فقال لهم دانيال: "اعزلوهما بعضهما عن بعض بعيداً، فأحكم عليهما". فلما افترق الواحد عن الآخر. دعا أحدهما وقال له: "يا أيها العتيق الأيام الشريرة، لقد أتت عليك خطاياك التي ارتكبتها، تقضي قضاء ظلم، وتحكم على الأبرياء، وتطلق المجرمين، وقد قال الرب إن البريء والزكي لا تقتلها. فالآن إن كنت قد رأيتهما، فقل تحت أية شجرة رأيتهما يتحدثان؟" قال: "تحت السنطة". قال دانيال: "لقد صوّبت كذبك على رأسك، فها هوذا ملاك الله قد أمر من لدن الله بأن يشقك شطرين".

عزله وأمر بإحضار الآخر، فقال له: "يا نسل كنعان وليس يهوذا، لقد فتتك الجمال، وأسلم الهوى قلبك إلى الفساد، هكذا كنتما تصنعان مع بنات إسرائيل، وكُن يخفن أن يحدثكما، أما بنت يهوذا فلم تحتل فجوركما. والآن قل لي تحت أية شجرة صادفتكما يتحدثان؟" قال: تحت السديانة. قال دانيال: "وأنت أيضاً قد صوّبت كذبك على رأسك، فملاك الله واقف وبيده سيف ليقطعك شطرين، وليبيدكما أنتما الاثنين".

فصرخ المجمع كله بصوتٍ عظيم، وباركوا الله مُخلص الذين يرجونهُ، وقاموا على الشيخين، وقد أثبت دانيال من نطقهما أنهما شهدا بالزور، وصنعوا بهما كما نويأ أن يصنعا بالقرب، عملاً بما في شريعة موسى، فقتلوهما. وخلص الدم الزكي في ذلك اليوم.

فسبح حلقيا وامرأته الرب لأجل ابنتهما مع يوياقيم رجلها وذوي قرابتهم، لأنه لم يوجد في سوسنة شيءٌ قبيحٌ.

١٧٠- دانيال وكهنة الإله بال Bel

(دانيال ١٤ : ١ - ٢١)

كان دانيال مُلَازِمًا للملك في رفقته، ومُكرِّمًا فوق جميع أصدقائه. وكان لأهل بابل صنم اسمه بال (بيل أو بعل أو مردوخ) وكانوا ينفقون له كل يوم اثني عشر إردبًا من الدقيق الفاخر وأربعين شاةً وخمسين جالونًا من الخمر. وكان الملك يذهب كل يوم ويسجد له، أمّا دانيال فكان يسجد لإلهه. فقال له الملك: "لماذا لا تسجد لبال؟" أجابه: "لأنني لا أعبدُ أصنامًا صنعة الأيدي، بل الإله الحيّ، خالق السماوات والأرض الذي له السلطان على كل ذي جسد". قال له الملك: "أتحسب أن بالاً ليس بإله حيّ، ألا ترى كم يأكل ويشرب كل يوم؟".

ضحك دانيال، وقال: "لا تتخذ أيها الملك، فإنّ هذا داخله طين وظاهره نحاس، فلا يأكل قط".

غضب الملك، ودعا كهنته وقال لهم: "إن لم تقولوا لي من الذي يأكل هذه النفقة تموتون. وإن بينتم أن بالاً يأكل هذه يموت دانيال، لأنه جدّف على بال". فقال دانيال للملك ليفعل كما تقول.

وكان كهنة بال سبعين كاهنًا ما خلا النساء والأولاد، فأتى الملك ودانيال إلى بيت بال.

قال الكهنة: إننا ننصرف إلى الخارج وأنت أيها الملك ضع الأطعمة، وامزج الخمر وضعها، ثم أغلق الباب، واختم عليه بخاتمك. وفي الغد ارجع. فإن لم تجد بالاً قد أكل الجميع، نموت وإلا فيموت دانيال الذي افتري علينا".

كانوا يستخفون بالأمر، لأنهم كانوا قد صنعوا تحت المائدة مدخلًا خفيًا يدخلون منه كل يوم ويلتهمون كل الطعام. فلما خرجوا وضع الملك الأطعمة

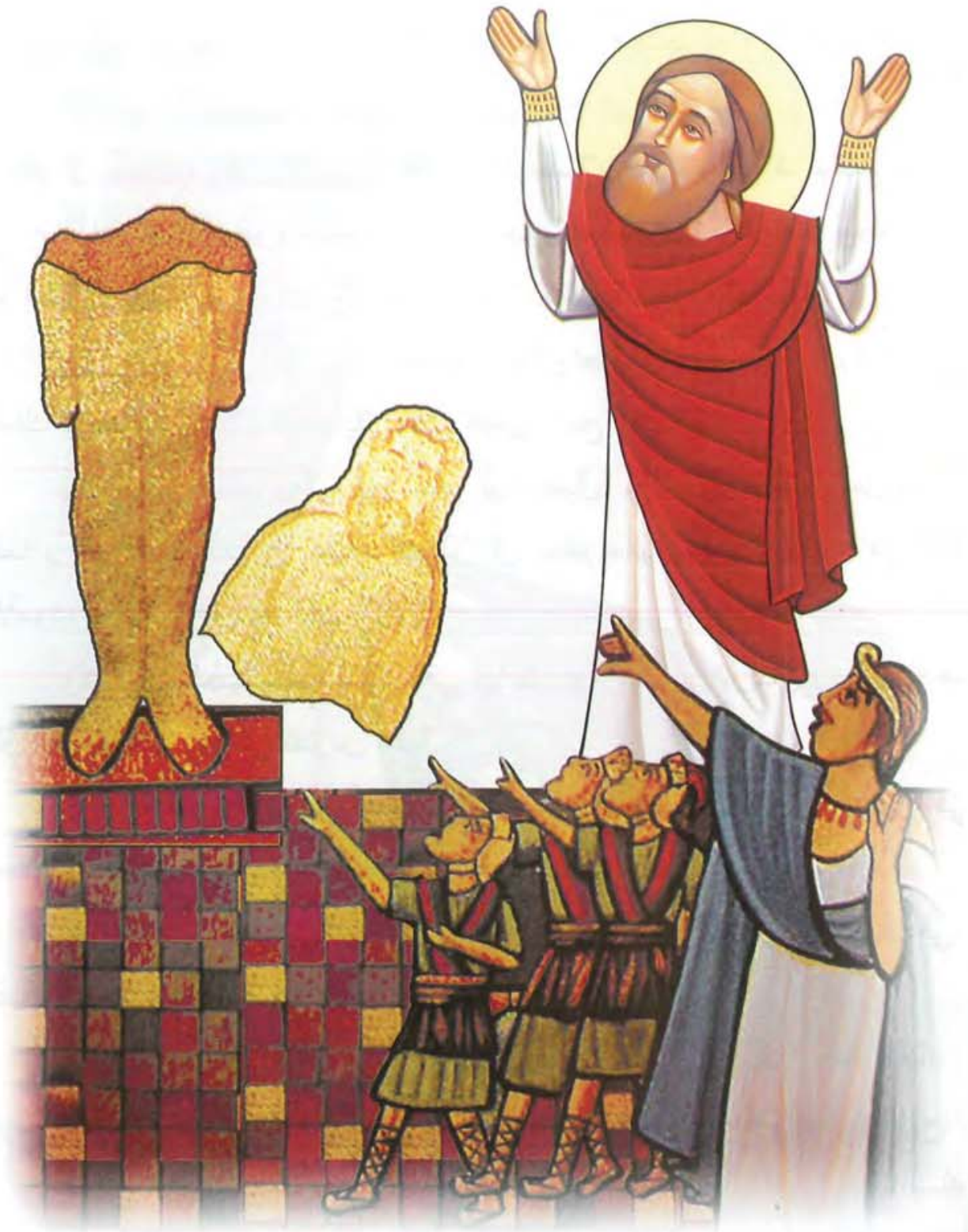
لبال، فأمر دانيال غِلمانه فأتوا برمادٍ وذرَّوه في الهيكل كُلِّه بحضرةِ الملك وحده،
ثم خرجوا وأغلقوا الباب وختموا عليه بخاتم الملك وانصرفوا.
وفي الليل دخل الكهنة كعادتهم هم ونسائهم وأولادهم وأكلوا الجميع
وشربوا.

بكرَّ الملك في الغدِ ودانيال معه. فقال: أسالمةُ الأختام يا دانيال؟ قال:
"سالمةٌ أيها الملك".

ولما فُتِحَتِ الأبوابُ نظر الملكُ إلى المائدة، وهتف بصوتٍ عالٍ: "عظيمٌ
أنت يا بال، ولا مكر عندك".

فضحك دانيال وأمسك الملك لئلاً يدخل إلى داخل، وقال انظر البلاط
واعرف ما هذه الآثار.

فقال الملك: "إني أرى آثار رجال ونساء وأولاد"، وغضب الملك.
حينئذ قبض على الكهنة ونسائهم وأولادهم، فأروه الأبواب الخفية التي
يدخلون منها، ويأكلون ما على المائدة.
فقتلهم الملك وأسلم بالاً إلى يد دانيال، فحطمه هو وهيكله.



١٧١- دانيال والتنين

(دانيال ١٤ : ٢٢ - ٤٢)

كان في بابل تنين عظيم، وكان أهلها يعبدونه.
فقال الملك لدانيال: "أقول عن هذا أيضاً أنه نحاس؟ ها أنه حيّ يأكلُ ويشرب، ولا تستطيع أن تقول إنه ليس إلهاً حياً، فلا أسجد له".
قال دانيال: "إني إنما أسجدُ للرَّبِّ إلهي، لأنه هو الإلهُ الحي. وأنت أيها الملك اجعل لي سلطاناً، فأقتلُ التنين بلا سيفٍ ولا عصاً". فقال الملك: "قد جعلتُ لك".
فأخذ دانيال زفتاً وشحماً وشعراً وطبخها معاً، وصنَعَ أقراصاً وجعلها في فم التنين، فأكلها التنين، فانشقَّ. فقال دانيال: "انظروا معبوداتكم...!".
فلما سمع بذلك أهل بابل، غضبوا جداً واجتمعوا على الملك، وقالوا: "إن الملك قد صار يهودياً، فحطمُ بالاً وقتلُ التنين وذبح الكهنة".
وأتوا إلى الملك، وقالوا له: "أسلمَ إلينا دانيال، وإلا قتلناك أنت وأهل بيتك".
فلما رآهم الملك ثائرين عليه، اضطرَّ أن يسلم دانيال إليهم. فألقوه في جُبِّ الأسود، وكان هناك ستة أيام.
وكان في الجُبِّ سبعةُ أسود يُلقى لها كل يوم جثتان بشريتان ونعجتان، فلم يُلَقَ لها حينئذ شيءٌ لكي تفترس دانيال.
وكان حبقوق النبي في أرض يهوذا، وكان قد طبخ طبخاً وكسر خبزاً في جَفْنَةٍ، وانطلق إلى الصحراء ليحمله إلى الحصادين.
فقال ملاك الرب لحبقوق: "احملِ الغداء الذي معك إلى بابل إلى دانيال في جُبِّ الأسود".
قال حبقوق: أيها السيّد إني لم أرَ بابل قط، ولا أعرف الجُبَّ". فأخذ ملاك الرب بتاج رأسه، وحمله بشعره، ووضعها في بابل عند الجُبِّ بقوة اندفاع الريح.
صرخ حبقوق قائلاً: يا دانيال، يا دانيال، خذُ وجبة الغداء التي أرسلها لك الله".



فقال دانيال: "اللهم لقد ذكرتني، ولا تنسى الذين يحبونك". وقام دانيال وأكل. ورد ملاك الرب حبقوق حالاً إلى موضعه.

وفي اليوم السابع أتى الملك لبيكي على دانيال، فدنا من الجُبِّ ونظر فإذا بدانيال جالس.

فهتف بصوت عالٍ، وقال: "عظيم أنت أيها الربُّ إله دانيال، ولا إله غيرك"، ثم أخرجته من جُبِّ الأسود.

أما الذين سَعَوْا به للهلاك فألقاهم في الجُبِّ، فافترستهم الأسود في الحال. فقال الملك لبيقي جميع سكان الأرض إله دانيال، فإنه المُخَلَّصُ الصانع الآيات والعجائب في الأرض، وهو الذي أنقذ دانيال من جُبِّ الأسود.

(طوبيا)

كان طوبيت من سبط نفتالي إنساناً يتقي الله، مُحبّاً للعطاء، أميناً في عبادته
لله، أخذ إلى السبي في نينوى.

عانى اليهود الذين في السبي الكثير من الاضطهادات. فكرّس طوبيت وقته
وماله ليُقَدِّم طعاماً وملابس لإخوته. كان كل ما يتيسر له يقسمه كل يوم على من
سُبي معه من إخوته الذين من بني جنسه. كما كان يرعى المرضى، ويدفن جثث
الأموات والقتلى.

ذات ليلة إذ كان مُرهقاً للغاية رقد تحت شجرة، فسقطت بقايا طير من عُشِّ
في عينيه، فأصيب بالعمى. لم يفقد طوبيت محبته لله وثقته فيه. وكان كثيرون
حتى زوجته يعيرونه.

طفق طوبيت يُصليّ بدموع، قائلاً:

"عادل أنت أيها الرب، وجميع أحكامك مُستقيمة، وطُرقك كلها رحمة وحقّ

وعدل.

فالآن أذكرني يارب، ولا تنتقم عن خطاياي، ولا تذكر ذنوبي، ولا ذنوب

آبائي.

لأننا لم نطع أوامرك، فلأجل ذلك أُسلمنا إلى النهب والسبي والموت
وأصبحنا منظرًا وعارًا في جميع الأمم التي بددتنا بينها.

فالآن يارب عظيمة هي أحكامك، لأننا لم نعمل بحسب وصاياك، ولا سلطنا

بإخلاص أمامك.

والآن يارب بحسب مشيئتك اصنع بي، ومُر أن تقبض روعي بسلام، لأن

الموت لي خيرٌ من الحياة".

دخل طوبيت في أزمة مالية، وإذ تُذكَرُ قرضًا كان قد أعطاه لأحد أحبائه في ميديا Media (جنوب بحر كاسبيان وهي جزء من إيران الحالية)، قدّم لابنه طوبيا وصايا، وقال له: "يا ابني ابحث عن صديقٍ لك، ولتذهب إلى غابيلوس (جبئيل) Gabaelus في راجيس بميديا لتسترد القرض الذي قدّمته له".

ترك طوبيا البيت، وإذ قرر أن ينطلق للرحلة وجد شخصًا وقورًا يُقدّم له خدمة أن يُرافقه في رحلته ويُرشده في الطريق. تشاور الأب والابن معًا، وشعرا أن هذا الشخص الغريب موضع ثقتهما. والعجيب أن هذا الإنسان الغريب عرف البلدة التي يذهب إليها طوبيا، والطريق المؤدّي إليها، والأشخاص الذين يذهب إليهم.

كان هذا الشخص هو رئيس الملائكة روفائيل، قدّم نفسه باسم عزريا. كان سندا لطوبيا وقائداً حكيمًا له. أنقذه من هجومٍ شرسٍ لسمكةٍ ضخمة، وقال له: "احفظ مراتها وقلبها وكبدها".

أخيرًا، عندما اقتربا من بيت أحد أقرباء طوبيت، اقترح عزريا أن يطلب طوبيا يد ابنته سارة، ووافق طوبيا على اقتراحه.

سبق أن تزوّجت سارة سبع مرات، وفي كل مرّة كان يموت عريسها بعد الزواج مباشرةً، ولم يعرف أحد السبب. لم يدع طوبيا المخاوف تتسلّل إلى فكره أو قلبه.

أثناء الاحتفال بالزواج اقترح عزريا أن يذهب لتحصيل القرض، وعند عودته إليه يرجع مع طوبيا إلى بيته. هذا وقد أرشد عزريا طوبيا أن يُكرّس هو وزوجته سارة ثلاثة أيام للصلاة دون أية علاقة جسديّة بينهما.

كان والد سارة يُعدُّ قبرًا ليُدفن فيه طوبيا بعد موته، إذ توقع أنه لن يأتي الصباح بعد الزواج دون أن يلحق به ما حدث مع الرجال السبعة الذين ماتوا في أول ليلة من زواجهم بسارة. كانت المفاجأة أن طوبيا لم يمُتْ، وعاش سعيدًا مع سارة.



عاد طوبيا مع عزريا، وبناء على مشورة الملاك دهن طوبيا عيني والده
طوبيت بمرارة السمكة، فاستردّ بصره.
امتلاً بيت طوبيت بالفرح، فقد عاد إليه بصره، كما رجع ابنه سعيداً
بزوجته سارة، وزالت الأزمة الماليّة.
حاول طوبيا أن يكافئ عزريا، فقال له الأخير: "أنا الملاك روفائيل".

١٧٣- أستير الملكة

(أستير)

حوالي عام ٤٨٦ قبل ميلاد السيّد المسيح صار أحشويروش (سركيس) ملكاً على الإمبراطورية الفارسية (إيران حالياً). وكان كثير من اليهود يعيشون في مدن فارس وقراها.

صنع أحشويروش وليمة عظيمة للرؤساء والأشراف في كل الإمبراطورية امتدّت حوالي نصف عام. وفي نهاية الوليمة صنع أحشويروش وليمة خاصة لكل رجال القصر امتدّت سبعة أيام. شرب الرجال الخمر في كؤوس الملك الذهبية. كما أقامت الملكة وشّتي وليمة لكل نساء القصر في نفس الوقت.

في اليوم الأخير من الوليمة العظيمة، إذ سكر الملك ورجاله قرّر أن تحضر الملكة وشّتي الوليمة، وطلب منها أن ترتدي أجمل ثيابها، وتضع التاج الملوكي على رأسها. وتظهر أمام كل الرجال ليروا جمالها. كانت العادة ألاّ تكشف سيّدة جمالها لرجل غير زوجها في حجرتها الخاصة. رفضت وشّتي، خاصة أن غالبيتهم كانوا سكارى!

رفضت وشّتي أن تحضر في هذا الجو غير اللائق. فأثار العظماء الملك ضدّها بأنها مثل رديء لعصيان الزوجات لرجالهن، فطلقها الملك.

اغتاظ الملك، وأشار إليه مشيروه أن يُصدر أمراً بطردها، وعدم دخولها إلى حضرة الملك.

بعث الملك رسلاً في كل المدن يُعلن طرد وشّتي ودعوة الفتيات الجميلات لكي يختار من بينهن ملكة وزوجة.

توافدت الفتيات الجميلات إلى القصر، ودخلن جناح النساء. وكان رئيس الجناح يعاملهن بكل لطف حتى يتهيأن لمُلاقة الملك، فيُختار من بينهن من تصلح أن تكون ملكة.



كان مردخاي اليهودي يعمل حارساً على باب القصر، يُربّي ابنة عمه اليتيمة هدّسة، وتُدعى بالفارسية أستير (معناها كوكب)، وكانت جميلة جداً. فقَدّمها وسط الفتيات المطلوبات. ذهبت أستير مع الفتيات إلى جناح النساء، ووجدت نعمة في عينيّ رئيس الجناح. بقيت في الجناح عامّاً كاملاً، ولم تُخبر أحدًا أنها يهودية. بعد ذلك رآها الملك فأحبّها جداً، ووضع التاج على رأسها، وجعلها ملكة. وأقام وليمة عظيمة دُعِيَ إليها العظماء، وجعل اليوم عطلة في كل المملكة تكريماً لها.

بينما كان مردخاي جالساً عند باب القصر عرف أن اثنين من العاملين في القصر قد وضعوا خطة لقتل الملك. أخبر مردخاي الملكة أستير، وهي بالتالي أخبرت الملك بما قاله مردخاي. فأعدِم الخائنان، وسجّل الأمر في سفر تاريخ ملوك فارس.

عيّن الملك رئيساً على كل العاملين في المملكة يُدعى هامان، وأعطاه خاتمه الملكي ليصدر قوانين كيفما شاء. كان هامان مُتَشامخاً، يسجد أمامه جميع أشرف فارس ورؤسائها كنوع من العبادة. أمّا مردخاي فرفض السجود أمامه. اغتاز هامان جداً، والتهب غيظه يوماً فيوماً.

شعرت أسرته بمرارة نفسه، فسألوه ألاّ ينتقم من مردخاي وحده، بل يُقتل كل شعبه "اليهودي". استشار هامان السحرة الذين صنعوا قرعة (فور) وحدّوا له اليوم المناسب لقتل جميع اليهود.

استأذن هامان الملك أحشويرش، وأصدر قراراً لكل حُكّام الولايات الفارسية لقتل كل اليهود في الثالث من الشهر الثاني عشر، ومُصادرة كل ممتلكاتهم.

انتشر الخبر، فحزن اليهود جداً، ومزّقوا ثيابهم، ولبسوا المسوح، ووضعوا رماداً على رؤوسهم علامة الحزن الشديد في ذلك الحين. تصرف مردخاي أيضاً هكذا أمام القصر، لكنه لم يكن مُمكناً أن يدخل القصر بهذه الصورة.

سمعتِ الملكة، فأرسلت ثيابًا إلى ابن عمها مردخاي فلم يقبل. أرسلت إليه تسأله عن السبب، فأخبرها عن خطة هامان لقتل جميع اليهود، وطلبَ منها أن تتدخل.

أرسلت أستير مرة أخرى إلى مردخاي، تقول له إنها لم تدع لتدخل إلى الملك هذه الثلاثين يومًا. وأن من يدخل إليه دون دعوة ولا يمد له الملك قضيب الذهب يُقتل.

جاوبها مردخاي: "لا تفكري في نفسك أنك تتجبن في بيت الملك دون جميع اليهود. إن سكّت سكوتًا في هذا الوقت يكون الفرجُ والنجاة لليهود من مكانٍ آخر. ومن يعلمُ إن كنتِ لوقتٍ مثل هذا وصلتِ إلى الملك؟".

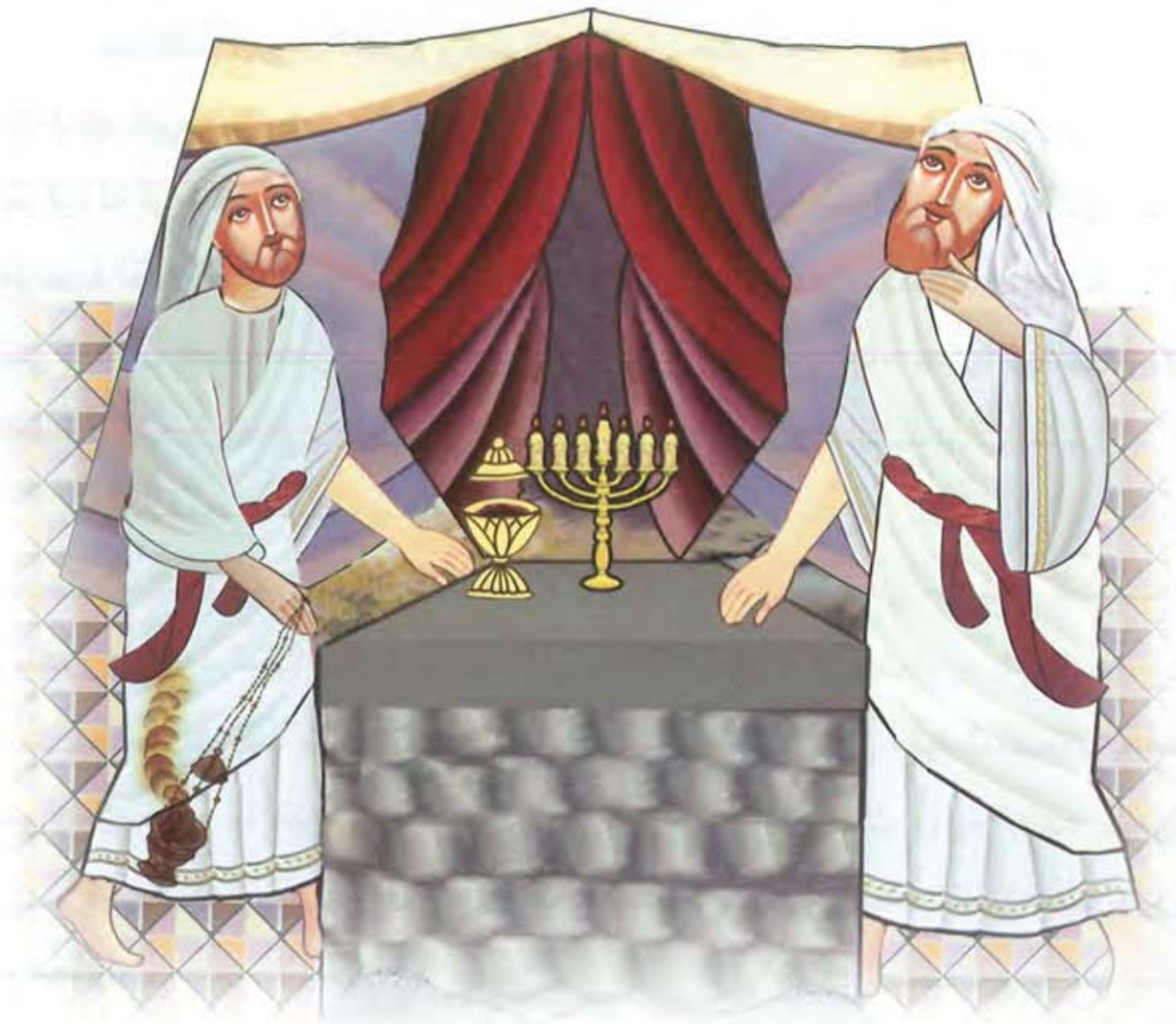
وضعتُ أستير الأمر في يدي الله، فصامت هي وجواريتها ثلاثة أيام انقطاعيًا، وطلّبت من مردخاي وكل اليهود العاملين في القصر أن يصوموا لأجلها. وفي اليوم الثالث ارتدت الثياب الملوكيّة، وكانت بسبب الصوم والتوسّل لله قد صارت هزيلة جدًّا.

دخلتُ أستير عند الملك ومعها وصيفتان، كانت تتكئ على واحدة، بينما أمسكت الأخرى بذيل ثوبها الملوكي.

انطلقتُ من بابٍ إلى بابٍ، وكانت الأبواب تتفتح أمامها، حتى جاءت إلى بيت الملك الداخلي.

رأت الملك فسقطت على الأرض مغشيًا عليها. أعطاها الرب نعمة في عينيه، فقام الملك بسرعة من عرشه، ومدَّ يده بقضيب الذهب، فأمسكتُ به. أمّا هو فاحتضنها وصار يلاطفها، ويقول لها: "مالك يا أستير الملكة؟ وما هي طلبتك؟ إلى نصف المملكة تُعطى لك". كان ذلك إشارة إلى السيّد المسيح المُحب لكنيستته، والسامع لصوتها بكل حنان.

أنجح الرب خطتها، غير أنها لم تستطع أن تستعرض سرَّ تعبها أمام الملك.



لم تتعجل أستير الأمر، بل طلبت من الملك أن يقبل هو وهامان حضور
وليمة أعدتها لهما. جاء الملك ومعه هامان إلى الوليمة، وسألها عن طلبتها،
فترجته أن يأتي أيضاً في اليوم التالي ومعه هامان إلى وليمة خاصة لهما،
وعندئذ تخبره بطلبها.

خرج هامان مُتهللاً جداً، لأن الملكة أيضاً لا تدعو الملك بدونها. لكنه إذ
عبر بباب القصر ورأى مردخاي لم يقم ولا تحرك له امتلاً غيظاً. ذهب إلى بيته
يروى لهم ما حدث. فاقترحت عليه زوجته ومعها أباؤه أن تعمل خشبة
ارتفاعها خمسون ذراعاً، ويطلب في الصباح من الملك أن يُصَلَّب عليها
مردخاي، وعندئذ يدخل الوليمة فرحاً.

تحركت أستير بالصوم والصلاة والتذلل أمام الله، لذا تحركت معها السماء.
نزع الله النوم عن عيني الملك، فطلب سفر تذكارات أخبار ملوك فارس. وأمر أن
يقرأوا له فيه، فوجد ما أخبر به مردخاي عن الخصيين حارسي الباب اللذين دبوا
مؤامرة لقتله. سأل الملك غلمانه عما قدم لمردخاي مكافأة لأمانته، فقالوا: لا
شيء. سأل الملك عمّن بالدار، ف قيل له هامان. وكان قد جاء مُبكرًا ليطلب من
الملك صلب مردخاي. استدعي هامان، ودار بينه وبين الملك الحوار التالي:

- ماذا يُعمل لرجل يُسرّ الملك بأن يُكرمه؟

- يرتدي لباس الملك وتاجه ويمتطي فرسه، ويسير في ساحة المدينة،
وينادون قدامه: "هكذا يُصنع للرجل الذي يُسرّ الملك بأن يُكرمه".

- أسرع وكما تكلمت افعل هكذا لمردخاي الجالس في باب الملك، لا يسقط
شيء من جميع ما قلته.

كان هامان يظن أن الملك يقصده هو، ولم يكن يتخيل قط أنه يتحدث عن
مردخاي.

نفذ هامان ما قاله الملك، وأسرع إلى بيته نائحاً ومُغطّي الرأس. وروى ما
حدث لزوجته وحكامه، فشعروا أن هامان بدأ ينهار أمام مردخاي. وفيما هم

يتحدثون جاءهم خصيان الملك يطلبون سرعة ذهاب هامان إلى الوليمة التي عملتها أستير.

أثناء الوليمة دار الحوار التالي:

الملك: ما هو سؤالك يا أستير؟

أستير: إن كنت قد وجدتُ نعمةً أيها الملك في عينيكَ، فلتعطي لي نفسي بسؤالي وشعبي بطلبتي. لأنَّه قد تمَّ بيعنا أنا وشعبي للهلاك والقتل والإبادة ولو تمَّ بيعنا كعبيد لكنتُ سكتُ، ومع هذا لم يُعوِّض العدو الملك شيئاً عن هلاكنا.

الملك: مَنْ هو هذا الذي يتجاسر فيعمل هذا؟

أستير: رَجُلٌ خصم وعدوٌّ. هذا الشرير هامان!

لم يحتمل الملك الأمر، فقام من على المائدة وانطلق نحو جنة القصر، ثم عاد فوجد هامان واقفاً على السرير الذي كانت عليه أستير عند قدميها يتوسَّل إليها. فظنَّه الملك أنه يهاجمها، فصرخ: "غطّوا وجه هامان" ليقتل.

قال أحد الخصيان للملك: لقد أعدَّ هامان خشبة ليُصلَّب عليها مردخاي الذي أنقذ حياتك.

قال الملك: اصلبوا هامان عليها. ولتسلَّم كل ممتلكاته لأستير. ويُعطى خاتمي الذي معه إلى مردخاي.

تبقى قصة صلَّب هامان درساً عملياً لكل إنسانٍ يودُّ أن يصنع شراً بأخيه، فإنَّ الشرَّ يرتدُّ عليه، ويشرب من ذات الكأس التي يُعدّها له.

سقطتُ أستير عند قدمي الملك تتشفَّع في حياة شعبها، فمدَّ الملك قضيب الذهب علامة قبول طلبتها.

لم يكن ممكناً صدور قرار بسحب القرار السابق، لكن صدر الأمر بمُساعدة اليهود ضد أعدائهم.

تحولَّ يوم قتلهم إلى يوم فرح وعيد، دُعِيَ عيد الفوريم أو القرعة، لأن هامان سبق فاستخدم القرعة لاختيار يوم قتلهم، فصار يوم خلاصهم.

في كل عام يُعَيِّد اليهود هذا العيد ويقرأون قصة أستير، ويذكرون عمل الله
الذي يُخَلِّص المَتَكَلِّينَ عليه.



الفترة الثامنة

عودة وترقّب لمجيء المسيح

أرسل الله أنبياء قبل السبي ليُحذِر إسرائيل كما يهوذا من سبيهما. فلم يسمع إسرائيل إلى صوت الرب، وبالفعل سقطت مملكة إسرائيل تحت سبي آشور، وكان هذا السبي يتسم بالعنف الشديد والقسوة. لم تتعظ مملكة يهوذا، وسقطت فيما بعد تحت السبي البابلي، وهناك النقي الشعبان معاً تحت السبي.

لم يترك الله شعبه، بل أرسل لهم أنبياء في السبي، يُقدّمون لهم الرجاء في العودة حسب وعد الله. خلال السبي تاب البعض، واشتاقوا إلى العودة إلى أرض الموعد، والرجوع إلى عبادة الله الحيّ. في عام ٥٣٨ ق.م في أيام كورش الفارسي سُمح لليهود بالعودة إلى أورشليم وإعادة بناء الهيكل.

١٧٤- العودة من السبي

(عزرا ١ - ٣)

أصدر كورش مؤسس الإمبراطورية الفارسية والذي انتصر على بابل، أمراً بالسماح لمن يرغب من اليهود أن يعود إلى وطنه. سمح لهم بإعادة بناء الهيكل، وردّ لهم أواني الهيكل التي سبق أن استولى عليها البابليون.

في ربيع سنة ٥٣٧ ق.م عيّن كورش زربابل حاكماً على اليهودية ويشوع رئيس كهنة. تحرّك قرابة خمسين ألفاً ومعهم كل ممتلكاتهم من بابل إلى اليهودية. كان أغلب يهود السبي من الطبقة الغنيّة والمتعلّمة بخلاف الكثير من المسيبيين من الأمم الأخرى.

استمرّ استقرارهم في أورشليم حوالي ستة أشهر. فقد بحثت العائلات والعشائر عن بيوت يقطنون فيها.

أعيد بناء الكثير من البيوت المتهدّمة، والبعض اشترى البيوت المسكونة. كثيرون سكنوا في خيام مؤقتة.

في الشهر السابع من وصولهم، بدأوا في بناء الهيكل. في أثناء السبي كان حزقيال قد ألهب قلوب البعض بالغيرة لبناء بيت الرب؟

بدأوا بإقامة المذبح لتقديم الذبائح، ثم في بناء الهيكل، إذ جمعوا الكثير من مواد البناء، وأتوا بشجر الأرز من لبنان.

وُجِدَت عوائق كثيرة في إعادة بناء الهيكل، منها أن البعض كان قد تزوّج بسامريات أو فتيات من أمم وثنيّة، والبعض من بابليات، الأمر الذي يتعارض تماماً مع الشريعة.

أمّا العائق الثاني فهو اهتمام البعض ببناء بيوت لهم، ممّا جعلهم ينادون بأنه ليس الوقت مناسباً لبناء بيت الرب.

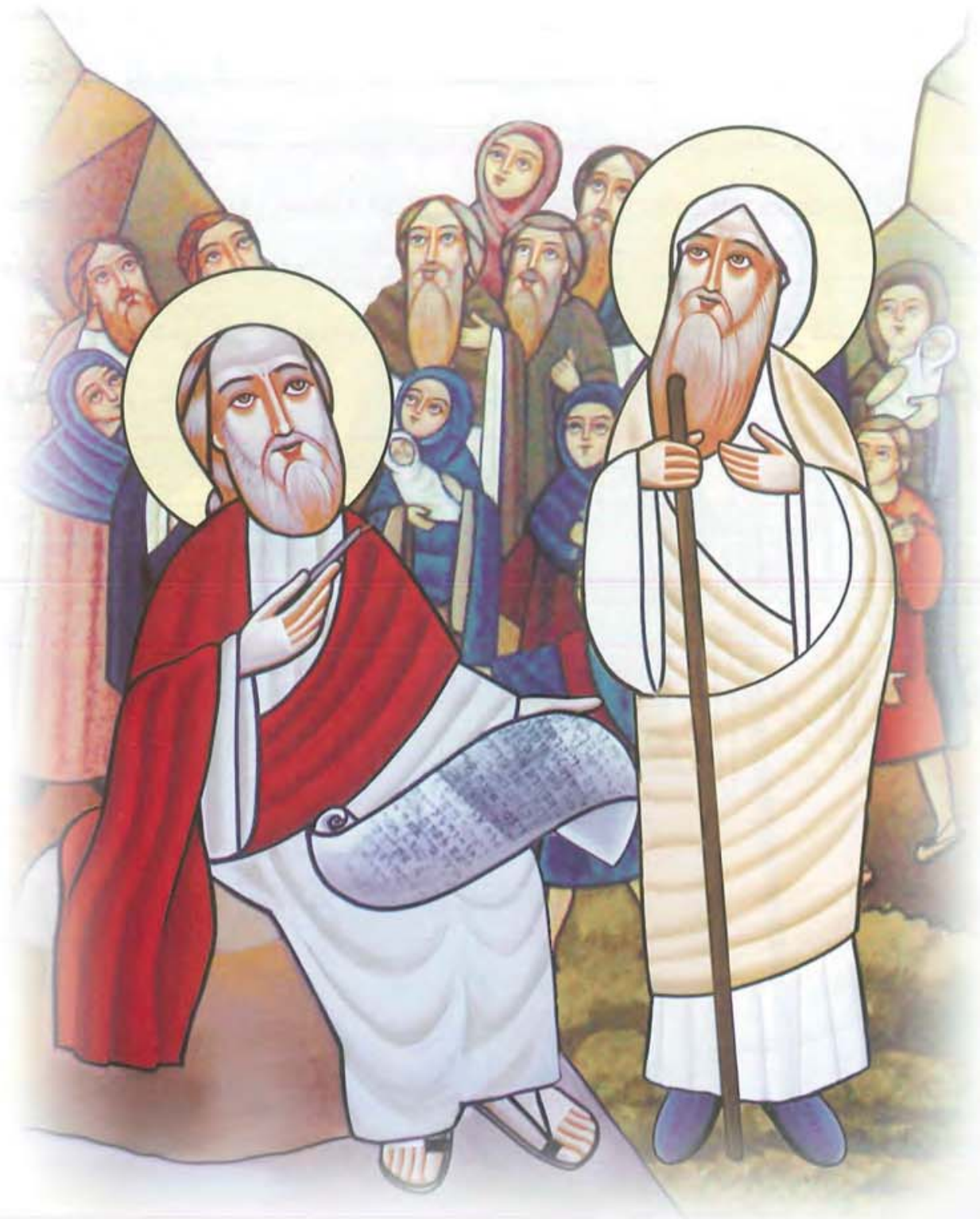
أرسل الله لهم النبيان حجّي وزكريا لحتّ الكل على بناء بيت الرب. "هكذا قال رب الجنود... هل الوقت لكم أنتم أن تسكنوا في بيوتكم المغطّاة (بالذهب)، وهذا البيت خراباً؟".

جاءت رسالة زكريا النبي وهو أصغر من حجّي: "هكذا قال رب الجنود: "ارجعوا إليّ يقول رب الجنود، فأرجع إليكم يقول رب الجنود. لا تكونوا كأبائكم الذين ناداهم الأنبياء الأولون ... فلم يسمعوا، ولم يصغوا إليّ".

١٧٥- صعود عزرا ورفقائه إلى أورشليم

(عزرا ٧)

لعوامل داخلية وأخرى خارجية مثل مقاومة الأمم المحيطة بأورشليم وكل أرض الموعد لهذا العمل، باعتباره تمرّدًا على مملكة فارس توقّف البناء في الهيكل حتى جاء أرتخشستا ملك فارس، فأرسل عزرا الكاهن والكاتب. وكان قائدًا غيورًا، جاء بمجموعة أخرى من اليهود المسيبيين إلى أورشليم. اهتمّ عزرا الكاتب بجمع أسفار الكتاب المقدّس، كما اهتمّ بحفظ الشريعة، خاصّةً بالنسبة للزواج المختلط بين اليهود وغير المؤمنين (الوثنيين)، فقام بحلّ جميع الزيجات التي ارتبطت بنساء وثنيات أجنبيّات. كانت أورشليم في حاجة إلى حاكم تقي وشجاع ليحقّق حركة الإصلاح الروحي الديني هذا، فأعدّ الله هذا القائد، وهو نحميا. قبل مجيء نحميا صارت محاولات كثيرة لبناء سور يحمي المدينة، لكنها انتهت جميعها بالفشل. كانت أورشليم مدينة مفتوحة تتعرّض لهجوم الجيران المعادين لها.



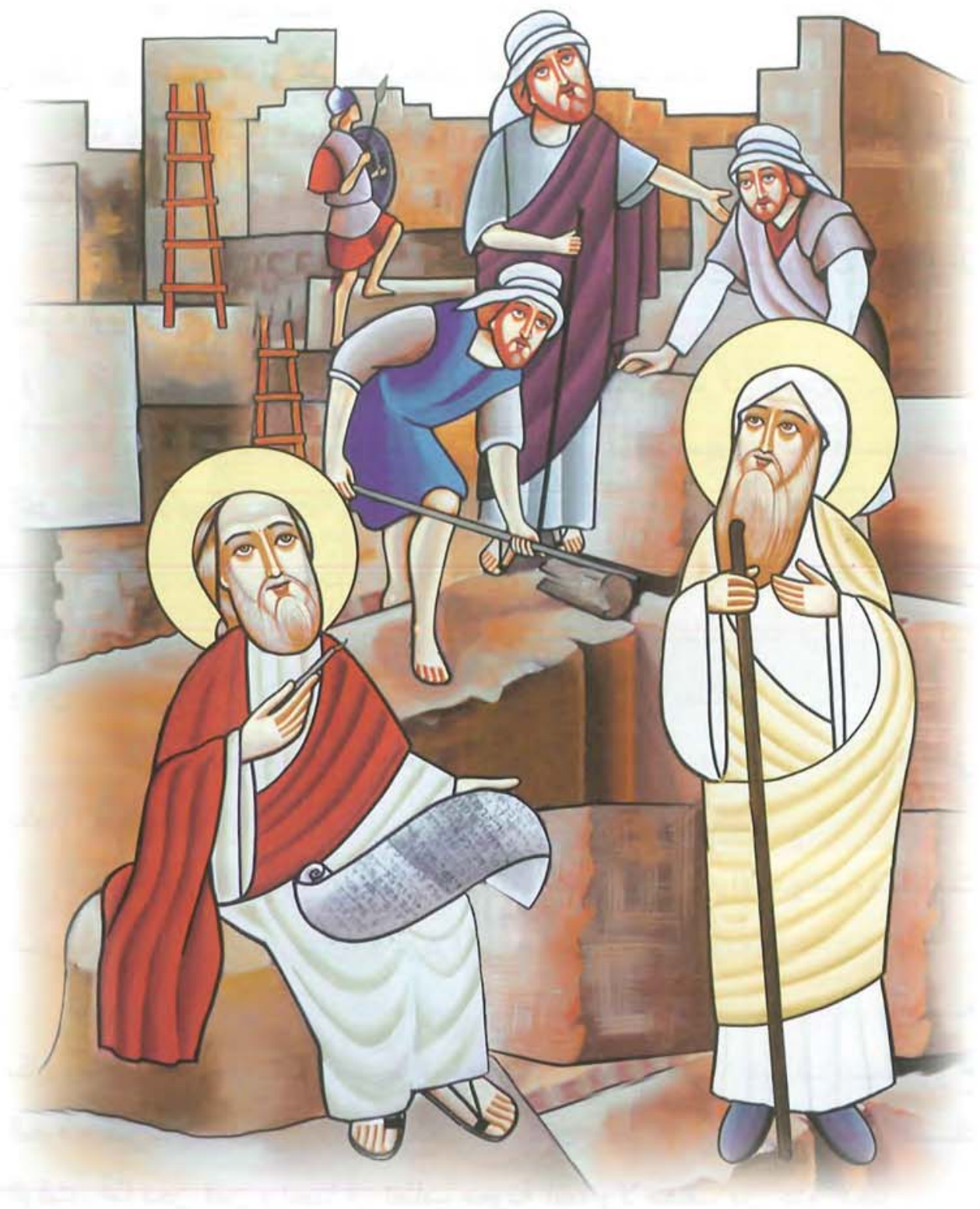
١٧٦- هلمّ نبني أسوار أورشليم!

(نحميا ٢: ١١ - ٣: ٣٢)

انطلق نَحْمِيَا ومعه مجموعة من الفُرسان في رحلة إلى أورشليم حيث يقطعون ألف ميلٍ. وهناك لم يُعلن عن ما في قلبه من جهة بناء السور، إنّما بقيَ ثلاثة أيام يدرس الموقف في هدوءٍ ويُصَلِّي ويستعدّ للعمل.

بالليل أخذ نَحْمِيَا مجموعة قليلة من الرجال، وانطلق يتفقد حال السور على الطبيعة. كان الطريق صعبًا، فترك حصانه، ومشى على قدميه. كانت الأسوار مُدْمَرَة والأبواب محروقة.

عاد نَحْمِيَا إلى المدينة، وهو يقول: "هلمّ نعيد بناء سور أورشليم، فيحترمنا الشعب الذي حولنا".



١٧٧- إتمام بناء سور أورشليم

(نحميا ٤: ١ - ٦: ١٦)

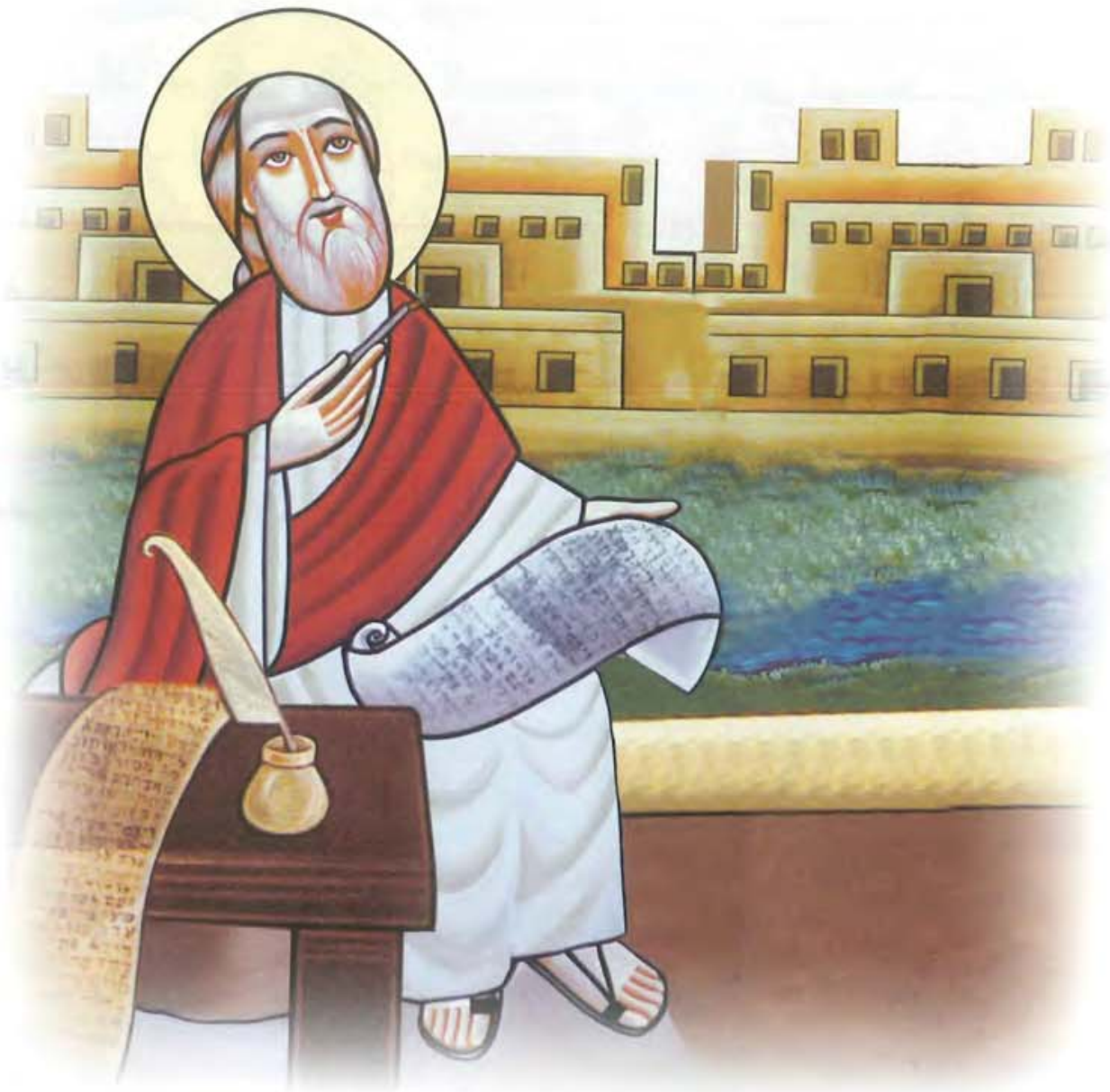
إذ بدأ نَحْمِيَا في بناء السور، اشتدَّت المقاومة لإبطال العمل. بدأت المقاومة بالسُّخْرِيَّة. جاء إليهم سَنَبَلُطُ السامري، وقال: "ما هذا العمل التافه الذي يقوم به اليهود. لو جرى ثعلب على هذا السور لسقط السور وتهدم".
لم يُيالِ العاملون بهذه السُّخْرِيَّة، واستمرّوا في بناء السور حتى بلغوا إلى نصف ارتفاعه.

ثار العرب وبنو عمّون والأشوديون عليهم، إذ لم يريدوا أن تتحصّن مدينة أورشليم.

أقام اليهود حراسة مُشدّدة ليلاً ونهاراً مع استمرارهم في العمل.
قال نَحْمِيَا: "لا تخافوهم، اذكروا أن الرب عظيم ومهوب. لتجاهدوا من أجل عائلاتكم وبيوتكم".

شَعَرَ سَنَبَلُطُ السامري وطوبيا العموني وجشم العربي أنهما عاجزون عن الهجوم، فبعثوا رسالة إلى نَحْمِيَا يطلبون منه مُقابلته والتفاهم معه في وادي أونو. وكان هدفهم استدراجه بعيداً عن الحراسة والشعب لكي يصنعوا به شراً.
أجابهم نَحْمِيَا: إني قائم بعمل عظيم، لماذا أتوقف عن العمل، وألتقي بكما؟!".

أخيراً بعد اثنين وخمسين يوماً تم بناء السور. أُغْلِقَتِ الأبواب وتشدّدت الحراسة. فارتعب المقاومون، وعرفوا أن هذا العمل تمّ بمعونة الله.
يليق بنا أن ندرك أننا إذ نمارس عملاً هاماً لا بد لعدوّ الخير أن يقاومه بكل وسيلة. تارةً بالسُّخْرِيَّة لتثبيط الهمة، وأخرى بالهجوم العنيف لبت روح الخوف فنترك العمل، وإن فشل يطلّب أن يدخل معنا في مناقشات غيبية لإفساد الوقت. أمّا نحن فمن واجبنا أن نطلب معونة الله، ولا نخاف من عدوّ الخير.



١٧٨- عزرا يقرأ الشريعة

(نَحْمِيًا ٨:١ - ١٥:٣١)

بعد أن بُني سور أورشليم، اهتم عزرا الكاهن ونَحْمِيًا بتقديس الشعب. فإن كان الشعب قد استقرّ في المُدن والقُرى في أمان، يلزم أن تكون نفوسهم أيضًا في أمان.

اجتمع الشعب عند باب الماء، وأحضر عزرا سفر الشريعة، وبدأ يقرأ من الصباح باكراً حتى الظهر. "وكان الشعب يُجيب آمين، آمين".

وإذ كانوا يصغون بكل انتباه بكوا عندما سمعوا كلمات الشريعة.

قال لهم عزرا والكهنة: "لا تتوحوا، ولا تبكوا، فإن اليوم مُقدّس للرب".

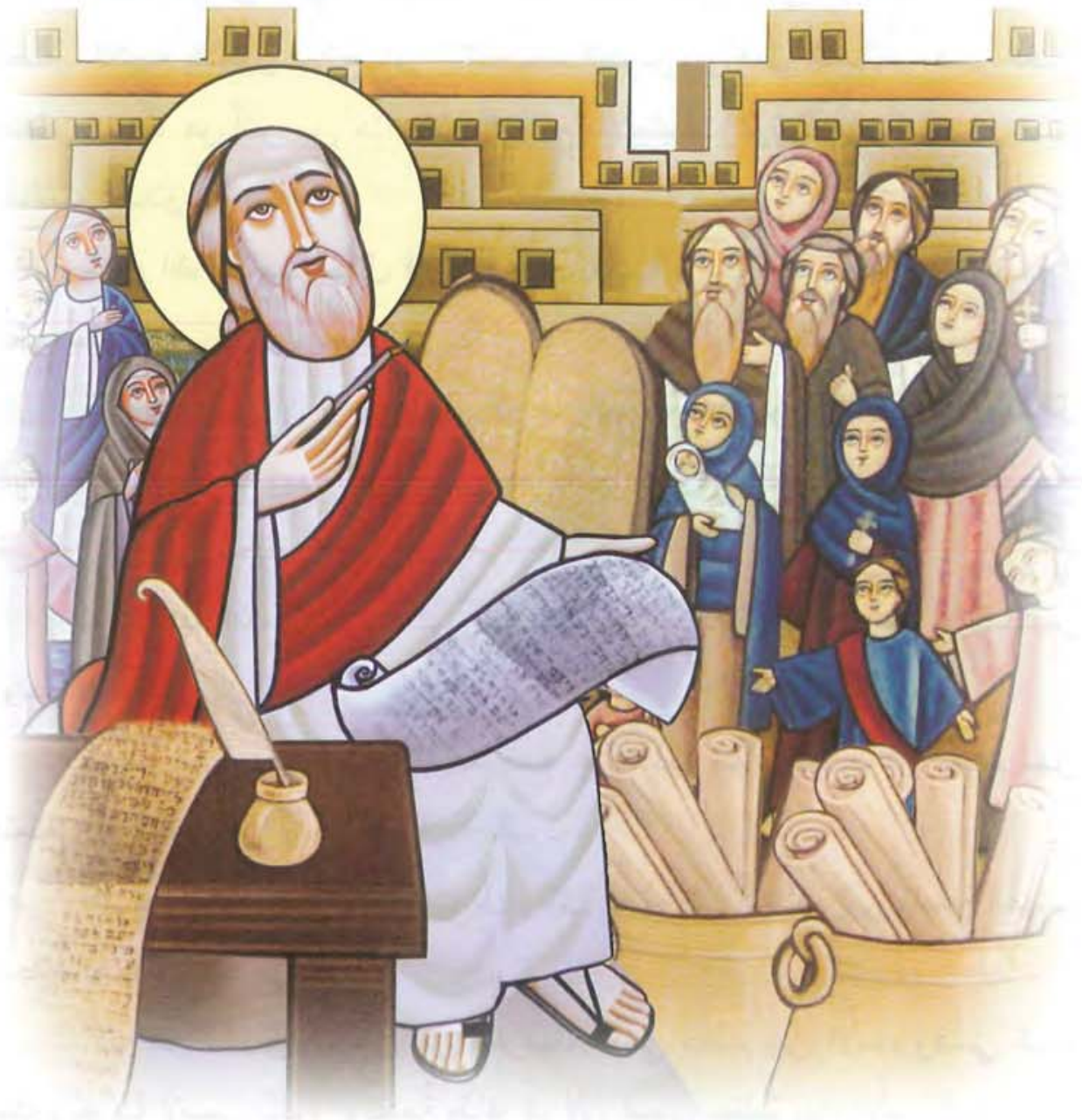
رجع الشعب إلى منازلهم فرحين بالاحتفال.

عاد نَحْمِيًا إلى شوشن القصر، والتقى بملك فارس. ثمّ رجع إلى أورشليم،

فوجد الشعب لا يحفظ يوم السبت، مُخالفًا الشريعة. تألم نَحْمِيًا للموقف جدًّا، وبدأ يوبّخهم، قائلاً: "ما هذا الشر الذي تفعلونه؟ كيف تستخفون بحفظ يوم السبت؟".

أمر نَحْمِيًا بإغلاق أبواب المدينة عند الغروب مساء الجمعة، ولم يسمح

بفتحها إلاّ صباح الأحد.



(ملاخي)

إذ تمّ إعادة بناء الهيكل، وقُدِّمَتْ ذبائح لله، وبدأ حفظ يوم السبت ونشأت مجامع للعبادة، نسيَ الشعب بعد فترة من الزمن ما نادى به الأنبياء، ووجد الشرّ له موضعاً في حياتهم كالعادة.

أخطأ كل من الكهنة والشعب. ودخل الشرّ حتى إلى الهيكل والمذبح، فصار الكهنة يُقدِّمون ذبائح غير لائقة بالله القدوس، وأهمّل الشعب في دفع العشور. وما هو أشرّ من هذا، كَثُرَ الزواج بالأجنبيّات الوثنيّات جدّاً، وزاد عدد حالات الطلاق.

سمح الله بتأديبهم خلال فترات جفاف قاسية وهجوم حملات من الجراد على حقولهم.

كان يليق بهم أن يرجعوا إلى الرب بالتوبة، ويدركوا رسالة الله لهم خلال التآديبات التي حلّت بهم. لكن عوض هذا بدأوا يلقون باللوم على الله نفسه. تساءلوا أين هي محبة الله لهم كشعبه.

لم يتركهم الله، بل أرسل لهم آخر نبي في العهد القديم قبل مجيء القديس يوحنا المعمدان.

تحدّث معهم بكل وضوح وصراحةٍ عن محبة الله وصلاحه، وأنهم لن يتمتعوا ببركاته دون أن يرجعوا إليه بالتوبة.

أكد لهم محبته ليس لهم فقط، بل ولكل العالم الذي ينضمّ إلى كنيسة العهد الجديد بمجيئه كمخلص للعالم.

"لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها، اسمي عظيم بين الأمم، وفي كل مكان يُقربُ لاسمي بخور وتقدّمة طاهرة. لأن اسمي عظيم بين الأمم، قال رب الجنود".

لم يكن يُسمح لليهود أن يُقدِّموا بَخورًا إلا على مذبح البَخور داخل الهيكل، لكن ملاخي النبي يقول إنه يُقَرَّب لاسم الرب بَخورًا في كل مكان، هذا ما تحقَّق في كنيسة المسيح في العهد الجديد. "ولكم أيها المُتَّقون اسمي، تُشرقُ شَمْسُ البرِّ والشفاء في أجنحتها".

"ارجعوا إليَّ أرجع إليكم، قال ربُّ الجنود"

(ملا ٣: ٧)



١٨٠- المكابيون وأنطيوخس أبيفانس

(١ مكابيون ١: ١٠ - ١٥؛ ٤١ - ٤٣؛ ٥٤ - ٦٤)

يُقدّم لنا سفر المكابيين^١ الأول والثاني صورة إيمانية وتاريخية بخصوص المكابيين *Maccabees* والعصر الذي عاشوا فيه.

كلمة "مكابي" معناها "مطرقة". كان لقب "المكابي" في الأصل خاصاً بيهودا المكابي، ثالث أبناء متتيا الكاهن، ثم أُعطي لإخوة يهوذا والمُحاربين معه. وأخيراً صار لقباً عاماً للذين عانوا من الاضطهاد، خاصةً في أيام أنطيوخس أبيفانس.

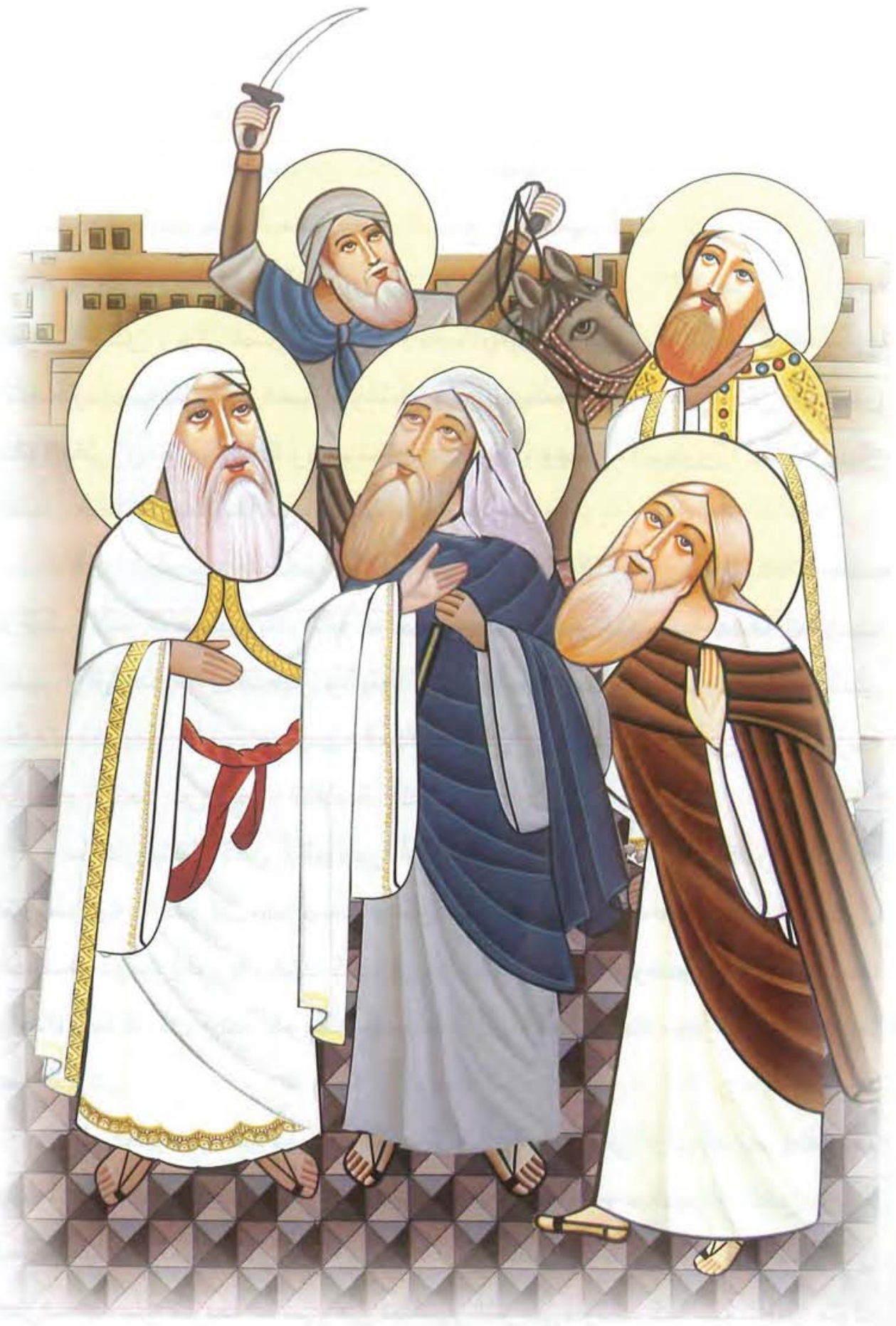
في عام ٥٣٨ ق.م صدر مرسوم كورس الفارسي الذي سمح فيه بعودة اليهود إلى أورشليم وإعادة بناء الهيكل. وحدثنا سفر عزرا ونحميا عن أحداث العودة، كما جاء سفر حجّي وزكريا يُشجّعان على الاهتمام بإعادة بناء الهيكل.

عاش اليهود لمدة قرنين في حياة مملوءة سلاماً. وفي سنة ٣٣٣ ق.م، قهر إسكندر الأكبر، ملك المقدونيين، الفرس في معركة "أسوس"، وكانت تلك النصرَ فاتحة احتلال الكثير من بلدان البحر المتوسط، حتى كاد الإمبراطور الشاب الإسكندر الأكبر يملك على العالم المعروف في ذلك الوقت في حوالي عشر سنوات. ما كان يشغل قلب اليونانيين هو نشر ثقافتهم الهيلينية. وقد بُهر كثير من اليهود بهذه الحضارة، وكانت علاقة الإسكندر باليهود طيبة.

في سنة ٣٢٣ ق.م مات الإسكندر، واقتسم قواده الإمبراطورية بينهم. فكانت مصر من نصيب البطالسة، وسوريا من نصيب السلوقيين. عاش يهود فلسطين تحت حُكم البطالسة طوال القرن الثالث ق.م في شبه استقلال ذاتي خاصة من جهة عبادتهم.

في عام ١٩٨ ق.م انتزع أنطيوخس الثالث السلوقي فلسطين من البطالسة وضمّها إلى سوريا.

^١ تعترف الكنيسة الكاثوليكية بالسفرين الأول والثاني، بينما الكنيسة الأرثوذكسية بالثلاثة أسفار.



بدأ السلوقيون سياستهم في فلسطين باحترام عقائد اليهود وثقافتهم وعاداتهم. لكن بسبب الحاجة إلى المال طلب سلوقس الرابع من وزيره هليودورس وضع يده على خزائن الهيكل. وخلفه أخوه أنطيوخس الرابع أبيفانس السوري (١٧٥-١٦٤ ق.م) من هنا يبدأ سفر المكابيين الأول.

يُعتبر أنطيوخس أبيفانس "ضد المسيح" في العهد القديم، الذي بعد أن كان مُحْتَجِزًا في "روما" كرهينة، صار ملكًا في العام ١٣٧ للإمبراطورية اليونانية. كان رجال قصره يدعونه *Epiphanes* أبيفانس أي السامي أو البهي، لأنه كان يهتم بالفنون والعمارة وإنشاء مبانٍ ضخمة جميلة وبهيّة، لكن البعض كانوا يُغَيِّرُون حرفًا واحدًا ويدعونه *Epimanes*، ويعني "المجنون"، لأنه كان عنيفًا ومُخَادِعًا ومعتوهاً في تصرفاته.

ظهر أنطيوخس أبيفانس في إسرائيل واستمال الكثيرين بالقوة، قائلاً: هَلُمَّ نرتبط بالأمم المُحيطين بنا، لأنه قد حلَّ بنا الكثير من المصائب عندما انفصلنا عنهم. راق هذا القول للبعض وتلهفوا لرواية الملك ليسمح لهم بالتطلع على عادات الشعوب الأخرى. بحسب العادات الوثنيّة، بنوا ملعبًا في أورشليم لممارسة الشرّ، والابتعاد عن الحياة المُقدَّسة، مُلتصقين بالوثنيّين.

ما كان يشغل ذهن أنطيوخس أبيفانس هو تحقيق حلم الإسكندر، بإقامة إمبراطورية واحدة لكل العالم مع فرض الحضارة الهيلينيّة على جميع الدول الخاضعة للإمبراطورية. لذلك كَتَبَ إلى كل المملكة بأن يكونوا جميعًا شعبًا واحدًا، ويترك كل واحدٍ شريعته. فخضعت كل الأمم وقبلت مُمارسات وثنيّة، ما عدا اليهود.

بذل أنطيوخس أبيفانس كل الجهد لإجبار اليهود على ترك إيمانهم وتقاليدهم ليتبنوا ثقافة العالم اليوناني. فرض عليهم ترك شريعتهم وعبادتهم لله الحيّ. وبهذا أبطل الميثاق (العهد) الذي منحه أنطيوخس الثالث لليهود في ١٩٨ ق.م، والذي اعترف فيه بأن شريعة موسى هي نظامهم الشرعي، وذلك كما سبق ففعل ملوك

فارس في السبي. صارت الأمانة للشرعية تمرّدًا على قوانين الإمبراطورية؛ من هنا نشأ الاضطهاد.

سَحَرَتِ الثقافة الهيلينية كثيرًا من المُفكرين اليهود، فرحّبوا بها، مُتجاهلين تمامًا الإيمان بالله الحي والعبادة والهيكل. فانفض المكابيون مع عدد من المؤمنين الأماناء الأتقياء المُتمسكين بتقاليد الآباء للوقوف أمام هذه الحركة، وصارت رسالتهم الشهادة للإيمان بالله الحي ضابط الكل موضوعهم الرئيسي مهما كلفهم الأمر، فقتل منهم الآلاف.

غالبًا ما كانت مقاومة المكابيين الحربيّة ناجحة وعلى الخصوص إخلاصهم حتى ولو أدى ذلك إلى الاستشهاد الذي كانوا يحسبونه النصر الرائع. بخداعه المعروف لم يمنع أنطيوخس أبيفانس عبادة الله الحي، إنما بدأ أولاً بممارسة العبادات الوثنيّة في داخل الهيكل جنبًا إلى جنب مع عبادة الله. أدخل الروح الوثنيّة الإغريقيّة في حياة إسرائيل.

أمّا الأحداث المؤلمة التي تعرّضت لها أورشليم في ذلك الحين فهي:

١. بعث أنطيوخس أبيفانس رسائل على أيدي رُسُل إلى أورشليم ويهوذا

طالبهم فيها:

- أ. ألا يُقدّموا ذبائح ومُحرقات والسكيب في الهيكل.
 - ب. عدم حفظ السبت أو الاحتفال بالأعياد اليهودية.
 - ج. تتجيس المُقدّس والمُقدّسات.
 - د. بناء مذابح وهايكل ومعابد للأصنام.
 - هـ. ذبح الخنازير والحيوانات النجسة.
 - و. عدم ختان الأطفال، مع مُمارسة نجاسات وقبائح.
 - ز. عدم الالتزام بأحكام الشريعة الموسويّة.
- اضطرّ الأماناء المُخلصون لله أن يلتجئوا إلى مخابئ.

٢. تعيين ياسون رئيسًا للكهنة واشترآكه مع أنطيوخس في الرجاسات الوثنيّة. حول ياسون أورشليم إلى الثقافة الهيلينيّة، وأقام فيها حُكّامًا علمانيّين، عآونه في ذلك بعضٌ من اليهود الذين بهرتهم الحضارة اليونانية.

٣. في عام ١٦٨ ق.م قام أنطيوخس أبيفانس مع قوات عسكرية ضخمة بالهجوم على أورشليم، ودخل هيكل الله، حيث داس قدس الأقداس، ونهب نفائسه، وقدم خنزيرًا على المذبح، وقتل الآلاف من اليهود. اندهشت كل اليهوديّة لهذا التصرف الغريب. أيضًا منع رسميًا تقديم المُحرقات والذبائح في الهيكل، وإذ اجتمع عدد كبير للاحتفال بيوم السبت قام بحرقهم وهم أحياء.

٤. إذ شاع خطأ خبر موته تهلّل اليهود، فأرسل الملك إليهم أبولونيس أحد قوآده، فنكّل بالمدينة ثم أحرقها، ودكّ أسوارها، وبنى بأطلالها قلعة منيعة على جبل مُطلّ على الهيكل. جاء بتمثال للإله جوبتر أولمبياس *Jupiter Olympius*، ووضعها على المذبح في الهيكل، بعد ذلك أوقف تقديم ذبيحة المُحرقة الدائمة لمدة ثلاث سنوات ونصف، وأقام نفسه إلهًا. ما فعله يُحسب "رجسة خراب للهيكل" رمزًا لرجسة الخراب التي ستحدث في أواخر الدهور والتي أشار إليها السيّد المسيح.

٥. أصدر منشورًا بإلزام كل الشعب أن يأكلوا من لحم الذبائح المُقدّمة للأوثان، وكل من رفض لذلك جزآؤه الموت. تبع هذا اضطهاد دموي.

٦. بُنيت مذابح وثنيّة في مدن يهوذا، وكانوا يحرقون البخور في الساحات وعلى أبواب البيوت. كانوا يجمعون أسفار التوراة ويمزقونها ويحرقونها. كل من وُجد لديه سفر من العهد أو اتّبع الشريعة يُقتل. كانوا يقتلون النساء اللواتي ختنّ أطفالهن، ويُعلّقون أطفالهن من أعناقهن، ويقتلون الذين ختنوهم. كثيرون قبلوا الموت من أجل أمانتهم لله وغيرتهم على شريعته.

٧. في شهر يونيو ١٦٧ ق.م. ضرب أليعازر أحد رؤساء الكهنة بكل قسوة حتى مات.

٨. تعرّضت أم وأبناؤها السبعة للجلد والحرق وبتر أعضائهم، وأخيراً

للموت.

قاد يهوذا حركة تمرد، وأبرز هو وجيشه شجاعة فائقة، رفض المساومة واختلاط الوثنيّة وحضارتها التي تتنافس مع الإيمان اليهودي بالله الحي. كان الله معهم، وخلال معارك كثيرة هرب الجيش السوري من أمامهم.

قيل إن أنطيوخس مات شراً ميتة، حيث كان الدود يضرب في جسمه مثل

هيرودس أغريباس الأول.

في سنة ١٦٠ ق.م في معركة ضد نيكانور وضع يهوذا المكابي نهاية

لسنوات طويلة من الآلام. هدم الوثنيّة، وطهر الهيكل والعبادة، وعمّ الفرح وسط

كل الشعب.

منذ ذلك الوقت ازدهرت العبادة في اليهوديّة باستثناءات بسيطة. وفي عام

٦٣ ق.م استولى بومباي القائد الروماني على أورشليم وكل فلسطين باسم

الإمبراطور أوغسطس. وصارت إسرائيل تحت الاستعمار الروماني.

١٨١- متتيا أو متياس *Mattathias*

(١٧٥ - ١٦٤ ق.م)

(١ مكابيون)

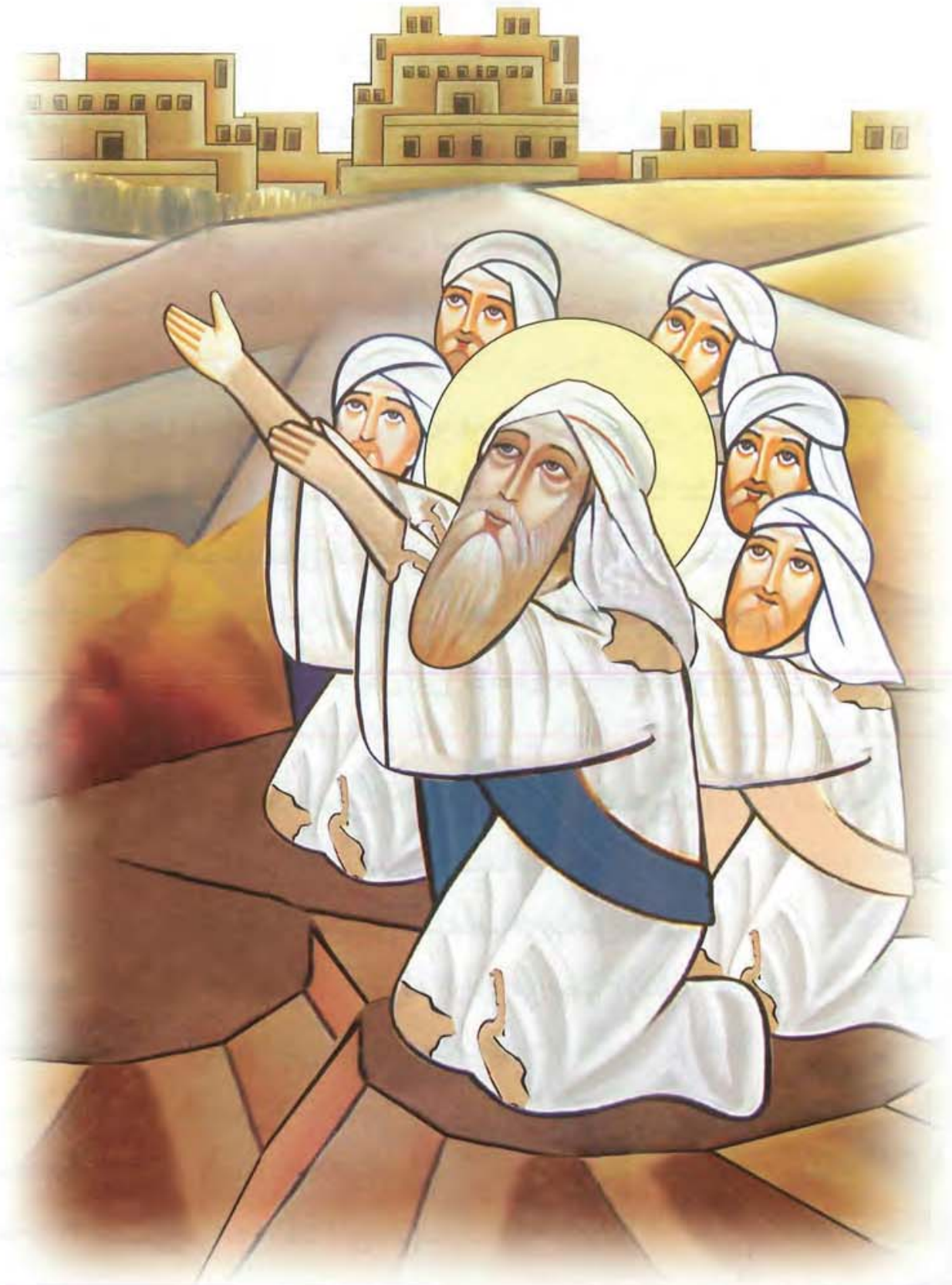
اسم "متتيا" مثل متي، وباللغوية ثيودورس، ومعناه "عطية الرب".
متتيا أو متياس بن يوحنا بن سمعان، من بيت حشمون، وهو كاهن من بني
يوياريب.

أثار موقف أنطيوخس أبيفانس متتيا، فظهر على المسرح خصمان
مُتتازعان وِجَدًا من يناصرهما في العالم اليهودي. وجدت شخصية أنطيوخس
وأعجبَ به بعض اليهود الذين بهرتهم الثقافة الهلينية، كما وُجد بعض الخونة لا
يشغلهم سوى نوال مراكز سُلطة خلال المُداهنة. يقابل هذا متتيا الذي يُمثل رد
الفعل على المستوى الديني والوطني لشعبٍ مُتعلقٍ بعبادة الله والشريعة والهيكل.
دعا متتيا إلى الحرب المُقدَّسة.

صمَدَ كثيرون أمام ضغوط أبيفانس، وفضلوا الموت عن الحياة. استشهد
الآلاف من الشهداء القديسين لإيمانهم بالحياة الأبدية المطوبة. وتجاوب كثيرون
بكل شجاعة لصرخات الكاهن متتيا.

إذ رأى متتيا ما يُصنع من شرور في يهوذا وأورشليم، قال: "ويلٌ لي!
أولدتُ لأرى تحطيم شعبي، وتحطيم المدينة المُقدَّسة، وأبقى ههنا جالسًا والمدينة
تُسلم إلى أيدي الأعداء، ويُسلم المُقدَّس إلى أيدي الأجنبي؟... ها إن أقداسنا
وبهائنا ومجدنا قد دُمرت ودنسها الأمم، فلم نعيش بعد اليوم؟" ومزق متتيا وبنوه
الخمسة ثيابهم ولبسوا المسوح، وناحوا مناعة عظيمة.

تم رثاء أورشليم على حالها، فأراد الحاكم أن يُغري متتيا ليُقدِّم الذبيحة
للأوثان. رفض، بل وقام بقتل يهودي أراد أن يُقدِّم الذبيحة ومعه رسول الملك.
صاح متتيا: "من يُريد أن يحفظ الناموس، ويُحافظ على عهد الله فليتبغني". هرب
هو وبنوه الخمسة إلى الجبال بكل شجاعة، وتركوا كل ممتلكاتهم.



نظّم منتتيا المقاومة المُستمرّة ضد التيار الهيليني. فشلت في المرة الأولى بسبب مُمارسة شريعة السبت بطريقة حرفيّة، وتعرّض اليهود للإبادة من الأعداء دون الدفاع عن أنفسهم. إذ لم يرموا المُهاجمين بحجرٍ، ولا سدّوا مخابئهم.

إذ جاءت ساعة موته، اقتدى ببعض القادة الروحيين في العهد القديم، مثل يعقوب وموسى وداود. فأعطى تعليماته الأخيرة قبل أن يموت. دعا أبناءه وباركهم ووجّه إليهم نصائحه. حثّهم على الأمانة لله وشريعته وعهده. دعاهم إلى الاستمرار في الكفاح ضدّ الوثنيّة من أجل الرب وشريعته.

جاءت وصيّة منتتيا لبنيه تحثّهم على الأمانة وحفظ العهد مع الله، فينالون مجدًا عظيمًا، قدّم لهم الأمثلة التالية:

- أ. كان إبراهيم أمينًا عندما جرّبه الرب، فحُسب بارًا.
- ب. حفظ يوسف الوصيّة وسط الضيق، فصار سيّدًا على مصر.
- ج. غار فينحاس على قدسيّة الهيكل والكهنوت، فنال عهد كهنوت أبدي.
- د. حقّق يشوع ما أمره به الرب، فصار قاضيًا في إسرائيل.
- هـ. آمن كالب الذي لم يكن في الأصل من الشعب ووثق في وعد الله، فارتبط بسبط يهوذا.

و. كان داود رحيمًا، فورث العرش أبدئيًا في المسيح ملك الملوك.

ز. غار إيليا للشريعة، فرُفِع إلى السماء.

ح. آمن الثلاثة فتية القديسين، فأنقذهم الرب من اللّهب.

ط. كان دانيال مُستقيمًا، فحفظه الرب في جُبِّ الأسود.

تعاقب أبناء منتتيا على قيادة المقاومة:

١. يهوذا المكابي (١٦٦-١٦٠ ق. م).

٢. يوناثان (١٦٠-١٤٢ ق. م).

٣. سمعان (١٤٢-١٣٤ ق. م).

١٨٢- يهوذا المكابي

(١٦٦ - ١٦٠ ق. م)

(١، ٢ مكابيون)

إذ مات متتيا خلفه ابنه يهوذا المكابي (١٦٦-١٦٠ ق. م). لم ينشغل قلبه سوى بتطهير الهيكل الذي دنسه الملك السوري.

حشد أبلونيوس في صيف ١٦٦ ق. م جيشاً عظيماً من السامرة. خرج يهوذا للقاءه وكسره وقتله، وأخذ سيفه، وكان يُقاتل به كل أيامه.

سمع سارون، قائد جيش سوريا الوثني، أن يهوذا جمع فوجاً من المؤمنين يقاتلون معه. قال في نفسه: "أقيم لي اسماً وعزاً وأقاتل يهوذا والذين معه، المُستهينين بالملك". خرج بجيشٍ عظيمٍ مؤلفٍ من الوثنيين واليهود الجاحدين. خرج يهوذا للقاءهم ومعه نفر يسير. إذ رآوا جيش سارون قالوا ليهوذا: "كيف يُمكننا أن نحارب مثل هذا الجمع القوي ونحن نفر يسير، وقد خارت قوانا من الصوم في هذا اليوم؟" أجابهم يهوذا: "ليست النُصرة في الحرب بكثرة الجنود، وإنما القوة من السماء". انكسر سارون وجيشه أمامه، فوقع الرعب على الأمم المحيطة بهم. وبلغ أمره إلى الملك وتحذت كل الأمم بما حدث.

حاز يهوذا المكابي على سلسلة انتصارات على قواد أبيفانس، وطهر الهيكل، وحصل على الحرية الدينية لليهود.

سمع أنطيوخس أبيفانس بانكسار سارون وجيشه، فأرسل جيشاً قوياً جداً، وقدم للجيش رواتب سنة كاملة. ذهب بنفسه إلى مقاطعات بعيدة ليأخذ جزية تسنده على هذه النفقات، وأوكل لسياس أن يُشرف على أمور المملكة من نهر الفرات إلى حدود مصر، وهو رئيس قواد سوريا يحمل أرقى لقب فخري في البلاط السلوقي. طلب منه أن يستأصل شوكة إسرائيل وبقية أورشليم ويمحو ذكرهم، كما طلب منه أن يبيد المُتمردين أو يبيعهم عبيداً، ويستولي على أرضهم ويقوم بتأجيرها لأجانب يهجرهم.

اختار ليسياس ثلاثة رجال ذوي بأس وهم بطليموس بن دوريمانس قائد إقليم بقاع سوريا وفينيقية، وجرجياس قائد العمليات العسكرية، وكنانور يتقدمه لأنه أول أصدقاء الملك وقد أصبح بعد ذلك بخمس سنوات قائداً عسكرياً. ودعّمهم بأربعين ألف رجل وسبعة آلاف فارس لتدمير أرض يهوذا.

سمع التجار الأغنياء فجاءوا بذهبهم وفضّتهم ليشتروا بني إسرائيل عبيداً. وانضمّ إليهم قوات من أرض أدوم وأرض فلسطين.

اجتمع اليهود وذهبوا إلى المصفاة على بعد ١٣ كيلو من أورشليم، وصاموا ولبسوا المسوح، ووضعوا الرماد على رؤوسهم ومزّقوا ثيابهم ونشروا كتاب الشريعة، وصرخوا إلى الله في حزنٍ ومذلةٍ.

بعد أن قام يهوذا بتنظيم الجيش طالبَ بتنفيذ ما ورد في الشريعة، وهو إعفاء من بدأ بناء بيتٍ أو خطب امرأة أو غرس كرماً أو كان خائفاً أن يُعفى من الخدمة ويرجع إلى بيته.

تحرك جرجياس ومعه خمسة آلاف رجل وألف فارس ليلاً ليهاجم على معسكر اليهود فجأة، فسمع يهوذا وسار هو ورجال البأس ليضرب جيش الملك الذي في عماوس وكان لازال متفرّقاً خارج المعسكر.

إذ بلغ جرجياس إلى معسكر يهوذا لم يجد أحداً فبحث عنهم في الجبال ظناً أنهم هاربون منه.

بلغ يهوذا معسكر الوثنيين وشنوا القتال، فانكسر الأمم أمامهم. رأت فرقة جرجياس ذلك، وفوجئت بهزيمة معسكر الأمم، فهربوا إلى أرض الفلسطينيين، وعاد يهوذا ومن معه يُسبّحون الله.

في السنة التالية جمع ليسياس ستين ألفاً من المشاة، وخمسة آلاف فارس، وأتوا إلى أدوم ثم عسكروا ببيت صور، لاقاهم يهوذا بعشرة آلاف من المشاة. صرخوا إلى الله، فانكسر جيش ليسياس، فذهب إلى أنطاكية، وجمع جيشاً من الغرباء ليعود بجيش أكبر إلى اليهودية.



اهتمَّ يهوذا بتطهير الهيكل. كان أمامهم ضرورة هدم مذبح المُحرقات الذي دنّسه الأمم، وفي نفس الوقت لم يستطيعوا أن يلقوا الحجارة خارجًا، لأنها تقبلت ذبائح الله. قرّروا أن يضعوها في مكانٍ لائقٍ على جبل الهيكل، وانتظروا أن يرحمهم الله ويُرسل لهم نبيًّا يرشدهم إلى ما يفعلونه حيث انقطعت النبوة من فترة بعيدة.

في اليوم الخامس والعشرين من الشهر التاسع - شهر كسلو - في السنة المائة والثامنة والأربعين، استيقظ الجميع في الصباح الباكر لتقديم ذبيحة بحسب الشريعة على مذبح المُحرقات الجديد الذي بنوه. في ذلك اليوم، دُشنَ الهيكل بالتراتيل على أصوات القيثارات والصنوج. وكان هذا في مثل الوقت واليوم الذي دنّسه الأمم. ثم انحنى الشعب بوجوههم إلى الأرض ساجدين وشاكرين إله السماء والذي أرشدهم جيّدًا. وأكملوا تدشين الهيكل في ثمانية أيام، وقدموا المُحرقات بفرحٍ وقدموا ذبيحة السلامة والشكر. وزيّنت واجهة الهيكل بتيجان من الذهب ودروع. ورمّموا الأروقة والقاعات وزودوها بالأبواب.

ابتهج الشعب كله جدًّا، وأزيل العار الذي حلَّ بهم من الأمم. وقرّر يهوذا وإخوته وكل شعب إسرائيل، أن أيام تدشين المذبح تصير كل عام أيام ابتهاج وفرح لمدة ثمانية أيام، ابتداءً من اليوم الخامس والعشرين من شهر كسلو. وفي تلك الأيام بُنيت أسوارٌ عالية وبروج حصينة حول جبل صهيون، خوفًا من مجيء الوثنيين مرّة أخرى ليدوسوا هذه الأماكن كما فعلوا من قبل. وأقام يهوذا حامية عسكريّة لحراستها، وحصنَ بيت صور حتى يكون للشعب حصن من جهة أدوم.

قام يهوذا وإخوته بحملات عسكريّة على الأمم المجاورة التي كانت تودّ أن تبيد نسل يعقوب، وكان النصر حليفهم.

حاول البعض أن يقتدوا بيهوذا وإخوته لأجل المجد الباطل لكنهم فشلوا.

وردت روايات كثيرة عن موت أنطيوخس أبيفانس الرابع عندما سمع عن نصرات يهوذا وإخوته.

زحف أنطيوخس الخامس بجيش كبير إلى اليهودية، ونال بعض النصرات، لكنه سمع أن فيلبس الذي أقامه أبيفانس ليربّي ابنه يحاول الاستيلاء على الحكم، فترك الحرب وعقد صلحاً مع اليهود وأعطاهم الحرية الدينية.

جاء ديمتريوس من روما إلى طرابلس بلبنان ومنها إلى أنطاكيا، فقتل الجيش أنطيوخس الخامس وليسياس، وتولّى ديمتريوس العرش.

في أيام ديمتريوس الأول عانى يهوذا من دسائس الكيمس الذي من نسل هرون، وكان يطمع أن يصير رئيس الكهنة، وافق الملك سنة ١٦١ ق. م، وطلب منه أن ينتقم من بني إسرائيل الذين يلتفون حول يهوذا ويرفضون التعامل مع اليونانيين.

أرسل الملك مع الكيمس بكيديس يفرضان الصلح ويضمران الشرّ ليهوذا. قاما بقتل البعض ونشر الفساد لتحطيم يهوذا.

أرسل الملك أحد أشهر قواده نكانور ليخطف يهوذا ويُدمر الهيكل، فرفض الأخير الالتقاء معه. نشبت معركة بينهما انتهت بقتل نكانور وهزيمة جيشه في أداسة (١٦٠ ق. م).

أراد يهوذا أن يُثبّت مواقفه، فتعاهد مع روما لتثبيت مركزه.

أرسل ديمتريوس بكيديس والكيمس مرّة ثانية بجيش تعداده عشرين ألفاً من المشاة وألفي فارس، ولم يكن مع يهوذا سوى ثلاثة آلاف مقاتل، هرب الكثير منهم ولم يبقَ معه سوى ٨٠٠ من المشاة. حاولوا إقناع يهوذا بالانسحاب، فلم يقتنع، فسقط في معركة بئر زيت وهرب رجاله، وخلفه أخوه يوناثان.

١٨٣- يوناثان المكابي

(١٦٠ - ١٤٢ ق. م)

(١ مكابيون ٩ - ١٠)

بعد موت يهوذا عاد أعداء يهوذا للعمل، واستفادوا من المجاعة التي حصلت، فانضمت بعض الأمم إليهم. اختار بكيديس منهم رؤساء على البلاد، هؤلاء كانوا يبحثون عن أصدقاء يهوذا، ويأتون بهم إلى بكيديس ليُعاقبهم ويسخر بهم. اجتمع كل أصدقاء يهوذا، واختاروا أخاه يوناثان رئيساً وقائداً لمحاربة المقاومين لهم. سمع بكيديس بذلك فحاول قتل يوناثان، فهرب هو وأخوه سمعان وجميع من معهم إلى بريّة تقوع وعسكروا هناك.

قامت قبيلة عربية تُدعى بني يمري بقتل يوحنا أخي يوناثان ومن معه. انتقم يوناثان وأخوه سمعان لأخيهما بقتل عدد ضخم من بني يمري أثناء الاحتفال بعُرس، ثم رجع الأخان ومن معهما إلى وادي الأردن. أغرى البعض بكيديس أن يُلاحق يوناثان؛ حاول ذلك وفشل. أرسل يوناثان وفداً يعرض عليه الصلح، قبل بكيديس ذلك ورجع إلى بلاده.

كان عمل يوناثان الأول رئيساً لليهود (١٦٠-١٤٣ ق.م)، يتابع عمل أخيه الحربي حتى زال خطر الحرب عن بني إسرائيل. بدأ الكيمسُ بهدم حائط دار الهيكل الداخلية، فأصابه مرض، ومات بعد مُعانة شديدة.

سيطرت عند يوناثان السياسة على الأعمال الحربيّة. استفاد من التزاحم على العرش الأنطاكي، فقد تبارى المُنتازعون على عرش أنطاكية في كسب وده. عقد ديمتريوس الأول معه صلحاً، وأذن له في جمع الجيوش وسلّمه الرهائن. وأرسل إليه الإسكندر أبيفانوس بن أنطيوخس (١٥٠-١٤٥ ق.م) ويُدعى الإسكندر بالاس أرجواناً وتاجاً من ذهب وأقامه رئيس الكهنة الأعظم عام ١٥٢ ق. م عندما مات الكيمس. كان عمله الثاني هو الكاهن الأعظم أو رئيس الكهنة، على عكس أخيه يهوذا الذي لم نعرف عنه أنه مارس هذه الوظيفة، مع أنه ابن رئيس الكهنة متنياً.



تزوج الإسكندر كليوباترة ابنة بطليموس ملك مصر. لكن ظهر ديمتريوس الثاني بن ديمتريوس الأول وطالب بمُلك أبيه، وثبّت على بقاع سوريا أبولونيوس.

التقى ديمتريوس الثاني ملك أنطاكية بيوناتان في بطلمائس فأكرمه، اعترف به كرئيس الكهنة الأعظم، وهى الوظيفة التي عينه فيها الإسكندر بالاس. أعفى ديمتريوس اليهود من الضرائب بالرغم من وشاية الوشاة. وردّ القلعة التي في أورشليم إلى يوناتان، وسمح لليهود بممارسة شعائرهم الدينية كاملة.

لما سرّح الملك جيوشه أثار غضبهم، فحاول تريفون أن يستفيد من هذه الثورة لينصب أنطيوخس بن الإسكندر ملكاً. تريفون هو لقب اتخذه ديودونيس الذي كان يُربّي أنطيوخس بن الإسكندر، ليجعله ملكاً مكان أبيه. كاد الشعب أن يقتل ديمتريوس الثاني لو لم ينقذه رجال يوناتان.

حاول يوناتان عقد عهود مع روما وإسبرطة. في ذلك الوقت جهّز ديمتريوس حملة على يوناتان، فتحرك يوناتان بسرعة وانتصر. رفض يوناتان عروض ديمتريوس الذي مات بعد ذلك في معركة ضدّ الإسكندر. بدأت العلاقة معه بروح الود، وانتهت بالخصومة.

سقط يوناتان في مكيدة نصبها له تريفون من أنطيوخس السادس. ففي سنة ١٤٣ ق. م احتال تريفون على يوناتان فاستقبله بحفاوة، ودعاه أن يُسرّح جيشه، ففعل ودخل معه إلى بطلمائس (عكا الحالية). أغلق أهل المدينة الأبواب، وقبضوا عليه، وقتلوا كل الذين دخلوا معه، فحلّ محلّه سمعان.

١٨٤- سمعان المكابي

(١٤٢ - ١٣٤ ق. م)

(١ مكابيون ١٣ - ١٦)

هو ابن منتيا الأكبر، طلب والده أن يكون أبًا لإخوته، لكنه ترك القيادة ليهودا ومن بعده ليوناتان.

التفّ حوله اليهود. ساند ديمتريوس الثاني الذي استعاد الحكم، فاعترف به كرئيس الكهنة، وقائدًا ورئيسًا لليهود، ورفع عن اليهود نير الأمم. حافظ سمعان على الشريعة واهتمّ بالهيكل والعبادة.



حصن سمعان القلاع، واستولى على جازز، ثم أخرج المدافعين الغرباء
من القلعة، وعين ابنه يوحنا قائداً على جميع جيوشه.
أرسلت إليه روما وإسبرطة تجددان عهد الصداقة معه. فكان عهده عهد
سلام وازدهار. لكن أنطيوخس السابع انقلب على اليهود، فقتل سمعان مع ابنيه
على يد صهره الذي أراد أن يرضي ملك أنطاكية.
حفر اليهود على أبواب نحاسية ما فعله سمعان وإخوته، ووضعوا نسخة
منها في خزانة الهيكل.
ثبت أنطيوخس السابع الاعتراف به كرئيس الكهنة. لكنه أخذ بعد ذلك
موقفاً معادياً من سمعان، وأرسل كندوباوس قائد الساحل ليقترله. انتصر يهوذا
ويوحنا ابنا سمعان عليه. لكن سمعان مات في مكيدة وخلفه ابنه يوحنا.

١٨٥ - الشهيد العازار

(٢ مكابيون ٦)

كلمة "العازار" معناها: "الله يُعين".

العازار هذا غير العازر أحد إخوة يهوذا المكابي. وهو شيخ من كبار علماء الشريعة، طُلب منه أن يأكل لحم الخنزير الذي تُحرّمه الشريعة. أكرهوه على فتح فمه قسرًا، ليأكل لحم الخنزير، فقفزه من فمه.

حاولوا إقناعه أن يتظاهر بأنه يأكل لحم الذبيحة المقدّمة للأصنام التي أمر بها الملك لينجو من الموت، فيكسب صداقته ووده. فانتهرهم مؤكّدًا لهم أنه لا يليق به أن يكون مُرائيًا من أجل الحياة الزمنية القصيرة، قائلاً:

"لا يليق بسننا أن نرائي،

لئلا يظنّ كثير من الشبان أن العازار وهو ابن تسعين سنة قد انحاز إلى مذهب الغرباء (الوثنيين).

فيضلّوا هم أيضًا بسببي وبسبب رياي، من أجل حياة قد صارت قصيرة جدًا.

فأجلب على شيخوختي النجاسة والفضيحة.

فإني وإن نجوت الآن من عقاب البشر، لا أهرب من يدي القدير، حيًّا كنتُ أو ميتًا.

ولكن إن فارقت الحياة ببسالة، فقد وفيت بحق شيخوختي.

وأبقيت للشبان قدوة بطولة بميتة حسنة طواعية وسخية في سبيل الشرائع

الجليلة المقدّسة".

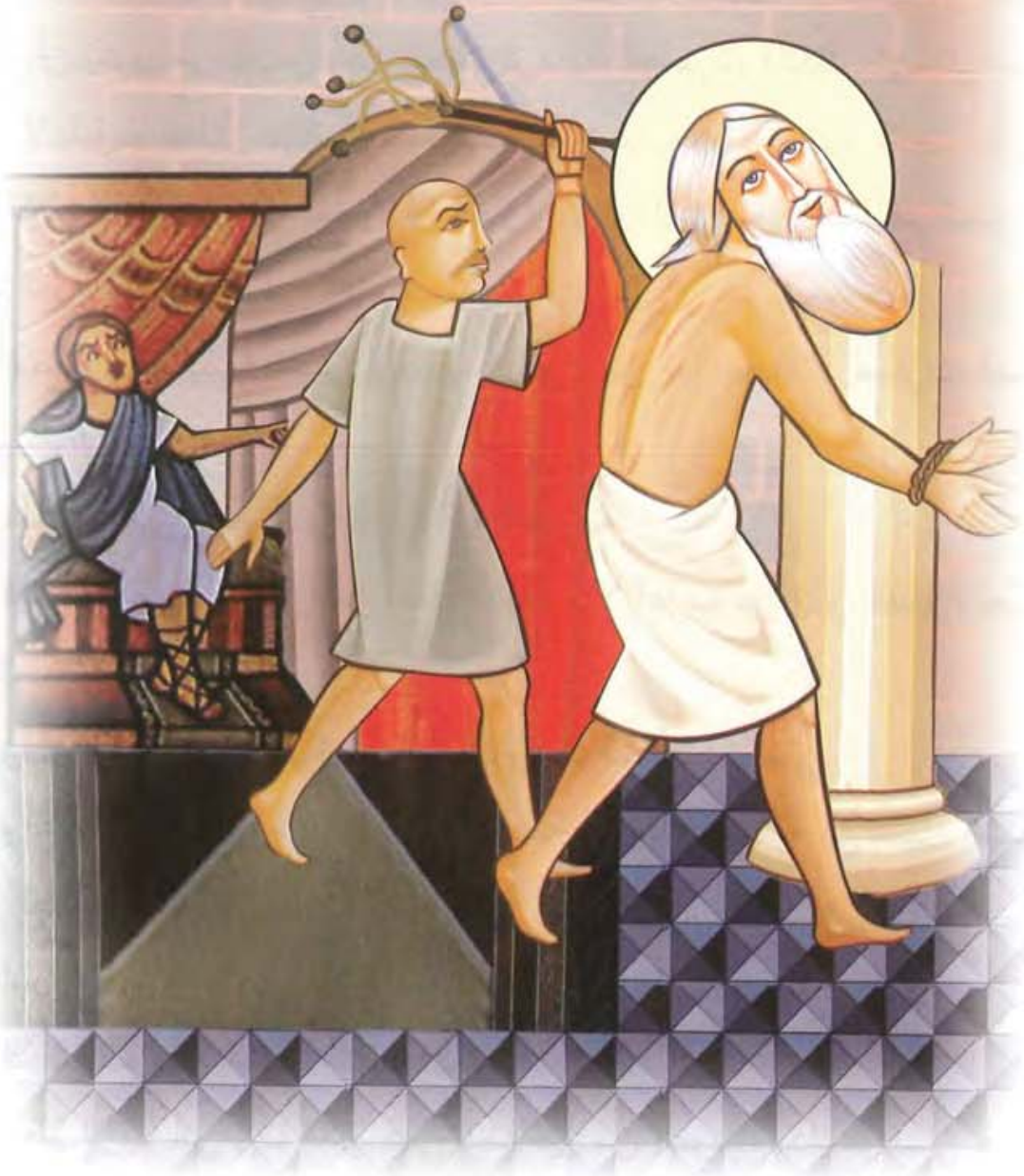
أسرع العازار إلى مكان التعذيب، وضربَ حتى الموت.

إذ أشرف على الموت تنهّد، قائلاً:

"يَعْلَمُ الرَّبُّ أَنِّي وَأَنَا قَادِرٌ عَلَى الْخُلُوصِ مِنَ الْمَوْتِ، أَكَابِدُ فِي جَسَدِي

عَذَابَ الضَّرْبِ الْأَلِيمِ، وَأَمَّا فِي نَفْسِي فَإِنِّي أَحْتَمِلُ ذَلِكَ مَسْرُورًا، لِأَنِّي أَخَافُ اللَّهَ".

فارق هذا الشيخ الحياة تاركاً موته قدوة ومثالاً وتذكيراً لا للشبان وحدهم،
وإنما لكل بني شعبه، بل وللأجيال.



١٨٦- استشهاد أم وأبنائها السبعة

(٢ مكابيون ٧)

قصة استشهاد هذه الأسرة، هي قصة الإيمان الحي الذي يتحدّى الموت عن أن يحدوا عن الشريعة الإلهية، مع التمسك بالقيامة والحياة الأبدية. يُقدّم لنا سفر المكابيين الثاني صورة رائعة لأم تحمل في كلامها الأنثوي نبضة الرجولة بالرغم من قسوة الجلادين.

كان من ضمن الشهداء في عصر المكابيين الذين استشهدوا، أم وأبنائها السبعة، الذين أثبتوا شجاعة غير عادية في قبولهم الموت، وقالوا تعبيرات تكشف عن إيمانهم الثابت غير المتزعزع بقيامة الأموات. أثار أنطيوخس أبيفانس اضطهادًا عنيفًا ضد اليهود الذين ما زالوا مُخلصين لشريعتهم وتقاليدهم الدينية، واستشهد الكثير منهم.

حدث أن قبض الملك على سبعة إخوة مع أمهم، وقام بضربهم بالسياط وأوتار الثيران، ليُجبرهم على أكل لحم الخنزير، مُخالفين في ذلك الشريعة. تقدّم أحدهم وقال على لسان الجميع: "ماذا تطلبون منا، ماذا تريدون أن تعرفوا منا؟ إننا مُستعدّون أن نموت ولا نخالف شريعة آبائنا".

اغتاظ الملك جدًّا وأمر أن يُحمى الأتون والقِدور، ثم أمر بقطع لسان ذاك الذي تكلم معه، وتُبتّر أطرافه، أمام عيون إخوته وأمه. ولمّا فقد كل أطرافه وهو يُفارق الحياة أمر الملك أن يلقوه في قدرٍ ليُشوى بالنار.

وأثناء تصاعد الدخان وانتشاره من الشواية، كانت أمّه وإخوته يشجعون بعضهم بعضًا على الموت بشجاعة قائلين: "إن الربّ الإله يرى ويرحمنا كما قال موسى في تسبحة التي يشهد لنا: أمّا الرب فيرحم عبده".

ولمّا مات الأخ الأول، جاءوا بالثاني، وبعد أن سلخوا فروة رأسه، طلبوا منه أن يأكل من لحم الخنزير وإلا سيُعذبون جسمه عضوًا عضوًا. ولمّا رفض،

عذّبوه بنفس العذابات المتلاحقة كأخيه الأكبر. وفيما كان يلفظ أنفاسه الأخيرة، قال: "مسكين، إنك تسلبنا الحياة الدنيا فقط، لكن إذا مُتتا فإن ملك العالم سيُقيّمنا لحياة أبدية، نحن الذين مُتتا من أجل شريعته".

عذّبوا الأخ الثالث، ثم قدّم لسانه لما طلبوا منه ذلك، ومدّ يديه بجسارة وقال بشجاعة: "إني من رب السماء أُوتيت هذه الأعضاء، ومن أجل شرائعه استهين بها، ومنه أرجو أن استردها".

اندّش الملك ومن معه من فرط شجاعة هذا الشاب الذي حسب هذه الآلام كلا شيء. ولما ترك الحياة، أتوا بالرابع ليُعذّبوه، الذي لما أشرف على الموت، قال للملك: "خيرٌ أن يموت الإنسان بأيدي الناس، ويرجو من الربّ أن يُقيّمه. أمّا بالنسبة لك أنت لن تكون قيامة للحياة (الأبدية)".

هكذا يُميّز بين المؤمن الذي يقوم للحياة الأبدية والشرير الذي لن يتمتع بالحياة الأبدية.

أمّا الأخ الخامس فحذّر الملك بقوة من حلول العقاب الإلهي عليه وعلى نسله.

أعلن الأخ السادس للملك أن ما يحلّ بهم هو تأديب مؤقت من الله، حاسباً الملك كعدوٍّ يُحارب الله نفسه في أشخاص مؤمنيه.

أمّا موقف الأم فكان أكثر من أن يستحق الإعجاب، لأن برجائها في الرب احتملت بصبر وشجاعة ما حلّ بأبنائها السبعة، وكانت تُشجّعهم، وهى مملوءة بمشاعر البطولة، وجّهت أنظارهم إلى الله خالقهم الذي سيُعيد إليهم الحياة برحمته، قائلة لهم: "إنني لا أعلم كيف وُجدتم في أحشائي، فلست أنا التي منحتكم الروح والحياة، ولم أنظّم العناصر التي تُكوّن كل منكم. الذي فعل ذلك هو خالق العالم، الذي جبل الإنسان عند ميلاده، وهو أصل سائر الأشياء، الذي سيُعيد لكم بتحننه الروح والحياة، لأنكم الآن تقدّمون أنفسكم من أجل شريعته".



ظن أنطيوخس أبيفانس أن الأم بكلامها هذا تسخر منه. فحاول بالنسبة لابن السابع، وهو أصغرهم، أن يُغريه بأقوال ويؤكد كلامه بأقسام إنه إذا ترك تقاليد آباءه، فإنه يتّخذ صديقاً له، ويُقلّده مناصب عالية. سيجعله غنيًا جدًا وسعيديًا، موكلاً إليه وظائف ذات منصب رسمي. لم يهتم الابن بأي شيء من هذا. فدعا الملك أمّه وطلب منها أن تُقنع ابنها المُراهق بما يُخلصه. ولمّا ألحّ عليها، قبلت أن تقنع ابنها، فانحنت نحوه هازئة بالطاغية الشرير، مُعبّرة عن ذلك بلغة آبائها:

"يا ابني، سامحني، أنا التي حملتك في أحشائي تسعة أشهر، وأرضعتك ثلاث سنين، أطعمتك وربيتك حتى بلغتَ هذا السن. أرجوك، انظر يا ولدي إلى السماء والأرض وكل ما فيها، واعلم أن الله خلق كل شيء من العدم بما فيه جنس الإنسان. فلا تخف من هذا الجلاد، اقبل الموت، وكُن جديرًا بإخوتك، لألقاك معهم في وقت الرحمة".

وما أن انتهت من الكلام حتى وبّخ الابن الملك، وحذّره من العقاب الذي سيحلّ به من الله. قال أيضًا: "ماذا تنتظرون. لن أطيع أمر الملك، بل أطيع الشريعة المُعطاة لأبائنا بواسطة موسى".

شدّد الملك على تعذيبه أكثر من إخوته، فمات واثقًا في الرب.

اتّجهت الأم نحو الملك، وقالت له: "وأنت يا مَنْ تُنزِل كل هذه الشرور ضدّ العبرانيين، لن تنجو من يد الله".

احتملت أن ترى موت أبنائها في نفس اليوم بدون اضطراب، أخيرًا لحقت

الأم ببنيها.

جاءت أحاديث هؤلاء الشهداء تؤكد حقائق كثيرة، أهمّها أن الله خالق الكل

من العدم، وأن المؤمنين يضعون رجاءهم في القيامة العتيدة.

١٨٧- إمبراطور يتحدّى المقدّس الإلهيّة

(٣ مكابيون)

وردت هذه القصة في سفر المكابيين الثالث، الذي تعرّف به الكنائس الأرثوذكسية.

مع أن أحداثها تسبق ما ورد في سفرى المكابيين الأول والثاني، لكنها وردت في المكابيين الثالث، لأنها وإن كانت لا تخصّ أشخاص المكابيين، تحمل نفس الروح في عصر سابق.

عندما سمع الإمبراطور بطليموس الرابع فيلوباتور (٢٢١-٢٠٣ ق.م). أن أنطيوخس استولى على بعض المناطق التي تحت حكمه، أصدر أوامره إلى كل المشاة وسلاح الفرسان أن يتجهوا معه، وكان معه أخته أرسينو *Arsinoe* التي تزوّجها وفيما بعد قتلها، وأن يذهبوا إلى رفح بفلسطين *Raphia*، حيث كانت قوات أنطيوخس تُعسكر.

أخذ قائد جيشه المصري أفضل أسلحته ويُدعى ثيودوتس *Theodotus*، وتسلّل إلى خيمة الملك بطليموس ليغتاله وهو نائم، فبُني الحرب مع سوريا. لكن أحد اليهود يُدعى دروثيس *Droithus*، كان قد جدد إيمانه وتقاليد آبائه نجح في وضع رجلٍ مجهول ينام في خيمة الملك، وطلب أن ينتقل الملك إلى خيمة أخرى، فقتل القائد هذا الرجل ظناً منه أنه الملك.

إذ دارت المعركة قامت الملكة بتشجيع القوات ووعدتهم بمكافأة لكل جندي، فانتصر جيش بطليموس.

قرّر بطليموس زيارة كل المُدن المجاورة، وتقديم هدايا لمعابدها. أرسل إليه اليهود وفد صداقة يُهنئونه ويرحبون به، فأحسن إليهم، وأظهر اشتياقه إلى زيارتهم. وبالفعل إذ جاء إلى أورشليم ليُقدّم ذبائح شكر لله القدير. بُهر الملك من الهيكل وجماله، فقرّر أن يدخل بنفسه إلى قدس الأقداس.

أخبروه أنه لا يجوز له ولا لليهود أن يدخلوه، وجاءوا إليه بالشرعية وقرأوا له ذلك. فقال: "وإن كان الآخرون يُمنعون من الدخول، لكنني لن أُحرم من نوال هذه الكرامة".

سألهم لماذا لم يمنعه أحد من كل الأمم الدخول إلى معابدهم، فأجابوه أن هذا لا يصح أن يُستخدم كحُجّة لدخوله. أما هو فأصرّ أن يدخل، أرادوا أو لم يريدوا.

لم يكن أمامهم سواء اللجوء إلى الله. انطرح الكهنة على الأرض، يطلبون العون من الله، لكي يُغيّر فكر الإمبراطور.

صاروا يبكون ويصرخون لله. خرج الكل من بيوتهم يتوقعون حدوث معجزة. حتى العذارى تركزن حجراتهن، ووضعن التراب على رؤوسهن، وكُنَّ يَنحن في الشوارع ومعهن أمهاتهن. تركت حديثات الزواج بيوتهن، وسرن في الشوارع حزينات. واللواتي لديهن أطفال ورُضع تركن أطفالهن وخرجن يطلبن تدخلُ الله.

حاول الشيوخ أن يتحدثوا مع الإمبراطور ليرجع عن فكره، أما هو فتجاهل هذا كله وتحرك نحو الهيكل. فضّل الكل أن يموتوا عن أن يتدنس الهيكل. ركع رئيس الكهنة الأعظم سمعان، وبسط يديه بوقارٍ عظيم، وكان يُصليّ بهدوءٍ عظيمٍ بكل قلبه، طالباً من الله أن يغفر لهم كل خطاياهم، ويتحنن عليهم في هذه الساعة.

فجأة صار الإمبراطور أشبه بقصبة تهزّها الرياح، غير قادر أن يقف باتزان، وكان عاجزاً حتى عن الصراخ. ارتعب أصدقاؤه وحُرّاسه، وإذ خشوا أن يموت سحبه.

ولما شفي رجع بطليموس إلى مصر، وبدأ يضطهد اليهود في مصر انتقاماً لما حدث معه في أورشليم.

أمر بأن يؤتى بجميع اليهود في مصر، الرِّجَال والنِّسَاء والأطفال، مُقَيِّدين إلى الإسكندرية، حيث يُنفذُ فيهم حُكْمُ الإعدام. عوملوا بقسوة، وسيقوا كالبهائم، وجُعِلوا في السُّفُن. وهكذا نُقلتْ هذه المجموعة الكبيرة إلى رصيف الإسكندرية وسُجنتْ في حلبة السباق. وكان العددُ كبيراً جدًّا، فاستغرق الإحصاء أربعين يوماً ولم ينتهِ، لأن مواد الكتابة نفدت وانقطعت في البلاد.

عندئذٍ أمر بطليموس حارس الفيلة هيرمون *Hermon* بأن يدوس اليهودَ خمسُ مئة من الفيلة جُنَّ جنونها بسبب ما شربته بكمية ضخمة من الخمر وأكلته من اللبان.

أدرك اليهود أن الفيلة ستدوسهم وتُحطِّمهم تمامًا، فكانوا يصرخون لله لينقذهم. بعد هذا الاستعداد الضخم انتظر الكل مجيء الإمبراطور ليصدر أمره بإطلاق الفيلة على اليهود. لكن الله أعطى الملك نومًا عميقًا، فلم يستيقظ في الصباح حتى حوالي الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر، وكان الضيوف في الوليمة ينتظرونه.

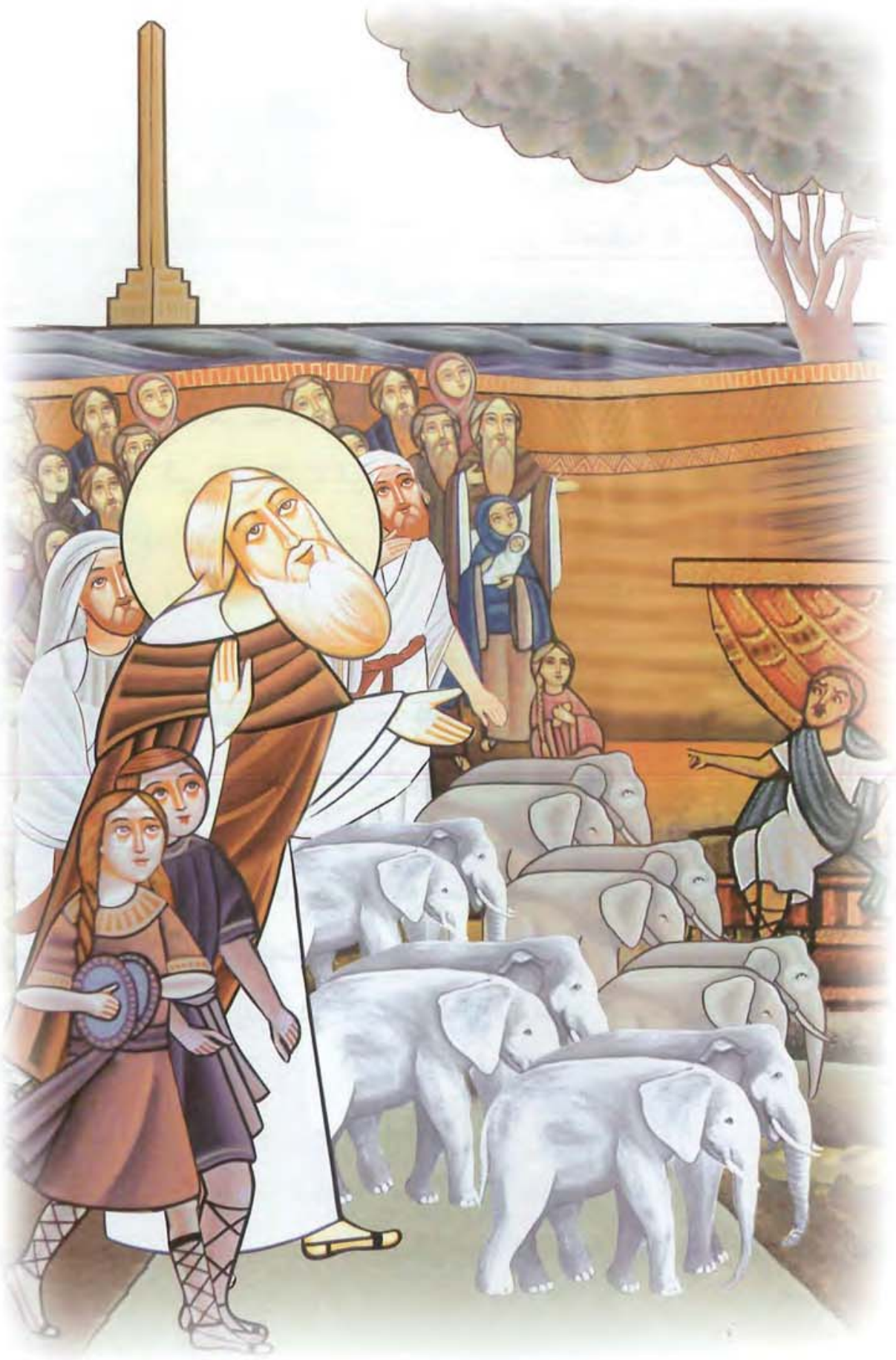
إذا استيقظ الإمبراطور تساءل لماذا لا يزال اليهود أحياء. أجابه هيرمون وكل رجال الملك بأن كل الأمور كانت مُعدَّة حسب أوامره، وأنه لم يستيقظ. طلب منهم أن يستعدوا طوال الليل ويأتوا في الصباح التالي. في الفجر كان كل شيء مُعدًّا، وكان اليهود وهم في الأنفاس الأخيرة يترقبون الموت، يصرخون إلى الله.

قدَّم هيرمون ومن معه تقريرًا للملك بأن كل أوامره قد نُفذت حرفيًّا، لكن الله أزال عن ذاكرته كل ما سبق فأمر به.

كانت المفاجأة أن الإمبراطور بدأ يُهدِّد هيرمون ومن معه كيف يفعلون هكذا بأناسٍ أبرياء، وأنه لو كانت عائلاتهم موجودة لألقاهم للوحوش المُفترسة عوض اليهود الأبرياء. انسحب هيرمون ومن معه كل واحدٍ إلى عمله. وقدَّم اليهود الشكر لله ملك الملوك الذي خلَّصهم.

غير أنه، بعد ذلك، وفي اليوم عينه، جدّد أوامره بأن تُهيأ الفيلة إلى الصباح التالي. دُهِش المدعوّن لهذا التردّد الذي يُعاني منه الملك. وعند الفجر، إذ كان الملك ماضياً إلى الحلبه مع حيواناته، صلّى أليعازر *Eleazar* الكاهن الشيخ الوقور إلى الله وطلب منه أن يتدخل.

عند وصول الملك وجيشه إلى الميدان صرخ اليهود جميعهم بصوتٍ عالٍ إلى السماء، وكان صدى الصوت مُرتفعاً يدوي في الوادي حتى ارتعب الجيش. للحال انفتحت أبواب السماء، ونزل ملاكان بهيَّان، رآهما الجميع ما عدا اليهود. امتلأ قلب الملك بالرُّعب، وارتدّت الفيلة على جيش الملك. فتحول قلبُ الملك، وغضب على مُستشاريه، وأمر بأن يُطلق سراح اليهود، ويحتفلوا بعيدٍ يمتدّ سبعة أيام، على حساب الخزينة الملكيّة. في الموضع الذي حُكم على اليهود بالموت، هناك عيدوا وشكروا الله على خلاصهم، وقرّروا أن تكون تلك الأيام أيام عيد على الدوام. وفي رسالة بعث بها الملك إلى حُكّام الأقاليم، دعاهم أن يُقدّموا كل حماية إلى اليهود. ثمّ عيّنوا سبعة أيام أخرى من العيد في بطلمايس *Ptolemais* جنوب غرب القاهرة (كانت مُدن كثيرة تحمل نفس الاسم في مصر وأيضاً في إسرائيل) قبل أن يعودوا إلى منازلهم.



١٨٨- يشوع بن سيراخ

(يشوع بن سيراخ)

وُلد يشوع بن أليعازار بن سيراخ في أورشليم في منتصف القرن الثالث ق. م. وكان كاتبًا ومعلم الحكمة في أورشليم في مُنْعَطَف القرنين الثالث والثاني ق. م. كانت اليهودية والسامرة آنذاك جزءًا من بقاع سوريا.

إنسان غني مُهْتَم بتربية أولاده، قوي في إيمانه، عميق في تقواه، له خبرات كثيرة. تتقّف باتصاله بالبشر ومُعاشرَة الرؤساء والعُظماء ومعرفة البلدان. سافر إلى بلادٍ كثيرةٍ في مهامٍ سياسيّةٍ، طاف ورأى في مطافه أمورًا كثيرة، وما فهمه يتجاوز ما يقدر أن يُعبّر عنه.

توجّه وهو شاب نحو الحكمة، وفتح مدرسة لعشقه العلم في أورشليم. كان تلاميذه من أبناء العائلات الغنيّة في المدينة، وكان على المُعلّم أن يعدّهم لمسؤولياتهم المُستقبليّة في المجتمع. كتب:

"إذ كنت بعد شابًا وقبل تجوالي، التمست الحكمة علانية في صلاتي.

أمام الهيكل طلبتها، وإلى آخر حياتي سأسعى وراءها.

ابتهج قلبي بزهرها، كما يبتهج بعنب ينضج، ودرجت قدمي في الطريق

المستقيم، ومُنذ شبابي تبعت خطواتها".

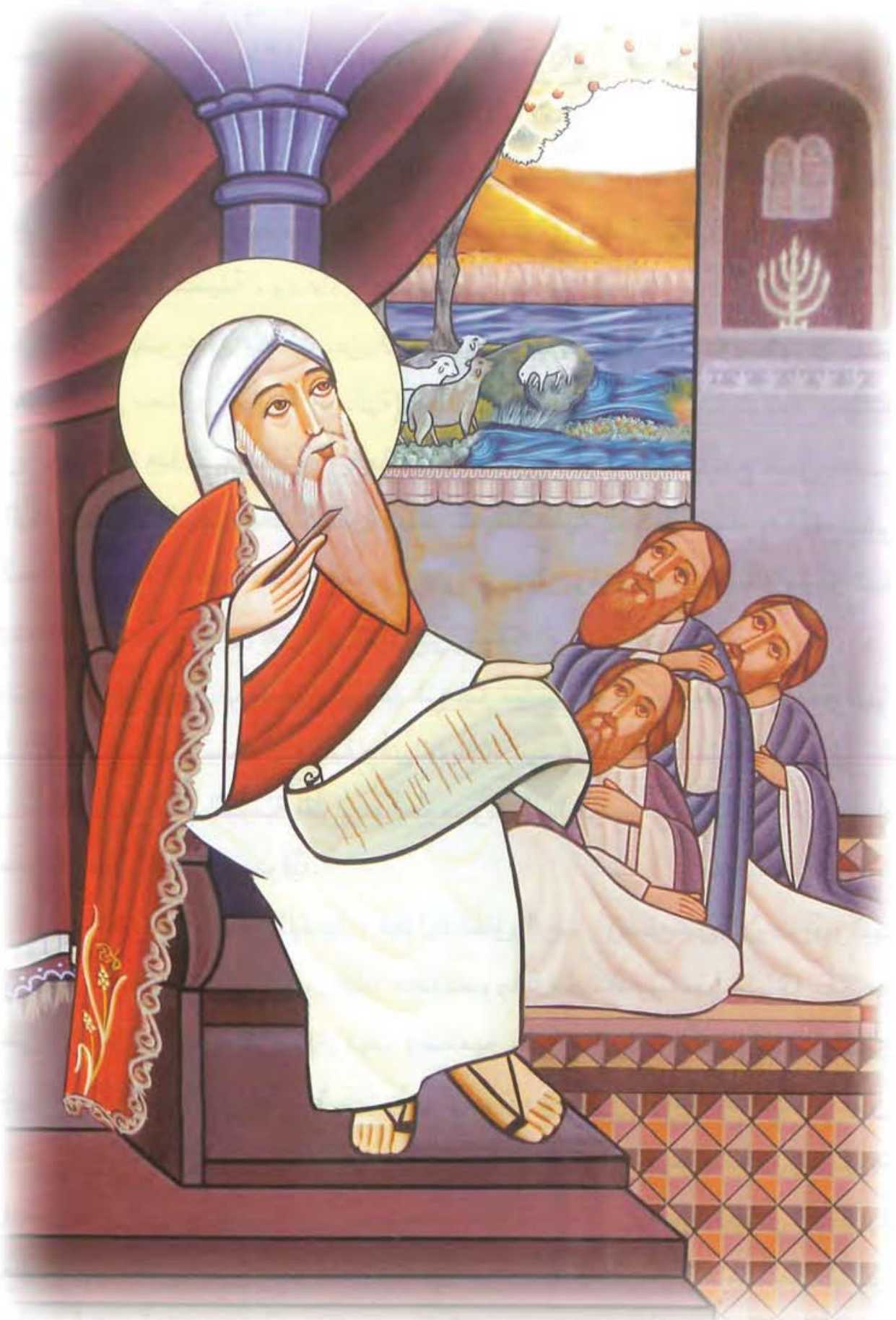
اجتهد في أن يُفكّر في شريعة العليّ، وطلب الحكمة من القدماء، وكرّس

أوقات فراغه للنبوات.

كان يُحبّ الصلاة، ويعرف قوتها.

كان يعشق الطبيعة الجميلة، مملوءًا إعجابًا بالكون، ويعتبر أعمال الله جليلة

وصالحة. هذا ما يكشفه نشيده عن عظمة الله في خلقه بأسلوب رائع جذاب.



كُتِبَ سفر يشوع بن سيراخ ما بين ١٩٠، ١٨٠ ق.م بالعبرية، وقام حفيده سيراخ بترجمته عام ١٣٠ ق.م بمصر إلى اليونانية.

يُسمّى "سفر الكنيسة *Ecclesiasticus*"، لأنه كان يُستخدم في تعليم الموعوظين الذين يتهيأون للعماد والدخول إلى الكنيسة. وقد أطلق هذا الاسم على هذا السفر منذ زمن القديس كبريانوس. دعاه الآباء مثل يوسابيوس وغيره "الحكمة كَلِيَّة الفضيحة"، ودعاه إكليمندس السكندري "المُعَلِّم".

أراد يشوع أن يكشف عن الحكمة من خلال التقليد اليهودي حتى لا يعتمد إخوته على مصادر هيلينية (يونانية).

يُعتبر هذا السفر قطعة رائعة عن الحكمة، عالجت مواضيع في غاية الأهمية منها: الإيمان بالله كخالق وسند للحياة، محبة الحكمة، السلوك الإيماني العملي، أهمية التقليد، سلوك المؤمن حتى في أكله وشربه وعمله وتجارته ودراسته وتعليمه، وفي فقره أو غناه، في صحته أو مرضه.

القسم الخاص بمشاهير الرّجال في إسرائيل يُشبه ما ورد في (عبرانيين ١١)، يُركّز على شخصيات تقية وأنبياء، أكثر من الحديث عن ملوك إسرائيل. تأثر به آباء الكنيسة الأولى وأحبّوه، واقتطفوا الكثير منه. رفضه اليهود، إذ حسبوه يحمل اتجاهًا صدوقيًا.

يتحدّث عن عظمة الإنسان، فيقول: "خلق الرب الإنسان من الأرض، وإليها أعاده مرّة أخرى. جعل للناس أيامًا معدودة ووقتًا مُحدّدًا، ووهبهم سلطانًا على ما على الأرض. وألبسهم قوة تليق بهم، وصنعهم على صورته. وألقى رُعب الإنسان على كل الكائنات الحيّة، لكي يتسلّط على الوحوش والطيور. وأعطاهم لسانًا وعينين وأذنين وعقلًا للتفكير. وملاًهم من المعرفة والفهم، وأطلعهم على الخير والشر. وجعل عينه على قلوبهم، ليظهر لهم عظمة أعماله. ويحمدون اسمه القدوس، ليخبروا بعضائم أعماله. ومنحهم المعرفة، وخصّص لهم شريعة الحياة. وعاهداهم عهدًا أبديةً، وأراهم أحكامه. فرأت عيونهم عظمة مجده، وسمعت آذانهم مجد صوته".

١٨٩- الله والعهد القديم

بدأ العهد القديم بالحديث عن خلقه العالم من أجل الإنسان الذي خلقه سيِّدًا على الأرض، ذا سلطان عظيم، على صورة الله ومثاله، محبوبه العجيب. سقط الإنسان في العصيان، ففقد طبيعته الصالحة، لكن الله أعلن له عن خطة الخلاص.

جلب آدم الخطية إلى العالم، لكن بالتوبة استردَّ محبته الله، وانتظر مجيء المُخلص الموعود به.

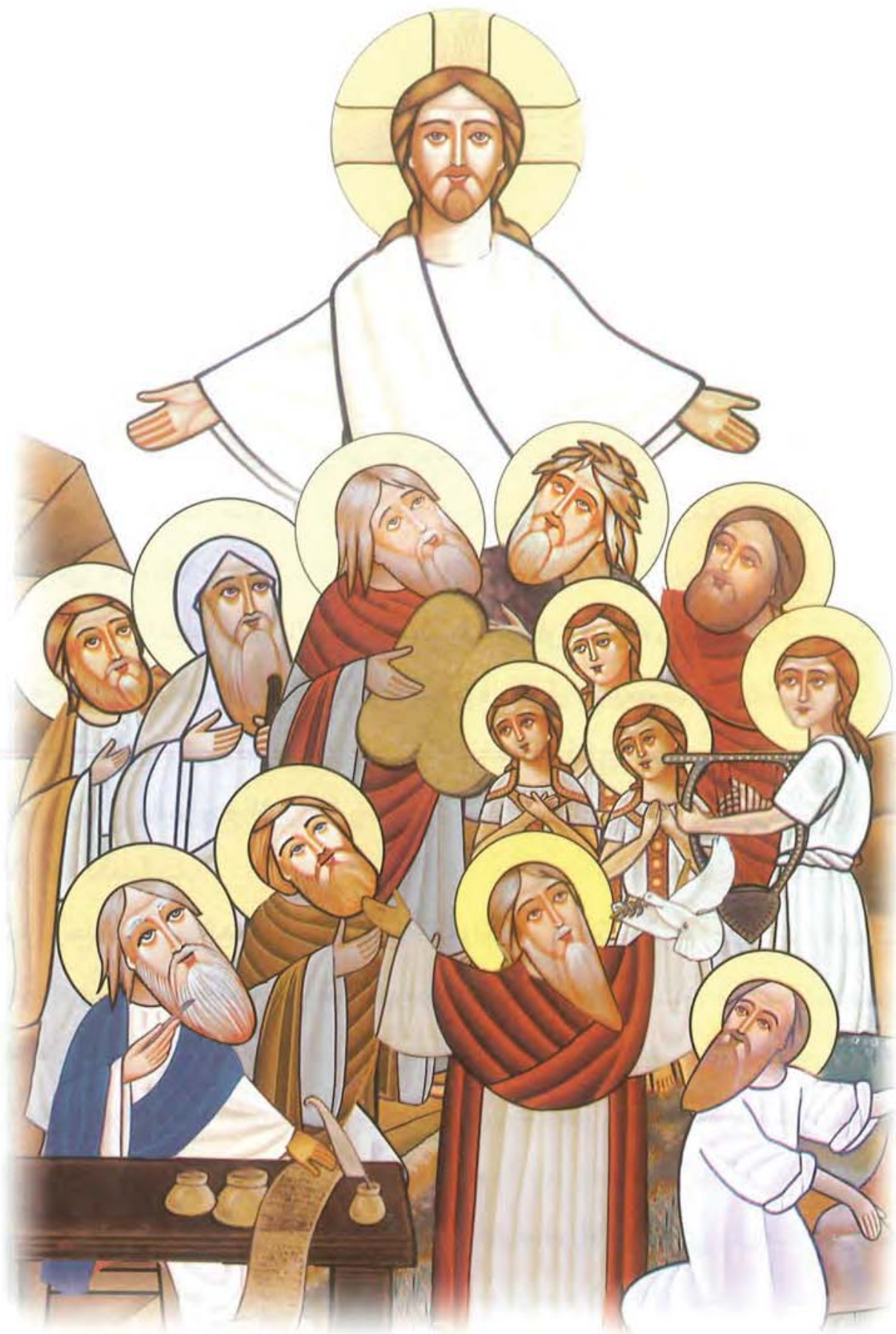
تفاقت خطايا بني آدم حتى جاء وقت لم يكن في العالم إنسان تقي سوى نوح وعائلته. حدث الطوفان وتجددت الأرض كرمزٍ للمعمودية وقيام طبيعة جديدة في حياة المؤمنين.

تبعه إبراهيم، دخل بالإيمان العملي في ميثاق مع الله، وصار أبًا للأمم كثيرة. صار إبراهيم بركة للمؤمنين. ثم جاء إسحق ثم يعقوب فأولاده. نشأ شعب الله كأسباط من أبناء يعقوب في مصر. ولما سقطوا في العبودية أرسل لهم موسى للتمتع بالخروج إشارة إلى عبورنا نحن من عبودية إبليس إلى حرية مجد أولاد الله بالصليب.

وُجدَ في كل العصور مؤمنون أتقياء كما وُجدَ مُتمرِّدون على الله. انقسمت المملكة، وتمَّ سبي مملكة إسرائيل ثم مملكة يهوذا. وعاد الاثنان معًا بعد سبعين عامًا من سبي يهوذا.

أرسل الله أنبياء في كل العصور يدعون الشعب للتوبة، ويتنبأون عن مجيء السيِّد المسيح رب المجد مُخلصًا للعالم.

كان آخر نبي هو ملاخي، توقَّف بعده إرسال الأنبياء لكي يترقَّب الكل كما في حالة صمت، مجيء السيِّد المسيح الذي هو وحده قادر أن يدخل بنا إلى سماواته.



المحتويات

٨٢	٢٥. البحث عن زوجة لإسحق	١٢	١. العالم الجميل
٨٤	٢٦. زواج إسحق برفقة	١٦	٢. ملكٌ في جنة عدن
٨٦	٢٧. عيسو ويعقوب	١٩	٣. أسعد زوجين في العالم
٨٩	٢٨. سلم يعقوب والسماء المفتوحة .	٢٢	٤. همسات الحيّة
٩٢	٢٩. عودة يعقوب إلى كنعان	٢٧	٥. قايين وهابيل
٩٥	٣٠. أيوب البار	٣١	٦. قايين في رُعبٍ
١٠٠	٣١. يوسف بن يعقوب	٣٥	٧. بارَ ينقله الرب من الأرض
١٠٢	٣٢. حُلمان	٣٦	٨. فُلك نوح
١٠٥	٣٣. يوسف وامرأة فوطيفار	٣٩	٩. في رعاية الله داخل الفُلك
١٠٧	٣٤. مُفسّر الأحلام	٤٢	١٠. عهد مع نوح
١١٠	٣٥. لقاء يوسف مع إخوته	٤٤	١١. عالم جديد
١١٤	٣٦. يعقوب يرحل إلى مصر	٤٦	١٢. شعب غبي وناطقة سحب سخيفة
١١٨	٣٧. الرضيع في النهر (موسى النبي)	٥١	١٣. ساراي زوجة أبرام
١٢١	٣٨. الرضيع والأميرة	٥٤	١٤. خروج أبرام من أرضه
١٢٤	٣٩. عبد يصير أميرًا	٥٦	١٥. أبرام في أرض مصر
١٢٦	٤٠. هروب موسى من مصر	٥٨	١٦. خصام بين الرعاة
١٢٨	٤١. هارب يُعدُّ للقيادة	٦٠	١٧. كاهن فريد (ملكي صادق وأبرام)
١٣٠	٤٢. العليقة المُشتعلة	٦٣	١٨. تجديد الوعد الإلهي
١٣٤	٤٣. مخاوف موسى	٦٥	١٩. مع هاجر جارية ساراي
١٣٨	٤٤. الضربات العشر	٦٨	٢٠. عهد جديد مع الله والختان ...
١٤٣	٤٥. خروف الفصح	٧١	٢١. تحقيق الوعد الإلهي
١٤٦	٤٦. عبور البحر الأحمر	٧٤	٢٢. ابنا إبراهيم: إسحق وإسماعيل
١٥٠	٤٧. المياه المُرة تصير عذبة	٧٦	٢٣. ذبيحة طاعة وحب
١٥٢	٤٨. الله قائد شعبه وراعيه	٨٠	٢٤. مقبرة سارة

٢٢٠ ٧٥. دبورة القاضية

٢٢٢ ٧٦. نُصْرَة دبورة وباراق

٢٢٥ ٧٧. دعوة الشاب جدعون للعمل

٢٢٧ ٧٨. جزّة جدعون

٢٣٠ ٧٩. النذر الغريب

٢٣٢ ٨٠. جوف الأسد المملوء عسلاً

٢٣٤ ٨١. أُحْجِيَة في حفل الزواج

٢٣٦ ٨٢. قتل ألف رَجُل بفك حمار

٢٣٨ ٨٣. سرّ قوّة شمشون

٢٤٠ ٨٤. موت شمشون

٢٤٢ ٨٥. أرملة غريبة في بيت لحم

٢٤٩ ٨٦. صموئيل آخر القضاة

٢٥٢ ٨٧. نبيّ الرب الصغير

٢٥٤ ٨٨. صموئيل! صموئيل

٢٥٦ ٨٩. تأديب عالي الكاهن

٢٥٨ ٩٠. استرداد تابوت العهد

٢٦٢ ٩١. الشعب يطلب ملكاً

٢٦٤ ٩٢. شاول الملك

٢٦٦ ٩٣. نُصْرَة عظيمة على بني عمّون

٢٦٨ ٩٤. نُصْرَة عظيمة على عماليق

٢٧١ ٩٥. مسح داود ملكاً

٢٧٤ ٩٦. داود وجليات الجبار

٢٧٩ ٩٧. شاول يحسد داود

٢٨٢ ٩٨. ميكال تنقذ داود من شاول أبيها

٢٨٥ ٩٩. داود يأكل من خبز التّقديمة

٢٨٨ ١٠٠. في مغارة عدّلام

١٥٥ ٤٩. السماء تمطر طعاماً

١٥٧ ٥٠. موسى يضرب الصخرة

١٥٩ ٥١. معركة مع عماليق

١٦٠ ٥٢. مشورة يثرون لموسى

١٦٣ ٥٣. على جبل سيناء

١٦٦ ٥٤. كهنة الله

١٦٨ ٥٥. العجل الذهبي

١٧١ ٥٦. أرني مجدك

١٧٢ ٥٧. وجه موسى المنير

١٧٤ ٥٨. إقامة خيمة الاجتماع أو خيمة الله

١٧٦ ٥٩. يوم الكفارة العظيم

١٧٩ ٦٠. الاثنا عشر جاسوساً

١٨٢ ٦١. الحية النحاسية

١٨٤ ٦٢. حمار يتكلّم

١٨٧ ٦٣. العظة الوداعية (نشيد موسى)

١٩٠ ٦٤. موت القُبلة

١٩٣ ٦٥. جاسوسان على السطح

١٩٨ ٦٦. راحاب والحبل القرمزي

٢٠٠ ٦٧. عبور نهر الأردن

٢٠٣ ٦٨. لقاء مع رئيس جند الرب

٢٠٧ ٦٩. الهزيمة في عاي

٢١٠ ٧٠. حيلة بني جبّعون

٢١٢ ٧١. مُحاصرة جبّعون

٢١٤ ٧٢. تقسيم أرض الموعد كميراث للأسباط

٢١٦ ٧٣. مُدن الملجأ لإسرائيل

٢١٨ ٧٤. مذبح بلا ذبيحة

٣٦٠ ١٢٧. قتل وورث
 ٣٦٥ ١٢٨. مركبة نارية تحمل إيليا للسماء..
 ٣٦٩ ١٢٩. فيض زيت أرملة
 ٣٧٢ ١٣٠. إقامة ابن الشونمية
 ٣٧٥ ١٣١. في القدر موت يا رجل الله
 ٣٧٧ ١٣٢. الاستحمام سبع مرات في الأردن
 ٣٨١ ١٣٣. الحديد يعوم
 ٣٨٣ ١٣٤. حرب مع آرام
 ٣٨٦ ١٣٥. يونان النبي
 ٣٩٣ ١٣٦. جمرة نار في قلب إشعيا..
 ٣٩٦ ١٣٧. هأنذا أرسلني إشعيا
 ٤٠٠ ١٣٨. جولة في داخل مذود
 ٤٠٢ ١٣٩. جولة في أرض الفراغة ..
 ٤٠٤ ١٤٠. جولة على الجبال المقدسة
 ٤٠٦ ١٤١. جولة على جبل الجلجثة
 ٤٠٨ ١٤٢. جولة مفرحة في كنيسة العهد الجديد
 ٤١٠ ١٤٣. لقاء مُمتع مع مسيح الكنيسة
 ٤١٢ ١٤٤. فتى يفوق والده الملك
 ٤١٥ ١٤٥. ملك صالح لأبٍ فاسدٍ وشريرٍ
 ٤١٧ ١٤٦. صراع مع أشور
 ٤٢٠ ١٤٧. أزيد على أيامك ١٥ سنة ..
 ٤٢٢ ١٤٨. سقوط في الكبرياء
 ٤٢٣ ١٤٩. هلاك سنحاريب وجيشه
 ٤٢٤ ١٥٠. يوشيا ملك يهوذا والنبي القروي
 ٤٢٧ ١٥١. دعوة إرميا النبي
 ٤٣٠ ١٥٢. جدران قلبي توجعني

٢٩٠ ١٠١. شاول يقتل الكهنة
 ٢٩٤ ١٠٢. داود يقطع طرف جبّة شاول
 ٢٩٧ ١٠٣. داود وأبجائيل الحكيمة
 ٣٠٢ ١٠٤. داود يرفض قتل شاول
 ٣٠٥ ١٠٥. موت شاول وبنيه
 ٣٠٨ ١٠٦. داود ملك يهوذا ثم كل إسرائيل
 ٣١١ ١٠٧. داود النبي في حوار مع الله
 ٣١٤ ١٠٨. داود يُحسن إلى مفيبوشث
 ٣١٦ ١٠٩. ضعفات داود الملك
 ٣١٨ ١١٠. أبشالوم بن داود
 ٣٢٠ ١١١. داود يبكي ابنه المتمرّد أبشالوم.
 ٣٢٢ ١١٢. اختيار موضع بناء بيت الرب
 ٣٢٤ ١١٣. الملك سليمان الحكيم
 ٣٢٧ ١١٤. سليمان باني هيكل الله
 ٣٢٩ ١١٥. انحراف سليمان الحكيم
 ٣٣٢ ١١٦. انقسام المملكة
 ٣٣٤ ١١٧. آسرحدون وأليفانا
 ٣٣٦ ١١٨. اجتماع مع القيادات العسكرية.
 ٣٣٨ ١١٩. مُحاصرة بيت فلوى
 ٣٤٠ ١٢٠. يهوديت في معسكر الجيش الآشوري
 ٣٤٣ ١٢١. يهوديت وحياة الصلاة والتسبيح
 ٣٤٦ ١٢٢. أخاب ملك إسرائيل وإيليا النبي
 ٣٥٠ ١٢٣. الرجل الذي أطعمته الغربان
 ٣٥٢ ١٢٤. أرملة فقيرة في صرفة
 ٣٥٥ ١٢٥. إقامة ابن الأرملة
 ٣٥٨ ١٢٦. لقاء إيليا النبي وكل الشعب

٤٨٥ طوبيت ١٧٢
 ٤٨٩ أستير الملكة ١٧٣
 ٤٩٨ العودة من السبي ١٧٤
 ٥٠٠ صعود عزرا ورفقائه إلى أورشليم ١٧٥
 ٥٠٢ هلم فنبن أسوار أورشليم ... ١٧٦
 ٥٠٤ إتمام بناء سور أورشليم ... ١٧٧
 ٥٠٦ عزرا يقرأ الشريعة ١٧٨
 ٥٠٨ ملاخي ١٧٩
 ٥١٠ المكابيون وأنطيوخس أبيفانس ١٨٠
 ٥١٦ متتيا أو متياس ١٨١
 ٥١٩ يهوذا المكابي ١٨٢
 ٥٢٤ يوناثان المكابي ١٨٣
 ٥٢٧ سمعان المكابي ١٨٤
 ٥٢٩ الشهيد العازار ١٨٥
 ٥٣١ استشهاد أم وأبنائها السبعة ١٨٦
 ٥٣٥ إمبراطور يتحدى المقدس الإلهية ١٨٧
 ٥٤٠ يشوع بن سيراخ ١٨٨
 ٥٤٣ الله والعهد القديم ١٨٩

٤٣٣ الكلمات التي لم تقدر النيران أن تحرقها ٤٣٣
 ٤٣٥ النبي السجين ٤٣٥
 ٤٣٨ سقوط أورشليم في يد البابليين ٤٣٨
 ٤٤٠ مرات في كهف إرميا ٤٤٠
 ٤٤٢ حزقيال النبي ٤٤٢
 ٤٤٤ عرش في السماء ٤٤٤
 ٤٤٦ تصرفات ورؤى غريبة ٤٤٦
 ٤٤٨ مجد الرب يفارق الهيكل .. ٤٤٨
 ٤٥٠ طفلة أممية تصير ملكة سماوية ٤٥٠
 ٤٥٢ الراعي الصالح ٤٥٢
 ٤٥٤ بقعة مملوءة عظاماً جافة . ٤٥٤
 ٤٥٦ مجيء العريس الملك واهب القيامة ٤٥٦
 ٤٥٨ دانيال النبي ورفقاؤه ٤٥٨
 ٤٦١ الثلاثة فتية في أتون النار.. ٤٦١
 ٤٦٨ بيلشاصر الملك واليد السرية ٤٦٨
 ٤٧٠ جب أسود أم فردوس ٤٧٠
 ٤٧٥ سوسنة العفيفة ودانيال الحكيم ٤٧٥
 ٤٧٩ دانيال وكهنة الإله بال ٤٧٩
 ٤٨٢ دانيال والتنين ٤٨٢

قصة العهد القديم للنساء



كنيسة الشهيد العظيم مارجرس - سبورتنج - الإسكندرية

ت: ٠٣ ٥٩١٩٨٨٨ - ٠٣ ٥٩٠٦٠٠٣ فاكس: ٠٣ ٥٩٠٢٨٨٨

الثمان: ١٥ جنيه (أقل من التكلفة)